المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الآداب والعلوم الإدارية
قسم الدراسات الإسلامية



تصور التوحيد عند أهل الكتاب من مصادرهم المقدسة

(عرض ونقد)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد الطالبة

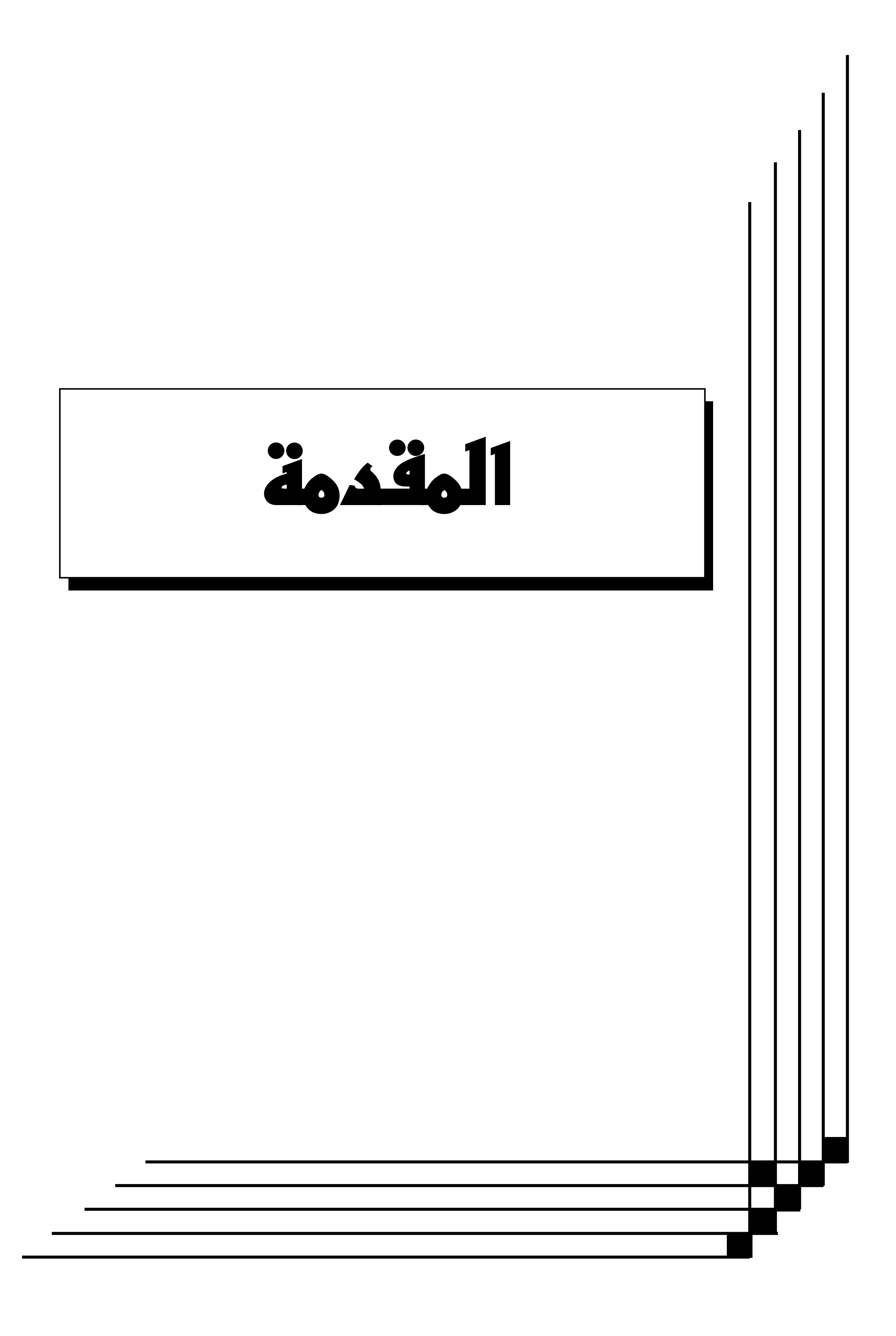
فوزية بنت حمد محمد الحتيرشي

المحاضرة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بمحافظة جده

إشراف الأستاذ الدكتور

يحيى محمد ربيع

١٤٣٢/١٤٣١هـ



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

C B A @ ? > = < ; :M

P O N M L K J I H G F E D

L Z Y X W V U T R Q

آل عمران ، آية (٦٤)

الحمد لله الذي فطر عباده على الحق وأمرهم بعبادته ، ونزه نفسه عن صفات النقص والعيب ، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين ، واشهد أن محمداً عبد الله ورسوله النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين .

لقد خلق الله سبحانه وتعالى خلقه على الفطرة السليمة التي توجب معرفة الله تعالى وهي أعظم المعارف وأهمها على الإطلاق .

يقول ابن تيمية رحمه الله : " ولو لم تكن المعرفة ثابتة في الفطرة لكان الرسول إذا قال لقومه : أدعوكم إلى الله قالوا مثل ما قال فرعون : وما رب العالمين ؟ إنكاراً وجحوداً ...وفرعون لم يقل هذا لعدم معرفته في الباطن بالحق لكن أظهر خلاف ما في نفسه "[1].

فإنه لو لم تكن هناك معرفة الله في قلوب العباد لخالقهم لكانت دعوة الأنبياء والرسل غير واضحة المعالم لأنها تدعو إلى عبادة من لا يُعرف .

فلقد كلف الله سبحانه وتعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له ، وكلف رسله بالدعوة إلى توحيده في عبادته سبحانه وتعالى .

قال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 L[2].

وقد أخبر سبحانه وتعالى أن توحيده في عبادته هو الغاية من الخلق ، قال تعالى : M C D E F G H I L[3].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨/٤٤٠) تحقيق : د / محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٢) سورة الأنبياء ، آية (٢٥) .

(٣) سورة الذاريات ، آية (٥٦) .

وقد نهى سبحانه وتعالى عن الشرك في حقه ، قال تعالى : O N M L K J M
.[٤] L Z Y X W V T S R Q P

وقال الله تعالى : L I k j i h g f M .[٥]

ولا يكمل إيمان العبد إلا بمعرفة أسماء الله وصفاته الحسنى وتنزهه عن صفات النقص والعيب ، لأن عبادته متعلقة بمعرفة أسمائه وصفاته .

قال تعالى : Q P O M L K J I G F E D C M
.[٦] L S R

ونهج سبيل الأنبياء في ذلك بإثبات أسماء الله تعالى وصفاته من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف ، قال تعالى : L 8 7 6 5 3 2 1 M
.[٧]

ويدل على ذلك قول الإمام مالك وشيخه ربيعة " الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة " [٨].

فهذا محور تصور التوحيد الصحيح الذي أمر الله سبحانه وتعالى به ودعت إليه جميع الرسل والأنبياء منذ بعثة آدم – عليه السلام – إلى بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم) آخر الأنبياء والرسل ، ولقد ضل أهل الكتاب (اليهود والنصارى) في تصور ومعرفة وفهم التوحيد الصحيح الموصل إلى رضوان الله (عز وجل) ، وجناته ، والنجاة من النار ، فلقد أتى القرآن موضحاً ضلال القوم ومصرحاً بكفرهم فقد قال الله تعالى : M

---

(٤) سورة المائدة ، آية (٧٢) .

(٥) سورة النساء ، آية (٣٦) .

(٦) سورة الأعراف ، آية (١٨٠) .

(٧) سورة الشورى ، آية (١١) .

(٨) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة والجماعة ، ص (٣٩٨/ رقم ٦٦٣ ، ٦٦٥) ، تحقيق / د . أحمد الغامدي ، دار طيبة ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ .

k l m n o p q r s t v w x z

{ | } ~قَبۡلُۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ © وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا

مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ ´ µ ¶ ¸ وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ

عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - .

/ 0 L .[٩]

وقال تعالى : M 6 7 8 9 : ; < = > ? A B C D

E F G H J K L M N O P Q R S T V W X Y Z

[\ ] ^ _ ` a b d e f g h i k l m n o p q

r s t u v L .[١٠]

فالآيات الكريمة تبين الكفر الصريح والضلال الواضح لليهود والنصارى في حق ذات الله (عز وجل) ، وشركهم في توحيد الألوهية المنجي من النار ، المخرج من دائرة الكفر إلى الإيمان .

فهم قوم لا يعرفون حرمة لذات الله سبحانه ، فكان كفرهم صريحاً أيضاً في صفات الله (عز وجل) ويتضح ذلك في قول اليهود على الله أبشع الأقاويل وأشنعها ، فقد قال الله تعالى في حقهم : M ´ µ ¶ ¸ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ L [١١].

وقال الله تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0

1 2 3 4 5 6 7 8 L .[١٢]

---

(٩) سورة التوبة ، آية ٣٠-٣٢ .

(١٠) سورة المائدة ، آية ٧٢-٧٣ .

(١١) سورة المائدة ، آية ٦٤ .

(١٢) سورة آل عمران ، آية ١٨١.

فأهل الكتاب الذين بدلوا لم يتركوا عيباً أو نقصاً إلا ألـصقوه بـذات الإلـه سـبحانه وتعالى فسلكوا مسلك الشيطان ، وما تمليه عليهم عقولهم وأهواؤهم فضلوا وأضلوا ، فكان جزاؤهم جهنم خالدين فيها أبداً .

قــال الله تعــالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 L (١٣).

فهذا جزاء الـشرك وأهلـه فقـد قـال الله تعـالى : M T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i L (١٤).

---

(١٣) سورة المائدة ، آية : ٧٧ .

(١٤) سورة النساء ، آية ١١٦ .

مشكلة البحث :

المشكلة الرئيسة في البحث هو تصور مصادرهم المقدسة للتوحيد ، وهل هـو تـصور صحيح أم لا ، وإن كان صحيحاً ، فكيف أجمعوا علـى تحريفـه وتأويلـه تـأويلاً بـاطلاً ؟ وصل إلى حد الشرك الصريح ، وهذا ما يبحث عنه البحث .

أسباب اختيار الموضوع :

١. لمكانة التوحيد السامية العظيمة عند الله عز وجل حيث جعله الغايـة مـن خلـق الخلق . □
٢. أهمية التوحيد في حياة البشرية في الدنيا والآخرة حيـث هـو الأسـاس في تحديـد مصير العبد ، والحد الفاصل بين الكفر والإيمان . □
٣. بيان المفهوم الخـاطئ لتـصور التوحيـد عنـد أهـل الكتـاب ، وعرضـهم ذلـك مـن مصادرهم. □
٤. بيان المفهوم الصحيح للتوحيد ، وذلك بمقارنتـه بمفهـوم أهـل الكتـاب الخـاطئ وتدعيم ذلك بأدلة من القرآن الكريم . □
٥. بيان أن أهل الكتاب قوم بعيدون عن الحق كل البعد بدلالة النقل والعقل . □
٦. أنه موضوع لم تسبق الكتابة فيه على حسب ما أفادت به مراكـز البحـث العلمـي داخل المملكة . [(١٥)].

---

(١٥) مرفق بالخطة ما يثبت ذلك ، وتم تسجيله في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات العلمية برقم ٨٠٦٨/م بتاريخ ١٤٢٩/٢/١١هـ .

أهداف الدراسة :

١. التوضيح والبيان بأن أهل الكتاب طرأ عليهم الشرك والضلال في توحيدهم لله عز وجل ، وذلك نتيجة لتأثرهم بأسلافهم وركونهم إلى الهوى . □

٢. إبراز جوانب الشرك والإلحاد في توحيد الله عند أهل الكتاب . □

٣. التوضيح والإبراز والمقارنة بين نصوص التوحيد والشرك عند أهل الكتاب من مصادرهم المقدسة . □

٤. بيان المؤثرات الوثنية الوضعية التي كانت سبباً رئيساً لظهور الشرك عند أهل الكتاب . □

٥. إبراز النقد لتصور أهل الكتاب للتوحيد وذلك من خلال النقد النقلي لنصوصهم المقدسة وكذلك الاعتماد على البراهين العقلية . □

أهمية البحث :

تبدو أهمية البحث في أنه يتناول قضية محورية تتعلق بالبشرية في أي زمان ومكان، وكل ملة تدعي أنها على الحق ، ولما كانت الملل الثلاث الكبرى التي تعتمد على مصادر سماوية الأصل ، تدعي كل منها أن الحق معها ، أثرت أن أعرض الأصل والأصول في الاعتقاد وهو التوحيد فالبحث يعالج هذه العقيدة عند اليهود والنصارى من مصادرهم ثم يناقشها مناقشة نقلية وعقلية للوصول إلى الصواب وتحديد منشأ الانحراف ومن هنا تبدو أهمية هذا الموضوع الذي يتناول أصل الاعتقاد ، ويتناوله عند أهم ديانيتن على وجه الأرض بعد الدين الإسلامي .

منهج البحث :

بالتنقل بين عدة مناهج علمية : كالمنهج التاريخي والوصفي .

رأيت اتباع الطريقة التالية :

١. دراسة مفهوم التوحيد الصحيح وفطريته عند أهل الكتاب وذلك من خلال :

أ. نصوص القرآن الكريم ب. مصادر أهل الكتاب

٢. تتبع دلائل التوحيد الصحيحة عند أهل الكتاب من مصادرهم المقدسة .

٣. إيراد دلائل الشرك عند أهل الكتاب من مصادرهم المقدسة .

٤. إيراد الحجج القرآنية على بطلان الشرك والحكم عليهم بالكفر أو الشرك .

٥. الرجوع إلى أقوال علماء أهل الكتاب في التوحيد ، وبيان تصادمها مع نصوص كتابهم المقدس .

٦. النقد لتصور التوحيد عند أهل الكتاب من خلال :

أ. العقل ب. مصادرهم المقدسة ج. المصادر الإسلامية

٧. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية .

٨. تخريج الأحاديث النبوية الشريفة بعزوها على مصادرها الأصلية ، فإن كانت في الصحيحين فيكتفي بعزوها إلى أحدهما ، وإن كانت في غيرهما فتورد أقوال العلماء في الحكم عليها .

٩. توثيق الآثار الواردة في ثنايا البحث بعزوها إلى قائليها .

١٠. عزو نصوص أهل الكتاب من مصادرهم المقدسة إلى موضعها .

١١. التعريف بالفرق والطوائف والمذاهب والديانات الوارد ذكرها في البحث من كتب الملل والنحل ، وبعض المعاجم والدوائر .

١٢. بيان المعاني الغامضة الغريبة سواء كانت لغوية أو مصطلحات عقدية بالرجوع إلى مظانها .

١٣. التعريف بالبلدان والأماكن والبقاع التي ترد في البحث من المعاجم والموسوعات، ودوائر المعارف .

١٤. الترجمة للأعلام غير المشهورين والشخصيات حين ورود ذكرهم أول مرة في البحث ، والإحالة إليها إذا تكرر ذكر العلم مرة أخرى ، باستثناء المشهورين كالصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم .

١٥. توثيق النقول وذلك بعزوها إلى مصادرها ، فما كان نصاً وضعته بين قوسين هكذا " " فاذكر اسم الكتاب بعد رقم الهامش مباشرة ، وأما إذا كان النقل بالمعنى فأذكر عبارة " انظر " بعد رقم الهامش مباشرة ، ثم اسم الكتاب ، وأما إذا تصرفت في النص وضعت بعد رقم الهامش عبارة " انظر " ثم اسم الكتاب ثم كلمة " بتصرف " .

١٦- وعند ورود اسم الكتاب لأول مرة اذكر اسم الكتاب واسم المؤلف ورقم الصفحة والطبعة إن وجد ودار النشر ، وأما إذا تكرر اسم الكتاب مرة أخرى ، فاكتفي بذكر اسم الكتاب فقط ، ورقم الصفحة ، ورقم الجزء إن وجد .

١٧- عند نقلي من المعاجم والموسوعات ، ودوائر المعارف ، وكتب التراجم والأعلام اكتفي بذكر اسم الكتاب دون ذكر رقم الصفحة ، ورقم الجزء لكونها مرتبة على حسب الحروف الهجائية ، ولاختلاف الطبعات وأما إذا نقلت معلومات لا تندرج تحت حرف معين فإنني أذكر رقم الجزء ورقم الصفحة ، وأما إذا كانت بعض الموسوعات لا تعتمد في ترتيبها على الحروف الهجائية فعند نقلي منها أذكر رقم الجزء ورقم الصفحة .

١٨- إذا تكرر نقلي من المرجع الواحد في فقرتين متتابعتين أشير بلفظ " المرجع السابق " .

١٩- استخدام علامة النقطتين الرأسيتين (:) للفصل بين رقم الأصحاح ، ورقم الفقرة ، وعلامة الشرطة (-) أي من كذا إلى كذا ، وعلامة الفاصلة (،) أي كذا وكذا ، وعلامة الشرطة المائلة (/) للفصل بين رقم الجزء ورقم الصفحة .

٢٠. تذييل البحث بجملة من الفهارس العلمية التي تعين القارئ على الرجوع إلى موضوعات البحث مثل :

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة .
- فهرس الأحاديث الشريفة .
- فهرس الموضوعات .

الدراسات السابقة :

فمن الأبحاث التي تناولت موضوع توحيد أهل الكتاب :

١. التوحيد في الديانة النصرانية وما أصابه من تحريف ، رسالة ماجستير ، ١٤٠٠هـ ، مقدمة من الطالب محمد الشيخ أحمد الحاج ، في جامعة الإمام محمد بن سعود – قسم العقيدة .

٢. عموم الرسالة المحمدية ودعوة القرآن الكريم لأهل الكتاب إلى التوحيد ، رسالة ماجستير ، ١٤٠٦هـ ، مقدمة من الطالبة : دلال عبد الله السالم ، الرئاسة العامة لتعليم البنات .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة .

المقدمة :

وتتضمن :

- مشكلة البحث .
- أسباب اختيار الموضوع .
- الهدف من الدراسة .
- أهمية البحث .
- منهج البحث .
- الدراسات السابقة .
- خطة البحث .

وأما التمهيد فيشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بأهل الكتاب ومصادرهم .

المطلب الثاني : فطرية التوحيد في القرآن الكريم .

المطلب الثالث : بداية الشرك في بني إسرائيل .

أما الباب الأول : تصور اليهود لقضية التوحيد

وفيه فصلان :

الفصل الأول : عرض تصور اليهود لقضية التوحيد .

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تصور الربوبية عند اليهود

المطلب الأول : نقد مفهوم الربوبية .

المطلب الثاني : نقد مفهوم الألوهية .

المطلب الثالث : نقد مفهوم الأسماء والصفات .

المبحث الثاني : النقد من خلال مصادرهم المقدسة .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : نقد مفهوم الربوبية .

المطلب الثاني : نقد مفهوم الألوهية .

المطلب الثالث : نقد مفهوم الأسماء والصفات .

المبحث الثالث : النقد من خلال القرآن والسنة .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : نقد مفهوم الربوبية .

المطلب الثاني : نقد مفهوم الألوهية .

المطلب الثالث : نقد مفهوم الأسماء والصفات .

الباب الثاني : تصور النصارى لقضية التوحيد :

وفيه فصلان :

الفصل الأول : عرض تصور النصارى لقضية التوحيد .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تصور الربوبية عند النصارى .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : دلائل الربوبية عند النصارى .

المطلب الأول : نقد مفهوم الربوبية .

المطلب الثاني : نقد مفهوم الألوهية .

المطلب الثالث : نقد مفهوم الأسماء والصفات .

المبحث الثالث : النقد من خلال القرآن والسنة

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : نقد مفهوم الربوبية .

المطلب الثاني : نقد مفهوم الألوهية .

المطلب الثالث : نقد مفهوم الأسماء والصفات .

الخاتمة : وتشتمل على أهم نتائج البحث .

الفهارس العلمية :

وهي على النحو التالي :

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة .
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

وختاماً ..

أسأل الله العظيم أن يجزي بالخير كل من مد لي يد العون والمساعدة وأخص بـذلك والـدي الكريمين اللذين بذلا جهداً في تربيتي وتعليمي ، كما أتقدم باسمى آيات الشكر والعرفان إلى زوجي الغالي الحبيب / عبد الفتاح إمام ، لما بذله لي من مساعدات كثيرة ، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جامعة أم القرى ممثلة في كلية الآداب والعلوم الإدارية عامة ، وقسم القرآن والدراسات الإسلامية خاصة .

كما يسرني أن أزف أسمى آيـات العرفـان والـشكر والتقـدير لأسـتاذي القـدير ومـوجهي الفاضل الأستاذ الدكتور : يحيى محمد ربيع ، الذي أشرف على رسالتي هـذه وسـاعدني طوال بحثي بكل إخلاص ولم يبخل علي بأي فائدة علمية .

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور عبد الـشكور محمـد آمـان العروسـي ، لمـا قدمه لي من خدمات علمية كبيرة وهائلـة ولـن أنـسى فـضله في تـوفير الكتـب والمراجـع والمصادر العديدة من مكتبته الخاصة ، فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناته وجزاه الله عني خير الجزاء .

وأحمد الله وأشكره أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً على إتمام هذا البحث ، وأسأل الله العظيم أن يجعله علماً نافعاً .

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

التمهيد

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : التعريف بأهل الكتاب ومصادرهم .
- المطلب الثاني : فطرية التوحيد في القرآن الكريم .
- المطلب الثالث : بداية الشرك في بني إسرائيل

المطلب الأول : التعريف بأهل الكتاب

أهل الكتاب لفظ ورد ذكره إحدى وثلاثين مرة في القرآن الكريم[16] منها قوله تعالى : Mمَّا يَوَدُّ ´ µ ¶ ¸ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ L[17].

وقال تعالى : M : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R T U V W X Y Z L[18] .

وقال تعالى : M < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T L[19]

.

فأهل الكتاب هم القوم الذين أنزل عليهم الكتاب ومنهم اليهود والنصارى أنزلت إليهم التوراة والإنجيل فمنهم من آمن ومنهم من كفر .

قال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = ? @ A C D E F G H L[20] .

---

(١٦) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر / بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٧) سورة البقرة ، آية : ١٠٥ .

(١٨) سورة آل عمران ، آية : ٦٤ .

(١٩) سورة المائدة ، آية : ١٥ .

(٢٠) سورة المائدة ، آية : ٦٥-٦٦ .

وقال تعالى : M f g h i j k l m n o p q r s

t v w x y z { | } ~ وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٨ L[21].

وقال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - .

/ 1 2 3 4 5 6 7 9 : ; < = > ? @ A B L[22].

فالآيات الكريمات دالـة علـى أن أهـل الكتـاب المقـصود بهـم اليهـود والنـصارى ، أصحاب الكتابين (التوراة والإنجيل) .

والتركيب اللغوي لأهل الكتاب خاص باليهود والنصارى ، وتركيب بني إسرائيل عام يشمل أهل الكتاب ومن كان قبلهم من ذرية يعقوب – عليه السلام – .

مسميات أهل الكتاب :

أولاً : اليهودية :

لقد عرف اليهود عبر العصور بأكثر من تسمية ، وقد سـاد اسـتخدامها علـى أنهـا تسميات مترادفة أي أسماء مختلفة لشيء واحد دون أدنـى تفريـق لمعانيهـا ، ودلالاتهـا التاريخية ، والدينية المتباينة ، وإلا فالحقيقة أن كل تسمية منها تدل على معنى خاص ، ومختلف ، وتشير في نفـس الوقـت إلى مرحلـة تاريخيـة معينـة مـن مراحـل التـاريخ اليهودي، وتفصيلها كالآتي :

أ. تسميتهم بالعبرانيين أو العبريين :

فالعبرانيون جمع مفرده " عبراني " والعبريون جمع " عبري " وهي : مـن " عـبر الوادي ، وعبرت النهر ، والطريق أعبره عبراً وعبوراً إذا قطعته " [23] .

---

(٢١) سورة المائدة ، آية : ٦٨ .

(٢٢) سورة البقرة ، آية : ١١٣ .

وأما عن اشتقاق هذه الكلمة فلم يتفق علماء اللغة على شيء معين . فمنهم من ذهب إلى أنها مشتقة من (عربي) بطريق القلب المكاني مثل : جذب ، وجبذ ، ومنهم من يقول بعكس ذلك ، وهذا أقرب إلى الصواب ، لأن كلمة عبري سبق استعمالها قبل الميلاد بألف وخمسمائة سنة في عصر سيدنا إبراهيم – عليه السلام – وأما كلمة عربي فاستعملت قبل الميلاد بتسعمائة سنة في الكتابات الآشورية .[(٢٤)]

وقد ذكر في سبب هذه التسمية أسباب منها :

١. أن هذه التسمية لحقت بإبراهيم – عليه السلام – عندما عبر نهر الأردن أو نهر الفرات ، وأكثر الباحثين يميلون إلى هذا الرأي ويشهد على ذلك ما جاء في سفر يشوع[(٢٥)]: "هكذا قال الرب إله إسرائيل آباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ الدهر . تارخ

---

(٢٣) لسان العرب " مادة عبر " أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي المعروف بابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢٤) انظر اليهودية والمسيحية ، الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص(٥٢) مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م . (بتصرف)

(٢٥) هكذا يسميه اليهود وهو المعروف عندنا " بيوشع بن نون " – عليه السلام – وهو من سبط إفرائيم بن يعقوب ، ولد في مصر ، وكان عند الخروج منها في الخامسة والأربعين من عمره ، وعند توليه رئاسة بني إسرائيل وقيادتهم كان عمره الخامسة والثمانين ، وكان من الأثنى عشر الذين أرسلهم موسى – عليه السلام – كي يتجسسوا أرض فلسطين للتأكد من جودة الأرض . وهو نبي من الأنبياء ويدل على نبوته حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس) أخرجه الإمام أحمد (٣٢٥/٢) ، وقال ابن كثير : وهو على شرط البخاري – البداية والنهاية (٣٣٣/١) . وصححه الحافظ في الفتح (٣٧١٥) ، ويدل على أن هذا النبي هو يوشع بن نون ما رواه البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه : لا ينبغي رجل ملك بضع إمرأة وهو يريد أن يبني بها ... ثم قال فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليهم " البخاري مع الفتح (٣١٢٤/٧) وأيضاً هو المقصود بفتى موسى – عليه السلام – في قوله تعالى : M وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ L الكهف : آية (٦٠) . انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٧/٣) هـ . دار المعرفة بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ . انظر موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ،

أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى فأخذت أباكم إبراهيم من عبر النهـر وسـرت به في كل أرض كنعان [٢٦] " [٢٧] .

٢. إن إبراهيم – عليه السلام – سمي بذلك نسبة إلى أحـد أجـداده الـذي يـسمى " عبر" أو " عابر " ولكن هذا الرأي لقى معارضة من بعض الباحثين ، لأن إبراهيم – عليه السلام– بينه وبين جده هذا ستة أجيال ، فلو شاء أن ينسب إلى جد من أجـداده لاختـار أقرب أجداده وأشهرهم وهو سام بن نوح – عليه السلام – . [٢٨]

٣. إن هذه التسمية لحقت بـإبراهيم – عليـه الـسلام – وقومـه لكثـرة ترحـالهم وهجرتهم من مكان إلى آخر .

فهي مأخوذة من عبر المكان أي اجتازه فيكون معنى العبري المتنقـل أو المرتحـل أو العابر وبمعنى أنتقل أو رحل أو عبر من مكان إلى آخر " أي البدوي " .

وكلمة عبري في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي " عبر " بمعنـى قطـع مرحلـة مـن الطريق أو عبر الوادي أو النهر أو عبر السبيل ، وكـل هـذه المعـاني موجـودة في العربيـة

زكي شنودة (٤٧/٨)هـ . مكتبة النهضة المصرية / القاهر ١٩٧٤م . قاموس الكتاب المقدس لنخبة من الأساتذة / مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، الطبعة الثانية .

(٢٦) يطلق اسم كنعان على فلسطين الواقعة غربي نهر الأردن والتي استوطنها بنـو إسـرائيل بعـد عبـورهم نهـر الأردن بقيادة يشوع ، وهو كنعان بن حام بن نـوح وينتـسب إليـه الكنعـانيون وهـم الـذين هـاجروا إلى أرض فلسطيين في النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد ، واستوطنوا في وسط فلسطين وباسمهم سميـت " أرض كنعان " خرجت منه إحدى عشر قبيلة استوطنت سوريا وفلسطين . دائرة المعارف الكتابيـة ، دار الثقافـة / مصر ، الطبعة الأولى ، وانظر : الروض المعطار في خبر الأقطـار ، محمـد الحمـيري مكتبـة لبنـان ، الطبعـة الأولى ، ١٩٧٥م .

(٢٧) يشوع ٢٤ : ٢ .

(٢٨) انظر : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، د / فتحي محمد الزغبي ص (٧٦/٧٥) دار البشير للثقافة والعلـوم الإسلامية / الطبعة الأولى ١٤١٤هـ /١٩٩٤م .

والعبرية فهي مجملها تدل على التحول والتنقل وهو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية فكلمة عبري مثل كلمة بدوي أي ساكن الصحراء والبادية .

" ويرى الشيخ الأعظمي أن كلمة عبري لا ترجع إلى حادثة بعينها أو شخص بعينه ، إنما ترجع إلى الوطن الأصلي لبني إسرائيل وذلك أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البادية الصحراوية التي لا تستقر في مكان " [٢٩] .

واستدلال مثل هذا مبني على أن العبرانيين هم بنوا إسرائيل فقط ، فإن هذا فيه نوع من المبالغة والمجازفة ، فإن هذه التسمية كانت موجودة قبل وجود بني إسرائيل . فإن جميع السكان القاطنين بهذه المنطقة على عهد الخليل – عليه السلام – كان يصدق عليهم هذا الإطلاق ، فكلهم كانوا من الأقوام الرحل، ولو كانت التسمية من الهجرة والتنقل لكانت معظم الأمم السابقة نعتت بها ، فهذا الرأي لا يركن إليه ، فلابد من سبب آخر يفسر اختصاصها بإبراهيم – عليه السلام – وقومه دون هؤلاء جميعاً ، ولا مانع من تخصيص العموم في الاصطلاح . [٣٠]

بالإضافة إلى أن لفظ عبري يدل على دلالة أخرى وهي غربة الشعب المسمى بهذا الاسم .

ففي قول زوجة عزيز مصر[٣١] عن يوسف – عليه السلام – بعد رفض مراودتها عن نفسه : " انظر كيف جاءنا برجل عبراني يتلاعب بنا " [٣٢] .

---

(٢٩) اليهودية والمسيحية ، ص (٥٤) .

(٣٠) انظر : تاريخ الديانة اليهودية ، د/ محمد خليفة أحمد ، ص(٢٢) ، دار قباء / القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م ، وانظر : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، ص (٧٨) .

(٣١) هو الوزير على خزائن مصر في ذلك الوقت ، وقيل اسمه فوطيفار ، وقيل قطفير ، وقيل أطفير بن روحيب وقيل مالك بن ذعر بن قريب ، وقيل زوجيه هي راعيل بنت رعابيل والله أعلم ، انظر تفسير القرآن العظيم (٤٩٠/٢) الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه . د/ حسن ظاظا ص(٣٠) ، دار القلم / دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

وورد أيضاً أن المصريين[٣٣] لا يجوز لهم أكل لحم العبريين لأنه رجس[٣٤] عندهم "فقدموا له وحده ولهم وحدهم وللمصريين الآكلين عنده وحدهم . لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً معه العبرانيين لأنه رجس عند المصريين " [٣٥] .

وظل لقب العبرانيين لاحقاً باليهود ، فقط أطلقه عليهم الفلسطينيون[٣٦] ، وأطلقه اليهود على أنفسهم حينما يريدون التفريق بينهم وبين الشعوب الأخرى الذين لم يدخلوا دينهم . فقد جاء في التثنية : " إذا بيع لك أخوك العبراني أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين ففي السنة السابعة حراً من عندك " [٣٧] .

---

(٣٢) التكوين ، ٣٩ : ١٤ .

(٣٣) هم سادة القارة الإفريقية ، وهو أقدم الشعوب حضارة ووجوداً ، فهم من الشعوب المتفرعة من أبناء نوح – عليه السلام – وهو مصرايم الابن الثاني لحام ، فكانت كلمة مصر تعني في اللغة السامية " الحد " وعرفها الأشوريون باسم " مصر " والآراميون باسم " مصرين " ، والعبرانيون باسم " مصرايم " انظر التكوين (١٠ :٦) والعرب باسم " مصر " ، وأطلقت هذه الشعوب السامية على أهلها " المصريين " ، فالمصريون القدماء قد عرفوا مصر تحت اسم " كمت " أو " كيمة " أي الأرض السوداء أو السمراء ، وكثير ما عبروا عنها باسم " تاوى " أي الأرضين ، أرض دلتا وأرض الصعيد . انظر : بشيء من التصرف : تأثر اليهود بالأديان الوثنية ، ص(١٤٠).

(٣٤) القذر وقيل الشيء القذر ، ورجس الشيء يرجس رجاسة وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح ، والعذاب واللعنة والكفر . لسان العرب ، مادة رجس ، وانظر : المعين معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس لمجموعة من المؤلفين ، دار النشر المعمدانية / بيروت ، ١٩٧٧م .

(٣٥) التكوين ٤٣ : ٣٢ .

(٣٦) هم شعب جاءوا من منطقة بحر إيجه واستوطنوا الجزء الجنوبي الغربي من أرض كنعان على ساحل البحر المتوسط ، وهم آخر الشعوب التي نزحت إلى بلاد كنعان ، واحدث العناصر التي قامت بها قبل الإسرائيليين ، ولعل ذلك قد ساهم في أن تعرف أرض كنعان بأرض فلسطين نسبة إليهم واشتقاقاً من أسمهم ، ويطلق عليها الكنعانيون . دائرة المعارف الكتابية ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، ص(١٧٨، ٢٠٨) .

(٣٧) التثنية ١٥ : ١٢ .

وعلى الرغم من استعمال العبرانيين لهذا اللقب إلا أنهم يفضلون عليه لقب إسرائيليين وخاصة بعد أن استوطنوا أرض كنعان ، وعرفوا المدنية والحضارة فصاروا ينفرون من لقب عبري لأنه يذكرهم بحياتهم الأولى حياة الخشونة والبداوة .

وقد رجح العلماء الثقات الرأي الأول القائل بأن التسمية ناتجة عن عبور إبراهيم –عليه السلام – نهر الفرات أو نهر الأردن ، لأن التفسير الأكثر ترجيحاً لكلمة عبري هو أنها مشتقة من عبور نهر الفرات ، ولعدم ورود الاعتراضات على هذا الرأي . [٣٨]

ب . تسمية إسرائيلي :

ترجع هذه التسمية نسباً إلى إسرائيل وهو الاسم الرديف ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليهم السلام – فقد عرف أبناؤه أولاً بأنهم أبناء يعقوب – عليه السلام – ثم صاروا بني إسرائيل أو الإسرائيليين .

قال تعالى : B A@? > = < ; :9 8 7 6 5 4 3 2M
C E F G H I J K L L[٣٩] .

وقال تعالى : g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V M
h i j L[٤٠] .

فالمقصود بإسرائيل في الآيتين الكريمتين هو يعقوب بن إبراهيم – عليه السلام – كما وضح ذلك ابن كثير في تفسيره [٤١] .

وقد كان يعتقد اليهود أن الله منح يعقوب – عليه السلام – هذا الاسم بسبب ما حققه من نصر على الإله في معركة وقعت بينهما في زعمهم الباطل طول الليل .

---

(٣٨) انظر : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص (٧٧–٧٩) .

(٣٩) سورة آل عمران ، آية : ٩٣ .

(٤٠) سورة مريم ، آية : ٥٨ .

(٤١) انظر : تفسير القرآن العظيم (٣٩٠/١) .

فجاء في التكوين : " فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق[٤٢] فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر . فقال لا أطلقك إن لم تباركني . فقال له ما اسمك : فقال يعقوب . فقال : لا يدعى اسمك فيها بعد يعقوب بل إسرائيل " [٤٣] .

" وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان أرام[٤٤] وباركه . وقال له الله اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل . فدعا اسمه إسرائيل "[٤٥].

وكلمة إسرائيل عبرانية مركبة من مقطعين الأول " إسرا " والثانية " إيل " وقد اختلف العلماء في معناها . يذهب البعض أن " إسرا " بمعنى عبد أو صفوة و" إيل " يعني الله فيكون المعنى عبد الله أو صفوة الله . [٤٦]

ويفسر البعض الآخر " إسرا " بمعنى الحكم " ليحكم إيل وإيل يحكم " [٤٧] .

ومنهم من فسرها " بالقوة والغلبة والمجاهدة مع إفادة الضراوة والفتك " [٤٨] .

وقيل معناها " قوة الله " [٤٩] أو جندي الله[٥٠] .

---

(٤٢) رأس الورك ، أعلى عظمة الفخذ معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس .

(٤٣) التكوين ٣٢ : ٢٤–٢٨ .

(٤٤) فدان الأرض المرتفعة وقيل هي المساحة التي يستطيع " فدان من البقر " (زوج من البقر) أن يحرثها في يوم واحد ، وفدان آرام هي المنطقة الواقعة إلى الشرق وإلى الشمال من نهر الفرات الأعلى عند انحنائه جنوباً ثم شرقاً ، أي شمالي بلاد ما بين النهرين حول مدينة " حاران " دائرة المعارف الكتابية ، وانظر قاموس الكتاب المقدس .

(٤٥) التكوين ٣٥ : ٩–١٠ .

(٤٦) راجع تفسير الفخر الرازي (٢٩/١) دار إحياء التراث العربي / بيروت ، الطبعة الثالثة ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص(٨١) .

(٤٧) تاريخ سوريا ، فيليب حتى (١/ هامش ١٩١) . نقلاً : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص (٨١) .

(٤٨) تاريخ اليهود العبراني ، مصطفى حمزة (٨٨/١) نقلاً : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص(٨١) .

ويذهب فريق آخر إلى أنها مشتقة من عبارة " شور إيل " الذي يرى الله .[٥١]

وعلى كل فإن أبناء يعقوب – عليه السلام – وذريته عرفوا باسم الإسرائيليين أو ببني إسرائيل .

فقد أطلق عليهم هذا الاسم في مراحل متعددة في تاريخ حياتهم ، ففي حياة أبيهم بمصر بعد رحيلهم إليها عرفوا ببني إسرائيل . " فقام يعقوب في بئر سبع[٥٢] وحمل بنو إسرائيل يعقوب آباءهم وأولادهم ونساءهم في العجلات التي أرسل فرعون[٥٣] لحمله "[٥٤] .

وكذلك في زمن موسى – عليه السلام – : " فقال الرب لموسى اذهب أنزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر . زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم . ضعوا لهم عجلاً مسبوكاً[٥٥] وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر "[٥٦] .

---

(٤٩) الشخصية الإسرائيلية ، حسن ظاظا ، ص (١٦) . دار القلم / بيروت / الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

(٥٠) دائرة المعارف ، بطرس البستاني ، دار المعرفة / بيروت .

(٥١) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، ص(٨٢) .

(٥٢) كلمة عبرية معناها بئر السبعة أو بئر القسم ، ودعيت هكذا بسبب إعطاء إبراهيم– عليه السلام – سبع نعاج لا بيمالك شهادة على حفره إياها وهي مدينة على الحد الجنوبي من أرض كنعان . قاموس الكتاب المقدس.

(٥٣) كلمة مصر معناها (البيت الكبير وكانت لقب لملوك مصر قديماً ، وفرعون هذا كان في زمن يوسف– عليه السلام– ويرجح أن اسمه " ابو فيس " دائرة المعارف الكتابية .

(٥٤) التكوين ٤٦ : ٥٠ .

(٥٥) أي مذوباً وهو العجل المصنوع من الذهب المذاب ، ومنه ذوبه وأفراغه في قالب ، انظر : مادة سبك لسان العرب.

(٥٦) الخروج ٣٢ : ٧–٨ .

وفي أثناء تيهانهم في البرية أي " أرض سيناء " [٥٧] فقد جاء في التثنيـة : " فـالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكـام الـتي أنـا أعلمكـم لتعملوهـا لكـي تحيـوا وتـدخلوا وتمتلكوا الأرض التي الرب إله أبائكم يعطيكم " [٥٨] .

(٥٧) مشتقة من الكلمة العربية " سنا " أي الضوء الشديد ، وتقع بريـة سيناء بين جبل سيناء وخلـيج الـسويس . دائرة المعارف الكتابية .

(٥٨) التثنية ٤ : ١ .

وكذلك استخدام لفظ إسرائيل على نسل يعقوب – عليه السلام- جميعاً ، فاستعمل كمرادف لبني إسرائيل [٥٩] .

فأصبح اسم إسرائيليين يطلق على جميع أسباط[٦٠] اليهود الإثنى عشر واستمر ذلك حتى بعد بداية انقسام دولة بني إسرائيل " أي بعد موت الملك سليمان- عليه السلام -" إلى قسمين قسم في الشمال وعاصمته شكيم [٦١] وقسم في الجنوب وعاصمته أورشليم [٦٢] .

فأطلق الاسم على الأسباط التي تسكن الشمال لتميزها على سبطي الجنوب [٦٣] .

وأيضاً أطلق عليهم الاسم بعد السبي البابلي [٦٤] ثم إن العائدين كانوا من سبط يهوذا فقد أطلق عليهم اسم إسرائيل كمرادف لشعب إسرائيل .

ولقد ظل اليهود يفضلون لقب الإسرائيليين أو بني إسرائيل على لقب العبرانيين بل كانوا يفتخرون به لأن الرب أطلق على أبيهم مقترناً بالوعد الذي منحه لهم كشعب مختار كما يزعمون ، في حين أن اللقب الثاني يقترن بغربتهم ومذلتهم .

وقد يردد لقب بني إسرائيل في أسفار توراتهم مقترناً بزهو اليهود وافتخارهم ، بالإضافة أن لقب العبرانيين يدخل معهم أبناء إبراهيم –عليه السلام–من غير يعقوب–

---

(٥٩) انظر : قاموس الكتاب المقدس .

(٦٠) مفردها سبط وهي القبيلة أو العشيرة . معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس .

(٦١) هي مدينة نابلس حالياً .

(٦٢) هي مدينة القدس .

(٦٣) انظر تفاصيل أحداث هذا الانقسام : التاريخ اليهودي العام ، صابر طعيمة ، ص٢٤٨ ، دار الجيل / بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م ، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، محمد دروزه ، ص(١٠٦) المكتبة العصرية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

(٦٤) هذا السبي كان نهاية بني إسرائيل كدولة ، حيث دمر " نبوخذ " أورشليم وهدم الهيكل وأحرقه وسوى به الأرض ، فلم تقم لهم دولة بعد ذلك ، ولكن عادوا بعد ذلك إلى أورشيلم في عهد ملك الفرس " قورش " كأمة فقط : انظر إلى تفاصيل قصة هذا السبي : موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية (٨/١٣٣–١٤٢) ، اليهود بين الدين والتاريخ ، صابر طعيمة ، ص(٢٩٥) . مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م .

عليه السلام– أما لقب إسرائيلي فلا يحتمل إلا من هو من نسل يعقوب–عليه السلام– فقط.

وكلمة " إسرائيل في عصر المسيح تؤدي معنى المدح والافتخار ، وكانوا يخاطبون بها اليهود حتى يستميلونهم[٦٥] : " أيها الرجال الإسرائيليون .. يسوع الناصري قد تبرهن لكم من قبل الله " [٦٦] .

وأما في القرآن الكريم فقد ورد ذكر اسم إسرائيل مرتين[٦٧] للدلالة على يعقوب – عليه السلام – وورد ذكر بني إسرائيل إحدى وأربعين مرة[٦٨] للدلالة على قوم موسى وعيسى – عليهم السلام – فذكر قصتهم مع فرعون ونجاتهم منه وأرسل موسى – عليه السلام – إليهم وكانت دعوته لهم في خمسة عشر موضعاً[٦٩] وكلها تتعلق بعصر موسى – عليه السلام–.

فذكر الله تعالى إرسال عيسى ابن مريم – عليه السلام – إلى بني إسرائيل ، ودعوته لهم إلى توحيد الله عز وجل [٧٠] .

وفي عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) خاطب القرآن الكريم معاصريه بأن دعاهم يا بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم[٧١] ولم يأت ذكر العبرانيين إطلاقاً في القرآن الكريم .

---

(٦٥) انظر : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص(٨٣) وقاموس الكتاب المقدس ، دائرة المعارف للبستاني .

(٦٦) أعمال الرسل ٢ : ٢٢ .

(٦٧) المرة الأولى في سورة آل عمران آية ٩٣ : " كل الطعام حلاً لبني إسرائيل .. " المرة الثانية في سورة مريم آية ٥٨ " ومن ذرية إبراهيم وإسماعيل ... " .

(٦٨) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

(٦٩) انظر : المرجع السابق .

(٧٠) انظر : سورة آل عمران آية (٤٩) ، وسورة المائدة آية (٧٢) .

(٧١)انظر : سورة البقرة ، آية (٤٠ ، ٤٧ ، ١٢٢) .

ج . تسمية يهودية :

هي التسمية الثالثة في الترتيب التي عرف بـه اليهـود ، وتـأتي بعـد التـسميتين "عبري " و " إسرائيلي " من ناحية الظهور التاريخي والاستخدام .

اختلف المؤرخون في تفسير لقب يهودي هل هو راجع إلى حادثة وقعت من اليهـود ؟ أو إلى حالة كانوا عليه ؟ أو أنه راجع إلى شخص اشتهر بينهم ؟

وقد ذكر الباحثون ثلاثة آراء تعليلاً لهذه التسمية وهي :

١. قيل إن قوم موسى – عليه السلام – سموا يهوداً حـين تـابوا مـن شـركهم وعبـادتهم للعجل ، انطلاقاً مـن قولـه تعـالى : M* + , L·[٧٢] أي تبنـا ورجعنـا وأنبنـا وتضرعنا إليك[٧٣] .

وقال في لسان العرب : " الهود : التوبة ، هاد يهود هوداً : تاب ورجع إلى الحـق .. ويهود اسم للقبيلة .. فأدخلوا الألف واللام فيهـا علـى إرادة النـسب ويريـدون اليـهوديين "[٧٤].

٢. وقيـل إنهـم سمـوا بـذلك لأنهـم يتهـودون ، أي يتحركـون عنـد قـراءة التـوراة[٧٥] فالمسلمون يهتزون عند قراءة القرآن الكريم ، ولكن ليس كتمايل اليهود المبالغ فيه والذي يشبه ما يفعله المشعوذون من عامة المتصوفة .

---

(٧٢) سورة الأعراف ، آية (١٥٦) .

(٧٣) انظر : الملل والنحل ، أبي الفـتح الـشهرستاني (٢١٠/١) تحقيـق محمـد كيلانـي المكتبـة الفيـصلية / مكـة المكرمة، تفسير القرآن العظيم (٢٦١/٢) .

(٧٤) لسان العرب مادة (هود) .

(٧٥) انظر : تفسير الفخر الرازي (١٠٥/١) .

٣. ويذهب كثير من الباحثين إلى أنهم سموا يهوداً نسبة إلى (يهوذا أحد أبناء يعقوب – عليه السلام– ورأس السبط الذي أصبح معروفاً باسمه ، وذلك مجاراة مع ما كان جارياً في ذلك الزمان من نسبة الأهل إلى رأس القبيلة أو السبط .

وهذا الرأي يميل إليه كثير من الباحثين لأسباب كثيرة أهمها :

أ. أن يهوذا كان المفضل عند أبيه ، وكان المقدم على إخوته والرئيس عليهم .

ب. كان سبطه سيد الأسباط الأخرى ، وأكثرها عدداً .

ج . حين انقسم ملك سليمان – عليه السلام – إلى مملكتين كانت إحدى المملكتين باسم " يهوذا " وظلت زمناً قائمة وحدها تمثل الأمة اليهودية بعد أن تلاشت الأخرى .

د . منذ أن انتهت مملكة إسرائيل ولم تبق إلا مملكة " يهوذا " تعلقت بها عقول اليهود وقلوبهم وأصبح اسم " يهوذا " علماً على الجنس كله ، وذكره في القرآن بالدال لا بالذال ، كما ذكر المسيح بالسين لا بالشين ، وهو من دواعي التعريب في العربية . [٧٦]

هـ . أن انتساب هذه الأمة إلى علم من أعلام أبنائها المشاهير أرجح وأقرب إلى الصواب ، إذ له سابقة عندهم بانتسابهم إلى علم آخر من أعلامهم وهو إسرائيل الذي هو يعقوب – عليه السلام – فهذه كتلك . والأولى ترجح الثانية .

وأما بالنسبة لبداية إطلاق اليهود ففيه آراء :

---

(٧٦) انظر : تاريخ الديانة اليهودية ، ص (٢٩–٣٠) .

١. أن لقب اليهود استعمل في عصر موسى– عليه السلام – فهذا احتمال ضعيف وبعيد عن الواقع خاصة أن هذا اللقب لم يرد في الأسفار الأولى من العهد القديم فأول ذكر لهذا اللقب جاء في سفر الملوك الثاني . [٧٧]

ونؤكد استبعاد هذا الرأي أيضاً حينما نجد أن القرآن الكريم أشار إلى الذين عاصروا موسى – عليه السلام – وعبر عنهم ببني إسرائيل أو قوم موسى .

قال تعالى : M 8 9 : ; < = > L [٧٨] .

فهناك مواضع ورد فيها لفظ اليهود في زمن متأخر عن عهد موسى – عليه السلام – منها : ما ورد في الأخبار عما دار بين اليهود والنصارى قال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , L [٧٩] .

ثم حكى القرآن الكريم أقوالهم مع قرينة توضح أنها اقوال متأخرة عن عصر موسى – عليه السلام – قال تعالى : M ! " # $ % & ' | L [٨٠] .

ثم تحدث القرآن الكريم عن تحريفهم الكَلِم ، وكان ذلك بعد موسى – عليه السلام– قال تعالى : M , - . / 0 1 2 L [٨١] .

---

(٧٧) الملوك الثاني ١٦ : ٦ . وسفر الملوك هو العهد الذي يأتي بعد عهد القضاة ، وهم الذين تولوا حكم بني إسرائيل بعد القضاء ، وأولهم طالوت ثم داود وسليمان . انظر : قاموس الكتاب المقدس .

(٧٨) سورة المائدة ، آية (٣٢) .

(٧٩) سورة البقرة ، آية (١١٣) .

(٨٠) سورة المائدة ، آية (١٨) .

(٨١) سورة النساء ، آية (٤٦) .

ومنها ما ورد ويقصد فيه اليهود الذين عاصروا رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

قال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) L[٨٢] .

وأيضاً تحدث القرآن الكريم عن اليهود بالذين هادوا وذكرهم مع النصارى .

قال تعالى : M ! " # $ % & ' [٨٣] L[٨٤] .

ويتضح ذلك أيضاً عندما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخاطب معاصريه من الذين هادوا ، قال تعالى : M t u v w x y L[٨٥]

.

وبذلك فإن القرآن الكريم لم يتحدث عن المعاصرين لموسى – عليه السلام – بلفظ اليهود ، وإن كان المستفاد من الآيات أن اليهود الذين عاصروا النبي (صلى الله عليه وسلم) هم امتداد ليهود موسى– عليه السلام – والذين سماهم بني إسرائيل.

فلفظ اليهود لا ينطبق على من عاصروا موسى – عليه السلام – وفي هذا دلالة على أن لقب اليهود أو اليهودي قد استعمل بعد سيدنا موسى – عليه السلام – وهناك من يرجح بداية إطلاق لقب يهودي أيام داود وسليمان – عليهما السلام – [٨٦] حيث كانت الغلبة على الإسرائيليين لسبطهما يهوذا [٨٧] .

---

(٨٢) سورة البقرة ، آية (١٢٠) .

(٨٣) هم عبدة الكواكب والأصنام ، والصبوة مقابل الحنيفية ، ويقولون : أنهم يحتاجون في معرفة الله و أحكامه إلى وسيط روحاني لا جسماني . انظر الملل والنحل (٢٣٠/١–٢٣١) .

(٨٤) سورة البقرة ، آية (٦٢) .

(٨٥) سورة الجمعة ، آية (٦) .

(٨٦) انظر : تفاصيل عهد الملوك : اليهودية : أحمد شلبي ، ص(٨٢–٩٠) مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية عشر ١٩٩٧م / موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية (١٢٠/٨) .

(٨٧) انظر : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص (٨٩–٩٠) .

ورأي آخر يقول إن الفرس[٨٨] هم الذين أطلقوا هذه التسمية وذلك اللقب على مملكة يهوذا ، بعد أن هزموا البابليين ووقع اليهود تحت قبضتهم .

والراجح أنه أطلق على مملكة الجنوب التي كانت عاصمتها أورشليم بعد انفصال مملكة الشمال التي كانت عاصمتها شكيم ولقد ظل هذا الإطلاق إلى السبي الأشوري[٨٩] ولم يبق في ذلك الوقت إلا مملكة يهوذا بعد اختفاء مملكة الشمال ، ومن ثم حل ا سم يهودي محل عبري للدلالة على نسل إبراهيم – عليه السلام– وأصبح لفظ يهودي اسم جنس يطلق على كل أفراد الشعب ، ولقد شاعت هذه التسمية أثناء السبي البابلي (٥٨٦–٥٣٩ ق . م) حتى أصبحت لقباً على هذه الأمة ، وبعد أن عاد اليهود من هذا السبي توسع معناها فصارت تشمل جميع من رجعوا من الأسر من الجنس العبراني . [٩٠]

---

(٨٨) هم جماعة (هندوأوربية) قدمت إلى المنطقة المسماة بلاد فارس (إيران) . الواقعة شرق بلاد ما بين النهرين من روسيا الجنوبية والقوقاس خلال الألف الثاني ق – م . وهم الذين اسقطوا دولة بابل واستولوا عليها وسلبوا جميع ممتلكاتهم ومن ضمنها دولة يهوذا الشمالية وكان ذلك في عهد ملكهم (قورش) الذي سمح لليهود بالعودة إلى أورشليم (بيت المقدس) ، وبناء هيكلهم وعين عليهم حاكماً منهم من قبله ولكن اليهود في ذلك الوقت عادوا كأمة فقط وليس كدولة . انظر : قاموس الكتاب المقدس . معجم الحضارات السامية ، هنري س ، عبودي ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ /١٩٩١م .

(٨٩) وكان ذلك عام ٧٢١ قبل الميلاد فاستولى " سرجون الثاني " ملك آشور على مملكة إسرائيل في الشمال فانضمت هذه المملكة إلى ممتلكات آشور ، والآشوريون هم شعب مهاجر أتوا من شبه الجزيرة العربية واستقروا في بلاد الرافدين ، وبنوا مدينة آشور ، وكونوا المملكة الآشورية الواقعة في القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين. انظر : معجم الحضارات السامية ، اليهودية ص(٩١) ، دائرة المعارف الكتابية.

(٩٠) انظر : الشخصية اليهودية ص (٣٠) ، وقاموس الكتاب المقدس ، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص(٩٠–٩١).

وقد اتسع مدلول كلمة اليهود فصارت أعم من بني إسرائيل ، حيث إن كثيراً من أجناس العرب والروم[91] والفرس وغيرهم صاروا يهوداً ولم يكونوا من بني إسرائيل، فقد استمر يطلق هذا اللقب على كل المعتنقين للدين اليهودي في فلسطين فقط سواء كانوا من أصل عبراني أو غير عبراني ، وسواء كانوا يتكلمون العبرية أم لا ، ثم أصبح يشمل كل المعتنقين للدين اليهودي من جميع أنحاء العالم ، مهما كان أصلهم ، ومهما كانت لغتهم ومهما كانت جنسيتهم .

ونلاحظ أن مدلول لفظ يهودي قد تغير على العكس من مدلول لفظ عبري الذي اقتصر مدلوله على تميز اليهودي عن الأجنبي من الشعب .

وبذلك فإن تسميتهم اليهود صارت تشمل كل من انتسب إلى الديانة اليهودية في جميع أنحاء العالم ، ولازالت تستعمل حتى يومنا هذا بنفس المدلول فيقال يهودي ألماني أو يهودي نمساوي أو يهودي روسي وهكذا . [92]

وورد في قاموس الكتاب المقدس : " ولفظ يهود أعم من عبرانيين لأنها تشمل العبرانيين الأصليين والدخلاء " [93] .

اليهود الذين هم من أصل عبراني ويتكلمون اللغة العربية ظلوا يعتقدون دائماً أنهم أشرف عنصر أو أسمى منزلة من اليهود الذين هم من أصل غير عبراني ويتكلمون اللغة

---

(٩١) روما أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ بدأ الوجود السكاني فيها منذ العصر الحجري ، ولقد دخلها العنصر البشري من شمال إفريقية وسمي هذا العنصر " رجل البحر المتوسط " وهم سكان المنطقة الأصليين ، ولقد بسطوا نفوذهم على فلسطين كلها عام ٦٣ قبل الميلاد ، ودخل اليهود تحت الحكم الروماني ، ودك تيطس أورشليم دكا وأحرق الهيكل بالنار ، وشرد جميع اليهود من فلسطين وقضى عليهم كأمة ، انظر : دائرة المعارف الكتابية ، تاريخ وحضارة الرومان د / سيد أحمد الناصري ص (٤٥-٥٨) دار النهضة العربية / القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م .

(٩٢) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص (١٠٨٤) تأثر اليهود بالأديان الوثنية ص (٩١) .

(٩٣) قاموس الكتاب المقدس ص (٣٦٩) .

غير العبرية فكانوا يفضلون أن يلقبوا أنفسهم بالإسرائيليين ، اللقب الذي هو موضع شرف ورفعة بالنسبة لهم ، وكانوا يفتخرون به .

فتسمية يهودي لا تدل على الفخر عند الإسرائيليين ، إنما تدل على الذل والخضوع للشعوب الأخرى . فاعتبروا هذه التسمية مقترنة بما لقوه من السبي وبعد السبي من ذل وهوان وتشريد ، وقد يراد بهذه التسمية التحقير والانحطاط والتردي ، واكتسبت هذه التسمية معنى بغيضاً وكريهاً بين الأمم إلى جانب الصفات السيئة التي اكتسبها اليهود من الظروف الشاذة التي كانوا يعيشونها بين الأمم .

وهكذا تبين لنا أن كل تسمية من هذه التسميات الثلاثة لها مدلول معين ارتبط بها وإن كل حدث له تطور وتغير في بعض الفترات ولا يعني هذا أن مدلول كل تسمية يختلف عن مدلول التسمية الأخرى، ولا يجتمع معه كلية ، بل إنه قد حدث تداخل بين هذه التسميات في كثير من المراحل وأطلق على اليهود أكثر من اسم واحد في فترة واحدة من فترات تاريخهم . (٩٤)

ومن الواقع أن دلالة هذه التسميات الثلاثة كما بيناها قائمة إلى اليوم .

" في العصر الحديث نجد كلمة عبري ترتبط على ألسنة اليهود بالمقدسات التراثية القديمة ، فبينما يسمى أتباع الشريعة الموسوية (اليهود) تنظيم العنصري الاستعماري (الصهيونية) دولتهم (إسرائيل) نجدهم يحرصون على عبارة (اللغة العبرية) ، والثقافة العبرية (الأدب العبري) ، (الجامعة العبرية) ، (الصحافة العبرية) (٩٥).

ولا يسمون أنفسهم بالعبرانيين ، فوجود هذه المصطلحات المتقاربة قد أوقع هؤلاء الناس في حيرة كبيرة فالإسرائيلي اسم صفة العنصرية ، واليهودي أصبح يشير إلى

---

(٩٤) انظر : تأثر اليهود بالأديان الوثنية ، ص(٩٢-٩٤) .

(٩٥) الشخصية الإسرائيلية ص(٢٤) .

النهاية عن العصبية الدينية ، وصفة العبري أصبحت تقترن بذكريات عن عشائر قديمة متناثرة .

وانتهى الأمر بالنفسية الإسرائيلية إلى تقسيم هذه المصطلحات تقسيماً اصطلاحياً فجعلت للجنسية مصطلح (إسرائيلي) وللدين مصطلح (يهودي) وللثقافة مصطلح (عبري) (٩٦) .

ثانياً : النصرانية :

النصارى جمع ناصري وهو : نسبة إلى مدينة الناصرة بشمال فلسطين ، وقد كان يطلق على المسيح عيسى – عليه السلام – " الرجل الناصري" ، وعلى أتباعه " أتباع الرجل الناصري" .

" والنصرانية في الأصل : نسبة إلى نصرانة ، وهي قرية المسيح – عليه السلام – من أرض الجليل – بشمال فلسطين – وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية ، والنصرانية والنصرانة كذلك واحدة النصارى " (٩٧) .

فالنصرانية في الاصطلاح : هي ديانة النصارى الذين يزعمون أنهم على دين عيسى – عليه السلام – وكتابهم الإنجيل .

وقد أخبر القرآن الكريم على أن القوم هم الذين أحدثوا إطلاق لفظ النصارى على أنفسهم ، قال تعالى : M " # $ % L (٩٨) وأيضاً أطلق القرآن الكريم عليهم "النصارى " قال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 L (٩٩) .

---

(٩٦) انظر : المرجع السابق ، ص (٣٠-٣١) .

(٩٧) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبد القادر شيبة الحمد ، ص (٢٤) شركة المدينة للطباعة والنشر / جده .

(٩٨) سورة المائدة ، آية (١٤) ، (٨٢) .

(٩٩) سورة البقرة ، آية (٦٢) .

وأيضاً يطلق عليهم " أهل الإنجيل " قال تعالى : M = > ? @ A B C E F G H I J K L M N L[100] .

ولقد أطلقوا على أنفسهم اسم المسيحيين نسبة إلى المسيح عيسى – عليه السلام – ولكن هذه التسمية لا تصلح لأهل الكتاب في نظر المسلمين اليوم ، وكان من الممكن إطلاقها على أتباع المسيح – عليه السلام – الموحدين .

ولكن الآن لا ينبغي إطلاقها على النصارى . لأن هؤلاء لا يتبعون المسيح – عليه السلام – لتحريفهم الإنجيل كتاب الله عز وجل ، وتبديلهم دين الحق – دين التوحيد – إلى دين شرك وتعدد ، لأن ذلك يخالف واقعهم ، ويخالف ما هم عليه من حال .

ولم ترد تسميتهم بهذه اللفظة . لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة . ولكن الوثنيين كانوا يعيرونهم بالمسيحيين . قال بطرس[101] مخاطباً لها : " وإن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم " [102] .

" فقد كانوا يدعون أنفسهم عادة : بالمؤمنين ، والإخوة ، والدعاة ، وما ماثل ذلك ، أما أول من أطلق عليهم اسم مسيحيين ، فكان خصومهم ، وعنيت وقتذاك : المكروهين أو المقوتين ، وبدءاً من النصف الثاني من القرن الثاني فقط تأخذ كلمة " مسيحيين " معنى يشير إلى المؤمنين ، وأتباع الدين الجديد " [103] .

---

(١٠٠) سورة المائدة ، آية (٤٧) .

(١٠١) اسم يوناني معناه (صخرة أو حجر) وكان يسمى هذا الرسول (سمعان) وكان تلميذا ليوحنا المعمدان ، وكان صياداً للسمك ، وهو كبير الحواريين ، وكان داعياً كبيراً ، وله كنيسة باسمه وهي الكنيسة البطرسية بروما . انظر : الموسوعة العربية الميسرة لمجموعة من المؤلفين ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت / لبنان ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م . وقاموس الكتاب المقدس .

(١٠٢) بطرس الأول ٤ : ١٤ .

(١٠٣) الأديان في تاريخ شعوب العالم ، سيرغي أ . توكاريف ، ص (٤٩٩) . ترجمة د / أحمد م / فاضل ، الطبعة الأولى : ١٩٩٨م ، الأهالي للطباعة النشر والتوزيع .

وقد دعوا مسيحيين أول مرة في أنطاكية[١٠٤] " ثم خرج برنابا "[١٠٥] إلى طرطوس[١٠٦] ليطلب شاؤل [١٠٧] . ولما وجده جاء به إلى أنطاكية ، فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة[١٠٨] سنة كاملةَ وعلَّمَا جمعاً غفيراً . ودعا التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً " [١٠٩] ويرجع أن ذلك اللقب كان في الأول شتيمة ، قال المؤرخ تاستيس[١١٠] : " إن تابعي المسيح كانوا أناساً عامين "[١١١] .

---

(١٠٤) هي مدينة بثغور الشام على نهر العاصي بسوريا . انظر : معجم الحضارات السامية ، ومراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، لصفي الدين البغدادي ، تحقيق : علي البجاوي ، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت / لبنان .

(١٠٥) هو يهودي من اللاويين وكان اسمه يوسف ، سماه الحواريون (برنابا) ومعناه (ابن الوعظ) وهو الذي ضمن بولس أمام الحواريين ، وشهد له بصحة الإيمان . وقد كلف بعدة مهام للتبشير بالمسيحية ، ثم اصطحب بولس معه في رحلاته ثم اختلفا فافترقا وينسب إليه " إنجيل برنابا " ولا تعترف الكنائس النصرانية الحاضرة بصحة هذا الإنجيل ، بل تزعم أنه ملفق وملتصق ببرنابا . الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، د/ علي عبد الواحد وافي ، ص (٨٣-٨٤) ، دار نهضة مصر / القاهرة .

(١٠٦) هي مدينة بثغور الشام في آسيا الصغرى من أعمال كليكيا بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . انظر : معجم الحضارات السامية ، ومراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع .

(١٠٧) هو اللقب عند النصارى ببولس الرسول ، ولد في طرطوس وكان يهودي الدم وروماني الجنسية ، من فرقة الفريسين ، وقد درس على أحد أحبار اليهود وهو غمالائيل ، وقد أثرت فيه الفلسفة اليونانية والثقافة الهلينية المنتشرة آنذاك في المدينة ، فهو المؤسس الحقيقي للديانة النصرانية المحرفة ، وهو واضع الأسس لعقيدة التثليث . وممهد السبيل لأتباعه الضالين الذين جاءوا من بعده ليكملوا مسيرة شركهم مع الله عز وجل ، وهو القائل بأن المسيح عيسى – عليه السلام– ابن الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً ، وأصبحت رسائله كتاباً مقدساً ، وله ما للإنجيل من حرمة واحترام . انظر : قصة الحضارة ، ول ديورانت (٢٤٩/١١) ، ترجمة د/ زكي نجيب محمود ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(١٠٨) هي اسم سرياني معناه " مجمع " وهي مكان للعبادة والوعظ ، والصلاة ، والقيام بالمعمودية والعشاء الرباني في النصرانية ، وتستعمل للتمييز بين طائفة وأخرى من الطوائف النصرانية. انظر قاموس الكتاب المقدس بتصرف.

(١٠٩) أعمال الرسل ، ١١ : ٢٦ .

وبهذه النصوص يتبين أنهم أطلقوا عليهم اللفظ في أول الأمر كغيره ، وكان لقباً سيئاً ممقوتاً ومكروهاً ، ولكن بعد ذلك أصبحوا يعتزون بلفظ مسيحي ويفتخرون بها ، ، ومن لم يطلق على نفسه هذا اللفظ يعتبرونه كافراً غير مؤمن بالمسيح – عليه السلام– .

ويجب أن نلاحظ : أن إطلاق لفظ مسيحيين على النصارى له معنيان أحدهما حق ، والآخر باطل ، فإذا أطلقت عليهم هذه التسمية وكان يقصد بها أنهم عبّاد المسيح – عليه السلام – فهو معنى حق فيهم – لأنهم قالوا بألوهية عيسى – عليه السلام – وإذا كان يقصد بها أنهم أتباع المسيح – عليه السلام – فهذا معنى باطل ، لأنهم خالفوا نهج المسيح – عليه السلام– .

فرق أهل الكتاب :

أ. اليهود :

---

(١١٠) لا يعرف متى ولد ولا أين ولد ، وأكبر الظن أنه ابن كورنليس تاستس ، وهو أحد المؤرخين في الدولة الرومانية ، سمي أعظم خطباء روما ، وعين عضواً في مجلس الشيوخ ثم قنصلاً . انظر : قصة الحضارة (٤٣٨/١٠–٤٣٩).

(١١١) قاموس الكتاب المقدس .

تفرقت اليهود إلى فرق عديدة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " تفترق اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك " [١١٢].

ومن أهم الفرق القديمة :

١. السامريون :

وهم في الأصل شعب دولة إسرائيل التي تكونت في الشمال ، وعاصمتها السامرة ، ويسمى السامريون أنفسهم " شو مريم " بمعنى " حراس الشريعة " ، وبنو إسرائيل يعتبرون أنفسهم الإسرائيليين الحقيقيين وهم من نسل سبطي إفرايم ومنسي ويسمون " بنو يوسف " ، وينسبون أنفسهم إلى هارون – عليه والسلام – .

فقد جاء ذكرهم في العهد القديم[١١٣] في سفر[١١٤] الملوك الثاني " فكانت كل أمة تعمل آلهتها ووضعوها في بيوت المرتفعات التي عملها السامريون " [١١٥].

فهم يتميزون عن اليهود البقية بأنهم يعتبرون جبل جريزيم في الشمال جبلاً مقدساً ويتوجهون إليه كقبلة دينية بدلاً من التوجه إلى أورشليم ، وهذا الجبل يشرف حالياً على مدينة نابلس ، وينكرون صهيون وبيت المقدس ، وبقية اليهود يكفرونهم لذلك .

---

(١١٢) أخرجه الترمذي كتاب الإيمان ، ب : ما جاء في افتراق الأمة (٢٦٤٠) ٢٥/٥ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال " حسن صحيح " ، وسنن أبي داود : كتاب السنة ، ب : شرح السنة (٤٥٩٦) ٤/٥ ، وسنن ابن ماجه ، ب : افتراق الأمم (٣٩٩١) ١٣٢١/٢.

(١١٣) ويقصد بالعهد : اتفاق بشكل ميثاق يعقد بين طرفين بناءاً على رضاهما أي العهد الذي أخذه الرب على بني إسرائيل بطاعته فيما أمر واجتناب نواهيه ، والقديم بمعنى العتيق ، والقدم العتق مصدر القديم . انظر : لسان العرب ، مادة " قدم " وانظر : قاموس الكتاب المقدس .

(١١٤) السفر في اللغة بالكسر ، الكتاب وقيل هو الكتاب الكبير وقيل هو جزء من التوراة ، والجمع أسفار ، انظر : لسان العرب ، مادة (سفر) .

(١١٥) الملوك الثاني ١٧ : ٢٩ .

وأيضاً لا يؤمنون بنبوة أحد من أنبياء بني إسرائيل سوى هارون وموسى ويوشع بن نون – عليهم السلام – ولا يقدسون إلا الأسفار الخمسة " أسفار موسى " وسفر يوشع بن نون فقط ، وما عدا ذلك فلا يؤمنون به وتسمى توراتهم " التوراة السامرية " وتختلف نسخة هذه التوراة عن النسخة العبرية في ستة آلاف موضع كما أنهم لا يؤمنون بسائر الكتب الأخرى في العهد القديم ولا بالتلمود ولا غيره من كتب اليهود . ولا يزال للسامريين وجود ضئيل في عصرنا الحاضر في فلسطين بجوار مدينة نابلس (١١٦).

٢. الفريسيون :

كلمة الفريسيين معناها المنعزلون والمنشقون ، وهي كلمة آرامية تعني ذا الرأي والعلم بالأمور ، والبعض يرى أنها عبرية وأصلها " فروشيم " ولقد أطلق عليهم أعداؤهم هذه التسمية لأنهم يكرهونها ، ويسمون أنفسهم " الأحبار " أو " الأخوة في الله أو الربانيين" .

ويعتبرهم البعض أنها امتداد لفرقة الربانيين ، وهي من أهم فرق اليهود ، وأكثرها عدداً قديماً وحديثاً .

ويرى بعض الباحثين أن الفريسيين لا يكونون فرقة دينية ، وإنما يقال عنهم إنهم حزب سياسي له اتجاهاته الدينية ، ولقد كان نشاطهم فكرياً لا ثورياً .

ويعتقد الفريسيون في البعث وقيامه الأموات والملائكة والعالم الآخر . وكانوا يعيشون في مظهر الزهد والتصوف (١١٧) ولا يتزوجون .

---

(١١٦) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، تاريخ الديانة اليهودية ، ص (٢١٩–٢٢٠) .

(١١٧) اختلف العلماء في تعريف مفهوم التصوف إلى عدة أقوال ، وكان هناك اعتراضات كثيرة وأخطاء واضحة على هذه الأقوال ، وقد رجح شيخ الإسلام أن التصوف نسبة إلى الصوف ، والصوفية طائفة اشتهرت بهذه التسمية نسبة إلى هذا المعنى ، وظهرت هذه الفرقة بعد القرون الثالثة الأولى ، ومن أهم معتقداتهم القول بالحلول ووحدة الوجود ووحدة الشهود أو الفناء . انظر : فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، غالب عواجي ، ص(٥٨١–٩٦١) الطبعة الثانية ، ١٤١٦ه ، مكتبة لية .

ويؤمنون بسائر كتب العهد القديم مـع التلمـود ، ويعتقـدون أن التـوراة بأسـفارها الخمسة خلقت منذ الأزل ، ويعتبرون التلمود هو الوحي الشفوي المنـزل علـى موسـى – عليه السلام– . ولازالـت هـذه الفرقـة موجـودة إلى الآن وتمثـل أغلـب اليهـود ، ويطلـق عليهم عند المسلمين الربانيين أو التلموديين . [118]

٣. الصدوقيون :

يرى بعض الباحثين أن هذه التسمية نسبة إلى صادوق الكاهن الأعظـم ، ويتميـزون عن غيرهم من اليهود أنـهم ينكرون البعث والحياة الأخرى ، والحساب والجنة والنار ، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا .

فهم لا يؤمنون بالتلمود وسائر الروايات الشفوية ، ويقرون فقط بالأسفار الخمسة ، وعزى إليهم القول بأن عزير بن الله تعالى الله عن قولهم .

وهم ينكرون القضاء والقدر ، ويؤمنون بحرية الاختيار ، ويرون أن أفعال الإنسان مخلوقة له لا لله ، وينكرون المسيح المنتظر ولا ينتظرونه .

ويعدهم كتّاب اليهود حزب المحافظين في الشعب اليهـودي ، ولا يكونـون طائفـة دينية بمقدار ما يكونون حزباً سياسياً ويسمون حزب المحافظين لعدم اعترافهم بالتراث الشفوي " التلمود " ولأنـهم يرون أن الزيادة في الاعتقاد والعبادة بدعة مرفوضة [119].

فهذه الفرق الثلاثة هم أهم الفرق القديمة ، ولا يعني ذلك انقراضها وإنما يكون قد تغير مسماها أو قل أتباعها وتضاءلوا .

٤. القراءون :

---

(١١٨) انظر : اليهودية ، ص٢٢٧ .

(١١٩) انظر : المرجع السابق .

نسبة إلى المصدر العبري " قرائيم " ومعناه الذين يقرأون المقرأ أي التوراة ، وكانوا يمثلون القلة من اليهود فلما تدهور شأن الفريسيين نما فريق القرائين ، وورث أتباع الفريسيين ونفوذهم ، وتعرف هذه الفرقة باسم العنانين إلى رجل يهودي يدعى عنان بن داود في بغداد في عصر أبي جعفر المنصور أي في القرن الثامن الميلادي .

فهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم فقط وينكرون التلمود وجميع الروايات الشفوية الأخرى ويقولون بالبعث يوم القيامة .

وهم يعتبرون من أعداء الصهيونية التلمودية لأن كلا منها يكفر الآخر ويرى أنه مرتد عن الدين [١٢٠].

٥. الحسيديم :

هي من فرق اليهود المتأخرة في النشأة أسسها رجل يدعى " إسرائيل بعل شيم طوب " عام ١٦٩٩م/١٧٦١م .

---

(١٢٠) انظر : اليهودية والمسيحية ص (١٩٢) .

" وحسيديم " مشتقة من الكلمة العبرية " حسيد " والتي تعني المنقي والناذر نفسه للدين . وهي حركة دينية اجتماعية صوفية منشقة عن الفريسيين فهم يعظمون التلمود ، ويقبلون أقواله ولهم تفسيراتهم الباطنية[١٢١] الخاصة بذلك ولهم أتباع كثيرون .

ومن أهم معتقداتهم أنهم يعتقدون بوحدة الوجود وأن لا وجود حقيقي إلا وجود الله تعالى ، وأن المخلوقات ما هي إلا مظاهر لذلك الوجود وتعبير عنه .

ويقولون أيضاً بالجبر ، وأن الخير والشر من الله ، حتى إذا ارتكب الإنسان منكراً فعليه أن يكون مرتاح البال لأن ذلك من الله ، وكل ما هو من الله فهو خير .

وأيضاً يقولون بالتناسخ[١٢٢] وأن الغرض منه تطهير النفس .

ويقولون بالثواب والعقاب ، ويستعملون الغناء والموسيقى في صلواتهم ويقولون بمجيء المسيح المخلص ويعتقدون أنه من نسل داود – عليه السلام – وهم يذمون الصهيونية ويطعنون فيها وإن كانوا مؤيدين لهم في إنشاء دولة اليهود في فلسطين .[١٢٣]

---

(١٢١) هم الذين يزعمون أن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً ، وهي فكرة جاء بها اليهود من قبل وأولوا التوراة تأثراً منهم بالفلسفات الوثنية اليونانية ، وقالت بها طائفة " القبالة " التي شوهت ا لتوراة وحرفتها عن طريق التأويل ودعت إلى الجمع بين التأويل الباطني وإدعاء الكشف عن الغيب وأسرار الحروف ، والكلمة مشتقة من القبالة وتطلق على التأويل الخفي للتوراة .

انظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د / محمد أحمد الخطيب ، ص (٢٠-٢١) الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م ، دار عالم الكتب . الرياض .

وانظر : المعجم الفلسفي ، د / عبد المنعم الحفني – الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م / الدار الشرقية .

(١٢٢) هو انتقال النفس " الروح " من جسم بشري إلى جسم بشري آخر باعتبار أن النفس لا تموت بل يموت قميصها (الجسم) ، انظر : الملل والنحل ، ص (٢٥٥) .

(١٢٣) انظر : تاريخ الديانة اليهودية ، ص (٢٣٣) .

٦. الإصلاحيون :

هم من فرق اليهود المعاصرة التي تعمل جاهدة من التخلص من تشددات اليهود وتسلط الحاخامات[(١٢٤)] وإذلالهم لبني جنسهم وكان منهم أول من دعا إلى التحرر من قيود التلمود وتشدد الحاخامات وهو " موسى مندلسون " المتوفى سنة ١٧٧٦م في برلين .

ومن أهم ما يميزهم عن بقية الفرق اليهودية إنهم ينكرون الوحي في العهد القديم ، ويقولون إنه من صنع الإنسان ، وتعتبر أعظم وثيقة أوجدها الإنسان ، وهم يقبلون منه فقط التشريعات الأخلاقية ، أما الشعائر الدينية والعبادات فيقبلون منها ما يوافق العصر.

وينكرون التلمود ويتبعون تعاليمه لا تصلح للعصور الحديثة فهو خاص بعصره فقط. وينكرون دعوى المسيح المنتظر ، وينكرون البعث والعذاب بعد الموت . [(١٢٥)]

---

(١٢٤) حاخاميون : أي معلمو الشريعة وقد حملوا هذا الاسم بعد أن كانوا يعرفون بالكتبة وهم بالعبرية " سوفير " أي كاتبو الأسفار طائفة من الفقهاء اليهود الذين كانوا يقومون بكتابة الناموس وتدوين الأجزاء من التوراة وكان أشهرهم " عزرا " الكاتب .

خصوا أنفسهم بأمرين :

أ. دراسة الناموس من الناحية المدنية والدينية فنتج عن قرارات كبارهم ما يعرف اليوم عند اليهود بالشريعة الشفاهية أو التقاليد .

ب. دراسة الأسفار الإلهية من الناحيتين التاريخية والتعليمية ، وحاولوا فرض تطبيق علومهم على تفاصيل الحياة اليومية، أطلق عليهم العهد الجديد تسمية " الناموسيون " . انظر : معجم الأعلام والأعوام ، ص(٦٨٧) . منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراق ، الطبعة الخامسة ١٩٨١م .

(١٢٥) انظر : الفكر الديني اليهودي ، ص (٢٦٤) .

٧. الأرثوذكسية : [١٢٦]

يطلق هذا المسمى على اليهود الذين يدينون بالكتاب المقدس مع التلمود مع جميع التعصبات اليهودية ، فهم يعتبرون امتداد للربانيين والتلموديين والفريسيين وهم يمثلون الآن الغالبية العظمى من اليهود ، ولا تعترف الدولة اليهودية إلا بالأرثوذكسية ، وغالبية أعضاء المجلس الصهيوني من الأرثوذكس . [١٢٧]

٨. المحافظون :

هي طائفة متوسطة بين انقلابات الإصلاحيين وتشدد الأرثوذكس ، وأهم ما يتميزون به من أمور أنهم يعتبرون التوراة وحي من الله عز وجل ، وأما التلمود فهو نتاج ثقافي لليهود ، ويعتبرون دعوى أن موسى – عليه السلام – استلمه شفهياً من الله عز وجل خرافة من خرافات الربانية .

والمحافظون موافقون للصهاينة في برنامجهم السياسي ، وهم أكبر المؤيدين للتوطن في فلسطين ، وتبني سياسات الصهاينة . [١٢٨]

---

(١٢٦) مأخوذة من كلمتين يونانيتين orthos بمعنى الحق أو المستقيم doxa بمعنى الرأي أو المذهب الحق أو المستقيم ومن المعروف أن هذا الاصطلاح مستعار من المسيحية وربما كان من الخطأ إطلاقه على جماعة يهودية، وقد انتشر استخدام مصطلح الأرثوذكسية للتفرقة بين نمط المتشددين من اليهود والأنماط الأخرى الصادرة عنه.

انظر : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص (١٣١) . وانظر : تاريخ الديانة اليهودية ، ص(٢٣٨–٢٣٩) .

(١٢٧) انظر : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، د / سعود الخلف ، ص (١٤٩–١٥٠) الطبعة الرابعة ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م / مكتبة أضواء السنة .

(١٢٨) انظر : المرجع السابق .

ب . النصارى :

كما انقسمت اليهود إلى فرق عدة كذلك النصارى انقسمت إلى عـدة فـرق كمـا هـو في حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) السابق ذكره عن انقسام الفرق[(١٢٩)] ومـن الفـرق مـن كانت موحدة ومنهم من أدخلت الوثنية على توحيد المسيحية .

أما الفرق الموحدة فهي :

١. فرقة الآريوسيين :

هم أتباع آريوس أحد القساوسة[(١٣٠)] وقد قال بالتوحيد المجـرد ، وأن عيسى نـبي الله ، ومخلوق وأمه مخلوقة ، وقد حـاول الأريوسـيون أن يجـذبوا الـسلطان إلى رأيهـم ، وقد مال الحاكم إليهم أخيراً عنـدما أراد تأسـيس عاصـمة جديـدة في الـشرق وسـاندهم ، وعقد لهم مجمع " صور " [(١٣١)] الذي قررت فيه عقيدة " آريـوس " " التوحيديـة " ولعـن وطرد "أثناسيوس " [(١٣٢)] الوثني القائل بألوهية المسيح ، ومع مرور الأيام مال الحـاكم إلى المذهب الوثني " الأثناسيوسي " [(١٣٣)].

---

(١٢٩) سبق تخريج الحديث عند ذكره في انقسام فرق اليهود من هذا البحث ص (٤٠) .

(١٣٠) مفردها قس ، وهي كلمة سريانية معناها شيخ أو راعي وتـرادف لفـظ الأسـقف . انظـر : دائـرة المعـارف الكتابية.

(١٣١) هي أسم سامي معناه " صخر " وهي مدينة فينيقية شهيرة وهي قديمة جداً " قاموس الكتاب المقدس " .

(١٣٢) هو بطريك الإسكندرية حجة في شئون الكنيسة ، برز في مجمع نيقية بدفاعه عن عقيدة ألوهية المسيح ضد أريوس نفي خمس مرات إلى روما . انظر : الموسوعة العربية الميسرة .

(١٣٣) انظر : محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ص (١٥٠-١٥١) ، الطبعة الثالثة ١٣٨١هـ -١٩٧٢م ، دار الفكر العربي ، وانظر : يا أهل الكتاب تعـالوا إلى كلمـة سـواء ، د / رؤوف شـلبي ص (٢١٧) ، الطبعـة الثانية ، ١٤٠٠هـ ، دار الاعتصام .

٢. فرقة بولس الشمشاطي :

وهو أحد بطاركة[١٣٤] أنطاكية وهو أيضاً من القائلين بالتوحيد ، ونفي ألوهية المسيح ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكان يقول : لا أدري ما الكلمة ، ولا روح القدس ، فكان يمسك القول عن هذا .[١٣٥]

٣. فرقة أبيون :

وهي تابعة للقسيس أبيون القاتل بإنكار ألوهية المسيح ، وأنه مجرد بشر رسول[١٣٦].

أما الفرق الوثنية القديمة فهي :

١. فرقة البربرانية :

وهي الفرقة التي تنادي بألوهية المسيح وأمه معاً ، ولعل رجال هذه الفرقة هم الذين أشار إليهم القرآن الكريم في قوله تعالى: T S R Q P O N M L M

p o n l k j i h f e d c b a ` _ ^] \ Z Y X W V U

.[١٣٧]L | { z y x v u t s r q

---

(١٣٤) بطريك : كلمة مركبة أصلها يوناني معناها رئيس قبيلة ، وأصبحت تطلق على رجال الدين في الديانة النصرانية . انظر : دائرة المعارف للبستاني .

(١٣٥) انظر : محاضرات في النصرانية ص (١٥١) ، وانظر : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص(١٢٤) .

(١٣٦) انظر : المرجع السابق .

(١٣٧) سورة المائدة ، آية (١١٦) .

٢. فرقة المرقيونيين :

نسبة إلى القسيس " مرقيون " من رجال القرن الثاني الميلادي وكان يقول بوجود الإلهين : أحدهما الإله العادل الذي أنزل التوراة على موسى – عليه السلام – والثاني الخير الذي ظهر متمثلاً في المسيح وخلص الإنسانية من خطاياهم . [١٣٨]

٣. فرقة سباليوس :

نسبة إلى " سباليوس " وتعتقد أن المسيح من الأب بمنزلة شعلة من نار انفصلت من نار فلم تنقص الأول بانفصال الثانية [١٣٩].

٤. فرقة إليان :

تقرر هذه الفرقة تأليه المسيح وأنه ابن الله ، وتقرر صورة حمل أمه به أنه مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب . [١٤٠]

والواضح أن هذه الفرق لم تقل بالتثليث النصراني الذي اعتمد بعد ذلك ، ولكن صرحت بالوثنية الواضحة في أقوالها ، ويجدر بنا أن نشير إلى هذه الفرق القديمة التي انقرضت انقراضاً تاماً في المرحلة الحالية .

أما الفرق الوثنية الحديثة فهي :

١. فرقة مقدونيوس : نسبة على مقدونيوس ، وهو من الأريوسيين ، وقد عين بطريركاً للقسطنطينية[١٤١]. سنة ٣٤٣م . وقد أنكر لاهوت روح القدس وقال : إن روح

---

(١٣٨) ولعل هذه الفرقة متأثرة بالديانة الزرادشتية الفارسية في مراحلها الأخيرة القائلة بوجود إلاهين إله الخير وهو أهورمزدا ، وإله الشر وهو أهريمان . انظر : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة لإسلام ، ص (١٢١-١٢٢).

(١٣٩) انظر : محاضرات في النصرانية ص (١٥٣) .

(١٤٠) انظر : المرجع السابق .

القدس عمل ألّه منتشر في الكون ، وليس أقنوماً [١٤٢] متميزاً عن الآب أو الابن ، واعتبره مخلوقاً يشبه الملائكة وإن كان رتبته أسمى منهم ، ولأجل ذلك انعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م لتقرير ألوهية روح القدس [١٤٣] .

٢. فرقة النسطورية :

هذه الفرقة تنسب إلى نسطور بطريرك القسطنطينية ومكث في هذا المنصب أربع سنين وشهرين ، ولقد ظهرت بدعته في القرن الخامس الميلادي في زمن المأمون واعترض على تسمية مريم العذراء بأم الإله ، أي أن العذراء لم تلد إلهاً ، بل ولدت فقط الإنسان ، وهو بذلك يرى أن الأقنوم الثاني وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره من المثلثين ، بل كان يرى أن مريم ولدت الإنسان فقط ثم أتحد بعد ولادته بالأقنوم الثاني اتحاداً مجازياً لا حقيقاً . ويلزم من قول نسطور هذا حتماً إنكار ألوهية المسيح وانعقد من أجل ذلك مجمع أفسس[١٤٤] الأول عام ٤٣١م ، والذي قرر لعن وطرد نسطور وإثبات أن مريم العذراء قد ولدت الإنسان والإله . [١٤٥]

وبعد مجمع القسطنطينية الأول ٣٨١م ، تقرر التثليث عند جميع طوائف النصارى وأجمع على اعتناقه المسيحيون جميعاً ، وقد اختلفوا فيما بينهم في أمور فرعية أخرى من عقائدهم وانقسموا إلى طوائف كثيرة ، وأعطت كل فرقة منهم لنفسها نتيجة هذا

---

(١٤١) اسمها بيزنطية ، نزل بها قسطنطين الأكبر فاسمها باسمه ، اسمها حالياً اسطنبول ، وهي عاصمة تركيا في عهد الخلافة العثمانية (مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) .

(١٤٢) أن أصل الأقنوم عند النصارى " هو الشيء المستغنى بذاته عن أصل جوهره " وفي اللغة السريانية (شخص مستقل بنفسه) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، الإمام القرطبي (٦/١) . تحقيق : أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي .

(١٤٣) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية (٦/١) .

(١٤٤) هي مدينة إغريقية قديمة على شاطئ آسيا الصغرى " تركيا حالياً " (الموسوعة العربية الميسرة) .

(١٤٥) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، الإمام أبي محمد بن أحمد بن حزم الظاهري (١١/١) تحقيق : د/محمد نصر ، د / عبد الرحمن عميرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م ، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع .

الاختلاف لقباً خاصاً بها ، ولكنها ما كانت تخرج في ذلك من أحد لقبين وهما الكاثوليكية[١٤٦] والأرثوذكسية .

١. فرقة الملكانية (الكاثوليك حالياً) :

ويطلق على هذا المذهب اسم المذهب الملكي أو الملكاني نسبة إلى الملك أي أمبراطور روما[١٤٧] وهم القائلون بأن للمسيح طبيعتين : طبيعة إلهية ، وطبيعة إنسية أي اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت ويسمون الروم الكاثوليك وهم الذين قال الله فيهم : M [\
] ^ _ ` a b L[١٤٨] .

٢. فرقة اليعقوبية (الأرثوذكس حالياً) :

نسبة إلى يعقوب البرادعي وهم القائلون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة ، وهي طبيعة الإلهية ، أي قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان وتكون من الاتحاد[١٤٩] طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت ، وأخبر عنهم القرآن الكريم بقوله تعالى : M 6
7 8 9 : ; < = > ? L[١٥٠] وتسمى الكنائس بالأرثوذكسية .[١٥١]

---

(١٤٦) مأخوذة من كلمة يونانية katholikos بمعنى العالم أو العالمي أي أنها الديانة العامة أو العالمية ، وتسمى كنيستها الكنيسة الغربية أو اللاتينية أو البطرسية نسبة إلى بطرس رئيس الحواريين ، أكثر أتباعها في الغرب ، انظر : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص (١٣١) .

(١٤٧) هي عاصمة الإمبراطورية الرومانية وهي يوجد بها أهم الكنائس وهي الكنيسة البطرسية ، ويوجد بها الآن الفاتيكان مقر البابا رئيس الكنيسة الكاثوليكية . انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ومراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع .

(١٤٨) سورة المائدة ، آية (٧٣) .

(١٤٩) الاتحاد هو امتزاج شيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً . (الموسوعة العربية الميسرة) .

(١٥٠) سورة المائدة ، آية (٧٢) .

(١٥١) انظر : الملل والنحل ، ص (٢٢٢) ، ومحاضرات في النصرانية (ص١٥٩) .

٣. فرقة المارونية :

هم أتباع يوحنا مارون القائل بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ، وبـذلك يكـون قد خالف وانشق عن باقي الكنائس الكاثوليكية بقوله بالمشيئة الواحدة ، وانعقد من أجل ذلك مجمع القسطنطينية الثالث عام ٦٨٠م ، وقرر حرمان مارون ولعنه وتكفيره وتقريـر المذهب القائل بالطبيعتين والمشيئتين ، ومازالت هذه الطائفة متوطنة بجبل لبنان .

٤. فرقة البروتستانت أو الإصلاح الديني :

هي فرقة خرجت من بطن الكاثوليك ومعناهـا المحتجـون أو المعترضـون ، وسمـوا بروتستانت أي المحـتجين عنـدما أعلنـوا احتجـاجهم ورفـضهم لتنفيـذ قـرار الحرمـان الصادر من رجال الدين في الكنيسة الكاثوليكية ، وينـسب هـذا المـذهب إلى رجـل ألمـاني ويسمى مـارتن لـوثر ، الـذي أقـام ثورتـه علـى فـساد الكنيـسة الرومانيـة وكـان ينـادي بإصلاحها ، وثار ضد صكوك الغفران وأعلن بطلانها وكتب في ذلـك احتجاجـاً علـى بـاب الكنيسة ، ثم لحقه أتباعه في معارضه الكنيسة الكاثوليكية أمثال زونجلي السويسري ، وكلفن الفرنسي ، وقد انتشرت البروتـستانتية في كـثير مـن بـلاد العـالم ويعتقنهـا الآن معظم أهل ألمانيا والدانمرك وسويسرا وهولندا والسويد والنرويج وانجلترا . [١٥٢]

وبذلك لم يبق على ساحة الحوار والمناظرة من الفـرق النـصرانية إلا المثلثـون ولقـد اختلفوا فيما بينهم اختلافاً كبيراً فيما يتعلق بمسائل العقيدة الفرعية .

---

(١٥٢) انظر : محاضرات في النصرانية ، ص (١٦٠ ، ١٦٧) .

والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص (١٣٤ ، ١٤٠) .

مصادر أهل الكتاب :

١. اليهود :

يعتمد اليهود في إثبات عقائدهم واستخراج شرائعهم وعبادتهم على مصدرين أساسيين :

المصدر الأول : العهد القديم : [(١٥٣)]

وهي التسمية العلمية لأسفار اليهود وليست التوراة إلا جزءاً من العهد القديم ، فالتوراة كلمة عبرانية تعني الشريعة أو الناموس أو الهداية والإرشاد ، وقد اتخذت باليونانية اسم " بانتاتيكوس " أي الكتاب ذو الأسفار الخمسة ، وقد تطلق التوراة على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل ، أو لأهمية التوراة ونسبتها لموسى ، لأنه أبرز زعماء بني إسرائيل ، وعنده يبدأ تاريخهم الحقيقي .

فالتوراة عند اليهود والنصارى تقوم على خمسة أسفار منسوبة لموسى –عليه السلام– ويزعمون أنه هو كاتبها ، والكتب الملحقة بها .

ويتكون العهد القديم من :

١. التوراة : وهي خمسة أسفار يطلقون عليها " أسفار موسى الخمسة " أو " أسفار الناموس " وهي :

أولاً : سفر التكوين أو الخليقة ، ويتحدث عن خلق السماوات والأرض وغير ذلك .

---

(١٥٣) أطلق اسم " العهد القديم " في العصور المسيحية على أسفار اليهود للتفرقة بينهما وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التي أطلقوا عليها " اسم العهد الجديد " انظر : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص(١٣).

انظر : قاموس الكتاب المقدس .

ثانياً : سفر الخروج : ويتحدث عن قصة بـني إسـرائيل مـن بعـد يوسـف- عليـه السلام- إلى عهد موسى – عليه السلام – وخروجهم معه من مصر .

ثالثاً : سفر اللاويين ، يتحدث هذا السفر عن أمور تتعلق بالشعائر الدينيـة الـتي يقوم بها اللاويون ويسمى سفر الأخبار .

رابعاً : سفر العدد : يعتني بعدد بني إسرائيل وإحصائهم .

خامساً : سفر التثنية : وهو يتحدث عن تكرير الشريعة .[(١٥٤)]

٢. الكتب الملحقة بها ، وهي أربعة وثلاثون سفراً :

أولاً : الأسفار التاريخية وهي ثلاثة عشر سفراً :

يشوع ، القضاة[(١٥٥)] ، راعوث[(١٥٦)] صموئيل[(١٥٧)] ، سفر الملوك ، سفر أخبار الأيام ، سفر عزرا[(١٥٨)] ، نحميا[(١٥٩)] ، إستير [(١٦٠)] .

---

(١٥٤) انظر : اليهودية ص (٢٣٨) ، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص (١٣-١٤) .

(١٥٥) هم الذين تولوا شؤون الحكم بعد استيلاء إسرائيل على فلسطين ، انظر : قاموس الكتاب المقدس .

(١٥٦) هي جدة داود –عليه السلام – من جهة أبيه ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص (١٥) .

(١٥٧) كان نبياً وآخر القضاة ، وهو الذي عين لبني إسرائيل أول ملوكهم ، حسب ما يقول قاموس الكتاب المقدس ، ونحن نشير إلى أن قصته جاءت في سورة البقرة آية (٢٤٦-٢٤٨) .

(١٥٨) كان له الفضل الكبير في عودة بني إسرائيل مـن المنفـى في بابـل إلى القـدس ، وقـد قـام بتجديـد بنـاء بيـت المقدس ، وحرر كثيراً من أسفار العهد القديم ، ولقب بالكاهن والكاتب ، انظر : قاموس الكتاب المقدس .

(١٥٩) ساعد عزرا في بناء فلسطين مرة أخرى ، وحصل على موافقة ملك الفـرس علـى ذلـك ، الأسـفار المقدسـة في الأديان السابقة للإسلام ، ص(١٥) .

(١٦٠) هي امرأة يهودية حسناء ، تأمرت مع ابن عمها مردخاي حتى استطاعت الوصول إلى قلـب " أحـشويروش " ملك الفرس ، فلما تمكنت من قلبه واستصدرت منه أوامر للانتقام لليهود في مملكته ، فقامت بقتـل أعـداد كبيرة من الفرس من بينهم وزير الملك هامان . انظر : سفر أستير ٢-١٠ .

ثانياً : أسفار الأنبياء وهي خمسة عشر سفراً :

إشعيا ، أرميا ، حزقيال ، دانيال ، هوشع ، يوئيل ، عاموس ، عوبديا ، ميخا ، ناحوم ، حبقون ، صفنيا ، حجي ، زكريا[١٦١] ، ملاخي ، يونــان " يونس – عليه السلام"[١٦٢].

ثالثاً : أسفار الحكمة والشعر " الأسفار الأدبية " وهي خمسة أسفار :

سفر أيوب– عليه السلام – الأمثال ، الجامعة ، نشيد الإنشاد ، مراثي إرميا .

رابعاً : سفر الابتهالات والأدعية وهو سفر واحد .

وهو سفر المزامير المنسوب إلى داود –عليه السلام– . [١٦٣]

وبذلك يكون مجموع الأسفار تسعة وثلاثين سفراً .

هذه أسفار النسخة العبرانية المعتمدة لدى اليهود والبروتستانت من النصارى ، أما النصارى الكاثوليك والأرثوذكس فيعتمدون النسخة اليونانية السبعينية[١٦٤] وهي تزيد على

---

(١٦١) هو غير زكريا أبي يحيى – عليهما السلام – الذي ورد ذكره في القرآن .

(١٦٢) هؤلاء الأنبياء يقال أنهم جميعهم مرسلون إلى بني إسرائيل كما في أسفار أهل الكتاب ، إلا يونس –عليه السلام– فإنه مرسل إلى مدينة نينوي بالعراق.

انظر : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٦.

(١٦٣) نقلاً عن النسخة البروتستاتينية .

(١٦٤) يرجع أصل التسمية الترجمة الإغريقية بالسبعينية إلى ما تقوله التقاليد اليهودية من أن سبعين عالماً من علماء الإسكندرية تحت رعاية بطليموس الثاني (فيلادلفوس) (٢٨٢–٢٤٦ ق . م) ترجموا الأسفار الخمسة الأولى إلى اليونانية في النصف الأول من القرن الثالث ق . م أما بقية الأسفار فقد ترجمت في الفترة بين (٢٥٠–١٠٠ق.م) وتشمل هذه الترجمة على أسفار الأبوكريفا التي لا توجد في النسخة العبرية .

انظر : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص (١٩–٢٠) .



العبرانية بسبعة أسفار ويطلق على هذه الأسفار الأبوكريفا[١٦٥] وهي : سفر طوبيا[١٦٦] ، ويهوديت[١٦٧] والحكمة ويشوع بن سيراخ[١٦٨] وباروخ[١٦٩] والمكابين[١٧٠] الأول والمكابين الثاني .

كما تجعل أسفار الملوك أربعة وأولها وثانيها يجيئان بدلاً من سفر صموئيل الأول والثاني .

ومعلوم أن بين يدي اليهود والنصارى ثلاثَ نسخٍ مشهورة من التوراة والعهد القديم ومن هذه النسخ تتفرع سائر الترجمات تقريباً وهي :

١. النسخة العبرية : وهي المعتبرة والمقبولة عند اليهود وجمهور علماء النصارى من البروتستانت وعدد أسفارها تسعة وثلاثون سفراً فقط .

---

(١٦٥) الأبوكريفا : كلمة يونانية معناها " مخفي " أو مخبأ أو سري " وقد كان هناك نوعان من المعرفة الدينية عند اليونان ، أولاً : كان يشمل عقائد وطقوساً عامة يمكن لجميع طبقات البشر معرفتها .
ثانياً : كان يشمل حقائق عميقة وغامضة لا يمكن أن يفهمها أو يدركها كنها إلا قلة من الخاصة ولذلك بقيت مخفية . انظر : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، ص (٥٥) .

(١٦٦) اسم عبري معناه " الله طيب " وهو رجل يهودي اختلفت الأقوال حوله وقيل أنه نسجت حوله أسطورة قديمة. انظر : سفر طوبيا ، وانظر : قاموس الكتاب المقدس .

(١٦٧) هي امرأة أرملة يهودية غنية جميلة ونسجت حولها أسطورة تشبه أسطورة استير ، انظر : اليهودية ص(٢٥٢).

(١٦٨) رجل يهودي من أورشليم كثير التجوال ، والترحال ، وهو حكيم وله أمثال . انظر : المرجع السابق ، ص(٢٥٣) .

(١٦٩) اسم عبري معناه " مبارك " وكان كاتباً محباً مخلصاً للنبي أرميا . أنظر : قاموس الكتاب المقدس .

(١٧٠) المكابيون : هم الذين حكموا فلسطين حكماً وطنياً في عهد الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد ، وكانوا بقيادة رجل يدعى " ميتاوس " وبعد موت متياوس تولى ابنه مكابياس قيادة الثائرين وإلى هذا الكاهن تنسب أسرة المكابين ، وكانت أسرة المكابين أقرب إلى القادة العسكريين منها إلى أسرة الحاكم .
انظر : اليهودية ص (٩٤) ، وانظر : المدخل إلى العهد الجديد ، القس فهيم عزيز ص (١٩-٢٣) ، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة .

٢. النسخة اليونانية : وهي المعتبرة لدى النصارى الكاثوليك ، والأرثوذكس وهي التي تسمى السبعينية وما ترجم عنها ، فهي ستة وأربعون سفراً حيث تزيد سبعة أسفار عن النسخة العبرية وهي مقدسة عندهم .

٣. النسخة السامرية : وهي المعتبرة عند اليهود السامريين فلا تضم إلا أسفار موسى الخمسة فقط [(١٧١)] ويضيفون إليها سفر يوشع فقط ، وما عداه لا يعترفون به ، ولا يعتبرونه مقدساً . [(١٧٢)]

المصدر الثاني : التلمود :

وهي مشتقة من الجذر العبري " لامد " أو " لامود " وتعني " الدراسة والتعليم والمعرفة " .

فالتلمود من أهم الكتب الدينية لدى اليهود ، وهو الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية ، وهو الكتاب العقدي الذي يفسر ويبسط معارف الشعب اليهودي وتعاليمه ، ويخلع التلمود القداسة على نفسه باعتبار أن الشريعة الشفوية " التلمود " مساوية في المنزلة للشريعة المكتوبة " التوراة " . [(١٧٣)]

فالتلمود هو تعليم ديانة وآداب اليهود .

وترجع نشأة التلمود إلى أن رجال الدين اليهودي قرروا أن شريعة موسى – عليه السلام – لم تكن مقصورة على النصوص المدونة في الأسفار الخمسة بل تضمنت الشريعة

---

(١٧١) هذا حسب النسخة العربية التي ترجمها الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق الصوري ، ونشرها د / أحمد حجازي السقا .

(١٧٢) انظر : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ص (٩٦-٩٧) .

(١٧٣) انظر : التلمود أسرار حقائق الحسيني معدي ص (٤٩) دار الكتاب العربي ، دمشق / القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

الشفوية التي انتقلت من المعلمين إلى تلاميذهم جيلاً بعد جيل مع ما يضاف إليها من زيادات وتعديلات .

ويتكون التلمود من جزءين :

١. المشناة وهو الأصل أي المتن ، وهو بمعنى المعرفة أو الشريعة المكررة لأن شريعة موسى – عليه السلام – في الأسفار الخمسة وردت مكررة في المشناة مع تفسير وتوضيح ما التبس منها.

فالمشناة هي مجموعة من الشرائع اليهودية المروية على ألسنة اليهود ويعتبرونها مصدراً من مصادر التشريع وهي في المقام الثاني بعد التوراة ويسمونها التوراة الشفوية ، لأنهم يرفعونها إلى سيدنا موسى – عليه السلام – .

٢. الجمارا : وهي الشروح والحواشي التي تحيط بالمشناه ، فهي توضح القواعد والأحكام الواردة في المشناة بأمثلة أو حكايات وتناقشها وتضع إلى جانبها غالباً الحكم الفقهي الأخير فهي تعني " التكملة والتتمة " (١٧٤) .

مباحث المشنا :

المشنا تتألف من ستة أقسام رئيسية تدعى " سداريم " وكل سدر يضم عدداً من الأسفار ، وكل سفر يضم عدداً من الإصحاحات .

١. السدر الأول " سدر زراعيم " أي البذور ويتألف من أحد عشر سفراً .

٢. السدر الثاني " سدر موعيد " الأعياد والمواسم ، ويتألف من أثنا عشر سفراً . □

٣. السدر الثالث " سدر ناشيم " أي النساء ، ويتألف من سبعة أسفار . □

٤. السدر الرابع " سدر نزيكين " أي الأضرار ، ويتألف من عشرة أسفار . □

---

(١٧٤) انظر : المرجع السابق ص (٢٢) ، وانظر : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص (٦٦) .

٥. السدر الخامس " سدر قداشيم " أي المقدسات ، ويتألف من أحد عشر سفراً. □

٦. السدر السادس " سدر طهوروت " التطهيرات ويتألف من اثنى عشر سفراً[١٧٥].

أنواع التلمود :

من المشنا والجمارا يتكون التلمود ، فالتلمود تعليم ديانة اليهود وآدابهم ، والمشنا الذي به زيادات وشروح وتعليقات حاخامات يهود فلسطين ، ويسمى هو وشروحه " تلمود أورشليم " ، وأما المشنا الذي به زيادات وشروح وتعليقات حاخامات يهود بابل فيسمى هو وشروحه " تلمود بابل " وهو المتداول بين اليهود والمراد عند الإطلاق .

فالتلمود نوعان :

١. التلمود الأورشليمي ٢. التلمود البابلي

ويتضح من ذلك أن مشنا التلمود البابلي هو نفسه بعينه مشنا التلمود الأورشليمي ، ولكنها يختلفان في " الجمارا " أي الشروح .[١٧٦]

فالتلمود هو القانون أو الشريعة الشفهية التي كانت يتناقلها حاخامات الفريسيين من اليهود سراً جيلاً بعد جيل .

ولأنهم خافوا عليها من الضياع دونوها ، وتم تدوينها في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد ، ومن ثم أطلق عليها المشناة ، ثم شرحت هذه المشناة وأطلق على هذا الشرح " الجمارا " وألفت هذه الشروح في فترة طويلة امتدت من القرن الثاني بعد الميلاد إلى أواخر القرن السادس بعد الميلاد وتكون منها التلمود .

---

(١٧٥) انظر : التلمود أسرار ، حقائق ، ص (٢٣-٣٠) .

(١٧٦) انظر : اليهودية بشيء من التصرف ص (٢٣-٣٠) ، وانظر : وجوه الاختلاف بين التلموديين: في تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص (٦٩-٧٠) .

والتلمود يقدسه ويعظمه الفريسيون من فرق اليهود فقط ، وباقي الفرق تنكره ، فحاخامات الفريسيين هم الذين اعتنوا به ودنوه وتناقلوه بل يرون أنه أقدس من التوراة .

فقد قال فيه : " إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها ، ومن درس المشناة فعل فضيلة يستحق المكافأة عليها ومن درس الجمارة فعل أعظم فضيلة "[١٧٧].

فالتلمود على هذا الحال هو كتاب مقدس عندهم وله الأثر الكبير في نفسية اليهود الفاسدة المفسدة .

ومن أهم مبادئ التلمود الشركية الخطيرة كلامهم في الله عز وجل ووصفه لهم بصفات النقص والعيب[١٧٨] ، وأيضاً كلامهم عن أنفسهم ، وأيضاً موقفهم من غيرهم من الشعوب والديانات الأخرى . [١٧٩]

٢- النصارى :

يعتمد النصارى في تقرير عقائدهم على مصدرين أساسيين هما :

أولاً : الكتاب المقدس :

ويتكون الكتاب المقدس عند النصارى من قسمين رئيسيين :

١. العهد القديم : يعد العهد القديم وهو ما يسمى " التوراة أو الكتب الملحقة به" مصدراً مهماً من مصادر النصارى الدينية ، ولقد تحدثنا عنه سابقاً عند ذكر مصادر اليهود[١٨٠] .

---

(١٧٧) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة : د . يوسف نصر الله ص (٥٠) ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م ، دار القلم / دمشق .

(١٧٨) سيأتي الحديث مفصلاً عن ذلك لاحقاً إن شاء الله في الباب الأول .

(١٧٩) انظر : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية . ص (١٢٠) .



(١٨٠) انظر : مصادر اليهود من هذا البحث ص (٥٣) .

٢. العهد الجديد ويتكون من مجموعتين :

الأولى : الأناجيل :

وكلمة الإنجيل مأخوذة من الكلمة اليونانية " إفاجيليون " ومعناها " بشارة " أو " خبر طيب " [١٨١] **أما الإنجيل في الاصطلاح : فهو كتاب الله عز وجل المنزل على عيسى– عليه السلام – ولقد وصف الله تعالى هذا الإنجيل بقوله تعالى :** M ! " # $ % &
' ( ) * + , ٠ . / 0 1 2 3 45 6 7 8 9 : ;
< L [١٨٢] .

وهذا الإنجيل الصحيح ا لمنزل على عيسى –عليه السلام – المذكور في الآية الكريمة ليس له وجود عند النصارى الآن ، بل فقد وضيع مع مرور الزمان بسبب الاضطهادات [١٨٣] **التي كانت تواجه النصرانية ، ثم بدأ ظهور الأناجيل المتعددة المتضاربة التي على إثرها ظهرت الأباطيل .**

قال مؤلف كتاب " الفارق بين المخلوق والخالق : " انظر إلى شهادة هذا المصنف وهو من كبار علماء النصرانية – حيث يقول : إن أصل الإنجيل فُقد ، والأناجيل الموجودة الآن هي التآليف الأربعة " [١٨٤] **.**

فالله سبحانه وتعالى أنزل على عيسى – عليه السلام – كتاباً واحداً وهو الإنجيل وبشر به فقط في بني إسرائيل وقد ذكر ذلك مرقس[١٨٥] **في إنجيله قائلاً : " وبعد ما أسلم**

---

(١٨١) دائرة المعارف الكتابية .

(١٨٢) سورة المائدة ، آية (٤٦) .

(١٨٣) انظر : تفاصيل هذه الاضطهادات إلى : محاضرات في النصرانية ، ص (٢٩–٣٠) (٢٩–٣٢) وقصة الحضارة (٣٧٠/١١–٣٨١) وتاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (٩٠) ترجمة : القمص مرقس داود ، مكتبة المحبة / القاهرة .

(١٨٤) الفارق بين المخلوق والخالق ، العلامة عبد الرحمن الباجة جي زادة ، ص (١٧) تصحيح : عبد المنعم درويش ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ذخائر التراث .

يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز[186] ببشارة ملكوت الله ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل " [187] .

وأيضاً لم ينزل على عيسى – عليه السلام – أناجيل كثيرة ، بل كما أشرنا سابقاً أنه نزل عليه إنجيل واحد ، ثم ضاع بعد ذلك ، وأما الأناجيل الأربعة المتفق عليها الآن عند النصارى فلم تنزل على عيسى – عليه السلام – ولم يكتبها ، ولم يملها ، ولم يسمع بها وليس إنجيله – عليه السلام – واحداً منها ، والأناجيل الأربعة تنسب صراحة إلى أصحابها . فيقال : إنجيل متّى ، إنجيل لوقا ، إنجيل مرقس ، إنجيل يوحنا ، ولم تنسب إلى عيسى – عليه السلام – ولو تأملنا في فقراتها لوجدنا بينها الاختلاف الكبير والتناقض الواضح [188] .

وليس كذلك شأن الكتاب السماوي المنزل من الله عز وجل – الذي يصدق بعضه بعضاً وأيضاً هذه الأناجيل كما هو موضح ترجمة لحياة عيسى – عليه السلام – " من خلال عقيدة النصارى " والكتب السماوية ليست كذلك ، وإنما هي تنزل بالتشريعات ، والعبادات ، والعقائد ، والأوامر ، والنواهي ، فهي لا تترجم لحياة شخص ، فمن الممكن أن تقول : إن هذه الأناجيل هي شبيهة بكتب السيرة .

لقد كانت في العصور الأولى أناجيل شتى لكل فرقة من فرقهم ، ثم استقر الأمر بعد ذلك على الاتفاق على أربعة أناجيل فقط ، وهي " متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا "

---

(١٨٥) هو مؤلف الإنجيل الثاني من الأناجيل الأربعة . وسيأتي الحديث عنه لاحقاً .

(١٨٦) كرز كرزاً وعظ ونادى ببشارة الإنجيل " سرياتيه " والكارز ، والكاروز الواعظ والمنادي ببشارة الإنجيل ، والكرازة الوعظ بالحقائق المسيحية . المنجد في اللغة والأعلام ، جماعة من المؤلفين ، الطبعة السادسة والعشرون، دار المشرق ، بيروت / لبنان .

(١٨٧) مرقس ، ١ : ١٤–١٥ .

(١٨٨) لقد ذكر العلامة عبد الرحمن زاده في كتابه " الفارق بين المخلوق والخالق " الاختلافات والتضارب بين الأناجيل الأربعة ، انظر : ص (٨–١٩) .

وحرمت الكنيسة ما عداها من الأناجيل الأخرى ، وأمرت بإحراقها وأصبحت الأناجيل الأربعة هي المعتبرة دون سواها [١٨٩] .

والأناجيل الأربعة هي :

١. إنجيل متّى " ميتاوس " :

اتفق أئمة النصارى على أن متى العشار مؤلف هذا الإنجيل ، وكان من جباة الضرائب للرومان في كفر ناحوم[١٩٠] من أعمال الجليل بفلسطين ، وأنه اتبع المسيح – عليه السلام – في حياته ، وأصبح من تلاميذه ، وكان أحد الحواريين الاثنى عشر ، وبعد رفع المسيح – عليه السلام – أخذ يبشر بالنصرانية في بلاد الحبشة[١٩١] وتوفي بها شهيداً .

٢. إنجيل مرقس :

ولقد قال المؤرخون فيه إن اسمه يوحنا ويلقب بمرقس ، ولم يكن من الحواريين ، ويقال : إنه كان تلميذاً للحواري بطرس ، وهو يهودي الأصل ، ويقال إنه كان أحد السبعين الذين أرسلهم عيسى – عليه السلام – للتبشير بالنصرانية ، ويقال : إن بيته كان مكان الاجتماع للمسيح – عليه السلام – وتلاميذه .

٣. إنجيل لوقا :

---

(١٨٩) انظر : محاضرات في النصرانية ص (٤٠–٤١) . الفارق بين المخلوق والخالق ، ص (١٠–١٥) .

(١٩٠) مدينة قديمة في الجليل " فلسطين " غربي بحيرة " طبرية " (معجم الحضارات السامية) .

(١٩١) تسمية أطلقها الجغرافيون القدامى على المنطقة في إفريقيا الشرقية الواقعة بين البحر الأحمر ونهر النيل ، وذلك على اسم أحدى القبائل اليمنية التي استوطنت المنطقة وحكمتها ، وهي التي هاجر إليها أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومنها النجاشي الذي أسلم وصلى عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صلاة الميت الغائب (المرجع السابق) .

هو ثالث الأناجيل الأربعة ، وأن مؤلفه لم يكن حوارياً ، ولا تلميذاً للحـواريين ، ولم يكن من الجنس اليهودي ، وقد اختلف في جنسيته ، منهم من قال : إنه أنطـاكي ، ومنهم من قال إنه روماني ، وأيضاً اختلف في مهنته : فمنهم من قال : طبيب ، ومنهم من قال : إنه مصور ، ويقال : أيضاً إنه رافق بولس في رحلاته التبشيرية .

٤. إنجيل يوحنا :

يقول فيه جمهور النصارى : إن هذا الإنجيل نسبة إلى يوحنا بن زبـدي الحـواري الصياد تبع المسيح – عليه السلام – منذ البداية ، وقام بالتبشير في أفسس ، وتوفي شيخاً هرماً (١٩٢) .

ونستنتج – باختصار– شديد من الدراسات التي بحثت حول هذه الأناجيل ما يلي :

لقد ذهب كثير من العلماء إلى أن كتاب الأناجيـل غـير معـروفين ، فمـن الممكـن أن يكونَ متَّى أخر غير معروف هو الذي كتب الإنجيل المعروف باسم متى ، وأيضاً التواريخ التي ذكرت في تدوين هذه الأناجيل بلغت كماً هائلاً من العدد ، فهي غير متفق عليهـا ، واللغات التي كتبـت بهـا هـذه الأناجيـل غـير معروفـة وغـير متفـق عليهـا ، ومـن قـام بترجمتها معروفين ، وبذلك يتضح لنا أن قيمتها التاريخية والدينية معدومة . (١٩٣)

الثانية : الرسائل :

وتسمى بالأسفار التعليمية .

---

(١٩٢) انظر : محاضرات في النصرانية ص (٤٠–٥٠) . ودراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة ،محمد السعدي ، ص(١١–١٢) . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، دار الثقافة / قطر ، الدوحة .

(١٩٣) انظر : الدراسات التفصيلية حول هذه الأناجيل ، قصة الحضارة (٢٠٨/١١) ، ومحاضـرات في النـصرانية ص(٤٣–٥٣) ، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص (٨٨–٨٩) والفـارق بـين المخلـوق والخـالق ، لقد فصل الدراسة حول الأناجيل الأربعة في أربعة مقاصد في كتابه ص (١٩–٣٢٧) .

وتسمى الأناجيل الأربعة السابقة ذكرها ، ورسالة أعمال الرسل بالأسفار التاريخية، وجميعها سبعة وعشرون سفراً .

فالرسائل هي اثنان وعشرون رسالة ، الأولى تسمى رسالة أعمال الرسل وتنسب إلى لوقا صاحب الإنجيل .

وأربع عشرة رسالة كتبها بولس وهي :

رسالة إلى أهل رومية ، الرسالة الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس(١٩٤) ، رسالة إلى أهل غلاطية(١٩٥) ، رسالة إلى أهل أفسس ، رسالة إلى فيلبي(١٩٦) ، رسالة إلى أهل كولوسي(١٩٧) ، الرسالة الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكي(١٩٨) ، الرسالة الأولى والثانية إلى ثيموثاوس(١٩٩) ، رسالة إلى تيطس(٢٠٠) رسالة إلى فليمون(٢٠١) رسالة إلى العبرانيين ،

(١٩٤) هي عاصمة مقاطعة أخائية في بلاد اليونان (قاموس الكتاب المقدس) .

(١٩٥) هي ولاية في القسم الأوسط من شبه جزيرة آسيا الصغرى (المرجع السابق) .

(١٩٦) مدينة في مكدونية أسمها القديم " كرينيدس " أي الينابيع الصغيرة (المرجع السابق) .

(١٩٧) هي مدينة فريجية في آسيا الصغرى واقعة على نهر ليكوس (المرجع السابق) .

(١٩٨) هي إحدى المدن الرئيسية في مكدونية منذ العصور الهلينية . (دائرة المعارف الكتابية) .

(١٩٩) اسم يوناني معناه " عابد الله " آمن على يد بولس ، وكان رفيقه ومساعده في بعض رحلاته ، وكان يسميه بولس "الابن الحبيب الأمين " (قاموس الكتاب المقدس) .

(٢٠٠) هو أحد الذين آمنوا من اليونانيين على يد بولس الرسول ، وأصبح أحد الأصدقاء المقربين لبولس ورفيقه في بعض رحلاته . (دائرة المعارف الكتابية) .

(٢٠١) اسم يوناني ، معناه " محب " اعتنق المسيحية على يد بولس في مدينة أفسس أحد سكان كولوسي (قاموس الكتاب المقدس) .

ثم رسالة كتبها يعقوب[٢٠٢]، ورسالتان كتبها بطرس ، وثلاث رسائل كتبها يوحنا ، ورسالة كتبها يهوذا[٢٠٣] ورسالة أخرى تسمى " السفر النبوي " وهي رؤيا يوحنا [٢٠٤] .

ثانياً : المجامع : المجامع هي هيئات شورية في الكنيسة المسيحية [٢٠٥] .

وتنقسم المجامع إلى ثلاثة أقسام :

١. مجامع مسكونية وهي عامة عالمية .
٢. مجامع طائفية وهي خاصة بكل طائفة دون غيرها . □
٣. مجامع إقليمية وهي خاصة بإقليم مخصوص مثل مجمع خاص للأقباط[٢٠٦] في مصر . [٢٠٧] □

لقد تكونت وتبلورت عقيدة النصارى من خلال المجامع التي عقدت لأجل حل مشكلة ما ، أو مناقشة قضية كثر فيها الجدل ، ونشأ عنها الخلاف ، فيعقد المجمع لكي يفصل بين الطرفين ويقرر عقيدة ما ، ويؤيدها ، ويجعلها هي السائدة ، وهذا حال النصارى ، فعقيدتهم لم تتكون ولم تتخذ شكلها النهائي التي هي عليه اليوم إلا من خلال هذه المجامع .

---

(٢٠٢) هو يعقوب الكبير بن زيدي الكبير أحد الأثنى عشر ، والأخ الأكبر ليوحنا ، ابن خال يسوع (عيسى – عليه السلام–) وكان صياداً ثم ترك هذه المهنة وتبع يسوع (المرجع السابق) .

(٢٠٣) هو أخو يعقوب أو ابنه وأحد الأثنى عشر ، ويدعى أيضاً لياوس ، وتداوس وليس هو يهوذا الاسخريوطي . انظر المرجع السابق .

(٢٠٤) نقلاً عن النسخة البروتستانتية .

(٢٠٥) كتاب " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء " ص (٢٠٣) .

(٢٠٦) هي كلمة يونانية الأصل مفردها " قبط " معناها سكان مصر ، والأقباط من سلالة قدماء المصريين ، ويقصد بها المسيحيون المصريون (الموسوعة العربية الميسرة) .

(٢٠٧) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، ص (١٦) .

وبذلك يعتبرون المجامع أحد المصادر التي وضعت لهم أحكامهم التي يسيرون عليها في حياتهم[٢٠٨] .

ومن أهم هذه المجامع التي كان لها دور كبير في تكوين العقيدة النصرانية :

أولاً : مجمع نيقيه[٢٠٩] عام ٣٢٥م :

عقد هذا المجمع للقضاء على حركة أو دعوة " آريوس " التي كانت قائمة على التوحيد ، فاجتمع في نيقيه ٢٠٤٨ من الأساقفة[٢١٠] ولكن اختلفوا اختلافاً كبيراً ، فكان عدد الموحدين ١٣٧٠ شخصاً ، وعدد القائلين بألوهية المسيح – عليه السلام – ٣١٨ شخصاً ، فتكون الأغلبية للقائلين بالتوحيد ولكن قسطنطين[٢١١] الذي تم على يده عقد المجمع مال إلى اتباع بولس وأعطاهم خاتمه ، وسيفه ، وقضيبه الذي يدل على حكمه وقال لهم : آمركم أن تنشروا دينكم في الإمبراطورية ، وتقتلوا من يعارضكم .

وانتهى المجمع إلى قرارات كان من أهمها : إثبات ألوهية المسيح – عليه السلام – وتكفير " آريوس " واتباعه ، وتحريق جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح – عليه السلام – .

---

(٢٠٨) ومع العلم أن القائمين على هذه المجامع هم رجال اللاهوت فهم الذيهن وضعوا قراراتهم وشرعوا العقائد ، وأحلوا الحرام وحرموا الحلال ، ومنحوا للمجرمين صكوك الغفران ، فهم يعتبرون مصدراً مقدساً من المصادر التشريعية فهم بمثابة الكتاب المقدس " بعهديه " و المجامع عند النصارى .

(٢٠٩) من أعمال اسطنبول " عاصمة تركيا حالياً " على البر الشرقي (مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) .

(٢١٠) هي جمع أسقف وهي إحدى الألقاب الكهنوتية وهي مقتبسة من اللفظ اليوناني " أيسكوبوس " ومعناه " مشرف" (قاموس الكتاب المقدس) .

(٢١١) هو قسطنطين بن قسطنديوس كلوروس من زوجته هيلانه ، ولد في نيش من أعمال يوغسلافية سنة ٢٨٠م ، التحق بالجيش وهو في سن مبكرة من عمره ، أظهر شجاعة وبأساً وحنكة فرقي إلى رتبة قائد ، تولى عرش الإمبراطورية سنة ٣٢٣م . انظر : قصة الحضارة (٣٨٢/١١) .

ثانياً : مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م :

عقد هذا المجمع بعد مجمع نيقيه بستة وخمسين عاماً ، ولقد كثر الكلام حول "الروح القدس " هل هو إله أو أنه مخلوق محدث ، فعقد هذا المجمع من أجل تقرير عقيدة ألوهية " روح القدس " وبذلك استقرت عقيدة النصارى على عقيدة التثليث القائلة بألوهية " الآب ، والأبن ، الروح القدس " وأصبحت عقيدة جميع الكنائس النصرانية .

ثالثاً : مجمع أفسس الثاني عام ٤٤٩م :

بعد ذلك اختلفت الطوائف النصرانية في طبيعة المسيح ومشيئته ، هل هو ذو طبيعتين ومشيئتين – أي طبيعة لاهوتية بالإضافة إلى طبيعة ناسوتية ومشيئة لاهوتية بالإضافة إلى مشيئة ناسوتية أو ذو طبيعة ومشيئة واحدة أي طبيعة لاهوتية ومشيئة لاهوتية ، لقد ذهبت طائفة الأرثوذكس إلى أن للمسيح طبيعة واحدة لاهوتية ، ومشيئة واحدة لاهوتية ، وذهبت طائفة الكاثوليك إلى أن المسيح ذو طبيعتين لاهوتية وناسوتية ومشيئتين لاهوتية و ناسوتية .

وقد قرر هذا المجمع رأي طائفة الأرثوذكس القائلة بأن للمسيح طبيعة واحدة ، ومشيئة واحدة .

رابعاً : مجمع خلقيدونية(٢١٢)عام ٤٥١م :

عقد هذا المجمع من أجل تقرير عقيدة طائفة الكاثوليك وهي أن المسيح ذو طبيعتين ومشيئتين .

خامساً : المجمع الغربي اللاتيني عام ٨٦٩م :

ثم اختلفت طوائف النصارى حول انبثاق " الروح القدس " هل هو منبثق من الأب فقط أو أنه منبثق من الاب والابن معاً .

فعقد هذا المجمع في القسطنطينية برئاسة رئيس كنيسة روما ، وأصدر قراره القائل بانبثاق الروح القدس من الأب والابن معاً .

---

(٢١٢) هي مدينة إغريقية قديمة في آسيا الصغرى على ضفة البسفور في مواجهة بيزنطة (الموسوعة العربية الميسرة).

سادساً : المجمع الشرقي اليوناني عام ٨٧٩م :

عقد هذا المجمع برئاسة بطريرك القسطنطينية فوسيوس [٢١٣] وأصدر قراره القائـل بانبثاق الروح القدس من الأب وحده [٢١٤] .

---

(٢١٣) بطريرك القسطنطينية الذي أثار في عام (٨٦٩م) مسألة انبثاق الـروح القـدس مـن الأب وحـده فعارضـه — كالعادة— بطريرك روما وقال : إن انبثاق الروح القدس في الأب والابن معاً ، وعقد لذلك مجمـع القـسطنطينية الرابع عام ٨٦٩م ، وأقر بكلامه بطريرك روما وجعله المصدر لكل النصارى في العالم ، ولـذلك تم لعـن وعـزل فوسـيوس وحرمانـه وأتباعـه إلاّ أن فوسـيوس اسـتطاع أن يعـود إلى مركـزه مـرة أخـرى وفي عـام ٨٧٩م عقـد المجمع الشرقي اليوناني (القسطنطينية الخامس) ليلغي قرارات المجمع السابق ، ويعلن أن الـروح القـدس منبثقة من الآب وحده ، ويدعو إلى عدم الاعتراف إلاّ بالمجامع السبعة التي أخرجهـا مجمـع نيقيـه ٧٨٧م . انظر : الموسوعة الميسرة .

(٢١٤) انظر : محاضرات في النصرانية ص (١٢٠) ، وأدلة الوحدانية في الرد علـى النـصرانية ، محمـد بـن صـفي الدين الحنفي ، ص (٣٧–٤٧) تحقيق : عبد الرحمن محمد سعيد دمشقية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م ، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٢٤/١–٢٨) .

المطلب الثاني : فطرية التوحيد في القرآن الكريم

إن علم التوحيد أشرف العلوم وأجلها ، بما له من مكانة عظيمة في حياة الفرد المسلم، فالواجب على كل مسلم تعلم هذا العلم والحث عليه ، لأنه العلم بالله وأسمائه وصفاته ، وكيفية عباداته ، ولأنه الطريق لمعرفة الله وشرائعه ، ولمغفرة الله ورضوانه .

قال تعالى : M r s t u v w x y z { | } ~ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ L [٢١٥]

إن الدين الإلهي هو عقيدة التوحيد الخالصة ، وهو الأصل في حياة البشرية ، منذ أن خلق الله آدم – عليه السلام – وبنيه بخلاف ما تدعيه النظريات المادية ، والفلسفية وبعض علماء الاجتماع ، وبعض الكتاب المحدثين ، الذين يزعمون أن البشرية في أول أمرها كانت لا تعرف التوحيد ، وكانت على الشرك وأن الناس كانوا يعبدون ما حولهم من المخلوقات التي كانوا يخافونها أو يرجونها مثل الشمس ، والكواكب ، وبعض الحيوانات.

وظاهر قول هؤلاء " أصحاب النظريات " : أن الشرك كان سابقاً للتوحيد ، وأن التوحيد لم تعرفه البشرية إلا بعد مرورها بمرحلة الإشراك بالله عز وجل .

وهذا قول يعارضه الشرع ، والعقل ، والمنطق ، فإن الإنسان أول ما عرف التوحيد ، ثم بدأ بالانحراف فتدرج به الأمر إلى أن وقع الشرك . [٢١٦]

---

(٢١٥) سورة النساء ، آية (٤٨) .

(٢١٦) انظر : الدين ، محمد عبد الله دراز ، ص (١٠٦–١١٤) .دار القلم / الكويت . وانظر: (الله) كتاب في نشأة العقيدة الإلهية ، عباس محمود العقاد ص (٧–٤٠) ، الطبعة السادسة ، دار المعارف بمصر .

وقول الله أصدق وأجل . حيث قال تعـالى : M N O P Q R S T U V L[217] .

وكذا قوله تعالى : M ´ µ ¶ ¸ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ L[218] .

وهذا أيضاً ما يوضحه حديث ابن عباس – رضي الله عنه – حيث قـال : كـان بـين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحـق فـاختلفوا فبعـث الله النبـيين مبـشرين ومنذرين"[219] .

ويلاحظ أن ابن كثير يرجح : أن الناس كانوا على التوحيد ، وأن الشرك أمر طارئ حدث بعد أحقاب من الزمان ، ثم أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين .[220]

وبهذا يظهر لنا رجحان من قال بفطرية التوحيد وذلك لأسباب منها :

١. أن هذا القول هو الموافق للواقع ، فإن الناس في عهد آدم – عليه السلام – وهم أولاده وأحفاده – كانوا على ملته في التوحيد – ثم طرأ الشرك والـضلال بعـد قرون .

---

(٢١٧) سورة البقرة ، آية (٢١٣) .

(٢١٨) سورة يونس ، آية (١٩) .

(٢١٩) أخرجـه الحـاكم في المستدرك (٤٤٢/٢) ، وقـال الحـاكم : هـذا حـديث صـحيح علـى شـرط البخـاري ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وأخرجـه أبـي يعلـى في مـسنده (١٠١/٣) ، وذكـره الحـافظ الهيثمـي في مجمـع الزوائد ومنبع الفوائد (٣١٨/٦-٣١٩) . وعزاه إلى أبي يعلى والطبرانـي باختـصار ، وقـال رجـال أبـي يعلـى رجال الصحيح ، وقال أيضاً رواه البزار وفيه عبد الـصمد بـن النعمـان ، وثقـه ابـن معـين وقـال غـيره لـيس بالقوي ، واللفظ المذكور للحاكم .

(٢٢٠) انظر : تفسير القرآن العظيم (٢٥٧/١) .

٢. أيضاً هذا القول موافق لما دلت عليه الآيات والأحاديث من أن الله تعالى فطر عباده على توحيده عز وجل[٢٢١] مثل قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[٢٢٢] .

يقول ابن تيمية[٢٢٣] رحمه الله : " الفطرة : هي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة " [٢٢٤] .

وقوله (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الصحيح : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة هل ترى فيها من جدعاء[٢٢٥]"[٢٢٦] .

وأيضاً الحديث القدسي الذي يرويه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن ربه تبارك وتعالى فيه : " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم "[٢٢٧] .

---

(٢٢١) انظر : دعوة التوحيد ، د/ محمد خليل هراس ، ص (١٠٨-١٠٩) بتصرف ، مكتبة الصحابة .

(٢٢٢) سورة الروم ، آية (٣٠) .

(٢٢٣) هو شيخ الإسلام أبي العباس بن تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي ، المجتهد المطلق ، محي السنة ، وقامع البدعة والمعتصم بالسنة ، ولد سنة إحدى وستين وستمائة ، مات معتقلاً بقلعة بدمشق . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، الحافظ شهاب الدين الشهير بابن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ، دائرة المعارف العثمانية.

(٢٢٤) مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٥/٤) ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

(٢٢٥) هي التي قطع طرف من أطرافها . انظر : المعجم الوسيط ، لمجموعة من المؤلفين ، دار الفكر .

(٢٢٦) البخاري ، ك : الجنائز ، ب : ما قيل في أولاد المشركين ، ح (١٣٨٥) .

(٢٢٧) مسلم ، ك : الجنة ونعيمها ، ب : الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، ج (٧١٣٦) .

فبذلك يكون قد ثبت بالقرآن الكريم ، وصحيح السنة النبوية المطهرة ، وإجماع جمهور العلماء : أن الله عز وجل خلق الناس حنفاء موحدين ، مخلصين له الدين وقد فطرهم على التوحيد الخالص ، وأن الشرك والضلال والانحراف ، إنما هو أمر طارئ حدث بعد أحقاب من الزمان . وبذلك يكون التوحيد والصلاح هما الأصل ا لذي كانت عليه البشرية ، منذ أول وجودها ، وأن الشرك والفساد هي أمور طارئة بما كسبت أيدي الناس.

فالتوحيد لغة : هو من الفعل الثلاثي " وحد " مصدر وحد يوحد ، والواحد بني على انقطاع النظير وعوز المثل ، والوحدة هي الانفراد والتوحد ، قال : هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر [٢٢٨] .

شرعاً : هو اعتقاد تفرد الله تعالى بالربوبية وإخلاص العبادة له – أي توحيد الإلوهية وإثبات ماله من الأسماء والصفات ، وقد فسر أهل السنة التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل . [٢٢٩]

وقيل : " التوحيد مصدر وحد يوحد ،ومعنى وحدت الله اعتقدته منفرداً بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه ، وقيل : معنى وحدته علمته واحداً ، وقيل : سلبت عنه الكيفية والكمية فهو واحد في ذاته لا انقسام له ، وفي صفاته لا شبيه له في إلهيته وملكه وتدبيره لا شريك له ولا رب سواه ولا خالق غيره " [٢٣٠] .

---

(٢٢٨) لسان العرب ، مادة وحد .

(٢٢٩) العقيدة الصافية للفرقة الناجية ، سيد عبد الغني ، ص(٢٣١) ، الطبعة الرابعة ١١٤٢٢هـ–٢٠٠١م ، دار طيبة الخضراء / مكة المكرمة .

(٢٣٠) فتح الباري لشرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ بن حجر العسقلاني (٩١٥٠/١٥) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

فهـذا مفهـوم التوحيـد في القـرآن الكـريم ، حيـث إن كـل آيـة في القـرآن الكـريم متضمنة[٢٣١] للتوحيد وشاهدة به ، وداعية إليه .

ولم يرد لفـظ التوحيـد صـراحة في القـرآن الكـريم ، ولكـن جـاءت ألفـاظ متـضمنة للتوحيد، أو دالة على معناه المتضمن للفظ .

فالقرآن الكريم وضح أقسام التوحيد ، بـل إن غالـب سـور القـرآن متـضمنة لنـوعي التوحيد ، بل كل سورة في القرآن الكـريم " إمـا خـبر عـن الله وأسمائـه وصـفاته وأقوالـه وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري " توحيد الربوبية والأسماء والصفات " وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه ، فهو التوحيـد الإرادي الطلـبي " توحيد الإلوهية " ، وإمـا أمـر ونهـي ، وإلـزام بطاعتـه وأمـره ونهيـه ، فهـو حقـوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم في الآخرة، فهو جزاء توحيده ، وإما خبر عن أهل الـشرك ومـا فعـل بهـم في الـدنيا مـن النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب ، فهو جزاء مـن خـرج عـن حكـم التوحيـد ، فالقرآن كله في التوحيد ، وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم " [٢٣٢] .

---

(٢٣١) التضمن لغة : هو الاحتواء والاشتمال ، واصطلاحاً : هو إحدى دلالات اللفظ علـى المعنـى كدلالـة الإنـسان على الناطق (المعجم الفلسفي) .

(٢٣٢) فتح المجيد بشيء من التصرف ، الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ ص(١٢) . مراجعة عبد العزيز بـن بـاز ، المكتبة الفيصلية / مكة المكرمة .

ولذلك قسم علماء الأمة الإسلامية أنواع التوحيد إلى ثلاثة أقسام حسب ورودها في القرآن الكريم ، ومنهم من قسمه إلى قسمين حسب شمول المعنى وهذا التقسيم لا يخرج عن نطاق مفهوم التقسيم إلى ثلاثة أقسام .

أنواع التوحيد :

١. توحيد الربوبية :

الرب في اللغة : المالك المدبر(٢٣٣) وقيل في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام . (٢٣٤)

ولا يطلق الرب مطلقاً إلا على الله تعالى ، وإنما إذا أطلق على غيره أضيف فيقال " رب كذا " .

شرعاً : هو بأن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربّى جميع الخلق بالنعم وربى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة. (٢٣٥)

وبعبارة أخرى : هو توحيد الله بأفعاله سبحانه وتعالى .

---

(٢٣٣) المصباح المنير ، أحمد المقري الفيومي ، المطبعة الأميرية / القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٥٦م .

(٢٣٤) المفردات في غريب القرآن ، الحسين الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة / بيروت .

(٢٣٥) كتاب التوحيد ، الإمام محمد بن عبد الوهاب ، (ص١٣) ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ-١٩٩١م ، مكتبة العلم بجده.

وقد أفصح القرآن الكريم عن هذا النوع من التوحيد جد الإفصاح ، ولا تكاد سورة من سور القرآن الكريم تخلو من ذكره أو الإشارة إليه ، فهو الأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى ، لأن الخالق الرازق المدبر هو الجدير وحده بالتوجه إليه بالعبادة والخضوع ، والمستحق وحده للحمد والشكر والذكر ، وتنزيه الذات و كامل صفات الجلال والجمال والكمال ، ولأن هذه الصفات لا تكون إلا لرب العالمين ، إذ يستحيل ثبوت الربوبية والملك لمن ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا متكلم ولا فعال لما يريد ، ولا حكيم في أقواله وأفعاله.[٢٣٦]

وقد قامت الأدلة الشرعية على وجوب إثبات توحيد ربوبية الله سبحانه وتعالى وضابطها أن كل دليل ورد فيه اسم الرب أو الحمد تصريحاً ، أو ذكر خاصية من خصائص الربوبية كالإحياء ، والإماتة ، والخلق ، والبعث ، ونحو ذلك .

ففي مقام الحمد قال تعالى : M & ' ( ) * L[٢٣٧]

ويقول سبحانه وتعالى : M N O P Q R S T U V L[٢٣٨]

وفي مقام الاستسلام والانقياد لله ، قال تعالى : M { ~ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ © L[٢٣٩] .

وقال تعالى : M n o p q r s t u v w L[٢٤٠] .

وقال تعالى : M وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ L[٢٤١] .

وقال تعالى : M T U V W X Y Z [L[٢٤٢] .

---

(٢٣٦) انظر : فتح المجيد ص (١٣) .
(٢٣٧) سورة الفاتحة ، آية (٢) .
(٢٣٨) سورة الجاثية ، آية (٣٦) .
(٢٣٩) سورة الأنعام ، آية (٧١) .
(٢٤٠) سورة الأعراف ، آية (٥٤) .
(٢٤١) سورة الشعراء ، آية (٨٠) .
(٢٤٢) سورة الذاريات ، آية (٥٨) .

فتوحيد الربوبية قد أقرت به سائر الأمم إما ظاهراً وباطناً مثل قوله تعالى : M وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ © وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ L [٢٤٣] ، وقوله تعالى : M وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ L [٢٤٤] .

وكان هذا حال مشركي مكة في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فهم مؤمنون بتوحيد الربوبية ولم يشكوا ويكفروا به .

ومن الأمم التي آمنت به باطناً فقط وكفرت ظاهراً ، وقال الله تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - L [٢٤٥] .

ومن أمثلة ذلك فرعون في زمن موسى– عليه السلام – ، والنمرود في زمن إبراهيم – عليه السلام – ، فقد فسدت فطرتهم بطارئ ما فكان جحودهم ظاهراً فقط دون الباطن ، وإلا فقد ظهرت ملامح فطرية المعرفة الباطنية في فرعون عند غرقه في البحر حينما قال ءآمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، قال تعالى : M - . / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J L [٢٤٦] .

فظهرت مكامن الفطرة السليمة للإقرار بوجود الله ومعرفته التي طمست وفسدت بطارئ ما مثل اجتيال الشياطين أو بفعل المربين أو غير ذلك . إذ معرفة الله أو معرفة وجود الله " أي توحيد الربوبية " أمر فطري مستقر في النفوس البشرية ، فهو أمر لا يحتاج إلى نظر أو استدلال إلا عند فساد الفطرة بطارئ ما كاجتيال الشياطين أو بفعل

(٢٤٣) سورة لقمان ، آية (٢٥) .

(٢٤٤) سورة الزخرف ، آية (٨٧) .

(٢٤٥) سورة النمل ، آية (١٤) .

(٢٤٦) سورة يونس ، آية (٩٠) .

المربين أو الغفلة ، ومن فسدت فطرته تكون المعرفة نظرية في حقه ، ولكن بالطرق الشرعية دون البدعية[٢٤٧] .

والطرق الشرعية هي النظر في ملكوت السماوات والأرض ، والنظر في الأنفس والآفاق.

فالقرآن الكريم بين الطرق الشرعية التي تدل على الخالق سبحانه وتعالى ، فالمؤمن يزداد بها إيماناً ، والكافر توقظ فيه الفطرة الإيمانية ليؤمن بخالقه وربه .

فأمر سبحانه بالنظر في ملكوت السماوات والأرض ، قال تعالى : M z { | } ~ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن © قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ L[٢٤٨].

وقال تعالى : M P Q R S T U V W X Y Z [\ L[٢٤٩].

M s t u v w x y z | } ~ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ © L[٢٥٠].

وأمرنا سبحانه بالنظر في الأنفس والآفاق ، قال تعالى : M سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ L[٢٥١].

وقال تعالى : M 3 4 5 6 7 L[٢٥٢].

وقال تعالى : M فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ L[٢٥٣].

---

(٢٤٧) انظر : الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد ، رسالة ماجستير ، سعود العريفي ، ص (١٦٢) .

(٢٤٨) سورة الأعراف ، آية (١٨٥) .

(٢٤٩) سورة ق ، آية (٦) .

(٢٥٠) سورة العنكبوت ، آية (٢٠) .

(٢٥١) سورة فصلت ، آية (٥٣) .

(٢٥٢) سورة الطارق ، آية (٦) .

(٢٥٣) سورة عبس ، آية (٢٤) .

وقال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 3
4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F
G H J K L L[٢٥٤].

(٢٥٤) سورة القصص ، آية (٧١–٧٢) .

فهناك طرق معرفة ومظاهر تدل على الخالق نبه إليها الكتاب العزيز منها :

١. دلالة الخلق والاختراع : يراد بهـذه الدلالـة : مـا ظهـر مـن اخـتراع جـواهر الأشياء الموجودة[٢٥٥] أي إيجادها من العدم .

قال تعالى : M y z { | } ~ شَيْـًٔا ⑨ L[٢٥٦] **دلت الآية الكريمة على حاجة المخلوق إلى خالق ضرورة .**

٢. دلالة العناية : ويراد بها ما نشهده ونحـسه مـن الاعتنـاء بالمخلوقـات عمومـاً وبالإنسان على وجه الخصوص ، ويتضح ذلك في قوله تعالى : M4 5 6 7 8 L[٢٥٧].

وقال تعالى : M g h i j k l m n o p q r L[٢٥٨].

وقال تعالى : M 3 4 5 6 7 8 9 : ; < L[٢٥٩].

٣. دلالة الإتقان والتقدير : ويتضح معناها في قوله تعـالى : Mصُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ à â خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ⑧⑧ L[٢٦٠] .

وقال تعالى : M t u v w x L[٢٦١].

وقال تعالى : M> ? @ A B C D L[٢٦٢].

---

(٢٥٥) انظر : الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، محمد أحمد أبو الوليد ابن رشد، ص(٦٠) .

(٢٥٦) سورة مريم ، آية (٩) .

(٢٥٧) سورة النبأ ، آية (٦-١٦) .

(٢٥٨) سورة الفرقان آية (٦١) .

(٢٥٩) سورة الطارق ، آية (٦-٧) .

(٢٦٠) سورة النمل ، آية (٨٨) .

(٢٦١) سورة السجدة ، آية (٧) .

(٢٦٢) سورة الملك ، آية (٢) .

وقال تعالى : M إِنَّا كُلَّ à خَلَقْنَهُ â ﴿٤٩﴾ L[٢٦٣].

٤. دلالة التسخير والتدبير : فهذه الدلالة " تدل على الخالق من جهة الخضوع الكوني العام لسيطرة قاهرة تامة لا تملك الخروج عنها ذرة واحدة " [٢٦٤].

قال تعالى : M9 : ; < L[٢٦٥]، وقال تعالى : M h i j k l L[٢٦٦].

٥. دلالة التخصيص : ومعنى هذه الدلالة أنه يجوز عقلاً أن يكون كل جزء من العالم على خلاف صورته وصفته وحالته التي هو عليها الآن ، مثال ذلك قوله تعالى : M3 4 5 6 7 8 9 : ; < = L[٢٦٧]، وقال تعالى : M لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ´ L[٢٦٨].

فالمستند الشرعي لهذه الدلالة في الآيات القرآنية هو إمكان تحول المخلوقات إلى مقادير مضادة تماماً لما هي عليه الآن . [٢٦٩]

ومراد السلف بفطرية المعرفة بالخالق إنما هو المعرفة الإجمالية أما التفصيلية فلا سبيل إليها سوى الوحي . [٢٧٠]

---

(٢٦٣) سورة القمر ، آية (٤٩) .

(٢٦٤) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد ، ص (٢٠٢) .

(٢٦٥) سورة الشورى ، آية (١٢) .

(٢٦٦) سورة الأعراف ، آية (٥٤) .

(٢٦٧) سورة الفرقان ، آية (٤٥) .

(٢٦٨) سورة الواقعة ، آية (٧٠) .

(٢٦٩) انظر : بين ابن تيمية وابن رشد في الإلهيات . منيف العتيبي (٣٦٢/١) رسالة ماجستير من جامعة أم القرى.

(٢٧٠) انظر : بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢٤٨/١) تصحيح : محمد عبد الرحمن قاسم ، الطبعة الأولى .

إذاً : فالمعرفة الإجمالية هي : أن كل إنسان ولد على صفة تقتضي إقراره بأن له خالقاً مدبراً قوياً عليماً ، ويستوجب منه ذلك معرفته سبحانه وتألهه له و حده .

والسلف في قولهم بفطرية معرفة الخالق لا ينكرون الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى بإطلاقه ، بل يعتبرونه واجباً " بالطرق الشرعية " لمن فسدت فطرته ، وأنكر الخالق أمثال النمرود[٢٧١] وفرعون[٢٧٢] والدهرية [٢٧٣] ويعتبرونه أعظم الشفاء وأحسن الدواء ، وينكرون ما يذهب إليه أهل الكلام [٢٧٤] من جعل النظر طريقاً لتحصيل المعرفة بالخالق في حق جميع الناس دون تفصيل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " المعرفة وإن كانت ضرورية في حق أهل الفطرة السليمة فكثير من الناس يحتاج فيها إلى النظر ، والإنسان قد يستغني عنه في حال ويحتاج إليه في حال " [٢٧٥] .

ويعتبر السلف جميع ما ورد في القرآن الكريم من الآيات الآمرات بالنظر في ملكوت السماوات والأرض ، وما خلق الله من شيء ، والنظر في الأنفس والآفاق من أعظم وأجل

---

(٢٧١) هو ملك زمانه ، نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، معاصر لنبي الله إبراهيم – عليه السلام – أدعى الربوبية وكذب بدعوة إبراهيم – عليه السلام – فأهلكه الله . تاريخ الطبري (١٧٢/١-١٧٤) . دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

(٢٧٢) قيل هو الوليد بن مصعب بن معاوية ، كان فرعون مصر في زمن نبي الله موسى – عليه السلام – وهو ممن ادعى الربوبية ، كما أخبر القرآن ، فأهلكه الله بالغرق ، المرجع السابق (٢٣١/١) .

(٢٧٣) طائفة من الملاحدة ، يضيفون التأثير إلى الدهر كما نفهم من تسميتهم ، وقد أبطل القرآن قولهم بأنه لا دليل عليه أصلاً في قوله تعالى : M ; < = > ? @ A B C D E F H I J K L NOP Q R L الجاثية : ٢٤ . انظر : البرهان في معرفة أهل الأديان ، عباس أبو الفضل السكسكي ، ص(٨٨) ، تحقيق د/ بسام سلامة ، مكتبة المنار ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

(٢٧٤) هم الفرق الكلامية كالأشاعرة والمعتزلة ، وقد خالفوا السلف في منهجهم في مصادر الدين وتقريره وأصوله ، انظر : رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع ، د/ ناصر العقل ص(١٧٤) ، دار الوطن للنشر / الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

(٢٧٥) درء تعارض العقل والنقل (٣٠٤/٣) .

الأسباب والدواعي لزيادة الإيمان واليقين كما كان شأن الخليل – عليه السلام – في قولـه تعالى : M ! " # $ % & ' (| * + , . · / 0 1 2 L[٢٧٦] .

فالاستدلال على وجود الله عند السلف لأمرين :

١. واجب لمن فسدت فطرته بطارئ ما كمنكري الخالق عـز وجـل ، ويكـون ذلـك من أعظم الشفاء وأحسن الدواء .

٢. جائز لزيادة الإيمان واليقين كما كان شأن الخليل – عليـه الـسلام – " وعلـى أننا لا ننكر النظر بقدر ما ورد به الكتاب والسنة ، لينال المؤمن بذلك زيـادة اليقين ، وثلج الصدر ، وسكون القلب " [٢٧٧] .

فالسلف لا يحرمون النظر مطلقاً ، وإن المحرم عندهم إنمـا هـو النظـر البـدعي أي النظر في دلائل المتكلمين المبتدعة كدليل الجواهر[٢٧٨] والأعراض[٢٧٩] وحـدوث العـالم[٢٨٠] والتي يجعلونها أصول دينهم ، بل ويجعلونها أول الواجبات ويقدمونه على الإيمان .

قال ابن تيمية : " إن غالب المتكلمين يعتقدون أن الله لا يعرف إلا بإثبـات حـدوث العالم " [٢٨١] .

---

(٢٧٦) سورة البقرة ، آية (٢٦٠) .

(٢٧٧) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ؛ جلال الدين السيوطي ص(١٧١) . تعليق : علي سـامي النـشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى.

(٢٧٨) الجوهر هو آنية الشيء وعينه وذاته وهـو الموجـود القـائم بنفـسه حادثـاً أو قـديماً (المعجـم الفلـسفي) ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، دار الكتب العلمية / بيروت . الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .

(٢٧٩) العرض هو معنى زائد على ذات الجوهر ، والعرض عند العلماء موجـود قـائم بمتحيـز . انظـر : المعجـم الفلسفي.

(٢٨٠) الحدوث هو الخروج من العدم إلى الوجود ، والحـدوث الـذاتي هـو مـا يحتـاج وجـوده إلى الغـير ، فـالعلم بجميع أجزائه محدث بالحدوث الذاتي ، (المرجع السابق) .

(٢٨١) مجموع الفتاوى (٢٢/٢) .

أما النظر الشرعي في الدلائل الشرعية المبثوثة في آيات الأنفس والآفاق في آيات القرآن الكريم فهي عند السلف من أعظم أسباب ودواعي زيادة الإيمان ، لكنهم لا يوقفون صحة الإيمان عليه ، ولا يجعلونها أول الواجبات ، بل أول الواجبات على المكلف هو عبادة الله وحده لا شريك له ، والإيمان به ورسله ، وهذا خلاص توحيد الإلوهية[٢٨٢] .

والمجمع عليه عند المسلمين أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن يطلب من المؤمنين إظهار الأدلة على صحة إيمانهم بوجود الله عز وجل ، بل ولم يكن يناظر الكفار قبل قتالهم ، إنما كان يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد مباشرة . بل الواضح كل الوضوح الإيمان الجازم بتوحيد الربوبية عند جميع الأمم المشركة بالله عز وجل ، فقد كان ذلك واضحاً وجلياً عند مشركي العرب زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم)عند قولهم باعتذارهم عبادة غير الله ، ويتضح ذلك في قوله تعالى : M [\ ] ^ _ ` a b c d e f L[٢٨٣] ، ففي قولهم هذا دلالة واضحة على إيمانهم بوجود الله عز وجل وربوبيته سبحانه وتعالى ، وكان أمراً فطرياً ضرورياً في نفوسهم .

وعندما نتأمل الدلائل العقلية على وجود الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة المتمثلة في دلائل الأنفس والآفاق نجدها سيقت أصلاً من أجل تقرير قضيتين وهما :

١. إفراد الله تعالى بالعبادة " توحيد الألوهية" .

٢. الإيمان بالبعث والجزاء .

ونجد أن إثبات وجود الله تعالى " توحيد الربوبية " يأتي ضمناً في هذه الدلائل فإن المتأمل لا يكاد يقف على آية تقتصر على الدلائل على وجود الله دون أن تتضمن الدلالة على توحيد العبادة ، ولا يعد ذلك إهمالاً أو قصوراً في الاستدلال على وجود الله ، بل لأن

---

(٢٨٢) انظر : العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، أبو عبد الله بن الوزير (٤/٧٦-٧٧) . تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الثانية/ ١٤١٢هـ .

(٢٨٣) سورة الزمر ، آية (٣) .

المستند الأكبر والمعمول عليه في قضية وجود الله هو المعرفـة الفطريـة الـضرورية الـتي لا تحتاج إلى نظر أو استدلال .

وإن كل نفس بشرية تعرف بالضرورة أنها مخلوقة مدبرة ، وإنما وقـع الكفـر[٢٨٤] وإنكار الصانع من بعض الناس لفساد فطرتهم .

وغالب ما ورد في القرآن الكريم من دلائل الربوبية جاءت في صورة تنبيه وتذكير ؛ وإثارة الفطر والعقول ، وتزيل ما ران عليها فحال بينها وبين مقتضاها ، وتـذكرها بمـا فطرت عليه من العلم الذي به يعرف الرب .

قال شيخ الإسلام : " والمقصود هنا أنه ليس في الرسل من قال أول مـا دعـا قومـه : إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق ، فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه .

فلم يكلفوا أولاً بنفس المعرفة ، ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة ، إذ كانـت قلـوبهم تعرفه وتقربه ، وكل مولود يولد على الفطرة ، لكن عرض للفطرة ما غيرهـا ، والإنـسان إذا ذكر ذكر ما في فطرته .

ولهـذا قـال الله في خطابـه لموسـى : M x y z { | } ~ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ L[٢٨٥] مـا في فطرتـه من العلم الذي بـه يعـرف ربـه ، ويعـرف إنعامـه عليـه ، وإحـساناته عليـه ، وافتقاره إليه ، فذلك يدعو إلى الإيمان (أو يخشى) ما ينذره من العـذاب – فـذلك أيـضاً يدعو إلى الإيمان"[٢٨٦].

---

(٢٨٤) الكفر في اللغة : التغطية والستر (انظر : المعجم الوسيط) . وشرعاً هو ضـد الإيمـان ، وهـو عـدم الإيمـان بالله ورسله ، وسواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب ، بل شك وريب ، أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً ، أو إتباع لبعض الأهواء الصارفة عـن إتبـاع الرسـالة . (مجمـوع الفتـاوى (٣٣٥/١٢) . وقيـل هـو : جحـد مـا لا يـتم الإسـلام بدونـه أو كمالـه (المـدخل لدراسـة العقيـدة الإسـلامية) د/ إبـراهيم البريكـان ، ص(١٨١)، دار السنة .

(٢٨٥) سورة طه ، آية (٤٤) .

(٢٨٦) مجموع الفتاوى (٣٣٨/١٦) .

وقد انشغل المتكلمون في كتبهم بإثبات توحيد الربوبية " إثبات الدلائل الدالة على وجود الله أو إثبات صانع العالم " ، المعروف عند جميع البشر فطرة ، وأهملوا الكلام عن توحيد الألوهية الذي هو قطب الرحى في دعوة الرسل .

قال ابن تيمية : " أما المتكلمون فغرضهم في الغالب إنما هو إثبات صانع العالم ... فأما الأنبياء فأول دعوتهم : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله " [٢٨٧] .

وقال في موضع آخر : " لكن المتكلمين إنما انتصبوا لإقامة المقاييس العقلية على توحيد الربوبية ، وهذا مما لم ينازع في أصله من بني آدم " [٢٨٨] .

حيث إنه لم يأت رسول أول ما دعا قومه بأنهم مأمورون بطلب معرفة الله وإثبات الدلائل على وجوده ، بل جميع الرسل كانت دعوتهم في قوله تعالى : M < = > ? @ A B L [٢٨٩] .

وقال ابن تيمية : " إن أصل العلم الإلهي فطري ضروري ، وأنه اشد رسوخاً في النفوس من مبدأ العلم الرياضي كقولنا : إن الواحد نصف الاثنين " [٢٩٠] .

فابن تيمية يبين لنا أن العلم بالله " توحيد الربوبية " فطري ضروري ، وأنه أشد رسوخاً من الأمور البديهة البسيطة عند كل إنسان .

وحيث إن إقرار الناس بوجود الله " توحيد الربوبية " ليس أمراً ممتدحاً ، فإن إبليس يشاركهم في الله بأتم المعرفة، ولا يترتب على ذلك إيمان في الدنيا ولا نجاة في الآخرة ، وإنما الإيمان والنجاة في الالتزام بمقتضى هذا الإقرار الفطري بتحقيق توحيد الألوهية والخلوص من الشرك وعبادة الله وحده لا شريك له ، حيث إن توحيد الربوبية

---

(٢٨٧) المرجع السابق (٢/٢١-٢٣) .

(٢٨٨) المرجع السابق (٢/٣٧) .

(٢٨٩) سورة الأعراف ، آية (٥٩) .

(٢٩٠) مجموع الفتاوى (٢/١٥) .

لا يكفي في إيمان العبد ، ولا يخرجه من دائرة الكفر إلى الإيمان حيث إنه بعض التوحيد الواجب لا كله " [291] .

فقد حكى الله سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم كانوا مقرين بأن الله وحده هو الخالق لكل شيء وهو المحي المميت وظلوا مع ذلك مشركين لأنهم لم يوحدوا الله في ألوهيته فعبدوا آلهة غيره، قال تعالى : M 9 : ; < = > ? @ L[292] .

أي أنهم وحدوا الربوبية ولم يوحدوا الألوهية فإن سألتهم من خلق كذا ؟ ليقولن : الله

.

٢. توحيد الألوهية :

الألوهية مشتقة من الإله بمعنى المألوه المعبود والمطاع الذي يستحق العبادة [293] .

تعريفه : هو الاعتقاد الجازم بإفراد الله سبحانه وتعالى في العبادة والطاعة وحده لا شريك له ، أو هو توحيد الله بأفعال العباد [294] .

فتوحيد الألوهية هو لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق سوى الله تعالى .

فهو أول واجب على المكلف ، فتوحيد الألوهية أول ما يدخل به في الإسلام، وأخر ما يخرج به من الدنيا ، كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة " [295] .

---

(٢٩١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ص (٢١-٢٣) مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

(٢٩٢) سورة يوسف ، آية (١٠٦) .

(٢٩٣) فتح المجيد ، ص (١٣) .

(٢٩٤) انظر : المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، ص (١١٠) ، وكتاب التوحيد ، محمد بن عبد الوهاب ص (١٤) .

(٢٩٥) أخرجه ابن حبان (٧١٩) ، وله شاهد بسند حسن عند أبي داود (٣١١٦) وأحمد (٥/٢٣٣-٢٤٧) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/٢٢١) ، والخطيب (١٠/٣٣٥) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٤٣) ،

وقد غلط المتكلمون حينما ظنوا أو زعموا أن التوحيد المطلوب تحقيقه وإثباته هو توحيد الربوبية دون الألوهية ، ولقد أتعبوا أنفسهم في إثبات ذلك ، رغم أنه أمر فطري عند كثير من الأقوام المشركة أمثال الثنوية[٢٩٦] من المجوس[٢٩٧] والنصارى[٢٩٨] .

وغلط المتكلمون في تفسير مدلول كلمة " لا إله إلا الله " وفسروا " الإله " بالقادر على الاختراع فهم بذلك لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء ، وكانوا مع هذا مشركين .

كما قال تعالى: M 9 : ; < = > ? @ L[٢٩٩] .

فليس كل من أقر بأن الله رب كل شيء و خالقه يكون عابداً لله دون سواه وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء ، وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به ، وجعلوا له أنداداً .

قال تعالى : M r s t u v w x y z { | } ~ ٱللَّهِ L[٣٠٠] فالمشهور عند المتكلمين أهل النظر " القائلين بأن أول واجب على المكلف النظر " إثبات توحيد الربوبية " إثبات وجود الله " بدليل التمانع[٣٠١] وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى : M لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ ´ µ ¶ L[٣٠٢] .

وصححه الحاكم (١/٣٥١) ، ووافقه الذهبي ، وفي الباب عن طلحة بن عبيد الله عند أحمد (١/١٦١) بسند صحيح ، وصححه ابن حبان (٢٠٥) .

(٢٩٦) هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس ، فإنهم قالوا بحدوث الظلام . الملل والنحل (١/٢٤٤) .

(٢٩٧) هم ملة وثنية يزعمون أن العالم مكون من أصلين هما النور ، وهو " يزدان " وهو أزلي قديم ، والظلمة وهو "أهرمان " وهو محدث مخلوق : أنظر : المرجع السابق (١/٢٣٣) .

(٢٩٨) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٧) .

(٢٩٩) سورة يوسف ، آية (١٠٦) .

(٣٠٠) سورة يونس ، آية (١٨) .

(٣٠١) وهو أنه لو كان للعالم صانعان ، فعند اختلافهما – مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه ، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته ، فإما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحداهما أو لا يحصل مراد واحد منهما ، والأول ممتنع ، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع ، لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ، وهو ممتنع ، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما ، والعاجز لا يكون إلهاً ، وإذا حصل مراد

لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الألوهية الـذي بينـه القـرآن الكريم ودعت إليه الرسل [٣٠٣] .

فهذه الآية تدل علـى الألوهيـة لا علـى الربوبيـة ، كمـا ظـن طوائـف المـتكلمين ، وغفلوا عن مضمون الآية ، فإن الله سبحانه أخبر أنه لو كان فيهمـا آلهـة غـيره ولم يقـل أرباباً ، فإنه قال " لفسدتا " هذا فساد بعد الوجود ، ولم يقل لم يوجد .

فالآية دلالتها واضحة في الألوهية حيث : " لا يجوز أن يكون فيها آلهـة متعـددة بل لا يكـون الإلـه إلا واحـداً ، وعلـى أنـه لا يجـوز أن يكـون هـذا الإلـه الواحـد إلا الله سبحانه وتعالى، وأن فساد السماوات والأرض يلزم من كون الآلهـة فيهـا متعـددة، ومـن كون الإله الواحد غير الله ، وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحـده لا غيره ، فلو كان للعالم آلهة معبودات ، لفسد نظامه كله ، فإن قيامه إنما هـو بالعـدل ، وبه قامت السماوات والأرض ، وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك وأعدل العدل التوحيـد " [٣٠٤] .

فعلم أن التوحيد المطلوب هـو توحيـد الألوهيـة الـذي يتـضمن توحيـد الربوبيـة ، وليس العكس فمن لا يقدر أن يخلق يكون عاجزاً ، العاجز لا يصلح أن يكون إلهاً .

بل إن هذا التوحيد في حقيقته يتـضمن جميـع أنـواع التوحيـد الأخـرى ، فيتـضمن توحيد الله في ربوبيته ، وتوحيده في أسمائه وصفاته وليس العكس ، فإن توحيد العبد لله في ربوبيتـه لا يعني أنه يوحد في ألوهيتـه ، فقـد يقـر بالربوبيـة ولا يعبـد الله وحـده لا شريك له ، وكذلك توحيده في أسمائه وصفاته لا يتضمن أنواع التوحيـد الأخـرى، ولكـن

أحدهما دون الآخر ، كان هو الإله القادر ، والآخـر عـاجزاً لا يـصلح للإلهـة . (شـرح العقيـدة الطحاويـة) (١/٢٨-٤٠) .

(٣٠٢) سورة الأنبياء ، آية (٢٢) .

(٣٠٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٨-٤٠) .

(٣٠٤) المرجع السابق (١/٤٠) .

العبد الذي يوحد الله في ألوهيته على الخلق فيقر أنه سبحانه هو وحده المستحق للعبادة ، وأن غيره لا يستحقها ، وبأن الله له الأسماء الحسنى والصفات العلى الكاملة ، لأن إخلاص العبادة لا يكون لغير الرب ، ولا يكون لمن فيه صفات نقص . إذ كيف يعبد من لم يخلق ولم يدبر أمر الخلق ، وكيف يعبد من كان ناقصاً ؟

بمعنى أن من كان لديه إيمان بتوحيد الألوهية فإن هذا الإيمان يتضمن مباشرة الإيمان بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات .[٣٠٥]

فالعبادة هي توحيد الألوهية لا الخصومة فيه ، فقد قال شارح الطحاوية في بيان منزلة توحيد الألوهية : " اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل " وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله " [٣٠٦] .

قال تعالى : M 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B L[٣٠٧] .

وقال هود – عليه السلام – لقومه ، قال تعالى : M < = > ? @ A B L[٣٠٨] .

وقال صالح – عليه السلام – لقومه ، قال تعالى : M < = > ? @ A B L[٣٠٩]

.

وقال شعيب – عليه السلام – لقومه ، قال تعالى : M < = > ? @ A B L[٣١٠] .

وقالت جميع رسل الله تعالى نفس القول .

---

(٣٠٥) انظر : المرجع السابق (٤١/١) ، كتاب الإيمان ، محمد نعيم ياسين ، ص(١٥) ، مكتبة الثقافة / مكة المكرمة.

(٣٠٦) شرح العقيدة الطحاوية (٢١/١) .

(٣٠٧) سورة الأعراف ، آية (٥٩) .

(٣٠٨) سورة الأعراف ، آية (٦٥) .

(٣٠٩) سورة الأعراف ، آية (٧٣) .

(٣١٠) سورة الأعراف ، آية (٨٥) .

قال (صلى الله عليه وسلم) : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله " [٣١١] .

ولهذا كان الصحيح كما أشرنا سابقاً أن أول واجب على المكلف هو شهادة أن لا إلـه إلا الله أي – توحيد الألوهية – ، لا النظر ولا القصد في النظر ، ولا الشك كما يزعم أئمـة المتكلمين . [٣١٢]

فتوحيد الألوهية فيه مسائل :

١. أنه أعظم أنواع التوحيد كلـها ، وأهمهـا علـى الإطـلاق ، إذ بـه تـساس الحيـاة ، وعليه تبنى الشريعة ، قال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 L [٣١٣] . □

٢. هو حق الله الذي لا يكون لغيره ، كما قال (صلى الله عليه وسلم) : " وحق الله على العباد أن يعبدوه فلا يشركوا به شيئاً " [٣١٤] . □

٣. الحكمة من خلق الجـن والإنـس ، قـال تعـالى : M C D E F G H I L [٣١٥] يقول ابن تيمية : " وهذا التوحيد هـو الفـارق بـين الموحـدين والمـشركين ، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة ، فمن لم يأت به كان من المـشركين " [٣١٦] . □

---

(٣١١) أخرجه البخاري في الصحيح ، ك (الإيمان) ب قوله تعـالى : " فـإن تـابوا وأقـاموا الـصلاة وأتـوا الزكـاة فخلوا سبيلهم " التوبة : ٥ " ح (٢٥) ، ومسلم ، ك (الإيمان) ، ب : (٨) ، ح (١٢٨) .

(٣١٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (٢١/١) .

(٣١٣) سورة الأنبياء ، آية (٢٥) .

(٣١٤) أخرجه البخاري ، ك (التوحيد) ، ب : ما جاء في دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) أمتـه إلى توحيـد الله ، ح(٧٣٧٣) .

(٣١٥) سورة الذاريات ، آية (٥٦) .

(٣١٦) رسالة الحسنة والسيئة ، لابن تيمية ، ضمن مجموعة رسائل ، ص (٢٦١) .

٤. من أجل هذا التوحيد شرع الله الجهاد ، واستبيحت الدماء ، كما قال (صلى الله عليه وسلم) : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها " [٣١٧]. □

٥. وأول واجب يدعي العباد إليه ، كما قال (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن[٣١٨] : إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعوهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .... " [٣١٩]. □

٦. الحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب ، قال تعالى : M D E F G H I J K L M N [٣٢٠] L [٣٢١]. □

٧. أن دين الأنبياء واحد ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، قال تعالى : M f g h i j k l L [٣٢٢].

فهناك أمور يستلزمها توحيد الألوهية :

١. وجوب إخلاص المحبة لله (عز وجل) ، فلا يتخذ من دون الله الأنداد ، ويحبونهم كمحبة الله أو يقدمهم في المحبة على الله تعالى، قال تعالى: M M N O P Q

---

(٣١٧) سبق تخريجه في ص (٨٩)

(٣١٨) البلد المعروف الذي كان لسبأ فسمي يمناً لأنه عن يمين الكعبة ، وهي دولة عربية تقع في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة العربية . (الروض المعطار في خير الأقطار) . والمنجد في اللغة والأعلام .

(٣١٩) أخرجه البخاري ، ك (الزكاة) ، ب : أخذ الصدقة من الأغنياء ، ح (١٤٩٦) . وفي ك (المغازي) ، ب : بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن ، ح (٤٣٤٧) .

(٣٢٠) الطاغوت الشيطان . فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها (تفسير القرآن العظيم) (٣١٩/١) فالطاغوت هو اسم جامع لكل ما يعبد من دون الله .

(٣٢١) سورة النحل ، آية (٣٦) .

(٣٢٢) سورة النساء ، آية (٣٦) .

R S T U V W Y Z [\ ] L[٣٢٣] فهذا يعتبر من الشرك الأكـبر المخرج عن الملة . □

٢. وجوب أفراد الله تعالى بالدعاء والتوكل والرجاء ، قال تعالى : M وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ L[٣٢٤] ، وقال تعالى : M وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ L[٣٢٥] . □

٣. وجوب إفراد الله بالخوف منه ، فمن اعتقد الخوف في المخلوقات مـن دون الله فقـد أشرك بالله ، قال تعـــالى : M فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ L[٣٢٦] وقال تـــــعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < L[٣٢٧]. □

٤. وجوب إفراد الله بجميع أنواع العبادات البدنيـة مـن صـلاة وركـوع وسـجود وصـوم وذبح وطواف ، وجميع العبادات القوليـة مـن نـذر واسـتغفار ، ويجـب أن تكـون جميع هذه العبادات لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له ، ومن صرف شيئاً لغـير الله فقد أشرك بالله ، قال تعالى : M r s t u v w x y z { | } ~ ¤ L[٣٢٨].

٣. **توحيد الأسماء والصفات :**

---

(٣٢٣) سورة البقرة ، آية (١٦٥) .

(٣٢٤) سورة يونس ، آية (١٠٦) .

(٣٢٥) سورة المائدة ، آية (٢٣) .

(٣٢٦) سورة النحل ، آية (٥١) .

(٣٢٧) سورة يونس ، آية (١٠٧) .

(٣٢٨) سورة النساء ، آية (٤٨) .

فقد قال فيه صاحب فتح المجيد : " هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى و صفاته وأفعاله وأسمائه وتكلمه بكتبه وتكلمه لمن شاء من عباده وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمته " [٣٢٩].

إذاً : فهو الاعتقاد الجازم بتفرد الرب (جل جلاله) بالكمال المطلق في جميع صفات الكمال والجلال ، وتنزيهه عن صفات النقص والعيب ، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله من جميع الأسماء والصفات ، ومعانيها وأحكامها على الوجه اللائق بالله عز وجل من غير نفي ، ولا تعطيل ، ولا تحريف ، ولا تمثيل ، ونفي ما نفاه عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله من العيوب والنقائص وعن كل ما ينافي كماله .

وقد أفصح القرآن الكريم عن هذا النوع كل الإفصاح في قوله تعالى : M سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ´ µ ¶ ¸ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ L [٣٣٠].

وقوله تعالى : M Y Z [\ ] L [٣٣١].

وقوله تعالى : M s t u v w y z { | L [٣٣٢].

وقوله تعالى : M m n o p q r s u v w y z { | } ~ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ © ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ´ µ ¶ ¸ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ L [٣٣٣].

---

(٣٢٩) فتح المجيد ص (١١) .

(٣٣٠) سورة الحديد ، آية (١-٣) .

(٣٣١) سورة طه ، آية (٥) .

(٣٣٢) سورة طه ، آية (٨) .

(٣٣٣) سورة الحشر ، آية (٢٢-٢٤) .

ومن خلال التعريف السابق يتضح لنا أن هناك ثلاث أسس يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات وهي بإيجاز :

١. التنزيه عن مشابهة الخالق بالمخلوق وعن أي صفة نقص ، قال تعالى: M 1 2 3 L[٣٣٤]. □

٢. الإيمان بالأسماء والصفات الواردة ثبوتها في الكتاب والسنة من غير تجاوزها بنقص أو زيادة أو تحريف أو تعطيل ، فيقتضي ذلك وجوب الاقتصار فيما يثبت الله سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات على ما ورد فيها في القرآن الكريم أو في السنة النبوية فقط ، فهي تتلقى عن طريق السمع لا عن طريق الآراء ، قال تعالى : M ¶ ¸ أَمِ اللَّهُ L[٣٣٥] " لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ، لا يتجاوز القرآن أو الحديث "[٣٣٦] . □

" ومن شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل " [٣٣٧]. □

٣. قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات ، فيجب الإيمان بصفات الله الواردة في الكتاب والسنة من غير سؤال عن كيفيتها ، ولا بحث في كنهها ، لأن معرفة كيفية الصفة موقوفة على معرفة كيفية الذات ، ولله ذات لا يسأل عن كنهها وكيفيتها . [٣٣٨].

---

(٣٣٤) سورة النحل ، آية (٧٤) .

(٣٣٥) سورة البقرة ، آية (١٤٠) .

(٣٣٦) شرح العقيدة الواسطية ، محمد خليل الهراس ، ص (٢١) .

(٣٣٧) كتاب الإيمان ، ص(٢١) .

(٣٣٨) انظر : مجموع الفتاوى (٥/٣٩٠) .

وروى بإسناده من طريقين أن مالك بن أنس سئل عن قوله : " M Y Z]
\ L ، كيف استوى فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة " [٣٣٩].

وهناك مصطلحات اشتهر باستعمالها أهل الباطل ومنها :

١. التشبيه والتمثيل :

التشبيه : هو تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق .

التمثيل : إثبات مثل للشيء ، والتشبيه إثبات مشابه له .

فالتمثيل يقتضي المماثلة وهي المساواة من كل وجه ، والتشبيه يقتضي المشابهة وهي المساواة في أكثر الصفات . [٣٤٠]

فهو تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق كتشبيه النصارى المسيح بن مريم بالله ، وتشبيه اليهود عزير بالله ، وتشبيه المشركين أصنامهم بالله (عز وجل) ، وتشبيه بعض الطوائف وجه الله بوجه المخلوق ، ويد الله بيد المخلوق .

٢. التعطيل :

لغة : التفريغ والإخلاء . [٣٤١]

وفي الاصطلاح : نفي الصفات الإلهية ، وإنكار قيامها بذات الله سبحانه وتعالى ، كتعطيل الله (جل وعلا) عن كماله المقدس [٣٤٢].

فالتعطيل نوعان :

---

(٣٣٩) أثر صحيح ، مجموع الفتاوى (٣٩٠/٥) .

(٣٤٠) رسائل في العقيدة لابن عثيمين ، ص (٥٥) ، مكتبة الوعي الإسلامي ، ١٤١٢هـ .

(٣٤١) لسان العرب ، مادة (عطل) .

(٣٤٢) كتاب الإيمان ، ص (٢٣) .

أ. تعطيل كلي كتعطيل الجهمية[٣٤٣]الذين أنكروا الصفات ، وغلاتهم ينكرون الأسماء[٣٤٤].

ب. تعطيل جزئي كتعطيل الأشعرية[٣٤٥] الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض .

٣. التحريف :

لغة : التغيير [٣٤٦].

واصطلاحاً : تغير النص لفظاً أو معنى ، والتغير اللفظي قد يتغير معه المعنى، وقد لا يتغير ، والتحريف المعنوي هو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل كتحريف اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة والمنعة [٣٤٧].

٤. التكييف :

هو تعيين كيفية الصفات وإثبات كنهها . [٣٤٨]

---

(٣٤٣) هم أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي ، ظهر في أواخر دولة بني أمية ، وهو الذي قال بالجبر والاضطرار إلى الأعمال وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط ، وقال : لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على سبيل المجاز ، وهي من أشد فرق المتكلمين بعداً عن الحق. انظر : الملل والنحل (٨٦/١) ، والفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، ص(٢١١) ، دار المعرفة/ بيروت .

(٣٤٤) المرجع السابق .

(٣٤٥) هم أتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الإشعري ، إمام المتكلمين ، كان عجباً في الذكاء وقوة الفهم ، مر الأشعري بثلاث أطوار في حياته ، الطور الأول : كان فيه معتزلياً ، الطور الثاني : خرج فيه على= =المعتزلة ومال إلى أهل السنة ، الطور الثالث : أعلن فيه انتسابه إلى الإمام أحمد بن حنبل ، أما اتباع الأشعري الذين انتسبوا إليه فقد سلكوا منهجاً آخر يخالف ما استقر عليه الإمام ، ثم نسبوه إلى الأشعري . أمثال عبد القاهر البغدادي والغزالي ، والرازي ، انظر : الملل والنحل (٩٤/١) . فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها . (٨٥٣/٢) .

(٣٤٦) لسان العرب ، مادة (حرف) .

(٣٤٧) رسائل في العقيدة ، ص (٥٤) .

(٣٤٨) كتاب الإيمان ، ص(٢٣) .

كقول القائل : كيفية يد الله أو نزوله إلى السماء .

٥. الإلحاد :

في اللغة : الميل والعدول عن الشيء . [٣٤٩]

واصطلاحاً : الميل عما يجب اعتقاده أو عمله .

وهو قسمان : أحدهما : إلحاد في أسماء الله .

والثاني : إلحاد في آياته . [٣٥٠]

المطلب الثالث : بداية الشرك في بني إسرائيل

لقد كان يعقوب – عليه السلام – وبنوه على التوحيد الخالص لله (عز وجل) فترة ما شاء الله .

وكانت دعوة يوسف بن يعقوب– عليهما السلام – في شعب مصر حينما ظهر الشرك، والضلال بالله عز وجل بالمخاطبة ، والدعاء لهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له .

فهذا يعقوب أو إسرائيل – عليه السلام – الذي يدعي اليهود أنهم أتباعه لم يكن يهودياً ، ولم يكن يدعو إلى اليهودية ، وإنما كان مسلماً يدعو إلى الإسلام ، وفي أثناء احتضاره يوصي أبناءه من بعده أن يكونوا مسلمين ، قال تعالى : M v w x y z { | } ~ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ L [٣٥١] .

---

(٣٤٩) لسان العرب ، مادة (لحد) .

(٣٥٠) رسائل في العقيدة ، ص (٥٦) .

(٣٥١) سورة البقرة ، آية (١٣٢–١٣٣) .

وهذا يوسف عليه السلام – مسلم يدعو ويبتهل إلى ربه أن يختم له بالإسلام ، قال تعالى : M تَوَفَّنِى مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ L [٣٥٢] .

ويصور القرآن الكريم عقيدة سيدنا يوسف – عليـه الـسلام – ودعوتـه إلى الإسـلام والتوحيد ، على لسانه – عليه السلام – في قولـه تعـالى : M ! " # $ %
& ' ( ) * + , - . / 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < =
> ? @ A B C D E F G H I J K L M N O
P Q R S T U V X Y Z [ ] ^ _ ` a c d e f g h i
j k L [٣٥٣] .

قال ابن كثير في تفسيره : " ثـم إن يوسـف – عليـه الـسلام– أقبـل علـى الفتـيين بالمخاطبة والدعاء لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان الـتي يعبدها قومهما ، ثم قال : " ذلك الدين القيم " أي هذا الدين أدعوكم إليه من توحيـد الله وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم الذي أمر الله به ، وأنزل به الحجة والبرهان الـذي يحبه ويرضاه " [٣٥٤] .

ولقد ظل بنو إسرائيل تلك الفترة على توحيد الله عز وجل ، وكانـت دعـوة يوسـف – عليه السلام – هذه خاصة بشعب مصر في ذلك الوقت ، وإلا فبنو إسرائيل الذين كـانوا في أرض كنعان برئاسة يعقوب – عليه السلام – موحدون لله عز وجل حتى بعد هجرتهم إلى مصر بجوار أخيهم يوسف – عليه السلام – .

وكذلك الأمر فيما يتعلق بسيدنا موسى – عليه السلام – أيضاً كان مسلماً يـدعو إلى الإسلام ، فكان أول نداء وجهه إليه ربه سبحانه حينمـا اختـاره للرسـالة يـشتمل علـى وحدانية الله (سبحانه وتعالى) .

---

(٣٥٢) سورة يوسف ، آية (١٠١) .

(٣٥٣) سورة يوسف ، آية (٣٨-٤٠) .

(٣٥٤) تفسير القرآن العظيم (٤٩٦/٢) .

قال تعالى : M { ~ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ © ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ´ µ ¶ ¸ أَنۡهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 L[355] .

وحينما أرسله ربه (تبارك وتعالى) هو وأخوه هارون – عليهما السلام – إلى فرعون سألهما عن ربهما سبحانه وتعالى فأجاباه ، في قوله تعالى : M قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ à رَبُّنَا â أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ç è é ê ë بَالُ ٱلۡقُرُونِ î ï ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A L[356] .

وقد ضل قوم موسى – عليه السلام – عن توحيد الله عز وجل بعد مرورهم بفترة طويلة كانوا فيها موحدين لله (عز وجل) فعبدوا العجل وفيهم رسول الله موسى –عليه السلام – وقد بين لهم فساد ذلك ، وأن الله وحده الإله الذي لا إله إلا هو ، قال تعالى : M إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾ L[357] .

ففي مصر تأثروا بآلهة المصريين الوثنية ، فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله (عز وجل) ، وتركوا دين أبيهم إبراهيم – عليه السلام – وأولعوا بهذه الأوثان ولعاً شديداً .

فاليهود عندما عاشوا في مصر قد ألفوا عبادة الأصنام ، وعندما جاءهم موسى –عليه السلام– أتبعوه من أجل مصلحتهم ، وابتغاء أن ينجيهم من فرعون ويخلصهم من تعذيبه، فكان اعتناقهم للتوحيد مظهراً زائفاً وإلا فالحقيقة أنهم يبطنون الكفر ، ولا زالت في قلوبهم رواسب الوثنية فعندما خرج موسى – عليه السلام – إلى ميقات ربه ظهرت هذه الرواسب المتغلغلة في قلوبهم ، فأتخذوا لأنفسهم وثناً يعبد من دون الله عز

---

(٣٥٥) سورة طه ، آية (٩–١٤) .

(٣٥٦) سورة طه ، آية (٤٩–٥٣) .

(٣٥٧) سورة طه ، آية (٩٨) .

وجل ، وهو العجل ،وكان ذلك بقيادة السامري المنافق الذي أضلهم ، وذلك لتأثرهم بمعبودات مصر ، حيث كان العجل معبود مصر المنتشر بينهم .

قال تعالى : M { | } ~ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ[358] أَلَمْ © أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ´ µ L[359].

وقال تعالى : M فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ ´ µ ¶ ¸ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : L[360].

فقد كانت هذه بداية الشرك في بني إسرائيل ، وإن كانت رواسب الوثنية في قلوبهم، ولكن لم تكن واضحة جلية.

ثم بعد ذلك أعادوا الكرة مرة ثانية عندما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فطلبوا من موسى – عليه السلام – عندما خرج بهم من مصر إلى أرض التيه أن يجعل لهم إلهاً مثل آلهة هؤلاء القوم ، وقد وضح القرآن حالهم هذا حيث قال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 6 7 8 9 : L[361].

فأخذ موسى – عليه السلام – يذكرهم بتفضيل الله لهم وبنعمه ، حيث قال تعالى : M F G H I J K L M N O P Q R S T

---

(٣٥٨) الخوار صوت البقر ، تفسير القرآن العظيم (٢/٢٥٧) .

(٣٥٩) سورة الأعراف ، آية (١٤٨) .

(٣٦٠) سورة طه ، آية (٨٦–٨٩) .

(٣٦١) سورة الأعراف ، آية (١٣٨) .

d c b a ` _ ^ \ [Z Y W V U

L[٣٦٢] .

ولكن لم تنقطع حلقة الشرك والوثنية في بني إسرائيل ، ولازالت مستمرة باقية ففي عهد خليفة موسى يوشع بن نون – عليهما السلام – كانوا أيضاً عبدة أوثان ، كما تذكر ذلك أسفارهم ، فطلب منهم يوشع بن نون أن ينزعوا من بينهم عبادة الآلهة الوثنية .

جاء في توراتهم : لا فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التي وسطكم ، وأميلوا قلوبكم إلى الرب إله إسرائيل " [٣٦٣] .

وكذلك في عهد القضاه لازالت عقيدة عبادة الأوثان سائدة بينهم فعبدوا آلهة وثنية مع الله (عز وجل) ، ومضى عهد القضاة كله ولم ينته بنو إسرائيل من عبادة غير الله ، رغم تحذير أنبيائهم لهم ، ورغم وقوع كثير من المصائب والهزائم المتتالية عليهم من قبل أعدائهم[٣٦٤] .

وجاء في توراتهم : " وكلم صموئيل كل بيت إسرائيل قائلاً إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت " [٣٦٥] من وسطكم وأعدوا قبولكم للرب واعبدوه وحده فينقذكم من يد الفلسطينيين " [٣٦٦] .

---

(٣٦٢) سورة الأعراف ، آية (١٤٠–١٤١) .

(٣٦٣) يشوع ، ٢٤ : ٣٤ .

(٣٦٤) انظر : موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية (٨/٢٤٣–٢٥٥) .

(٣٦٥) عشتار اسم من أسماء الآلهة السومرية ، وكان يطلق عليه الآلهة إنّينا ، انظر : الأديان في تاريخ شعوب العالم، ص (٣٤١) .

(٣٦٦) صموئيل الأول ٧ : ٣ .

وكذلك في عهد الملوك يتضح لنا : أن اليهود تمردوا على أوامر الله (عز وجل) فطلبوا من نبي لهم أن يجعل لهم ملكاً ليقاتلوا في سبيل الله فعندما عين عليهم الملك نكث معظمهم هذا العهد الذي أخذوه على أنفسهم أن يقاتلوا مع الملك .

قال تعالى : M ! " # $ %& ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 7 8 9 : ; < = > ? A B C D E F G H I J K L M O P Q R S T U V X Y Z [L[٣٦٧] .

وكان معظم بنو إسرائيل عبدة أوثان في معظم عهد الملوك ، قال تعالى : M 9 : ; < = > ? @ A B C D F G H I J K L[٣٦٨] .

وقال تعالى : M وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ´ µ ¶ ¸ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ ! " # $ L[٣٦٩] .

وتعاقب أنبياء الله إلى بني إسرائيل ليدعوهم إلى عبادة الله (عز وجل) ، وترك عبادة الأوثان من دون الله ولكنهم عاندوا أنبياءهم ، واستمروا على هذا العناد ، إلى أن سلط الله عليهم الأمم الأخرى ، فطردتهم من بلادهم وشردتهم وأصبحوا مستعبدين في السبي البابلي أبشع استعباد ، وأيضاً في أثناء هذا السبي عبدوا الآلهة الوثنية التي كان يعبدها أهل تلك البلاد .

وهكذا ضل بنو إسرائيل على هذا الوضع ، فالله سبحانه وتعالى يرسل إليهم الأنبياء داعين إلى توحيد الله (عز وجل) ، وعبادته وترك عبادة غيره من الأوثان ، وبنو إسرائيل يقتلون الأنبياء ولا يسمعون دعوة الداعي ، وقد قال فيهم الحق تعالى : M U

---

(٣٦٧) سورة البقرة ، آية (٢٤٦) .

(٣٦٨) سورة المائدة ، آية (٧٨) .

(٣٦٩) سورة الصافات ، آية (١٢٣–١٢٧) .

l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V
.[٣٧٠]L z y x w v u t s r q p o n m

وكـان بنـو إسـرائيل ينـساقون وراء شـهواتهم ورغبـاتهم ، ويتظـاهرون بـاحترام شريعة موسى — عليه السلام — ويدعون الحرص علـى أحكـام التـوراة ، ولكـنهم كـانوا عبيد شهواتهم ، وعبَّاد أصنام ، إلى أن أرسل الله إليهم عيسى — عليه الـسلام — بالـدعوة الحقة .

ولقد كانت دعوة عيسى — عليه السلام — دعوة حق ، ويقين وتصحيح وتجديـد لمـا حرف من التوراة ، وأمر من الله بإخراج الناس من الظلمات إلى النـور ، فجـاء عيـسى — عليه السلام — مجدداً ومكملاً لدعوة موسى – عليه السلام – ومبيناً للطريق الحق لعبـادة الله وحده لا شريك له .

قال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2
.[٣٧١]L < ; : 9 8 7 6 5 4 3

ولكن بني إسرائيل أبت أن تخلص العبادة لله وحده لا شـريك لـه ، وأصـرت علـى المكوث في مراتع الوثنية والشرك بالله ، ولكن هذا لا يمنع وجود فئة قليلـة في عـصر مـن العصور ، تكون قد أخلصت العبادة لله وحده لا شريك له أمثال الحواريين .

---

(٣٧٠) سورة آل عمران ، آية (١١٢) .

(٣٧١) سورة المائدة ، آية (٤٦) .

الباب الأول

تصور اليهود لقضية التوحيد

وفيه فصلان :

- الفصل الأول : عرض تصور اليهود لقضية التوحيد .
- الفصل الثاني : نقد تصور اليهود لقضية التوحيد .

الفصل الأول

عرض تصور اليهود لقضية التوحيد

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : تصور الربوبية عند اليهود .
- المبحث الثاني : تصور الألوهية عند اليهود .
- المبحث الثالث : تصور أسماء الله وصفاته عند اليهود

المبحث الأول
تصور الربوبية عند اليهود

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : دلائل الربوبية في العهد القديم .
- المطلب الثاني : نواقض الربوبية في العهد القديم .
- المطلب الثالث : الربوبية في التلمود .

المطلب الأول : دلائل الربـوبـية في العهد القديم :

إن رسالة موسى – عليه السلام – تقوم على التوحيد كسائر الرسـالات الإلهيـة ، كما بين الله (عز وجل) ذلك في القرآن الكريم ، غير أن القارئ للتوراة اليهودية والأسفار المقدسة لديهم ، يجد عقيدتهم فيها عقيدة مضطربة متناقضة ، كنتيجة واضحة لما عبثت به الأقلام البشرية من التحريف والتبديل .

قـــال الله تعـــالى : M , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > L[372] .

وتعترف أغلب نصوص اليهود ، بأن الرب تعالى هـو الخـالق لهـذا الكـون ومالكـه والمدبر لكل ما فيه ، وتقرر تفرده سبحانه وتعالى في ذلك .

فيستـهل سفر التكوين حديثه في أول فصل من فصوله بإثبات صفة الخلق والتـدبير لله سبحانـه وتعالى فيذكر : " في البدء خلق الله السماوات والأرض . وكانت الأرض خربـة وخالية وعلى وجه الغمر[373] ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه . وقـال الله لـيكن نـور فكان نور .... " [374].

فهو خالق الكون ، والكون كله طوع أمره ورهن إشارته بمجرد إرادته وبكلمة منه : " لأني أنا الرب أتكلم والكلمة التي أتكلم تكون " [375] .

([372]) سورة النساء ، آية (٤٦) .

([373]) الماء الكثير أو البحر ، انظر : المعين ، معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس .

([374]) التكوين ١ : ١ – ٣١ – ٢: ٤ .

([375]) حزقيال ١٢ : ٢٥ .

وقد ورد في سفر أشعياء ما ينص على نفس المعنى : " أما عرفت أم لم تسمع إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض ، لا يكل ولا يعيا ليس عن فهمه فحص ، يعطي المعيي قدرة ، ولعديم القدرة يكثر شدة " (٣٧٦) .

كما جاء في موضع آخر : " أني أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلاً في الأرض " (٣٧٧) .

ويقول أيضاً : " صانع الأرض بقوته ، مؤسس المسكونة بحكمته وبفهمه بسط السماوات ، إذا أعطى قولاً تكون كثرة مياه في السماوات ويصعد السحاب من أقاصي الأرض ، صنع بروقاً للمطر وأخرج الريح من خزاينه "(٣٧٨) .

وفي التثنية أن الرب بيده الإماتة والإحياء يقول الرب : " أنا أنا هو وليس إله معي . أنا أميت وأحي سحقتُ وأني أشفي وليس من يدي مخلص " (٣٧٩) .

وورد في نحميا : " أنت هو الرب وحدك أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها ، والأرض وكل ما عليها والبحار وكل ما فيها وأنت تحييها كلها وجند السماء لك يسجد " (٣٨٠) .

" وأعطيتهم خبزاً من السماء لجوعهم وأخرجت لهم ماء من الصخرة لعطشهم "(٣٨١) .

وجاء في المزامير قوله : " إذا أرى سمواتك عمل أصابعك القمر والنجوم التي كونتها"(٣٨٢) .

---

(٣٧٦) أشعياء ٤٠ : ٢٨-٢٩ .

(٣٧٧) أرميا ٩ : ٢٤ .

(٣٧٨) أرميا ١٠ : ١٢-١٣ .

(٣٧٩) تثنية ٣٢ : ٣٩ .

(٣٨٠) نحميا ٩ : ٦ .

(٣٨١) نحميا ٩ : ١٥ .

" بكلمة الرب صُنِعت السماوات و بنسمة فيه كان جنودها . يجمع كل أمواه اليم يجعل اللجج[٣٨٣] في أهراء[٣٨٤] " [٣٨٥] .

ومن جهة أخرى أثبت البعض الآخر من النصوص استحقاق الرب الخالق لبعض صفات الكمال كالعلم المحيط الشامل والقدرة على كل شيء .

فجاء ذكر توحيد الربوبية في مقام الكمال لخصائص الربوبية حيث ذكرت نصوص اليهود : " الرب إله عظيم " [٣٨٦] وقال : " الله القدير " [٣٨٧] ، فالرب لا تخفى عليه خافية في أي مكان أو زمان ، " وفي كل مكان عينا الرب مراقبتين الطالحين والصالحين " [٣٨٨] .

وكل ما يجول في خواطر الإنسان ونواياه يعلمه الرب : " يارب قد اختبرتني وعرفتني أنت عرفت جلوسي وقيامي ، فهمت فكري من بعيد .. لأنه ليس كلمة في لساني إلا وأنت يا رب عرفتها كلها " [٣٨٩] .

والرب هو القادر على كل شيء وليس لقدرته حدود ، يقول موسى : " يا سيدي الرب أنت قد ابتدأت تُرى عبدك عظمتك ويدك الشديدة فإنه أي إله في السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وجبروتك " [٣٩٠] .

---

(٣٨٢) مزمور ٨ : ٣ .

(٣٨٣) لجج : مياه كثيرة . انظر : المعين معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس .

(٣٨٤) أهراء مفردها هري : مخزن حبوب . انظر : المرجع السابق .

(٣٨٥) مزمور ٣٣ : ٦-٧ .

(٣٨٦) صموئيل الأول ٢ : ٣ .

(٣٨٧) تكوين ١٧ : ١ .

(٣٨٨) أمثال ١٥ : ٣ .

(٣٨٩) مزمور ١٣٩ : ١-٦ .

(٣٩٠) تثنية ٣ : ٢٤ .

ويذكر نص آخر : " ثم قال الرب لموسى ... ولكن لأجل هذا أقمتك لكي أريك قوتي ولكي يخبر باسمي في كل الأرض " [391] .

لهذا لا يستحيل على قوة الرب وقدرته شيء حيث قال : " فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت هل يستحيل على الرب شيء " [392] .

([391]) خروج ٩ : ١٣-١٧ .

([392]) تكوين ١٨ : ١٣-١٤ .

المطلب الثاني : نواقض الربوبية في العهد القديم :

على الرغم من تلك النصوص التي تؤكد صحة توحيد الربوبية في أسفار اليهود وتعلقه بتوحيد الألوهية والأسماء والصفات إلا أنها امتلأت بنصوص مناقضة لما أثبتوه سابقاً من إقرارهم ذلك ، صرحت بعضها وتضمن البعض الآخر القدح والنقص في مقام الربوبية .

إذ يدرك القارئ بسهولة ويسر إيمانهم ببعض أركان العقيدة التي أنزلت على موسى – عليه السلام – ودعا قومه إليها ، كما يدرك إنكارهم وكفرهم بأركان أخرى ، وافتراءهم وانحرافهم في البعض الآخر منها .

فمن النقض والقدح في مقام الربوبية :

الإشراك في التدبير " أفعال الرب " :

اعتقدت اليهود بأن للقمر ضرراً وتأثيراً على الناس إذ يهيج بعض الأمراض العصبية كالجنون والصرع فسجدت له اليهود وعبدته [٣٩٣] .

" في ذلك الزمان يقول الرب يخرجون عظام ملوك يهوذا وعظام رؤسائه ، وعظام الكهنة ، وعظام الأنبياء ، وعظام سكان أورشليم من قبورهم ويبسطونها للشمس وللقمر ولكل جنود السماوات التي أحبوها والتي عبدوها وساروا وراءها والتي استشاروها والتي سجدوا لها " [٣٩٤] .

نسبة التعب والإعياء من الخلق :

قرر واضعو التوراة اليهودية رمي الخالق سبحانه بالتعب وحاجته للراحة بعد الجهد الكبير الذي بذله حسب زعمهم في خلق الكون وما فيه خلال ستة أيام .

([٣٩٣]) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص (٧٤٣) .

([٣٩٤]) أرميا ٨ : ٢ .

فقد جاء في سفر التكوين : " وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً " [٣٩٥] .

وجاء في موضع آخر : " فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركني ... وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك ... قائلاً لأني نظرت الله و جهاً لوجه ونجيت نفسي " [٣٩٦] .

ولم يكتف الإسرائيلي بتجسيد الرب بل خلع عليه سائر صفات الإنسان من خير أو شر ، فهو يأكل ويشرب ويتعب ويستريح ويغار من منافسيه وهو يصارع ويدفن الموتى ويتمشى في الجنة .

فقد جاء في التكوين : " وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت فقال ..... " [٣٩٧] .

وكتبة التوراة في هذا الأمر إنما صوروا الإله بصورة البشرية حيث نسبوا إليه المشي والتنزه في الجنة وقت المساء ، وأنه اكتشف خطيئة آدم مصادفة ، ثم إن اختباء آدم منه وسؤال الله له أين أنت ، كل هذا يعكس تصور اليهود في نظرتهم للذات الإلهية مما يعني أن أقلام الكتبة وأهواءهم كان لها دور كبير في صياغة القصة ، وأنها متأثرة في ذلك بالأديان الوثنية .

---

(٣٩٥) التكوين ٢ : ٢-٣ ، انظر : تكوين ١٨ : ١-٨ .

(٣٩٦) تكوين ٣٢ : ٢٤-٣٠ .

(٣٩٧) تكوين ٣ : ٨-٢١ .

فهذه النصوص تدل على ضعف الإله وعدم كمال قدرته وإرادته في التوراة اليهودية.

الندم والحزن على الخلق :

وأيضاً نسب اليهود للرب سبحانه وتعالى الندم على خلقه للإنسان حين كثر فساد بني آدم في عهد نوح – عليه السلام – [٣٩٨] .

ومن ذلك ما ورد في سفر التكوين عن قصة الطوفان عن ندم الرب على أنه خلق الإنسان فاضطر إلى إهلاك أفراده عن طريق الطوفان ، لكنه لم يلبث أن ندم مرة أخرى على إهلاكهم بعد أن اشتم رائحة الشواء ثم يعزم في قلبه على أن لا يحدث بعد ذلك طوفاناً ولا يعود يلعن الأرض أبداً . ويأخذ على نفسه ميثاقاً بذلك ويضع علامة " قوس قزح " ليتذكر بها هذا الميثاق .

فقد جاء في قوله : " وبني نوح مذبحاً للرب .. وأصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا وقال الرب في قلبه لا أعود العن الأرض أيضاً ... ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت " [٣٩٩] .

وجاء في موضع : " فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه " [٤٠٠]

.

وجاء أيضاً : " فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه " [٤٠١] .

" وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً ندمت على أني قد جعلت شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي ... والرب ندم لأنه ملك شاول على إسرائيل " [٤٠٢] .

---

[٣٩٨] انظر : قصة نوح – عليه السلام – مع قومه سورة نوح .

[٣٩٩] تكوين ٨ : ٢٠-٢١ .

[٤٠٠] تكوين ٦ : ٥-٧ .

[٤٠١] خروج ٣٢ :١٤ .

وما أكثر ما يتندم الرب في اعتقاد اليهود ، فنصوص التوراة كثيرة جداً في هذا الموضوع منها :

" وذكر لهم عهده وندم حسب كثرة رحمته " [403] .

" وأرسل الله ملكاً على أورشليم لإهلاكهم وفيما هو يهلك رأى الرب فندم على الشر "[404] .

" وبسط الملاك يده على أورشليم يهلكها فندم الرب على الشر " [405] .

" فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه " [406] .

ويقول أيضاً : " فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها فاندم على الشر الذي قصدت " [407] .

ففي اليهودية إن الإله لا يطالب الناس بأن يعتقدوا أنه عالم بكل شيء ، وشاهد ذلك أنه يطلب إلى اليهود أن يميزوا بيوتهم ، بأن يرشوها بدماء الكباش المضحاة ، لئلا يهلك أبناءهم على غير علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين .

فقد جاء في سفر الخروج : " ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلونه فيها . ويأكلون اللحم تلك الليلة مشوياً بالنار مع فطير

---

(402) صموئيل الأول ١٥ : ١٠ ، ٣٥ .

(403) المزامير ١٠٦ : ٤٥ .

(404) أخبار الأيام الأول ٢١ :١٥ .

(405) صموئيل الثاني ٢٤ : ١٦ .

(406) يونان ٣ : ١٠ .

(407) أرميا ١٨ : ٨ .

على أعشاب مرة يأكلونها ... ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها . فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر " [٤٠٨] .

والشاهد على عدم علم الله المسبق بما يكون عند اليهود ما جاء في سفر التكوين حينما كان الرب يتمشى في الجنة فقال : " وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة .. فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت " [٤٠٩] .

فشواهد النقض والقدح في مقام الربوبية مليئة في أسفار التوراة [٤١٠] .

([٤٠٨]) خروج ١٢ : ٧-١٣ .

([٤٠٩]) تكوين ٣ : ٨ – ١١ .

([٤١٠]) انظر : صموئيل الأول ١٥ : ٣٥ ، أرميا ١٨ : ١٠ ، ٢٦ : ١٣-١٨-١٩ ، ٤٢ : ١٠ ، حزقيال ٣٢ : ١٢-١٤ ، عاموس ٧ : ٣ ، ٦ ، يوئيل ٢ : ١٣-١٤ ، قضاة ٢ : ١٨ .

المطلب الثالث : الربوبية في التلمود :

لقد نسب اليهود وأحبارهم الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، وجعلوا المولى سبحانه وتعالى في أبشع الصور والهيئات التي لا تليق به سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

فمن خرافات التلمود وصف الرب بالخطأ في الخلق ، فنسبت اليهود إلى الرب سبحانه وتعالى الخطأ والاعتراف بالذنب وتكفيره عن ذلك فقد زعموا أن الله عز وجل حين خلق القمر أصغر من الشمس ، خطأه القمر وراجعه في ذلك ، فأذعن الله (عز وجل) له تعالى عن ذلك علواً كبيراً . واعترف بخطئه ونص ذلك : " أما تخطئة القمر لله فإنه قال له : أخطأت حيث خلقتني أصغر من الشمس ، فأذعن الله لذلك واعترف بخطئه ، وقال : أذبحوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي لأني خلقت القمر أصغر من الشمس " [٤١١] .

وجاء أيضاً : " وقد اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل ، فصار يبكي ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلاً : تباً لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي ، وشغل الله مساحة أربع سنوات فقط بعد أن كان ملء السماوات والأرض في جميع الأزمان " [٤١٢] .

وهذا مما يدل على اضطراب الرب عندهم ، وعدم دقته في الخلق والفعل والتصرفات سبحانه وتعالى عما يفترون .

---

[٤١١] الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص (٥٦) .

[٤١٢] المرجع السابق .

ونسبوا أيضاً إليه الندم على الخلق ، ومما تنص به خرافاتهم التلمودية قولهم : "يتندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى إنه يلطم ويبكي كل يوم ، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر ، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه ، وتضطرب المياه ، وترتجف الأرض في أغلب الأحيان ، فتحصل الزلازل " [٤١٣] .

---

(٤١٣) المرجع السابق ، ص (٥٦) .

المبحث الثاني
تصور الألوهية عند اليهود

وفيه خمسة مطالب :

- المطلب الأول : الذات الإلهية عند اليهود .
- المطلب الثاني : الجانب الإلهي في الأسفار اليهودية .
- المطلب الثالث : دلائل شرك الألوهية في العهد القديم
- المطلب الرابع : المؤثرات الوثنية الوضعية على اليهود
- المطلب الخامس : الألوهية في التلمود .

المطلب الأول : الذات الإلهية عند اليهود :

إن الكلام عن الذات الإلهية عند اليهود يتناول أمرين وهما : أسماء الذات وحقيقتها، وأما عن أسمائها فيطلق على الذات الإلهية عند بني إسرائيل أسماء متعددة و هي إلوهيم – إيل – يهوا .

وكانت هذه الأسماء تستعمل علماً على الذات الإلهية عند بني إسرائيل وكان أشهرها " يهوا " .

وأما " إلوهيم " فقد ورد عن بني إسرائيل استعماله ، ووردت نسخة من نسخ التوراة بهذا الاسم ، لأنه الاسم الذي يطلق على الإله .

يقول العقاد : " سميت نسخة إلوهيم بهذا الاسم لأن " إلوهيم " هي الكلمة التي تطلق فيها على الإله " [٤١٤] .

كأنه يريد أن يقول إن إلوهيم بالعبرية هي الإله بالعربية إذ من المعروف أن اللغة العربية والعبرية تلتقيان معاً في أصل واحد ، وهي الفصيلة السامية .

فقد جاء في السنن القويم في تفسير الفقرة الأولى من الإصحاح الأول من سفر التكوين قولهم : " الله هو في العبرانية " أُلوْهيم " جمع " ألوه " ولم يأت المفرد إلا في الشعر . فجاء في المزامير "من هو إله غير الرب " مز ١٨ : ٣١ ، وفي العبرانية " من هو ألوه غير يهـــوه"

([٤١٤]) أبو الأنبياء ، عباس العقاد ص (٣٤) منشورات المكتبة العصرية ، بيروت صيدا ، ١٩٨١م ، وقد ذكرت ذلك للاستئناس .

وهو في السريانية [٤١٥] " الوهو " وفي الكلدانية[٤١٦] " اللها " وكلها متفرع من العبراني ، ومعنى " الوه " قوة أو قدرة ، وجاء " إلوهيم " بصيغة الجمع لا لمجرد التعظيم بل لحمل الأفكار البشرية على تصور القوى في وحدانية ذي الصفات الحسنى والأفعال العظمى الحي الأزلي " [٤١٧] .

وأما لفظة " إيل " فقد ورد استعمالها قبل بعثة موسى – عليه السلام– فكان " إيل " هو اسم في الإله فترة ما قبل موسى – عليه السلام – وإليه ينسب كثير من أسمائهم الشخصية والمكانية ، ومن الأسماء الشخصية عندهم المنسوبة إلى هذا الاسم : إسماعيل ، بتوئيل .

فقد جاء في سفر التكوين توضيح لهذه التسمية ، فعندما هربت هاجر من وجه سارة وهي حبلى في إسماعيل ، قابلها ملاك الرب " وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك " [٤١٨] .

وتنسب هاجر اسم المكان إلى اسم الله فتسمى المكان وقالت : " أنت إيل رئي ، لأنها قالت أههنا أيضاً رأيت بصد رؤية " [٤١٩] .

---

(٤١٥) هم اليوم المسيحيون أبناء اللغة السريانية ، إحدى شعب اللغة الآرامية ، انفصلت منهم جماعة عن كنيسة أنطاكية ، على أثر المجادلات اللاهوتية حول طبيعة المسيح ، وتعرف باليعقوبية ، وتفرعت منهم الكنيسة المارونية ، انظر : المنجد في اللغة والأعلام .

(٤١٦) أطلقت هذه التسمية على مجموعة اللهجات السامية الشرقية ، وتارة على لهجة بلاد الكلدان القديمة " كلديا " وسكان كلدياهم الكلدانيون وهم الدولة البابلية الحديثة ويعرفون بالأرميون (معجم الحضارات السامية) هنري ، س ، عبودي ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ .

(٤١٧) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت ، ١٩٧٣م .

(٤١٨) تكوين ١٦ : ١١ .

(٤١٩) تكوين ١٦ : ١٣ .

وانظر : اليهود بين الدين والتاريخ ، ص (٧١–٧٤) .

وأما لفظة " يهوا " فهي لفظة قديمة كانت مهملة قبل موسى – عليه السلام – فأحياها موسى بدعوته وتمسك بها علماً على الذات الإلهية .

وقد عرف العبرانيون الله الذي عبدوه باسم " يهوه " حيث إنه لا يمكن الفصل بقول حاسم جازم عن التاريخ الذي بدأت فيه عبارة الله بهذا الاسم .

ففي أقدم الوثائق التاريخية القديمة التي كتبت في القرن الثامن قبل الميلاد – والتي عرفت بالحرف J – دعى الله باسم " يهوه " ، وأما في وثيقة أخرى أطلق عليها الحرف –E– وأن اسم الله " يهوه " قد أوحى إلى موسى – عليه السلام – في العليقة[٤٢٠] المشتعلة بالنار في مديان[٤٢١] يوم أن أمر الله أن ينطلق إلى بني إسرائيل الأسارى في مصر برسالة العتق والخلاص ، وأن هذا الرأي تؤيده الوثيقة الكهنوتية التي أطلق عليها الحرف " P " والتي جمعت بعد عودة اليهود من السبي في بابل في القرن السادس . [٤٢٢]

فقد جاء في الخروج : " وأما موسى فكان يرعى غنم ... وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ..... فقال موسى لله ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم ، فإذا قالوا لي ما اسمه ، فماذا أقول لهم ، فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه .. وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله أبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم " [٤٢٣] .

([٤٢٠]) العليقة واحدة العليق وهو النبت الشائك المعروف الذي يثمر ثمراً كثمر التوت . السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم (٣٠٧/١) .

([٤٢١]) وهي مدين وهي بالشام على ساحل بحر القلزم ، وبها البئر الذي استقى فيها موسى – عليه السلام – لسائمة شعيب – عليه السلام – (الروض المعطار في خبر الأقطار) .

([٤٢٢]) انظر : أديان العالم ، حبيب سعيد ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ، ص (١٦٤–١٦٥) وانظر : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، ص (٣٦٩) .

([٤٢٣]) الخروج ٣ : ١–١٥ .

وقد جاء في تفسير هذه الفقرة قولهم : " أن يهوه اسم الله الأعظم في سائر العهد القديم"[٤٢٤] ؛ لذا فإن موسى أحياها بدعوته وتمسك بها علماً على الذات الإلهية – كما سبق– على حد زعمهم .

وجاء في موضع آخر : " يهوه الوهيم " أي الرب الإله ، ومعنى يهوه يهفه في العبرانية الآتي أو الذي سيكون ، والكلمة " يهوه " مثل " اهيه " في قول الله لموسى " اهيه الذي اهيه " ... ولنا من كل ذلك أن يهوه العهد القديم هو يسوع العهد الجديد " [٤٢٥] .

يقول الأستاذ العقاد : " إن اسم (يهوه) لا يعرف اشتقاقه عن التحقيق فيصح أنه من مادة الحياة ، ويصح أنه نداء لضمير الغائب أي " ياهو " لأن موسى علم بني إسرائيل أن يتقوا ذكره توقيراً له ، وأن يكتفوا بالإشارة إليه " [٤٢٦] .

ويقول عالم آخر : " إن الكلمة العبرانية الماثلة لكلمة " لورد Lord " هي يهوا وكانت اللغة العبرية تكتب بدون حروف علة حتى سنة ٥٠٠م ، ثم دخلت هذه الحروف، فأصبحت كلمة " يهوا " ياهوفا " Jehovah " وبذلك فكلمة " يهوا " أو " ياهوفا " معناها سيد أو إله " [٤٢٧] .

والظاهر أن الإله الذي يعرفونه بكلمة " يهوه " هو في الأصل إله كنعاني ابتدعه الوثنيون وأخذه اليهود منهم ، وزادوا في صفاته ما يتفق مع حياتهم وطبيعتهم .

([٤٢٤]) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم .

([٤٢٥]) المرجع السابق (١٦/١–١٧) ، وانظر : تفسير سفر التكوين ٢ : ٤ .

([٤٢٦]) الله ، الأستاذ العقاد ، ص (١١٣) .

([٤٢٧]) اليهودية ، ص (١٨٩) .

يقول ول ديورانت : " يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه في الصورة التي كانوا عليها وجعلوا منها إلهاً " [٤٢٨] .

ويؤيد ذلك ما ذكره أحمد عطار " أن بين الآثار التي وجدت في كنعان سنة ١٩٣١م قطع من الخزف ترجع إلى عصر البورنز الذي يسبق الميلاد بثلاثة آلاف سنة ، وفيها كلمة "ياه " أو " ياهو " وهو إله كنعاني " [٤٢٩] .

فعلى هذا تكون كلمة " يهوه " معروفة قبل ميلاد سيدنا إبراهيم – عليه السلام – وهم يزعمون في أسفارهم المقدسة أن إبراهيم – عليه السلام – عرف يهوه بلفظه ومعناه .

وفي الفترات التي كانت دعوة التوحيد الموسوية تعلو على غيرها لم تخل اليهودية من اعتقاد التعدد ، فقد كانوا يؤمنون بإلههم " يهوه " مع الاعتراف بآلهة الشعوب الأخرى .

وأما عن حقيقة الذات الإلهية عند اليهود فهي لا ترتفع كثيراً على مستوى البشرية في شكلها أو مضمونها .

فالذات الإلهية تتشكل بأشكال الآدميين ، وتنزل إلى هذا العالم ، والإله يجالس الناس ويؤاكلهم ويشاربهم ، ويمشي على رجليه حتى يتعب من المشي ، ويجلس ليستريح في ظل شجرة .

فتحكي التوراة اليهودية أن إبراهيم – عليه السلام – استضاف الرب ومعه ملكان وأطعمهم وسقاهم وغسل أرجلهم ثم رحلوا من عنده .

يقول سفر التكوين : " وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر

([٤٢٨]) قصة الحضارة (٣٤٠/٢) .

([٤٢٩]) اليهودية والصهيونية ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص (٢٩) دار الأندلس ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠/١٩٨٠م .

ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال : يا سيد ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فتأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ... وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا " [٤٣٠] .

فمن الأوصاف البشرية المحضة ليهوه ما جاء في التوراة :

" ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل " [٤٣١] .

" وكلم الرب موسى قائلاً ... فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم " [٤٣٢] .

وعند اليهود الإله يتصارح مع الإنسان ، فيغلبه الإنسان ، ولا يستطيع الإله أن يفك نفسه من الإنسان إلا بعد التوسل إليه .

وهذا ما تحكيه التوراة في الصراع الذي دار بين الإله ويعقوب حتى الفجر .

فجاء في سفر التكوين : " فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر.... وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر ، فقال لا أطلقك إن لم تباركني ... فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً : لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي " [٤٣٣] .

والإله يغضب ويتهور وفي أثناء غضبه يرتكب من الحماقات التي يندم عليها حين يثوب إلى رشده ويذهب عنه الغضب .

فجاء في سفر الخروج : " فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه " [٤٣٤]

.

---

(٤٣٠) التكوين ١٨ : ١–٨ .

(٤٣١) الخروج ٢٤ : ٩–١١ .

(٤٣٢) الخروج ٢٥ : ١–٨ .

(٤٣٣) التكوين ٣٢ : ٢٣–٣٠ .

ويتكرر ندم الرب الكثير في التوراة ، فقد جاء في موضع آخر : " ندمت على أنه قد جعلت شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي " [435] .

وقد يعزم الإله في حمو غضبه على أمور لا تليق به ، فيذكره بها غيره ثم يندم ويتوب عما عزمه عليه .

فالتوراة تحكي أن الله غضب على بني إسرائيل فنوى على إيذائهم ، وقال لموسى: "تركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم " [436] .

ولكن موسى – عليه السلام – يلوم الرب ويذكره بعهده مع إبراهيم – عليه السلام– الذي نسيه ، على الإبقاء على الشعب اليهودي فيقول موسى للرب : " ارجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك " [437] .

وليست هي المرة الوحيدة التي ندم فيها الرب ، فالتوراة كما قلنا سابقاً مليئة بذلك، " فيهوا " الإله ليس معصوماً عند بني إسرائيل وكثيراً ما يقع في الخطأ ، وإن أشنع ما وقع فيه من الأخطاء هو خلق الإنسان لذلك تراه يندم بعد فوات الأوان ، فشاهد ذلك قوله : "فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه . فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته ... لأني حزنت أني عملته " [438] .

ويعلق ول ديورانت على حال اليهود مع الإله بقوله : " ذلك أن هذا الإله لا يطالب الناس بأن يعتقدوا أنه عالم بكل شيء " [439] .

([434]) الخروج ٣٢ : ١٤ .

([435]) صموئيل الأول : ١٥: ١٠ ، وانظر : ١٥ : ٣٥ ، أرميا ١٨ : ١٠ ، قضاه ٢ : ١٨ .

([436]) الخروج : ٣٢ : ١٠ .

([437]) الخروج : ٢٣ : ١٢ .

([438]) التكوين ٦ : ٦–٧ .

([439]) قصة الحضارة (٣٤٠/١) .

وبالجملة فالإسرائيليون يعتقدون في الإله المجسد ، ولم يستطيعوا أبداً أن يهضموا عقيدة الإله المجرد ، وارتبطت فكرة الإله عندهم بصورة الإنسان بكل ما تحويه هذه الصورة من نقائض وأخطاء .

وبسبب نزعة التجسيد هذه لم يقتنع اليهود بعبارة الله الواحد المجرد عن المادة ، ولذا فقد طلبوا من موسى – عليه السلام – أن يجعل لهم أصناماً آلهة ، ثم صنعوا لأنفسهم عجلاً عبدوه ، ثم طلبوا منه أن يريهم الله جهرة حتى يستطيعوا إرضاء نزعة التجسد والنزعة المادية عندهم ، وهم على مدى تاريخهم لم يتنزهوا إطلاقاً عن عبادة الأوثان .

والشاهد على حالهم هذا قول الله تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 6 7 8 9 : L [440] .

وقال تعالى : M z { | } ~ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ © L [441] .

وهذا يفسر لنا كثرة ظهور الأنبياء بينهم لمحاولة إرجاعهم إلى طريق الله الذي دأبوا على تنكبه ، والانحراف إلى السبل التي تفرقت بهم عن سبيله .

فنزعة التجسيد كامنة في أعماق اليهود منذ كانوا في مصر ، وأشربوا أوثانها وخضعوا لآلهتها المادية المجسدة في حجارة أو لحم ودم .

ولعل هذا يوضح لنا تعلق اليهود الغريب بالهيكل والأرض الموعودة ، فهم شعب مادي يرتبط بالتجسيد والمادة ، ولقد ظلوا طويلاً يتشوقون إلى هذا الإله الذي يتجسد أمامهم فيحسونه ويلمسونه ، حتى بنى سليمان – عليه السلام – الهيكل فابتدأ عهد جديد بالنسبة لليهود والعقيدة اليهودية ، فلقد وجد اليهود في الهيكل الرب المنظور ،

---

(440) سورة الأعراف ، آية (١٣٨) .

(441) سورة البقرة ، آية (٥٥) .

والإله المجسد ، الذي يرونه في كل لحظة ويتحسسونه في كل آن ، وجدوا فيه الأصنام التي تمنوها على عهد موسى – عليه السلام – والعجل الذي صنعه لهم السامري ، ومنذ ذلك الحين حصروا إلههم ومعبودهم في هذا الهيكل ، في حجارته ، وفي قطعة الأرض التي تضم هذا الهيكل ، أو هذا الإله الجديد ، ومنذ بناء الهيكل فلقد ذهب الإله الحق وجاء الهيكل.

وهذا التقديس العجيب لم يأت عن فهم واقعي لحقيقة الهيكل وحقيقة الإله ، والفرق الكبير بين الاثنين ، وإنما نشأ عن عقيدة الوثنية ، وجذور الصنمية التي تضرب في أعماق اليهود ، والتي لم يتخلصوا منها لحظة واحدة طوال تاريخهم المخزي .

أما بالنسبة لعلاقة اليهود بالإله فهي علاقة شاذة وغريبة ، لم تكن موجودة في أي شعب من الشعوب ولم يألفها المتدينون من قبل أو من بعد ، فاليهود يعتقدون أن لهم بالله صلة خاصة بهم وحدهم دون العالمين .

فهذه الصلة تقوم على أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأنهم شعب الله المختار ، وأن الله هو إلههم فقط ، وأنه اختارهم عباداً له من دون العالمين .

يقول عطار " العقيدة اليهودية التي تصورها أسفار اليهود المقدسة عقيدة وثنية ، فالإله الذي يعبدونه ليس " الله " الواحد الأحد ، بل هو إله قبلي محلي خاص بهم لا يشركهم فيه سواهم ، ولا يرضون أن يشركهم فيه أحد غيرهم " [٤٤٢] .

ويذكر غوستاف لوبون " أن بني إسرائيل قد نظروا إلى الإله كإله خاص بهم واعتبروه ملكاً قومياً لهم " [٤٤٣] .

وينقل الدكتور محمد بحر عبد المجيد عن أولبرايت أن اليهود قد اعتقدوا في مرحلة من مراحل تاريخ الديانة اليهودية – كالأمم التي عاشوا بينها – أن انتماء الإله

([٤٤٢]) اليهودية والصهيونية ص (٢٨) .

([٤٤٣]) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، غوستاف لوبون ص (٦٩) ، ترجمة : عادل زعيتر ، القاهرة ،١٩٧٠م.

انتماء قبلي فنظروا إليه كأفراد من أفراد القبيلة ينتمون إليه بصلة الدم فهو لهم بمثابة الأب"[444].

فالإله في النظرة اليهودية إله خاص ببني إسرائيل ، لا يحب إلا هذا الشعب ، ولا ينزل نعمة ورحمته إلا عليه ، ولا يكتب نصره وتوفيقه إلا له ، ومن أجل خلق الكون ، ولأجله خلق الأرض ، ولخدمته خلق الناس الآخرين .

يقول العقاد : " فشعب إسرائيل لم يعرف الإله الواحد ، إله الخلق أجمعين لم يعرف هذا الإله ولم يعبده ولم يثبت على ميثاقه ، وإنما كان يعبد إلهاً يسميه إله إسرائيل ، ويحسب أن هذا الإله يميزه ويختاره على عامة الخلق بغير طاعة ، ولا إيمان ولا فضيلة ولا إحسان ، ولكنها وثيقة كتبها شعب إسرائيل على إلهه منذ القدم ، وهذا الإله مسئول عنها كما يسأل المدين عن القرض ورباه ، لقد كان إلههم إله عشيرة واحدة يسميها عشيرته وشعبه وتسميه هي ربها وإلهها دون العالمين " [445] .

وتبعاً لذلك كان ممنوعاً على غير اليهود أن يقبلوا في الجماعة اليهودية وأن يدينوا بالولاء لرب بني إسرائيل ، فقد نصت التوراة على ذلك ، فقد ورد في التثنية : " لا يدخل عموني ولا مؤابي[446] في جماعة الرب حتى الجيل العاشر ، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد " [447] .

فبنو إسرائيل كانوا يعتبرون الديانة ديانتهم ، والإله خاصاً بهم لا يجوز لغير اليهود الدخول فيه ، فجعلوها ديانة عنصرية مقفلة فهي ليست إلا تعبيراً طبيعياً لشعب خاص وجزءاً من ثقافة اجتماعية لا تقبل الغرباء ، فقفل اليهود ديانتهم عليهم ،

---

(444) اليهودية ، د / محمد بحر عبد المجيد ، ص (٦) . مكتبة سعيد رأفت / القاهرة .

(445) ما يقال عن الإسلام ، عباس العقاد ، ص (٣٠٧) .

(446) مؤاب وعمون هما ابنا لوط – عليه السلام – كما يزعم كتبة التوراة . انظر القصة التكوين ١٩ : ٣٠–٣٨ .
انظر : قاموس الكتاب المقدس ص (٩٢٧ ، ٦٤٠) .

(447) التثنية ٢٣ : ٣ .

وإن أنفتهم من إشراك غيرهم في الانتساب إليها نوع من الأنانية ، والإحساس بالتعالي والامتياز ، ويقصدون بذلك رفع قدرهم عن باقي البشرية ، وزعموا أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه .

ولقد مرت عقيدة اليهود بعلاقتهم بالإله بدورين أساسيين :

الدور الأول : ما قبل حادثة السبي ، وفي هذا الدور كانوا يعتقدون أن الله يتدخل في شؤونهم رأساً ويرعاها ويتولاها بنفسه ، سواء في ذلك الصغير منها والكبير ، فالإله يرسم لهم أماكن هجرتهم ، ويوضح لهم الأماكن التي يجب أن يتحاشوها ، ويرسم لهم خططهم الحربية ويقودهم فيها بنفسه ، ويبين لهم كيفية التصرف في الأسرى ، ويرسم لهم المدن وطرق بنائها وتنظيمها .

بالاختصار كان الإله هو الزعيم لهم بكل شيء ، وهم كالطفل المدلل لا يفعل شيئاً ولا يقوم بشيء ، والمطالع للتوراة التي كتبوها يرى فيها كثرة ظهور الرب لإبراهيم وإسحاق ويعقوب – عليهم السلام – وكيف كان يتعهد لهم بكل صغيرة وكبيرة .

فقد جاء في التكوين : " وقال الرب لإبرام أذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فاجعلك أمة عظيمة واباركك وأعظم اسمك وتكون بركة ... وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعط هذه الأرض " [٤٤٨] .

وظهر الرب لإسحاق : " وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر ، اسكن في الأرض التي أقول لك ، تضرب في هذه الأرض فأكون معك ، واباركك لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم التي أقسمت لإبراهيم أبيك واكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض " [٤٤٩] .

([٤٤٨]) التكوين ١٢ : ١–٧ .

([٤٤٩]) التكوين ٢٦ : ٢–٤ .

وقال ليعقوب : " ثم قال الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك " [٤٥٠] .

الدور الثاني : ما بعد حادثة السبي فلقد ظل اعتقاد اليهود في الإله على هذه الشاكلة حتى وقعت بهم حادثة السبي حين حاربهم بختنصر – بنوخذ نصر – وهزمهم وهدم أورشليم وأحرق هيكلهم ودمرهم تدميراً وقتل منهم عشرات الألوف ، ثم حمل من بقي منهم أسرى إلى مدينة بابل وذلك عام ٥٨٦ ق . م [٤٥١] .

وفي هذه الحادثة التي هزت اليهود هزاً عنيفاً وشردتهم وأوقعت بهم من البلاء ما لم يخطر لهم ببال ، انتظر اليهود – حسب اعتقادهم – أن يتدخل الإله لكي يؤدي دوره حسب ما كانوا يعتقدون ويؤملون ، ولكن الإله لم يتدخل ولم يفعل شيئاً على الإطلاق بل تركهم تحت رحمة الذل والأسر دائماً ، وحد السيف بين الحين والآخر ، وانتظروا وطال انتظارهم ، وبدأت عقيدتهم في الإله المنقذ تتحول ، واعتقدوا أن الإله لم يعد يتدخل في شئونهم كما كان يفعل من قبل ، وأن الإله قد ضرب من حوله حصاراً وتركهم لأنفسهم ، وأن الاتصال بهذا الإله أصبح أمراً بعيد المنال ، ومن هذا المنزع تغيرت نظرتهم إلى الإله قليلاً قليلاً ، فابتدأت تسمو شيئاً فشيئاً ، فاعتقدوا أولاً في سمو الإله سمواً يبعد به عن إدراك البشر ، ثم ذهبوا في السمو إلى آخر درجاته فاعتقدوا أن الاتصال بالإله مباشرة أمر محال ، وأنه من لوازم السمو ألا يتصل الإنسان به مباشرة .

ومن هنا اخترعوا فكرة الواسطة بين الله والناس ، ولقد كان اليهود يعبرون عن هذه الواسطة بالحكمة أحياناً ، ويعبرون عنها بالسماء تارة أخرى ، ثم آل بهم الأمر أخيراً إلى أن حصروا الواسطة في الكهانة والكهان .

([٤٥٠]) التكوين ٣٥ : ١ .

([٤٥١]) انظر : قصة السبي البابلي بالتفصيل : موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية (٨/١٣٣–١٤٢) اليهود بين الدين والتاريخ ، ص(٢٩٥) . الديانة اليهودية ، د / يوسف عيد ، ص (٥٠–٥٣) ، دار الفكر اللبناني ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م .

ومن الواضح أن اليهود يعنون بالشكل وليس بالمضمون فهم يعبرون عن الإله بضمير الغائب ، ويعبرون عنه أحياناً بالسماء كما في سفر المكابيين ، ويجعلون الحكمة واسطة بينه وبين الناس ، والكهان كذلك لسموه وعلوه ، ولكن هذه أمور لا تحجب عن أعيننا الحقيقة السافرة ، وهي أن الإله عندهم متصف بكل النقائص البشرية ، كما أوضحنا من قبل فهو متهور ، غضوب ، يفعل الخطأ ثم يندم عليه ، ناكث للعهود ناقض للمواثيق .

ولقد ابتدأ أمر الوساطة بين الله والناس عند اليهود تنزيهاً للإله وتسامياً به عن الاتصال بالبشر ، ثم انتهى الأمر بهذه الوساطة أن أنستهم الإله جملة ، وحولت الكهان إلى آلهة في الحقيقة والواقع .

فعندما انقطعت صلتهم بالله ، ولم يعد الإله يظهر لهم كعقيدتهم ، اعتقدوا أن البحث في الشريعة والتمسك بالناموس هو ا لطريق الوحيد لوصلهم بالإله ومعرفة مراده منهم ، ولأن الكهان والكتبة هم المختصون بالشريعة والناموس ، فلقد ابتدأ نجمهم يظهر ويرتفع ، وابتدأ الناس ينظرون إليهم نظرة تقديس وإجلال ، وأضحت كلمة الكاهن هي كلمة الله ، وأصبح له الحق المطلق في تفسير نصوص الشريعة دون أن يجرؤ أحد على اتهامه بالخطأ ، حتى انتهى الأمر إلى الطاعة العمياء للكهنة عند اليهود [٤٥٢] .

يقول التلمود : " إذا قال لك الكاهن أن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فحاذر أن تشك في كلامه ، واعلم يقيناً أن كلامه هو الحق الذي لا ريب فيه " [٤٥٣] .

([٤٥٢]) انظر : أديان العالم ، ص (١٨٦-١٩٧) .

اليهودية ، ص (٢٠٠-٢٠٤) .

تاريخ العقائد ، سليمان مظهر ، ص (٣١٧) .

([٤٥٣]) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص (٥٢) .

وهكذا استبدل اليهود الهيكل بالذات الإلهية ، ثم أقاموا الكهان مشرعين حقيقيين وناطقين باسم الإله الجديد – الهيكل – وبين هذا وذلك اضمحل وجود الذات الإلهية حتى أضحى بلا وجود .

المطلب الثاني : الجانب الإلهي في الأسفار اليهودية :

لقد سجلت نصوص اليهود في عقيدة الألوهية لديهم تناقضاً جلياً بين الإثبات والنفي بين الأمر بإخلاص العبادة والتوجه بها إلى الله تعالى وحده لا شريك له ، ووقوعهم في الشرك بعبادة معبودات عديدة غيره .

فإن مسألة الألوهية عند اليهود كلها ، سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد لم تكن عميقة الجذور في نفوس بني إسرائيل ، فقد كانت المادية والتطلع إلى أسلوب نفعي في الحياة أكثر ما يشغلهم .

ففي هذا الموضع الجليل والمتعلق بالذات العلية ، نود أن نتعرف على قضية الألوهية ذاتاً وموضوعاً وصفاتاً وذلك بالوقوف على مصادر العقيدة والشريعة اليهودية من خلال الكتب المقدسة المدونة في العهد القديم .

ففي سفر الخروج سبع عشر فقرة منسوبة لله تعالى ، وموجهة إلى موسى – عليه السلام – توحي وتتحدد أبعاد ومقومات العقيدة اليهودية – معتقداً وعبادة وشريعة .

تقول فقرات الخروج : " ثم تكلم الرب في جميع هذه الكلمات قائلاً : أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالاً ، لا منحوتاً ولا صورة مما في السماء من فوق وما في فوق من تحت وما في الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي ، لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً ، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً ، اذكر يوم السبت لتقدسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ، وأما

اليوم السابع ففيه سبت[٤٥٤] للرب إلهك ، لا تصنع عملاً ما ، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك ، لأن في ستة أيام صنع الرب الأرض والسماء والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه ، أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك : لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور ، لا تشته بيت قريبك ، لا تشته امرأة قريبك ، ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك " [٤٥٥] .

ليس في أسفار العهد القديم كله كلمات تتحدث عن العقيدة والعبادة والشريعة اليهودية بهذا القدر من الإيجاز وبهذا القدر من الإلمام والشمول .

فجاءت الوصايا العشر تحمل بين سياقها الجانب العقدي والتعبدي والشرعي في صلب العقدية اليهودية .

ونستطيع ترتيب ما جاء في الفقرات السابقة على الوجه الآتي :

١. " أنا الرب إلهك ... لا يكن لك آلهة أخرى " .

٢. " لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً .. ولا تسجد لهن ولا تعبدهن " .

٣. " لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً " .

في هذه العناصر الثلاثة التي جاءت في النص نستطيع أن نرى العقيدة اليهودية، أو عقيدة التوحيد في اليهودية ، وهي بهذه الصورة نرى أنها عقيدة دينية بالمعيار الصحيح المنزه لرب العالمين والموحد لذاته تعالى ، المستقيمة على ما تنزل على موسى – عليه السلام– فهذه الفقرات لا تستحق منا الوقوف أمامها بالنقد أو التعليق .

---

(٤٥٤) سبت أي راحة على حسب اعتقادهم بأن الله تعب فاستراح ومن ذات المعنى قوله تعالى : " وجعلنا نومكم سباتاً" ٩ سورة النبأ – أي راحة .

(٤٥٥) الخروج ٢٠ : ١–١٧ .

وإكمالاً لما سبق من العناصر السابقة فهناك عنصران في مجال التعبد ، فهي من الأهمية بمكان وهما :

٤. " اذكر يوم السبت لتقديسه " .

٥. " أكرم أباك وأمك " .

ففي هذين العنصرين نستطيع أن نرى الجانب التعبدي في اليهودية ففي اليهودية كان الله يعبد في يوم معلوم دون سواه ، وأنه أمر بإكرام الوالدين ، وقرن تقديس يوم السبت بإكرام الوالدين ، فإن كان هذا الجانب التعبدي كما ترويه النصوص فلا بأس فيه عندهم ولا اعتراض عليه .

ثم تطالعنا فقرات هذا السفر بخمسة عناصر أو نقاط تتم بالخمس السابقين للوصايا العشر ، والتي هي البقية الباقية مما حملته أسفار العهد القديم من آثار الوحي وهذه العناصر هي :

٦. لا تقتل .

٧. لا تزن .

٨. لا تسرق .

٩. لا تشهد على قريبك شهادة زور .

١٠. لا تشته بيت قريبك .

فهذه هي الوصايا العشر كما وردت في سفر الخروج ، والحديث فيها عن رب العزة أقر بما يكون إلى التنزيه الذي يليق بذاته الله تعالى التي تتعالى عن المخلوقات .

غير أنه يعيب هذه النصوص ما تضمنته بعض الفقرات التي لا تستقيم في عقيدة صحيحة يتحدث أصحابها عن رب العالمين حيث ينسبون إلى الرب تعالى عما يقولون أنه : " يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع .

وأيضاً فإن العنصرية اليهودية تبدو بارزة في علاقات اليهود مع غيرهم من خلال توجيهات تلك الوصايا " لا تشهد على قريبك شهادة زور لا تشته بيت قريبك ، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً ما لقريبك " .

وكانّ اليهود في حل من تعاليم هذه الوصايا مع غير اليهود ، فهو يستحل كل هذه الأشياء مع غير قريبه ، بينما بقية عناصر الوصايا جاءت بالنهي عن السلوك المنهي عنه مطلقاً " لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق " .

وقد صرحت العديد من النصوص اليهودية في الإقرار بتوحيد الألوهية فهو الإله الحق ولا إله غيره .

يقول موسى : " اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد " [٤٥٦] .

وقال أشعيا : " أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض " [٤٥٧] .

ويقول الإله عن نفسه : " أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري " [٤٥٨] .

وقال : " أنا أنا هو ، وليس إله معي " [٤٥٩] .

لهذا أوجب الله سبحانه وتعالى عبادته وحده لا شريك له .

" الرب إلهك تتقي وإياه تعبد " [٤٦٠] .

وكما أوجب طاعته سبحانه في كل ما أمر : " احفظ شعائر الرب إلهك إذ تسير في طرقه وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب في شريعة موسى لكي تفلح في كل ما تفعل وحيثما توجهت " [٤٦١] .

---

[٤٥٦] تثنية ٦ : ٤ .

[٤٥٧] أشعيا ٣٧ : ١٦ .

[٤٥٨] أشعيا ٤٤ : ١٦ .

[٤٥٩] تثنية ٣٢ : ٣٩ .

[٤٦٠] تثنية ٦ : ١٣ .

[٤٦١] الملوك الأول ٢ : ٣ .

ونهى سبحانه عن عبادة غيره من الآلهة حيث قال : " لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم لأن الرب إلهكم إله غيور في وسطكم لئلا يحمي غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض " [٤٦٢] .

وقال : " إن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها أشهد عليك اليوم أنكم تبيدون لا محالة " [٤٦٣] .

ونهى سبحانه وتعالى عن السجود للشمس أو القمر أو النجوم وقال : " إذا وجد في وسطك ... رجل أو امرأة يفعل شراً في عيني الرب إلهك يتجاوز عهده ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو للشمس أو القمر أو لكل من جند السماء الشيء الذي لم أرض به ، فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة ، وارجمه بالحجارة حتى يموت " [٤٦٤] .

كما نهى عن اتباع السحر والعرافة[٤٦٥] وعبادة الموتى والجن والشياطين . فقد جاء في اللاويين : " لا تتفاءلوا ولا تعيفوا .. ولا تجرحوا أجسادكم لميت وكتابة وشم لا تجعلوا فيكم .. لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم أنا الرب إلهكم " [٤٦٦] .

([٤٦٢]) تثنية ٦ : ١٤ .

([٤٦٣]) تثنية ٨ : ١٩-٢٠ .

([٤٦٤]) تثنية ١٧ : ٢-٥ .

([٤٦٥]) السحر : هو عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ، فتح المجيد ص(٢٧٧) .

والعرافة : الاستدلال على المسروق ببعض المقدمات كأثر السارق ورؤية محل السرقة، والعرافة طرق من السحر، المرجع السابق ص (٢٩٥) .

والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، ص (١٦٩) .

([٤٦٦]) لاوين ١٩ : ٢٦-٣١ .

كما حرم عليهم ذبح أبنائهم وبناتهم قرابين للأصنام ، فجاء في سفر التثنية : حيث قال : " لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار ، ولا من يعرف عرافاً ولا عائف[٤٦٧] ولا متفائل ولا ساحر ومن يرقى رقية ولا من يسأل جاناً أو تابعه ، ولا من يستشير الموتى لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب " [٤٦٨] .

ولا تصح عبادة الله عز وجل إلا بطاعته ومحبته في كل أقوال وأفعال الإنسان ، جاء في أسفارهم : " اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة " [٤٦٩] .

وأيضاً : " اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعده " [٤٧٠] .

وقال : " وراء الرب إلهكم تسيرون وإياه تتقون ، ووصاياه تحفظون وصوته تسمعون وإياه تعبدون وبه تلتصقون " [٤٧١] .

وقد جاء في توحيد الألوهية عند اليهود ما يستدل على أنه الفارق بين الموحدين والمشركين إذ عليه مدار الجزاء والثواب في الأولى والآخرة ، جاء في بركات من عبد الله وأطاعه : " قد جعلت اليوم قدامك ، الحياة والخير والموت والشر ، بما أني أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وتنمو ويباركك الرب إلهك في الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها ، فإن انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها فإني أنبؤكم اليوم لا محالة تهلكون " [٤٧٢] .

---

(٤٦٧) العائف : المتكهن . وفي حديث ابن سيرين : " أن شريحاً كان عائفاً : أراد أنه كان صادق الحدس والظن .. لسان العرب : (عيف) .

(٤٦٨) تثنية ١٨ : ٩-١٢ .

(٤٦٩) تثنية ٣٠ : ١٥-١٨ .

(٤٧٠) مزامير ٢ : ١١ .

(٤٧١) تثنية ١٣ : ١٤ .

(٤٧٢) تثنية ٣ : ١٥-١٨ .

وأما في الآخرة فقد جاء أن الإنسان يجزى على أفعاله إن كانت طاعة أو معصية لله تعالى في فرائض عبادته .

قال : " اتفق الله وأحفظ وصاياه ، لأن الله يحقر كل عمل إلى الدينونة ... إن كان خيراً أو شراً " [٤٧٣] .

هذا وقد عرف العلماء المعنيون اليهودية بأنها أول دين سماوي مكتوب أنزله الله تبارك وتعالى وحياً على نبيه موسى – عليه السلام – ليعبده بنو إسرائيل ولا يشركون معه به شيئاً ، أي أنها دين سماوي يقوم على توحيد الواحد القهار ، والمسلمون بهدي من كتاب الله تعالى مطالبون من خلال هيمنة الإسلام على ما في اليهودية والمسيحية من اعتقاد بالإيمان به أي الدين اليهودي السماوي باعتبار اليهودية الدين الذي أنزله الله على قلب عبده موسى – عليه السلام – يقوم على توحيد الله رب العالمين ، ولكن الغريب العجيب أن الباحث إذا ما ذهب يدرس العقيدة اليهودية من خلال مصادرها " التوراة والتلمود " لا يعثر على ما يدل على أن المعتقد اليهودي في الذات الإلهية قوامه التوحيد وتنزيه رب العالمين عن البشر ومخالفته للحوادث ، وما ذلك إلا للتحريف والتزييف والزيادة والنقصان ، وكل ما ألحقه الكهنة والحاخامات بأصل الدين .

---

(٤٧٣) جامعة ١٢ : ١٣-١٤ .

المطلب الثالث : دلائل شرك الألوهية في العهد القديم :

أهمل اليهود النصوص السابقة ومثيلاتها من أسفارهم والتي تتفق مع دعوة موسى – عليه السلام – التي لهم فيها توحيد الألوهية ، وانساقوا وراء أهوائهم للتعصب والعنصرية تارة والتعدد والنفعية تارة أخرى ، إذ لم يستقروا في أي فترة من فترات تاريخهم على عبادة الله الإله الواحد مطلقاً ، ولم يذعنوا لكل التحذيرات التي وجهها إليهم للامتناع عن عبادة غيره من الأصنام والأوثان وغير ذلك .

وقد قام اليهود بعبادة هذه الآلهة الوثنية رغم التحذيرات الشديدة الواضحة من فعل ذلك والتي تحتوي عليها الأسفار الخمسة ومنها على سبيل المثال ما ورد في الإصحاح العشرين من سفر الخروج حيث قال : " أنا الرب إلهك ... لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت ، وما في الماء من تحت ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأني أنا الرب إلهك إله غيور " [٤٧٤] .

وقال أيضاً : " لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب " [٤٧٥] .

وحذر السفر من آلهة الشعوب التي سيختلط بها اليهود بقوله : "فإن ملاكي يسير أمامك ويجيء بك إلى الأموريين[٤٧٦] والحيثيين[٤٧٧]

([٤٧٤]) الخروج ٢٠ : ١–٥ .

([٤٧٥]) الخروج ٢٠ : ٢٣ .

([٤٧٦]) شعب كان يتكلم لغة سامية ، وقد حكموا أجزاء من فلسطين وسوريا وبابل بعض الزمن ، وكانوا ملوك الأسرة الأولى في بابل في القرن التاسع عشر إلى القرن السادس عشر ق . م ، وكان حمورابي من أشهر ملوكهم وعاصمتهم ماري ، ويذكر سفر التكوين أن سلالة نسب الأموريين ترجع إلى كنعان ، وكانت من أهم القبائل في فلسطين في عصر – إبراهيم – عليه السلام – انظر : قاموس الكتاب المقدس .

([٤٧٧]) هي إمبراطورية شرقية ازدهرت في آسيا الصغرى بين ١٩٠٠– ١٢٠٠ ق . م ولا يعرف على وجه التحقيق

والفرزيين [٤٧٨] والكنعانيين والحويين[٤٧٩] فأبيدهم لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم بل تبيدهم وتكسر أصنامهم ، وتعبدون الرب إلهكم " [٤٨٠] .

وأيضاً بلغ التحذير من التعدد ما ورد في نفس السفر :

" وإذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ، ولا آباؤك ، من آلهة الشعوب الذي حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها فلا ترض منه ولا تسمع له ، بل قتلاً تقتله .... ترجمه بالحجارة حتى يموت ... " [٤٨١] .

ولكن اليهود على الرغم من هذه التحذيرات التي وجهها الرب إليهم لكي يمتنعوا عن عبادة غيره من أصنام الأمم الأخرى ، ظلوا طوال عهودهم أو أغلبها يتمردون على عبادة الله ويعبدون آلهة الشعوب الوثنية المخالطة لهم أو المحيطة بهم أو المتعاملة معهم أو المسيطرة عليهم فعبدوا آلهة هذه الشعوب .

والذي يؤكد بالبرهان القاطع والحجة الدافعة على أنه في موضوع العقيدة الدينية في الإله عند بني إسرائيل تفتقد عقيدة التوحيد تماماً وعلى ضوء التراث الذي انتهى إلينا لم يرق بنو إسرائيل بالعقيدة الدينية ولم يعرفوا معنى التنزيه للإله الخالق ، ولم يعرفوا التوحيد الخالص .

العنصر الذي ينتمي إليه الحيثيون ، وكان الحيثيون قصاراً ممتلئ الجسم ، ذوي شفاه غليظة وأنوف كبيرة ،= =وجبهة مائلة للوراء ، ويتكلمون اللغة الهندية الأوربية " الآرية " . انظر : المرجع السابق.

(٤٧٨) من أوائل الشعوب التي استوطنت أرض كنعان منذ عصور سابقة لعصر إبراهيم – عليه السلام – وهم من الجنس السامي .

انظر : دائرة المعارف الكتابية .

(٤٧٩) اسم عبري معناه " قرية مخيم " وهم أحد أجناس كنعان قبل غزو العبرانيين وقد تشتتوا إلى عدة جماعات وظل لسلالتهم تأثيراً في المدينة لعدة أجيال بعد الغزو . انظر : قاموس الكتاب المقدس .

(٤٨٠) الخروج ٢٣ : ٢٤–٢٥ .

(٤٨١) التثنية ١٣ : ٦–١٠ .

وتتضح مظاهر شركهم فيما يأتي :

١. تخصيص الإله باليهود : تعتقد اليهود بأن الله (عز وجل) إله محلي خاص بهم دون سائر الشعوب فلم تعرفه إلهاً للخلق أجمعين ، وكثيراً ما تتردد عبارات من نصوصهم تدل دلالة واضحة على تخصيص الإله بهم مثل : إله العبرانيين ، إله بني إسرائيل ، إله إسرائيل ، إله آبائكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، إله بني يعقوب ، إله يعقوب.

فقد جاء في الخروج : " فإذا سمعوا لقولك تدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له الرب إله العبرانيين التقانا " [٤٨٢] .

وفي موضع آخر : " وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون هكذا الرب إله إسرائيل أطلق شعبي " [٤٨٣] .

وأيضاً : " الأرض ارتعدت السماوات أيضاً قطرت أمام وجه الله سيناء نفسه من وجه الله إله إسرائيل .. مخوف أنت يا الله من مقادسك إله إسرائيل هو المعطي قوة وشدة للشعب. مبارك الله " [٤٨٤] .

ويتضح من مدلول استخدامها في كل موضع من مواضعها أن المقصود بها هو إله اليهود وحدهم دون سائر الشعوب ، وهم شعبه المختار .

يقول الإله : " ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب ... وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين .. وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً " [٤٨٥] .

([٤٨٢]) الخروج ٣ : ١٨ .

([٤٨٣]) الخروج ٥ : ١ .

([٤٨٤]) مزامير ٦٨ : ٨ ، ٣٥ ، وانظر : الخروج ٣٤ : ٢٣ ، عدد ١٦ : ٨ ، ٩ ، يشوع ٢٢: ١٦ ، صموئيل الأول ١ : ٥/١٧: ٧ ، الأخبار الأول ٨ : ٢٢-٢٦ / ٢٩ : ١٠ ، حزقيال : ٣ :٢ / ٨ : ٩/٤ : ٣ ، عزرا ٥ : ٦/١ :٢٤ ، أشعياء ٢٩:٢٣ .

([٤٨٥]) الخروج ٦ : ٢-٧ .

وجاء في نفس السفر : " واسكن في وسط بني إسرائيل وأكون لهم إلهاً ، فيعلمون أني أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر لأسكن في وسطهم " [٤٨٦] .

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي : " يستدل من أقدم أسفارهم أنهم كانوا يرون أن ثم إلهاً خاصاً بشعب إسرائيل يختلف عن آلهة الشعوب الأخرى " [٤٨٧] .

ويرى محمد عزة دروزة أن الأسفار كلها تنصب على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة وكون الرب ربهم الخاص . [٤٨٨]

أما زكي شنودة فيقول : " وكان اليهود أحياناً يجمعون بين عبادة الله وعبادة الآلهة الوثنية معتبرين أن الله ليس إلا واحداً من هذه الآلهة العديدة وإن يكن مختصاً باليهود كما يختص كل إله من الآلهة بشعب بعينه " [٤٨٩] .

هذا وإنه لا توجد نصوص في أسفار اليهود تشير إلى أن اليهود أمروا بدعوة غيرهم من الأمم إلى ديانتهم ومن هنا يظهر انغلاق هذه الديانة اليهودية عليهم وانحرافهم باعتقاد اختصاص الإله بهم وعلى هذا فإن وحدانية ألوهية الله (عز وجل) لم تكن عامة على كل البشر بل ألوهية خاصة ببني إسرائيل وهذا يتنافى مع الألوهية المطلقة لله (عز وجل) لجميع البشر ، علماً بأن الألوهية المطلقة للبشر جميعاً في جميع الرسالات لا تتعارض مع كون تلك الرسالات خاصة بقوم كل رسول وزمانه .

٢. تعدد معبودات اليهود :

لم تعرف اليهود الاستقرار على عبادة الله الواحد الأحد طوال تاريخهم ، رغم كل التحذيرات التي وجهها الله إليهم لكي يمتنعوا عن عبادة غيره فقد تعددت آلهتهم حتى

---

(٤٨٦) الخروج ٢٩ : ٤٥-٤٦ .

(٤٨٧) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص (٢٧) .

(٤٨٨) انظر : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، ص (٢٢) .

(٤٨٩) نشأة اليهود ، زكي شنودة ، ص (٤٨٨) . مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٧٤م .

صارت بعدد المدن التي نزلوا فيها وجاوروا أهلها والحقيقة أن معبودات بـني إسـرائيل لم تقف عند تعدد آلهتهم من تماثيل الأوثان والأصنام التي كانوا ينحتونهـا ويـسبكونها بأنفسهم تقليداً لتلك الأمم ، بل تنوعت وكثرت حتى شملت أغلب مظاهر الكون في سفله وعلوه ، كالأحجار والمعادن والنباتات ، والحيوانات ، ومظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والنجوم والسماء ، وعبدوا الملائكة حتى البشر .

وفيما يلي توضيح ذلك :

١- عبادة الأصنام من الأحجار والمعادن :

كان اتجاه اليهود إلى التجسيم واضحاً منذ بداية ظهورهم على مسرح التاريخ مقلدين الأمم المجاورة لهم ، وتعد كثرة أنبيائهم دليلاً على تجدد الشرك فيهم ، وبالتالي تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد ، فإنه يظهر من استقراء[٤٩٠] تاريخ اليهود وما ورد بشأنهم في القرآن الكريم ، وما ورد في أسفارهم نفسها أنهم لم يحافظوا على التوحيد الذي أتاهم به موسى – عليه السلام – وأن فهمهم للذات العلية لم يكن مطابقاً لما جاء به الأنبياء – عليهم السلام – ، وإنما تطلعوا إلى الشرك فاتخذوا من دون الله آلهة أخرى وحدث هذا في عهد سيدنا موسى – عليه السلام – .

فلقد تاقت نفوسهم لعبادة إله مادي يتحسسونه ، فقد طلبوا من موسى – عليه السلام– بعد أن جاوز الله بهم البحر ورأوا أقواماً يعكفون على عبادة آلهة لهم من الأصنام، أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه كما لأولئك القوم آلهة .

وهكذا ظلوا حيثما كانوا يحلون يعبدون آلهة القوم الذين يحلون لديهم ، فعبدوا آلهة الشعوب الوثنية المخالطة لهم أو المحيطة بهم أو المسيطرة عليهم كآلهة الأشوريين

---

(٤٩٠) هو تتبع جزئيات الشيء ، وعند المنطقيين هو الحكم الكلي لوجوده في أكثر جزئياته ، أو هو تصفح الجزئيات لإثبات حكم كلي – المعجم الفلسفي .

والبابليين والكلدانيين[٤٩١] والمصريين والحيثيين والكنعانيين والفينقيين[٤٩٢] والأموريين والآراميين[٤٩٣] والفلسطينيين والأدوميين[٤٩٤] والموابيين والعمونيين والحوبيين [٤٩٥] .

ومن أشهر آلهة تلك الأمم التي ذكرتها التوراة وعبدتها اليهود هي :

الإله آشور ، الإله نسروخ ، الإله مولوك إله الأرض ، الآلهة عشتاروت ملكة السماوات وزوجة الإله تموز ، الإله بعل إله الشمس ، الإله داجون ، الإله كموش ، الإله نرجل والإله أشيما والإلهان نيجز وترياق ، والإلهان آدر ملك وعنملك [٤٩٦] .

ويقرر سفر أرميا ويقول :

" كخزي السارق إذا وجد هكذا خزي بيت إسرائيل هم وملوكهم ورؤساءهم وكتبتهم وأنبياؤهم قائلين للعود أنت أبي ، وللحجر أنت ولدتني ... لأنه على عدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا ... كلكم عصيتموني يقول الرب " [٤٩٧] .

([٤٩١]) هو اسم يطلق على جماعة من القبائل السامية التي كانت تعيش فيما كان يطلق عليها " بلاد البحر " واستطاع الكلدانيون بقيادة نبوخذ نصر تأسيس الأمبراطورية البابلية الحديثة " الكلدانية " . (دائرة المعارف الكتابية، معجم الحضارات السامية) .

([٤٩٢]) هم شعب سامي في بلاد كنعان حوالي القرن الثامن والعشرين ق . م ، منبت هذا الشعب لا يزال غير محدد بصورة دقيقة ، فقد يكون في الجزيرة العربية ، أو في بلاد العموريين أو المؤابيين أو الأدوميين ، استقروا على الساحل الممتد من جبل كرمل إلى أوغاريت ، ثم عرفوا بعد ذلك باسم السوريين . (معجم الحضارات السامية).

([٤٩٣]) هم شعب سامي من القبائل التي نزحوا من الجزيرة العربية ويرجعون إلى الأصل العربي ، ويرجع ظهورهم إلى أزمنة موغلة من القدم ، وتكونت على أيديهم الإمبراطورية البابلية الحديثة ، الكلدانية . (معجم الحضارات السامية ، قاموس الكتاب المقدس) .

([٤٩٤]) هم نسل عيسو أو آدوم أخو يعقوب – عليه السلام – أبناء عمومه بالنسبة للإسرائيليين استوطنوا أرض سعير ، وكان لهم مملكة خاصة مستقلة ضمن ممالك فلسطين ، خاضوا معارك عدة مع الإسرائليين . (قاموس الكتاب المقدس) .

([٤٩٥]) انظر : نشأة اليهود ، ص (٤٨٣) .

([٤٩٦]) انظر : المرجع السابق ، ص (٤٨٣–٤٨٦) .

وينص سفر القضاة على ذلك : " فكان بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحيثيين والآموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين واتخذوا بيتاً لهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم[٤٩٨] والسواري فحمى غضب الرب على إسرائيل " [٤٩٩] .

وكانوا ينحتون أو يسبكون تماثيل وأصنام هذه المعبودات من الحجارة أو الخشب وأحياناً من بعض المعادن المختلفة ولا سيما الذهب والفضة والنحاس بأحجام مختلفة وعلى أشكال وهيئات مختلفة في أماكن مختلفة وأحياناً يحتفظون بها في بيوتهم يأخذونها معهم إلى أي مكان يذهبون إليه وتسمى " الترافيم "[٥٠٠] كما كانوا يرسمونها على جدران بيوتهم أو قبورهم أو مجامعهم أحياناً أخرى ، بل لقد رسموها على جدران هيكل أورشليم [٥٠١] نفسه [٥٠٢] .

([٤٩٧]) أرميا ٢ : ٢٦ — ٣٠ .

([٤٩٨]) البعل جمعه بعليم : وهو اسم سامٍ معناه " رب أو سيد " إله كنعاني ، أولع أهل المشرق والإسرائيليون بعبادته ، لذا له أسماء عديدة إذ تطلق كل أمة اسماً يعرف به عند قومها، وكان الاسم يبدأ غالباً باسم تلك البلاد ، أو شيء ينسب إليه نحوه : بعل فغور ، بعل زبوب .

انظر : قاموس الكتاب المقدس .

([٤٩٩]) قضاه ٣ : ٥–٨ .

([٥٠٠]) الترافيم : كلمة عبرية معناها " مسعدات " تترجم أصناماً وهي صغيرة جداً بحيث يمكن حملها في الهروب بسرعة وإخفاؤها ، أكبر ما فيها بحجم الإنسان يعتقد اليهود أنها مجلبة للفأل الحسن وكانت تستثار في كل المقترحات . انظر : قاموس الكتاب المقدس .

([٥٠١]) الهيكل : كلمة سومرية معناها " البيت الكبير " وهو هيكل سليمان مكان عبادة لله عند اليهود وقد كان داود صاحب فكرة بنائه بدل خيمة الشهادة المتنقلة وسليمان هو الذي بناه على شكل الخيمة بوجه عام ، إلا أن الأبعاد كانت ضعف ما كانت عليه في الخيمة ، كان يتجه إلى الشرق وبجانب مدخله رواق وعواميد وبه المذبح وينيره ضوء منارة من الذهب وإلى جانبها خمس منائر على خمس موائد ، وفيه المحراب غرفة مظلمة فيها تابوت العهد على الصخرة . انظر : قاموس الكتاب المقدس .

([٥٠٢]) انظر : نشأة اليهود ص (٤٨٧) .

وقد انحدر اليهود في عباداتهم إلى أحط الدركات ، وممارسة أبشع الصور والأساليب الوحشية الداعرة ، فكانوا يقدمون أبناءهم ضحايا وقرابين لأصنامهم ، ويمارسون الدعارة في هياكل الآلهة الوثنية ، بل في هيكل أورشليم نفسه ، منساقين إلى ذلك بطبيعتهم الوحشية ونزعتهم الشهوانية . [٥٠٣]

فقد جاء في سفر أرميا : " اسمعوا كلمة الرب يا ملوك يهوذا وسكان أورشليم هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل .. ها أنذا جالب على هذا الموضع شراً من أجل أنهم بنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا أولادهم بالنار محرقات للبعل "[٥٠٤] .

وجاء في موضع آخر : " وعاد فبنى المرتفعات ... وأقام مذابح للبعل وعمل سارية .. وبنى مذابح لكل جند السماء في داري بيت الرب ، واستخدم جاناً وتوابع وأكثر عمل الشر في عيني الرب لإغاظته " [٥٠٥] .

وعبادة اليهود للأوثان والأصنام لا تزال حتى يومنا هذا . فقد سجل سهيل ديب بعض الآلهة التي تعددت في الديانة اليهودية كالإلهات الأنثيات وقد اندثرت بعضها ولا يزال البعض الآخر فيها حتى أوائل القرن العشرين الحالي وهي كالآتي : " الآلهة " عشيرة " ابنة الآلهة " عشيرة " ، و" اشتار " نجمة الصبح .

" الكروبيم " صور ومنحوتات ذات أشكال بشرية مخيفة .

" الشخينة " وهي تشكل أحد أركان " القبلة " حتى يومنا هذا .

" رباعية القبلة " وهي تطوير تأملي لاسم الجلالة الرباعي " ي هـ و ه " .

" ماترونيت " وهي تمثل الطهارة والأمومة والحرب .

---

(٥٠٣) انظر : المرجع السابق ، ص (١١٥) .

(٥٠٤) أرميا ١٩ : ٣-٥ .

(٥٠٥) الملوك الثاني ٢١ : ٣-٦ .

" ليليت " تمثل الشر والاعتقاد بها لدى القبليين واليهود والحسديين أي " المتزمتين " حتى وقتنا هذا .

" السبت " أو " السايات " آلهة تمثل الجنس والعلاقات الجنسية " [٥٠٦] .

فقد جاء في قوله : " يقول الرب : إن آباءكم قد تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها ، وإياي تركوا وشريعتي لم يحفظوها ، وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم ، وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير حتى لا تسمعوا لي "[٥٠٧] .

وأصبح الهيكل في الواقع رمزاً لكل ما كان يدور بخلدهم من معبودات وثنية ، فهو ليس بعيداً عن الأحجار والأصنام ، وهو مسكن الأرواح وبه المذابح حيث رأس العجل .

ولقد كان الهيكل مملوءاً بالمعبودات والأصنام التي تمثل بعل ومولك والشمس والقمر وكل أجناد السماء ، وكان الشعب يسجد لها .

فقد جاء في سفر الملوك الثاني قوله : " وأمر الملك .... أن يخرجوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية ولكل أجناد السماء وأحرقها .. والذين يوقدون للبعل الشمس ، والقمر والمنازل ولكل أجناد السماء " [٥٠٨] .

" ونما سلطان الكهنة وانتشرت التربية الدينية ، ولكن ذلك لم يكف لتحرير عقول العبرانيين من الخرافات والأوهام ومن عبادة الأوثان ، بل ظلت قلل التلال والحراج مأوى الآلهة الأجنبية ، ومشهداً للطقوس الخفية ، وظلت جماعات كبيرة من الشعب تسجد للحجارة المقدسة أو تعبد بعل وعشتروت ، أو تتنبأ بالغيب على الطريقة البابلية

([٥٠٦]) انظر : التوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب ، دار النفائس بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .

([٥٠٧]) آرميا ١٦ : ١١-١٣ .

([٥٠٨]) الملوك الثاني ٢٣ : ٤-٦ .

اقرأ الإصحاح ٢٣ من سفر الملوك الثاني بالكامل .

، أو تقيم الأنصاب وتحرق لها البخور أو تركع أمام الحية النحاسية أو العجـل الـذهبي ، أو تملأ الهيكل بضجيج الحفلات الوثنية " [٥٠٩] .

٢- عبادة أصنام من النبات والأشجار :

لقد عبد اليهود الأشجار ، فقد جاء في تبكيتهم من نصوصهم على عبـادة الأشـجار : "... قطع لنفسه أرزاً وأخذ سنديانا وبلوطاً ، واختار لنفسه من أشجار الـوعر ، وغـرس سنوبراً والمطر ينميه فيصير للناس للايقاد ، ويأخذ منـه ويتـدفأ ، يـشعل أيـضاً ويخبـز خبزاً ، ثم يصنع إلهاً فيسجد له ، قد صنعه صنماً وخر له نصفه أحرقه بالنـار .. علـى نصفه يأكل لحماً يشوى مشوياً ويشبع يتـدفأ أيـضاً ويقـول بـخ قـد تـدفأت رأيـت نـاراً . وبقيته قد صنعها إلهاً ، صنماً لنفسه يخر له ، ويسجد ويصلي ويقول نجي لأنـك أنـت إلهي . لا يعرفون ولا يفهمون لأنهم قد طمست عيونهم عن الأبصار وقلوبهم عن التعقـل ولا يردون في قلبه وليس له معرفة ولا يفهم حتى يقول نـصفه أحرقـت بالنـار وخبـزت أيضاً على جمرة خبزاً شويت لحماً وأكلت . أفأصنع بقيته رجساً ولساق شجرة أخـر .... قلب مخدوع قد أضله " [٥١٠] .

٣- عبادة بعض الحيوانات وسبك الأصنام على هيئتها :

حتى الحيوانات عبدتها اليهود كالأغنام والعجـول والكـبش والحمـل ، وقـد أحبـوا عبادة العجول على الخصوص فلم يتخلوا قـط عـن عبادتهـا ، إذ كانـت لا تـزال حيـة في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر[٥١١] وقد اشتهروا بصناعة التماثيل لها ومـن أشـهرها العجـل الذهبي ، وقد ظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوي آكل العشب رمزاً لآلهـتهم ،

([٥٠٩]) قصة الحضارة (٢/٢٤٦) .

([٥١٠]) أشعياء ٤٤ : ٦-٢٠ .

([٥١١]) انظر : قصة الحضارة (٢/٣٣٨) .

وقد زعمت أسفار اليهود بأن هارون – عليه السلام – هو الذي صنع العجل الذهبي لهم ليعبدوه عندما تأخر موسى – عليه السلام – في العودة إليهم .

فقد جاء في الخروج : " ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا .. فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها .. فأخذ ذلك من أيديهم وصور بالأزميل(٥١٢) وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي اصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ، ونادى هارون وقال غداً عيد للرب"(٥١٣).

ولقد ظلت عبادة العجل تتجدد في حياة بني إسرائيل من حين إلى آخر .

فلقد عمل يربعام(٥١٤) أول ملك على إسرائيل بعد انقسام بني إسرائيل إلى مملكتين ، إذ أقام تمثالين بعجلين من ذهب ووضع إحداهما في بيت إيل والآخر في دان(٥١٥) ونص ذلك في سفر الملوك الأول إذ يقول : " وبنى يربعام شكيم في جبل إفرايم وسكن بها .. وقال يربعام في قلبه الآن ترجع المملكة إلى بيت داود أن صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح في بيت الرب في أورشليم .. فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب وقال لهم كثير عليكم أن

---

(٥١٢) الأزميل : المقصود به هنا المنقار وهي حديدة ينقر بها . انظر تفسير الفقرة السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم .

(٥١٣) الخروج ٣٢ : ١–٥ .

(٥١٤) يربعام اسم عبري معناه " كثير الشعب " وهو ابن ناباط من سبط أفرايم ولد في صدده في وادي الأرق وهو الملك الأول في المملكة الشمالية بعد انقسام مملكة سليمان في أيام رحبعام ، ملك حوالي ٢٢ سنة ، وجعل شكيم عاصمته وخشية أن يصعد الشعب إلى أورشليم للأعياد ، وتجديد ولائهم لبيت داود ، نصب عجلين من ذهب أحدهما في بيت إيل والآخر في دان أي في طرفي مملكته ونادى بوجوب عبادتهما . قاموس الكتاب المقدس .

(٥١٥) اسم مدينة في الطرف الشمالي من أرض بني إسرائيل في نصيب نفتالي في سفح جبل حرمون حيث منابع الأردن، قاموس الكتاب المقدس .

تصعدوا إلى أورشليم . هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ووضع واحداً في بيت إيل وجعل الآخر في دان ... وبنى بيت المرتفعات وصير كهنة من أطراف الشعب لم يكونوا من بني لاوي " [٥١٦] .

كما عبد بنو إسرائيل الحية النحاسية[٥١٧] التي يزعمون أن موسى – عليه السلام – صنعها بأمر الله وأقامها على راية في البرية ، ليبرأ بالنظر إليها بنو إسرائيل الذين لدغتهم الحيات المحرقة حين غضب عليهم الرب في صحراء سيناء .

: " فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا ، فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على راية فكان متى لدغت حية إنسان ونظر إلى حية النحاس يحيا " [٥١٨] .

٤– عبادة الشمس والقمر والنجوم :

كانت الشمس من معبودات الشعوب الوثنية التي عاصرت اليهود كالبابليين والأشوريين وكانت تعرف عندهم باسم الإله " شمس " وتعرف عند المصريين باسم الإله "رع " فأدخلت عبادتها في يهوذا على نظام عبادتها في آشور ، وجعلت لها الخيل والعجلات وينحروا لها على سطوح المنازل وفوق الجبال ، بل عبدوها وبخروا بها متجهين نحو الشرق داخل هيكل أورشليم نفسه [٥١٩] .

جاء في سفر حزقيال : " يد السيد الرب وقعت علي ... ورفعني روح بين الأرض والسماء .. فجاء بي إلى دار بيت الرب الداخلية وهو ذا عند باب هيكل الرب بين

([٥١٦]) الملوك الأول ١٢ : ٢٥–٣١ .

([٥١٧]) عبدها اليهود كصنم وحطمها حزقيا ملك يهوذا ودعاها (نحشستان) بازدراء إذ أن معناها قطعة نحاس .

انظر : قاموس الكتاب المقدس .

([٥١٨]) العدد ٢١ : ٨ ، ٩ . انظر : الملوك الثاني ١٨ : ٣–٤ .

([٥١٩]) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص (٥١٩) .

الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجودهم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو الشرق ، وقال لي أرأيت يا ابن آدم ؟ "[٥٢٠] .

فهذا النص يبين عبادتهم وسجودهم للشمس من دون الله تعالى .

وكذلك عبدوا القمر فقد كانت الأمم المجاورة لفلسطين تعبد القمر وعلى الرغم من أن الله حذر اليهود من الوقوع في عبادته الفاسدة إلا أنهم زاغوا عن الصواب وأخذوا يوقدون له ويعبدونه : " ... ويبسطونها للشمس وللقمر ولكل جنود السماوات التي أحبوها والتي عبدوها والتي ساروا وراءها والتي استشاروها والتي سجدوا لها " [٥٢١] .

وجاء في موضع آخر : " ... والذين يوقدون للبعل الشمس والقمر والمنازل ولكل أجناد السماء " [٥٢٢] .

واعتقدوا أن له ضرراً يحدثه بالناس إذ يهيج الأمراض العصبية كالجنون والصرع : "الرب حافظك الرب ظل لك عن يدك اليمنى لا تضر بك الشمس في النهار ولا القمر في الليل الرب يحفظك من كل شر يحفظ نفسك " [٥٢٣] .

وكذلك كانوا يؤمنون بأن النجوم تدير الكون والبشر أنفسهم فعبدوها لما وجدوا فيها من المظاهر الغريبة التي تستحق العبادة في نظرهم بدل خالقها وصانعها ويزعمون بأنها تنبؤهم بالمستقبل ومعرفة الغيب " [٥٢٤] .

([٥٢٠]) حزقيال ٨ : ١ ، ٣ ، ١٦ ، ١٧ .

([٥٢١]) أرميا ٨ : ٢ .

([٥٢٢]) الملوك الثاني ٢٣ : ٥ .

([٥٢٣]) مزامير ١٢١ : ٥-٧ .

([٥٢٤]) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص (٩٥٨-٩٥٩) . وانظر : نشأة اليهود ص (٤٨٧) .

المطلب الرابع: المؤثرات الوثنية الوضعية على اليهود

لقد مر بنو إسرائيل بمراحل متعددة من الانحرافات في العقيدة ، فقد كانوا عبدة أوثان في معظم الحالات .

فلقد تأثروا بعبادة الشعوب الوثنية المجاورة لهم بالالتصاق بهم عن طريق الامتزاج والاتصال والمصاهرة بالزواج منهم .

وبذلك نستطيع معرفة المصادر والمنابع التي استقى منها كتاب العهد القديم معلوماتهم وعقائدهم التي دونوها في أسفار العهد القديم المختلفة ، ونسبوها بعد ذلك زيفاً وعدواناً إلى أنبياء الله (عز وجل) .

وبذلك نحاول التعرف على أقرب المؤثرات الدينية الوثنية الوضعية والتي لم ترتق بعقيدة الإيمان بالله في اتجاه التوحيد الخالص ولم ينقل عنها ولم يحفظ عن تراثها أن عمل الرسالة الإلهية فيها كان شائعاً أو معروفاً مثلما هو مدعى في عقيدة المؤمنين بالعهد القديم.

فلقد كانت هناك عوامل عدة ساعدت على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية الوضعية وهي :

أولاً : فترات السبي والاضطهاد والاختلاط في حياة اليهود :

ويتضمن هذا العامل عدة مراحل :

١. الاضطهاد في مصر :

لقد دخل بنو إسرائيل مصر واستقروا واستوطنوا بها ونعموا فيها بالراحة والأمان في عهد يوسف – عليه السلام– كما في قوله تعالى : M K L M N O P Q R S T U V W X Y L[٥٢٥].

ولقد بدأت فترة الاضطهاد والإذلال والاستعباد لبني إسرائيل في مصر عقب طرد الهكسوس[٥٢٦] من مصر واعتلاء الفراعنة عرش بلادهم .[٥٢٧]

وقد استمر اضطهاد المصريين للإسرائيليين وتعذيبهم في عصر موسى – عليه السلام– ويشير القرآن إلى ذلك بقوله تعالى : Mفَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ L [٥٢٨] .

وعلى أي حال فقد كانت فترة استعباد الإسرائيليين في مصر من الفترات التي لا تنسى في تاريخهم والتي لا تفتأ أسفارهم تذكرها وتتحدث عنها حتى نقشت في أذهانهم وكان لها أثر كبير في حياتهم [٥٢٩] .

---

(٥٢٥) سورة يوسف ، آية (٩٩) .

(٥٢٦) تعني كلمة الهكسوس ملوك البلدان الأجنبية ، والتفسير الشائع " الملوك الرعاة " ولا يزال أصلهم موضع خلاف، وكل ما هو مقطوع به أنهم كانوا غزاة من الشرق وأنهم من عرق سامي ، وأنهم من شعوب متعددة ، وقد احتلوا مصر حوالي قرن كامل من الزمن تكونت منهم الأسر الثلاث (١٥ ، ١٦ ، ١٧) وكانوا في فترة من ١٦٧٥–١٥٧٠ ق . م . انظر : الحضارات السامية القديمة موسكاني ، ص (١٢٣–١٢٤) . ترجمة : د/ السيد يعقوب ، مراجعة : د/ محمد القصاص نشر دار الرقى ، بيروت ١٩٨٦م .

وموجز تاريخ الشرق الأدنى د / فيليب حتى ، ص (٣٩) ترجمة : أنيس فريحه ، دار الثقافة لبنان ، ومصر الفرعونية د / أحمد فخري ، ص(٢٤٤) ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٣م .

(٥٢٧) انظر : تاريخ الإسرائيليين ، شاهين مكاريوس ص (٩) مطبعة المقتطف بمصر ، ١٩٠٤م ، التاريخ في الكتاب كاترين هنري ، ص(٢٩) ، دار التأليف والترجمة للكنيسة الأسقفية بمصر ، مطبعة النيل – ترجمة : حبيب سعيد .

(٥٢٨) سورة طه ، آية (٤٧) .

(٥٢٩) انظر : أسفار : الخروج ، العدد ، المزامير .

بل إن اضطهادهم في مصر وما قاسوه فيها من ذل وكبت وعبودية قد أورثهم عقدة نفسية ظلت تلازمهم طوال تاريخهم القديم وكانت الناظمة لسيرتهم وصلاتهم مع مختلف الشعوب التي احتكوا بها أو عاشوا معها وكانت بدورها سبباً لانحرافاتهم المستمرة الخلقية والدينية (٥٣٠) .

فلقد عاش بنو إسرائيل في مصر زمناً يربوا على الأربعمائة سنة وفي هذه الفترة كانوا قد تركوا دين إبراهيم وانساقوا وراء أصنام المصريين وأوثانهم ، وأولعوا بهذه الأوثان ولعاً شديداً ، وقد ساعد على وثنية بني إسرائيل عوامل أهمها :

١. أنهم كانوا الشعب المغلوب ، والمغلوب دائماً يقلد الغالب .

٢. ما طبع عليه بنو إسرائيل من قسوة القلب ، وغلظة الطبع ، وجمود المشاعر .

كل هذا جعلهم دائماً يميلون إلى المادة وإلى التجسيد .

ولا يستطيعون أن يهضموا المجردات ، أو يقنعون بالإيمان بها .

٣. طول العهد الذي قضوه بين المصريين أنساهم كل ما يتعلق بدين آبائهم وأجدادهم.

٤. ما جبل عليه هذا الشعب من نفعية مسرفة جعلهم لا يقيمون للمبادئ أو للقيم وزناً على الإطلاق ، وإنما جبلوا على البحث عن المنفعة من أي طريق ، والغاية لديهم تبرر الوسيلة ، وحينما وجدوا أن المنفعة في بلد المصريين الوثنيين تقتضيهم أن يتخذوا الأوثان آلهة ، تركوا دين التوحيد الذي هو دين آبائهم فعلوا ذلك دون تردد .

فاليهود عاشوا في مصر فألف معظمهم عبادة الأوثان ودربوا عليها واطمئنوا إليها ، وعندما جاءهم موسى – عليه السلام – ساروا خلفه مسيرة منفعة ابتغاء أن ينجيهم من فرعون ويخلصهم من تعذيبه إياهم واعتنقوا التوحيد تبعاً لموسى – عليه السلام – ولكن

---

(٥٣٠) انظر : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، ص (٧–٨) .

في قلوبهم كانت تقبع الوثنية التي أشربوها في مصر ، قال تعالى : Mوَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ L[٥٣١] .

وحينما خرج بنو إسرائيل وراء موسى – عليه السلام – كانت الوثنية هي عقيدتهم الحقيقية ، وأما التوحيد فلم يكن إلا مظهراً زائفاً على غلاف نفوسهم .

ولقد أخذت هذه الحقيقية تظهر وتطل برأسها على مدى تاريخهم كله ، وابتدأ ظهور هذه الحقيقة واضحة وجلية بمجرد عبور البحر خلف نبيهم إلى أرض سيناء فمروا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، فطلبوا من موسى – عليه السلام – أن يجعل لهم إلهاً مثل آلهة هؤلاء القوم .

ففعلوا ذلك ومازالت رمال البحر عالقة بنعالهم ، ولم يستطيعوا صبراً ، ذلك أن منظر الأصنام حين رأوها حرك فيهم أشجانهم ، وأيقظ فيهم الحقيقة الكامنة وراء المظهر الكاذب فطلبوا من نبيهم هذا الكفر البواح .

وقد وضح القرآن الكريم حالهم هذا حيث قال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = >? @ A B C D E L[٥٣٢] .

ويعتقد سبينوز أن الإسرائيليين لم يعرفوا الله معرفة صحيحة ويرجع أنهم أناس أجلاف أنهكهم شقاء العبودية في مصر [٥٣٣] .

وقد استمرأ بنو إسرائيل هذا الذل واستعذبوا ذلك العذاب واستكانوا إلى الضعف والاستعباد حتى أنهم ليقولون لموسى بعد خروجهم من مصر : " ماذا صنعت بنا حتى

([٥٣١]) سورة البقرة ، آية (٩٣) .

([٥٣٢]) سورة الأعراف آية (١٣٨–١٣٩) .

([٥٣٣]) رسالة في اللاهوت والسياسة ، باروخ اسبينوزا ، ص (١٦٤) . ترجمة وتقديم د / حسن حنفي ، دار وهدان للطباعة والنشر ، مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

أخرجتنا من مصر ، أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية " [٥٣٤] .

وكان استعباد بني إسرائيل في مصر واضطهادهم بها من العوامل التي ساعدت على تقبلهم للأفكار وتأثرهم بالديانات الوثنية القديمة .

٢. التيه في البرية :

إن من آثار الاضطهاد الذي تعرض له بنو إسرائيل في مصر والعبودية التي ذاقوا مرارتها أن نفوسهم قد جبلت على الخوف .

وأن قلوبهم مردت على الجبن فتقاعسوا عن أمر موسى لهم بدخول الأرض المقدسة "أرض كنعان " واستكانوا إلى الخوف والاستسلام .

فمنذ أن خرجوا من مصر في طريقهم إلى أرض كنعان وهم في سلسلة متعددة من التذمرات وأشكال متنوعة من الاحتجاجات ، فقد تمادوا في تمردهم وعصيانهم على موسى وهارون – عليهما السلام – ووصل الأمر ببني إسرائيل في تذمرهم وتمردهم على موسى أن نادوا بخلعه وعزله وتولية آخر مكانه قائداً عليهم ، حينما عاد الاثنا عشر رجلاً الذين أرسلهم موسى إلى أرض كنعان ليستطلعوا أخبارها وأخذ عشرة منهم يشيعون الخوف في نفوس الشعب وينشرون الذعر في قلوب أفراده ، ويثبطون هممهم عن دخولها .

فجاء في قوله : " فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت ... فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر " [٥٣٥] .

([٥٣٤]) الخروج ١٤ : ١١-١٢ .

([٥٣٥]) عدد ١٤ : ١-٤ .

ثم فعلوا وارتكبوا ما هو أفحش وأشنع في حق الله ، فحين يجعل لهم نبيهم أصناماً يعبدونها ، انتظروا حتى ذهب لميقات ربه، ثم اتخذوا لأنفسهم وثناً يعبدونه من دون الله.

وهذه الفعلة الشنعاء مع نوع الوثن الذي اختاروه للعبادة يؤكد أنهم لم يتخلصوا إطلاقاً من الوثنية التي ألفوها في مصر ، فهم طلبوا من موسى – عليه السلام – أن يجعل لهم أصناماً وحينما أبى عليهم ذلك ، انتظروا حتى ذهب إلى ميقات ربه ثم نفذوا ما كانوا يريدون فعبدوا الوثن (العجل) من دون الله (عز وجل) .

يقول تبارك وتعالى في حقهم :

M { | } ~ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ © أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ´ µ L[٥٣٦] .

ويقول الشيخ رشيد رضا : " فالشعوب التي تنشأ في مهد الاستبداد وتساس بالظلم والاضطهاد تفسد أخلاقهم وتذل نفوسهم ويذهب بأسها وتضرب عليها الذلة والمسكنة وتألف الخضوع وتأنس المهانة والخنوع ، وإذا طال عليهم أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثة ومكتسبة حتى تكون الغرائز الفطرية والطبائع الخلقية إذا أخرجت صاحبها من بينها ورفعت عن رقبته نيرها ، ألفته ينزع بطبعه إليها و يتفلت منك ليقتحم فيها"[٥٣٧] .

٣. الذل في عصر القضاة :

يعتبر عصر القضاة هو عصر التفكك الكامل والفوضى الشاملة في حياة اليهود على مدار تاريخهم القديم ، وقد ساعد هذا التفكك وتلك الفوضى على حدوث اضطرابات وانتكاسات تعرض لها اليهود في هذا العصر أدت بهم إلى الوقوع تحت سيطرة الشعوب التي كانت تقيم معهم في فلسطين ، فأذاقوهم كؤوس الذل والهوان .

فاستمر تسلط سكان فلسطين على اليهود ومضايقتهم لهم فترة طويلة ، فتسلط عليهم الآراميين واستذلهم ملكهم وسامهم الخسف والنكال لمدة ثمانية أعوام [٥٣٨] .

ثم تمكن منهم عجلون ملك المؤابيين فجمع إليه العمونيين والعماليق[٥٣٩] وقاموا بضربهم واحتلالهم وتعبد بنو إسرائيل لملك موآب وقدموا له الجزية لمدة ثمانية عشر عاماً[٥٤٠] .

وبعد ذلك وقع الإسرائيليون تحت قبضة الكنعانيين لمدة عشرين عاماً [٥٤١] .

([٥٣٦]) سورة الأعراف ، آية (١٤٨) .

([٥٣٧]) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا (٢٧٨/٦) ، الطبعة الرابعة ١٣٨٠هـ، مطبعة القاهرة .

([٥٣٨]) انظر : قضاة ٣ : ٨ .

([٥٣٩]) هم شعب من أقدم سكان سورية الجنوبية من ذرية عيسو أخي يعقوب وكانوا يقيمون قرب قادش في جنوب فلسطين وكانوا مصدر إزعاج لبني إسرائيل في البرية . انظر : قاموس الكتاب المقدس .

([٥٤٠]) انظر : قضاة ٣ : ١٢-١٤ .



([541]) انظر : قضاة ٤ : ١-٣ .

ثم كانت أشد فترات الذل التي تعرض لها اليهود حيث خضعوا فيها للمديانيين[٥٤٢] بمشاركة العماليق فقد ذاقوا من كل صنوف العذاب طيلة سبع سنوات حتى اضطروهم إلى أن يهيموا على وجوههم ويتركوا مدنهم وقراهم ويلتجئوا إلى الكهوف [٥٤٣] .

وقد عاش اليهود تحت سياط الرق والاستعباد والتعذيب والاضطهاد في عصر القضاة مدة مائة وأحد عشر عاماً .

ففي هذه الفترة كانوا يرضخون لآلهة مستعبديهم بهم وينحرفون إلى عبادة معذبيهم فساعد ذلك على تأثرهم بديانات تلك الشعوب واقتباسهم منها كثيراً من عقائدهم وأفكارهم وأدخلوا إلى اليهودية كثيراً من طقوسهم وعباداتهم .

ويذكر سفر القضاة أن الرب قال لبني إسرائيل " قد أصعدتكم من مصر وأتيت بكم إلى الأرض التي أقسمت لآبائكم وقلت لا أنكث عهدي معكم إلى الأبد وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض اهدموا مذابحهم ، ولم تسمعوا لصوتي ، فماذا عملتم فقلت أيضاً لا أطردهم من أمامكم بل يكونون لكم مضايقين وتكون آلهتهم لكم شركاً " [٥٤٤] .

٤- تسلط الآشوريين على اليهود وسبيهم إلى آشور :

ينسب الآشوريين في نظر اليهود إلى آشور ثاني أبناء سام بن نوح – عليه السلام– [٥٤٥].

([٥٤٢]) يرجع المديانيون في نسبهم إلى مديان وهو أحد أولاد إبراهيم من زوجته قطورة وقيل أن أرض مديان كانت تمتد من خليج العقبة إلى مؤاب وطور سيناء ، انظر الحديث عنهم بالتفصيل قاموس الكتاب المقدس .

([٥٤٣]) انظر : قضاة ٦ : ٢-٦ .

([٥٤٤]) قضاة ٢ : ١٦-١٨ .

([٥٤٥]) انظر تكوين ١٠ : ٢٢ ، دائرة معارف البستاني (٧٠٩/٣) . وقاموس الكتاب المقدس .

ومعلوم أن الآشوريون والبابليون ومن بعدهم قد شكلوا خطراً كبيراً على مملكتي اليهود في عصر الانقسام وكانوا سبباً في القضاء عليهما .

فلقد قام الآشوريون بترحيل خيرة أو زبدة رجال مملكة إسرائيل وأحلوا مكانهم في مدينة السامرة شعوباً وأقواماً من جنسيات متعددة من بابل وكوث وعوا وحماة وسفر وايم ، فاندمجوا مع من بقى من الإسرائيليين وذابوا فيهم حتى تكون منهم ما عرف بالسامريين في التاريخ اليهودي .

وكان من أثر هذا الاندماج وذلك الذوبان أن أخذ كل شعب من هذه الشعوب يعبد آلهته الخاصة به في السامرة فتعددت الآلهة وتنوعت صور العبادة [٥٤٦] .

فالإسرائيليون بعد أن انتشروا في أعقاب السبي في أنحاء العالم شرقاً وغرباً ولم يستطيعوا أن يستقروا في مكان واحد وامتصوا في يسر في الشعوب التي حلوا بها فاكتسبوا لغاتها وعاداتها وتقاليدها وعبادتها الوثنية ، ومرت قرون طويلة ضاعت خلالها قوميتهم وجنسيتهم وفقدوا في التاريخ بعد أن امتزجوا بالشعوب التي حلوا فيها امتزاجاً كاملاً[٥٤٧].

٥. سقوط مملكة يهوذا والسبي البابلي :

يعتبر هذا السبي هو السبي الأول يهود أورشليم إلى بابل ، وتنظر إليه التوراة على أنه مرحلة حاسمة في تاريخ نهاية يهوذا [٥٤٨] .

([٥٤٦]) انظر : سفر الملوك الثاني ١٧ : ٢٥–٤١ .

([٥٤٧]) انظر : مصر والشرق الأدنى القديم ، د / نجيب ميخائيل (٣٨٥/٣–٣٨٦) دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤م ، وتاريخ سورية د / فيليب حتى (٢١٣/١) ، ترجمة جورج حداد ، نشر دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٨م .

([٥٤٨]) انظر الملوك الثاني ٢٤ : ١٠–١٤ ، أرميا ٢٤ : ٢٧١ : ٢٠/ ٢٩ : ١/ ٢ .

وأيضاً : " فإن بلاد يهوذا قد اشتد فيها الاتصال بين اليهود والفلسطينيين والعمونيين والمؤابيين وكثر التزاوج بينهم مما أدى إلى نشوء طبقة جديدة تفسر نشأتها مظاهر الانحطاط الديني التي تجلت بعد ذلك " [٥٤٩] .

---

(٥٤٩) مصر والشرق الأدنى القديم (٤١٩/٣) .

وأن وجود البابليين كحكام وكحامية على هذه المجموعة (اليهود) قد أدى إلى قيام المعبودات البابلية والاعتراف بها بينهم .[550]

واستقرار اليهود في بابل ساعد الأغلبية منهم على أن يختلطوا بالبابليين اختلاطاً شديداً فتعاملوا معهم بالتجارة حتى ازدادت ثروتهم في أرض بابل ، ثم امتزجوا بهم امتزاجاً كاملاً أدى ذلك إلى أن تعودوا عادات الكلدانيين وتخلقوا بأخلاقهم وعبدوا آلهتهم.

وأخذت طائفة منهم تعبد الآلهة البابلية وتألف الأساليب الشهوانية الشائعة في العاصمة القديمة ، ثم أخذوا بعد ذلك يتسمون بأسماء بابلية ويسيرون على التقويم البابلي وأخذوا يهملون العبرانية ، حتى إذا كان الجيل الثاني من أبناء المنفيين كانت ذكرى أورشليم قد محيت أو كادت تمحى من أذهانهم.

ومما ساعد على تقبل المسبيين للأفكار الوثنية أنهم أصيبوا بالهزيمة الداخلية أمام قوة البابليين ومجدهم وضعفوا أمام إغراءات العبادات البابلية وطقوسها .

فكل هذا أدى إلى شكهم في عقيدتهم في إلههم وشكهم في التعاليم التي تلقوها عن أنبيائهم فاستولت عليهم الكآبة والحزن تملك قلوبهم واندفعوا بكل قوتهم نحو الوثنية البابلية [551] .

([550]) من هذه المعبودات ملكة السماء عشتار وقد احتج أرميا على عبادتها .

انظر : أرميا ٤٤ : ١٨ ، ١٩ ، وأقام اليهود تماثيل للآلهة البابلية ومارس نساؤهم طقوس الإله تموز انظر : حزقيا ٨ : ٢ ، ١٤ ، وانظر : مصر والشرق الأدنى القديم (٤١٩/٣) .

([551]) انظر : معالم تاريخ الإنسانية ، ويلز (٢٨٢/٢) ، ترجمة : عبد العزيز توفيق ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م لجنة التأليف والترجمة والنشر .

وتاريخ شعب العهد القديم الأب ديلي ص(٣٠٧-٣٠٨) ترجمة : الأب جرجس مارديني ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦١م .

وقد تهيأ لليهود أيضاً في فترة السبي البابلي الإطلاع على الثقافات القديمة الأخرى بجانب الثقافة البابلية ، وفي هذا المناخ الثقافي العالمي بدأ جمع العهد القديم ، فأهمية السبي البابلي في التاريخ اليهودي القديم تبرز في أن العهد القديم جمع شتاته الأول مرة في بابل حيث إن الشعب اليهودي في أثناء السبي البابلي قد جمع تاريخه بعضه إلى بعض وطور تقاليده ونماها .

ويعتقد كثير من الأعلام والثقات إلى أن اليهود قد اختلطوا بالبابليين في فترة السبي البابلي اختلاطاً عنصرياً وفكرياً عظيماً .

ومن الأمور البديهية لدى العلماء والمؤرخين أن البابليين كان لهم أثر كبير على الديانة اليهودية في أثناء السبي البابلي [٥٥٢] .

٦. الاضطهاد اليوناني والشتات الهليني [٥٥٣]

إن الثقافة الهلينية بدأت تغزو مدن الشرق وتتغلغل في أعماقه إذ أن خلفاء الأسكندر المقدوني [٥٥٤] حاولوا أن يحققوا ما كان يهدف إليه من توحيد العالم تحت لواء الثقافة اليونانية ، وكانت أورشليم بعيدة عن التيار الرئيسي الذي اتجه فيه التأثير

وانظر : قصة الحضارة (٣٦٢/٢) ، والحضارات السامية القديمة ص(٧١) ، ومقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، طه باقر (٥٥٠/١) ، دار الثقافة / بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

([٥٥٢]) انظر : قصة الحضارة (٣٠٠/٢) . موجز تاريخ العالم ، ولز ص (٨٩-٩٤) ترجمة : عبد العزيز توفيق ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة / مصر ١٩٥٨م . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (٥٨٤/١) . معالم تاريخ الإنسانية (٢٩٨/٢) .

([٥٥٣]) اسم يطلق على الشعب اليوناني نسبة إلى هيللين ابن دوقاليسون والهيلنية مظهراً ثقافياً من مظاهر الحياة المدنية يشمل الناحية السياسية أو الثقافية والاقتصادية . انظر : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ص(١٠٠) .

([٥٥٤]) هو الإسكندر بن فيليب المقدوني ، ولد عام ٣٥٦ ق. م ، وقد تتلمذ على يد " أرسطو " وتعلم على يده الحكمة وقد كان من مشاهير قواد الدولة اليونانية ودانت له كثير من دول العالم ، انظر : تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها د / نجيب بلدي ، ص (٧) ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢م .

الهليني ، ولكن لم يمض قرن على موت الإسكندر حتى تأثرت هي أيضاً بإغراء الهلينية الذي لا مهرب منه .

ولم يمض زمن طويل حتى عرضت الهلينية مفاتنها الاجتماعية والثقافية بل والرياضية جهاراً أمام أعين الشباب الطموح في أورشليم .

فقد أقبل على أورشليم من المدن الإغريقية[٥٥٥] يونان ويهود يحملون العدوى الهلينية عدوى الفلسفة والفن والأدب فضلاً عن السفسطة[٥٥٦] المرحة التي ترتاب في جميع القوانين الأخلاقية والتشكك الذي قضى على كل عقيدة في خوارق الطبيعة[٥٥٧] .

وقد استمر تأثير الهلينية بتسلل إلى اليهودية بالتغلغل السلمي في عهد البطالمة[٥٥٨] حتى انتقلت بلاد يهود إلى السلوقيين[٥٥٩] الذين اندفعوا في فرض الهلينية على اليهود بالقوة وأرغموهم على ممارسة العبادات اليونانية بالتنكيل والاضطهاد .

ولقد زاد الضغط عليهم لاعتناق طريق الحياة اليونانية وكذلك الدين اليوناني وفرضوا ذلك قهراً وإرغاماً دون العقائد اليهودية[٥٦٠] .

ولقد استطاع السلوقيون فرض الثقافة اليونانية على بلاد اليهود وصبغها بالصبغة الهلينية بمساعدة من جاسون ابن الحاخام الأكبر أحد كبار الكهنة في اليهودية .

---

(٥٥٥) الإغريق اسم أطلقه عليهم الرومان فيما بعد نسبة إلى الجرايين وهم جماعة من شرق إقليم بويوتيا ببلاد اليونان ، انظر : التاريخ اليوناني ،عبد اللطيف أحمد علي ، ص (٨) ، دار النهضة العربية / بيروت .

(٥٥٦) المجادلة والمغالطة ، وتأييد القول ونقيضه ، انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص(٤٥) مكتبة النهضة المصرية / القاهرة .

(٥٥٧) انظر : التاريخ في الكتاب ، ص (١٠٦) ، قصة الحضارة (٣٥/٨) ، سقوط أورشليم وأهميته العالمية، د / المسلي ص (٦٤٩-٦٥٠) ، بحث ضمن المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم لجون هامرتون .

(٥٥٨) نسبة إلى بطليموس الذي استولى على مصر وأسس فيها أسرة البطالمة أو البطالسة ، انظر : موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ص (٩٣-٩٤) .

(٥٥٩) نسبة إلى سلوقس الذي استولى على سوريا وبابل وأسس أسرة السلوقيين ، انظر المرجع السابق .

(٥٦٠) انظر : التاريخ في الكتاب ص (١٠٧) ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص (٢٩٦) .

فيهود الشتات قد انتشروا في أنحاء كثيرة من العالم الهليني والبيزنطي وتـشبعوا بالثقافة اليونانية وتأثروا بالعقائد الوثنية ، فأدى ذلك إلى تشرب بني إسرائيل بـالكثير من الأفكار الخارجية الوثنية الشركية .

٧. الاضطهاد الروماني والشتات الأخير :

تودد اليهود للرومان و كانوا من جملـة مناصـريهم وأوليـائهم فقبـل الرومـان ولاء اليهود وحموهم من السلوقيين .

وخضع اليهود للرومان بعد أن قضوا على استقلالهم وأصبحت اليهودية جـزءاً مـن ولاية سورية رومانية .

وعندما حكم هيرودوس الكبير[٥٦١] بلاد اليهود أظهر ميوله الحقيقية مع الهلينية بأن بنى مدناً جديدة في فلسطين على غرار المدن الإغريقية وتشييده المعابد الوثنيـة فيهـا ، وأقام في الأماكن العامة تماثيل يونانيـة ، وأقـام الهياكـل الوثنيـة لعبـادة الإمبراطـور الروماني في أورشليم .

ثم اندلعت الثـورة اليهوديـة في أورشـليم وقـاموا بـذبح الحاميـة الرومانيـة ولكـن الرومان ردوا هذه الثورة رداً عنيفاً وانتقموا من اليهود شـر انتقـام فحاصـروهم وشـردهم شر تشريدٍ ، ثم كان تدمير الهيكل نهاية الفتنة بل ونهاية الدولة اليهودية ، وعاش من بقى منهم فيها عيش الكفاف وكان أفقر فقـرائهم يـرغم علـى أن يـؤدي للـهيكل الـوثني نصف ما كان يؤديه العبري لهيكل أورشليم . [٥٦٢]

([٥٦١]) هيردوس بن انتيباس ، كان أدومي الأصل وكانت أمه أدوميه ، لذلك لم يكن يهوديـاً مـن ناحيـة الجـنس ، عين على اليهود عام ٣٧ ق. م بمعونة الرومان ، وكان له عشر زوجات ومن الأبناء أربعون ، كان رجلاً قاسياً عديم الشفقة توفى عام ٤ ق.م وعمره ٦٩ عاماً . انظر : قصة الحضارة (١٦٤/١١) .

([٥٦٢]) انظر : قصة الحضارة (١٦٣/١١–١٦٥) ، موجز تاريخ الـشرق الأدنـى القـديم ص (١١٣) . اليهـود ، زكـي شنودة ص(١٩١) الطبعة الأولى ١٩٧٤م .

٨. اختلاط اليهود بالشعوب الوثنية وزواجهم بالوثنيات :

عاش اليهود أغلب حياتهم تحت سيطرة القهر والاستعباد ، وعانوا مزيداً من الذل والاضطهاد ، وصحب كل ذلك تحريق وتخريب وتدمير وانتهى كل ذلك أيضاً إلى تيه وضياع ، وإلى سبي وتشرد وشتات .

وقد أدى هذا كله إلى زلزلة الكيان اليهودي وانهياره داخلياً وانهزامه نفسياً ، مما ساعد على تقبله الأفكار الوثنية واستغراقه الكامل في عقائدها ، وعكوفه الدائم على طقوسها وعباداتها .

ففي مصر اتصل الإسرائيليون بالمصريين واختلطوا بهم وتمت بينهم مصاهرة ومجانسة ، وبمرور الزمن اختلط الحابل بالنابل وأصبح الابن لأب مصري وأم إسرائيلية أو لأم مصرية وأب إسرائيلي .

فقد كان أكثر الذين ولدوا من آباء مصريين يتولون القيادة في بني إسرائيل لميزة الشجاعة والجرأة .

فإن العلماء والمؤرخين ينتهون إلى أن بني إسرائيل قد ذابوا في البيئة المصرية .

وكان الحال هذا أيضاً مع الكنعانيين فامتزجواو بهم وانصهروا منهم وتصاهروا معهم حتى أصبح من الصعب التفريق بينم .

فكان زواج الإسرائيليين بالوثنيات من أخطر الوسائل وأشدها أثراً على عقائد اليهود وعباداتهم . [٥٦٣]

([٥٦٣]) انظر : مفصل العرب واليهود في التاريخ د / أحمد سوسه ، ص (٤٨٥) ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١م . موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ص(٨٢-٨٤) . الحضارات السامية القديمة ص (١٤٠) .

فحذر الرب بني إسرائيل من ذلك فقد جاء في سفر الخروج قوله : " احترز أن تقطع عهداً مع سكان الأرض فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم ... وتأخذون من بناتهم لبنيك... " [٥٦٤] .

لكن الإسرائيليين منذ عهد أبيهم يعقوب – عليه السلام – لم يكفوا عن الزواج بالوثنيات ففيما عدا الآباء الثلاثة الأوائل (إبراهيم – وإسحاق – ويعقوب) . الذين اتخذوا زوجات آراميات من جنسهم فنجد أسفار العهد القديم زاخرة بعد عهدهم بأخبار زواج اليهود من نساء الأمم الوثنية ، فقد تزوج يهوذا بن يعقوب من امرأة كنعانية[٥٦٥].

والراجح أن اليهود طوال إقامتهم في مصر لمدة أربعمائة وثلاثين عاماً فقد اختلطوا بالمصريين وتزوجوا من بناتهم وعبدوا معبوداتهم [٥٦٦] .

وفي عصر القضاة يذكر السفر أن بني إسرائيل سكنوا في وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم . [٥٦٧]

وفي عصر الانقسام ازداد التزاوج بين الإسرائيليين والوثنيات وبلغ ذروته في عهد (آخاب) حيث تزوج (إيزابل) الفينيقية التي أدخلت عبادة البعل إلى المملكة الشمالية[٥٦٨].

([٥٦٤]) الخروج ٣٤ : ١٥–١٦ .

([٥٦٥]) انظر : تكوين ٣٨ : ١–٥ .

([٥٦٦]) انظر : مفصل العرب واليهود في التاريخ ص (٤٨٥) .

([٥٦٧]) انظر : قضاة ٣ : ٥–٦ .

([٥٦٨]) انظر ملوك أول ١٦ : ٣١–٣٢ .

وحين سمح ملك الفرس لليهود بالعودة إلى فلسطين رفض الكثيرون فهم أن يعودوا وآثروا البقاء في بابل لأنهم كانوا قد تزوجوا من بنات البابليين والآشوريين واستقر المقام بهم في بلاد زوجاتهم .[569]

وهكذا كان من عوامل تأثر اليهودية بالأديان الوثنية اختلاط اليهود بالشعوب والسلالات الوثنية التي أقامت معهم ، واتخاذهم زوجات وثنيات كان لهن أثر كبير في انحرافهم عن شريعة موسى وانسياقهم نحو الوثنية .

ثانياً : فقدان اليهود للتوراة المنزلة وتحريفهم لها وانتفاء قدسية أسفار العهد القديم :

فمن العوامل التي ساعدت أيضاً على تأثر اليهود بالأديان الوثنية فقدان اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى – عليه السلام – وتحريفهم لها وانتفاء قدسية بقية أسفار العهد القديم .

فلم يكن لديهم حفظ للوحي الصحيح يصون عقائدهم وشرائعهم ويضمن لهم بقاءها واستمرارها ، ويقيهم شر الوثنيات التي تسربت إليهم ، واختلطت بأفكارهم وامتزجت بعباداتهم .

فما هي التوراة التي تلقاها موسى –عليه السلام– من ربه ؟

وما هو مصيرها عند بني إسرائيل ؟

فالتوراة هي الوصايا التي كتبها الله بخط يده ، والتعليمات التي تلقاها موسى – عليه السلام– مشافهة .

ثم أمر موسى – عليه السلام – كهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب بأن يأخذوا التوراة " لوحي الحجر " ويضعوه بجانب تابوت عهد الرب .

([569]) المجتمع اليهودي ، زكي شنودة ، ص (٢٠) مكتبة الخانجي بالقاهرة .

ثــم بــدأ عــصر القــضاة بمــا فيــه مــن فوضــى وارتــداد ووثنيــة إلى أن استــصحب الإسرائيليون معهم التابوت الذي كان محفوظاً في شيلوه[٥٧٠] في حربهم ضـد الفلـسطينيين ولمــــــــــــا خــــــــــــسر المعركــــــــــــة

(٥٧٠) مدينة شمال بيت إيل في منتصف الطريق بين بيتين وشكيم (نابلس) ويرجح أنها المسماه الآن سيلون الـتي تبعد ١٧ ميلاً شمالي أورشليم .

انظر : قاموس الكتاب المقدس .

استولى الفلسطينيون على التابوت ولوحي الحجر وظل عندهم سبعة شهور[٥٧١] .

ثم بعد ذلك تم استرجاع التابوت ووضع في قرية يعاريم[٥٧٢] وظل بها عشرين عاماً ثم فقد بطريقة غير مفهومة ، لأنه كان يعيش حوله عدد ضئيل من الكهنة أو الحفاظ الذين لا مكانة لهم .

ثم في عهد داود – عليه السلام – نقل التابوت إلى مدينته[٥٧٣] ولعل هذا ما أشار إليه القرآن الكريم حينما بين لنا أن التابوت لم يكن فيه إلا بقية مما ترك آل موسى وآل هارون حيث قال تعالى : Mوَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ ´ µ ¶ ¸ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ L[٥٧٤] .

وورد على لسان سليمان– عليه السلام – أيضاً قوله : " ووضعت هناك التابوت الذي فيه عهد الرب الذي قطعه مع بني إسرائيل " [٥٧٥] .

وعلى ذلك فالتابوت في هذه المرحلة لم يكن به سوى لوحي الحجر أما التوراة فلم يرد بها ذكر ولم يعلم مصيرها أحد ، وتفيد عبارة الأسفار أنها فقدت [٥٧٦] .

---

(٥٧١) انظر : صموئيل الأول ٤ : ١٠ –٢٢ ، ٥ : ١–١١ ، ٦ : ١–١٦ ، وانظر : مصر والشرق الأدنى القديم (١٧٠/٣) ، حياة صموئيل النبي ، د / ماير ص (٣٦–٤٥) ترجمة : القص مرقس داود ، دار مكتبة المحبة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م .

(٥٧٢) جبل في تخم يهوذا الشمالي وقرية يعاريم معناها مدينة الغابات وهي إحدى مدن الجبعونيين ، انظر : قاموس الكتاب المقدس .

(٥٧٣) انظر : صموئيل الأول ٦ : ٧/١ : ١–٢ . وانظر : أصول الصهيونية في الدين اليهودي ، د / إسماعيل الفاروقي ص(١٤٦) ، نشر معهد الدراسات العربية العالمية ١٩٦٣م /١٩٦٤م .

(٥٧٤) سورة البقرة ، آية (٢٤٨) .

(٥٧٥) أخبار ثاني ٦ : ١١ .

(٥٧٦) انظر : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص (١٢٠) ، ومصر والشرق الأدنى القديم (١٧١/٣) .

ويؤكد لنا ذلك رحمت الله االهندي : " فيذكر أن نسخة التوراة الموضوعة في جنب الصندوق " التابوت " قد ضاعت ولا يعلم جزماً متى ضاعت " (٥٧٧) .

وقد اعترف علماء اللاهوت من النصارى بفقدان توراة موسى – عليه السلام – الأصلية التي هي أصل دينهم وأساسه .

بل إن اللوحين قد انقطع خبرهما أيضاً بعد ذلك فلم يرد إشارة حيث إن المرجح أنهما قد فقدا أيضاً بعد سليمان – عليه السلام – .

وخلاصة الأمر أن التوراة فقدت فلم يطلع عليها الملوك أو الأنبياء ولم يعرفوا ما بها من أحكام (٥٧٨) .

ثم بدأ عهد الأنقسام بعد وفاة سليمان – عليه السلام – وشاع فيه الارتداد وغلبت عليه الوثنية ، وعاش اليهود في كل من المملكتين – إسرائيل ويهوذا – يعانون مرارة الحروب والانقسامات الداخلية والتهديدات الخارجية .

ثم اختفى ذكر التوراة حتى ورد أنه تم العثور عليها فجأة وبمحض الصدفة في عهد الملك يوشيا(٥٧٩) على يد الكاهن حلقيا(٥٨٠) والذي يقرر رحمت الله الهندي أن هذه النسخة ما كانت إلا من مخترعات هذا الكاهن ، ثم عاد عزرا الكاهن ونهج منهج حلقيا بأن وجد "سفر شريعة موسى " وظل يقرأه عليهم سبعة أيام كاملة .

---

(٥٧٧) إظهار الحق : رحمت الله الهندي ، تحقيق د / محمد ملكاوي (٥٩٩/٢) ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ، دار الحديث / القاهرة .

(٥٧٨) انظر : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، ص (١٢٠) ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ص (١٧١) .

(٥٧٩) ملك يهوذا في عصر الانقسام " مملكة الجنوب " قاموس الكتاب المقدس .

(٥٨٠) رئيس الكهنة في أيام الملك يوشيا والذي عاونه في إصلاحاته ، دائرة المعارف الكتابية .

فيقول ول ديورانت : " وظلت هذه الشرائع – التي قرأها عزرا – منذ تلك الأيام النكدة إلى يومنا هذا المحور الذي تدور عليه حياة اليهود ولا يزال تقيدهم بها طوال تجوالهم ومحنهم ومن أهم الظواهر في تاريخ العالم " [٥٨١] .

وبذلك يتضح أن الأسفار الخمسة التي يزعم اليهود بأنها توراة موسى – عليه السلام – قد تكونت من أقوال موروثة مختلفة جمعها بشكل يقل أو يزيد محررون وضعوا ما جمعوا جنباً إلى جنب وطورا وغيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة.

وأن هذه الأسفار مكتوبة بأقلام اليهود ، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم .

لقد حقق العلماء في نسبة كتابة الأسفار الخمسة فرجح الكتاب الغربيون أن عزرا هو الذي كتب التوراة التي بين أيدي اليهود الآن وقام بتأليفها من المصادر المختلفة .

فلما رأى عزرا أن القوم (اليهود) قد أحرق هيكلهم ، وزالت دولتهم وتفرق جمعهم و رفع كتابهم ، جمع من محفوظاته ، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي هي بأيديهم الآن .

وينتهي الأمر بأن هذه التوراة التي بأيدي اليهود على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله . [٥٨٢]

([٥٨١]) قصة الحضارة (٣٦٦/٢) ، وانظر : مصر والشرق الأدنى القديم (١٦٦/٣) ، وسفر نحميا الإصحاح الثامن ، ٩ : ١–٣.

([٥٨٢]) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٨٧/١–١٩٧) . إفحام اليهود وقصة إسلام السموال ورؤياه النبي (صلى الله عليه وسلم) الإمام السموأل المغربي ص (٣٨–٤٠) ، تحقيق : د/ محمد الشرقاوي ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م ، دار الهداية بالقاهرة .

وبهذا نجد أن جمهور العلماء والباحثين من القدماء والمحدثين يرجحون أن عزرا هو الذي قام بكتابة الأسفار الخمسة وتلفيقها وتجميعها من المصادر المختلفة والوثائق المتباينة ، وبذلك يعتبر عزرا هو أول من قام بتحريف وتبديل توراة موسى – عليه السلام– [٥٨٣] .

وهكذا قد تبين لنا بوضوح تام أن التوراة المنزلة على سيدنا موسى– عليه السلام – قد فقدت وضعيها اليهود ثم قام عزرا الكاهن ومجموعة من الكهنة بتجميع وتلفيق الأسفار الخمسة من المصادر المختلفة والوثائق المتباينة ، وزعم نسبتها على موسى – عليه السلام– وهو زعم باطل حيث إن سندها منقطع تماماً به .

وأما بعض الفقرات المبعثرة التي عثر عليها عزرا ومن معه فقد حشروها داخل الأسفار الخمسة ، فالتبس الحق بالباطل واختلط الوحي بالهوى حيث قاموا بتحريفها وتغييرها حتى انتفت عن الأسفار الخمسة كلية صفة القدسية وزالت عنها الصبغة السماوية .

فلقد كان فقدان اليهود للتوراة الأصلية وتحريفهم ما عثروا عليه منها من العوامل التي ساعدت على تأثرهم بالأديان الوثنية حيث لم يكن لديهم وحي صحيح ثابت يحول دون تسرب الوثنيات في ثنايا عقائدهم وعباداتهم .

فالقرآن الكريم أول من نبه إلى تحريف اليهود وتضيعهم وتبديلهم لكتاب الله التوراة المنزل على سيدنا موسى – عليه السلام– فقال أعز من قائل : M , - .
/ 0 1 2 L [٥٨٤] .

وقال تعالى : M 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ?
@ L [٥٨٥] .

([٥٨٣]) انظر : أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص (٢ ، ٩٥ ، ٩٨) .

([٥٨٤]) سورة النساء ، آية (٤٦) .

وقــال تعــالى : M 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E G H I J K L M N O P L[586] .

وقال تعـالى : M ´ µ ¶ ¸ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ L[587] .

ثالثاً : الاتجاه الوثني لدى بني إسرائيل :

لقد وضحت سابقاً عاملين مهمين قد ساعدا على تأثر اليهودية بالأديـان الوثنيـة ، فيمكن أن نعتبر هذين العاملين الأولين من العوامـل الخارجيـة، وأمـا هـذا العامـل وهـو الاتجاه الوثني يعد أحد العوامل الداخلية التي تبين أن اليهود بطبيعتهم المادية يميلـون إلى الوثنية وينجذبون إليها بل ويتهافتون عليها ويلهثون خلفها .

فالحقيقة أنه لو لم يكن لدى اليهود استعداد كامـل لتقبـل الوثنيـة ، وتهيـؤ تـام للاستغراق في عباداتها والانسياق وراء أفكارهـا ، لكـان مـن الممكـن أن يتغلبـوا علـى مـا قاسوه من اضطهاد وسبي وأن يقاوموا ما فرضه عليهم أسيادهم وغـالبوهم ، وأن يرفـضوا كل ما أكرهوا عليه وما يتعارض مع تعاليم دينهم السماوي .

ولكن وجدنا سرعة استجابتهم للعقائد الوثنية واندفاعهم الشديد نحـو عبادتهـا ، واستغراقهم الكامل في طقوسها ، وأحياناً نجـدهم هـم الـذين يقبلـون عليهـا ويلحـون في طلبها دونما ضغط أو إكراه ،ومعنى ذلك ببساطة أن الانسياق خلف الوثنية صادف هـوى في نفوس اليهود ولبـى رغبـة حقيقيـة في قلـوبهم ، وأشـبع لـديهم إحـساسهم الـداخلي وشعورهم الباطني.

---

(٥٨٥) سورة الأنعام ، آية (٩١) .

(٥٨٦) سورة البقرة ، آية (٧٩) .

(٥٨٧) سورة البقرة ، آية (٧٥) ، وانظر : سورة الجمعة آية (٥) . وسورة النساء آيـة (٤٤) ، وسـورة المائـدة آيـة (١٥)، وسورة آل عمران آية (٧٨) .

فيذكر جون هامرتون : " أن اليهـود كـانوا يـشتملون دائمـاً علـى عنـصر منحـرف تستميله التعاليم الوثنية والتهاون الخلقي عند الوثنيين " [٥٨٨] .

يعرض لنـا القـرآن الكـريم ثلاثـة مواقـف لليهـود في عـصر نبـيهم موسـى –عليـه السلام– ومنها يتضح لنا تماماً مدى تعلق أفئدتهم بالوثنية ومدى تعمقها في قلوبهم .

وسنلاحظ من خلال هذه المواقـف أن النقطـة الفاصـلة الـتي تميـز الـسلوك الـوثني الناشيء عن شدة الاختلاط وقوة تأثير الغير عن الاتجاه الوثني الناشئ عن طبيعة داخلية ، حيث إننا نجد الحالة الثانية تبرز حتى عندما تختفي شبهة الإرغام الخارجي تمامـاً .

عندما يتحرر القوم من سطوة الشعوب الوثنية وتتوفر لهم عوامل النبـوة النقيـة ، عند ذاك يجدون صرخة الوثنية في أعماقهم ولا يجدونها صـوتاً لحوحـاً مـن خـارج هـذه الأعماق .. ويصيح الصوت الخارجي عندئذ مجرد تنبيه .

الموقف الأول : قولهم لموسى – عليه السلام– اجعل لنا إلهاً كما لغيرهم آلهـة .

يقـول الله تعـالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - .
/ 0 1 2 3 4 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H
I J K L M N O L [٥٨٩] .

فهذه الآيات تبين طبيعة الإسـرائيليين المنحرفـة المستعـصية علـى التقـويم ، بمـا ترسب فيها من ذلك التاريخ القديم .

فإنهم لم يطل بهم العهد فهم للتو كانوا يذوقون سوء العذاب من الوثنية الجاهليـة عند فرعون وملأه ، ويأتي نبيهم وزعيمهم موسى – عليه السلام– باسم الله الواحد الأحد رب العـالمين ، وينقـذهم مـن عـدوهم الـوثني وشـق لهـم البحـر ، وأخـرجهم مـن مـصر

([٥٨٨]) العهد الجديد للفتوح الرومانية بحث في المجلد الثالث من تاريخ العالم جون هامرتون ص (٣٤٥–٣٤٦) .

([٥٨٩]) سورة الأعراف ، آية (١٣٨–١٤٠) .

ووثنيتها، ولكن ما أن يجاوزون البحر حتى تقع أبصارهم على قوم وثنيين عاكفين على أصنام لهم فيريدون تقليدهم ويطلبون من نبيهم أن يجعل لهم وثناً مثل هؤلاء القوم . (٥٩٠)

إنها العدوى تصيب الأرواح كما تصيب الأجساد ، ولكن الذي لابد أن يذكر أن العدوى لا تصيب الأرواح حتى يكون لديها الاستعداد والقابلية .

ويصف سيد قطب طبيعة بني إسرائيل حيث يقول : " طبيعة مخلخلة العزيمة ضعيفة الروح ما تكاد تهتدي حتى تضل ، وما تكاد ترتفع حتى تنحط ، وما تكاد تمضي في الطريق المستقيم حتى ترتكس وتنتكس ويرجع ذلك إلى غلظ في الكبد ، وتصلب عن الحق وقساوة في الحس والشعور " (٥٩١) .

ويذكر عبد الوهاب النجار : " أن العجائب التي ضرب بها فرعون وقومه لم تكن لتزجر بني إسرائيل عن تلك الوثنية التي طال إلفهم لها ، إذ أنهم كانوا قد ألفوا وثنية المصريين ، وقلدوهم في وثنيتهم شأن المغلوب في تقليد الغالب .

فبالرغم من أنهم رأوا بأعينهم انفلاق البحر وإنجاء الله لهم وإغراق فرعون وجنوده إلا أن الوثنية اللاصقة بقلوبهم قد غلبت عليهم ، وغلبت عليهم أيضاً بلادة الطبع وما ركز في طبيعتهم من السخف وما استولى على أنفسهم من الغثاثة " (٥٩٢) .

فالحقيقة أننا نلمس قمة التبجح وغاية الوقاحة من الإسرائيليين حينما يطلبون من نبيهم موسى أن يجعل لهم إلهاً بنفسه ففي ذلك منتهى التجاهل لنبوته والتخلي عن

---

(٥٩٠) انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب (٣/ ١٣٦٥) . دار الشروق / بيروت ، الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .

(٥٩١) في ظلال القرآن (١٣٦٦/٣) ، وانظر : تفسير المنار (٩١/٩-١٠٣) .

(٥٩٢) قصص الأنبياء / عبد الوهاب النجار ص (٢٥٠-٢٥١) ، مكتبة دار التراث القاهرة .

رسالته كما يعكس مدى تشبعهم بالوثنية وسريانها في دمائهم حتى أعمتهم عن ربهم وعن رسول ربهم .

الموقف الثاني : اتخاذهم العجل وعكفوهم عليه :

قال تعالى : M { | } ~ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ © أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ ´ ¦ ¶ ¸ وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩٣﴾ L [٥٩٣] .

قال تعالى : M@ A B C D E F G H I J K L L [٥٩٤] .

فيبين الله سبحانه وتعالى في آياته كيف أن عبادة العجل نفذت إلى قلوب بني إسرائيل وتغلغلت في أعماق نفوسهم .

ولقد بلغ من إصرارهم على عبادة العجل أن هارون –عليه السلام –قال لهم كما ذكر القرآن الكريم : M ; < = > ? @ A B C D F G H I J K L M N O P Q R S T U V L [٥٩٥] .

ولقد أخذ القرآن الكريم يعنفهم ويؤنبهم على تلك العبادة المزرية فقال تعالى : M { | } ~ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ © أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ´ µ L [٥٩٦] .

وقال تعالى : M . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : L [٥٩٧] .

---

(٥٩٣) سورة البقرة ، آية (٩٢–٩٣) .

(٥٩٤) سورة البقرة ، آية (٥١) .

(٥٩٥) سورة طه ، آية (٩٠–٩١) .

(٥٩٦) سورة الأعراف آية (١٤٨) .

(٥٩٧) سورة طه ، آية (٨٩) .

فلقد راودوا نبيهم من قبل أن يجعل لهم إلهاً يعكفون عليه لمجـرد رؤيـتهم لقـوم وثنيين يعكفون على أصنام لهم، فصدهم موسى – عليه السلام – عن ذلك الخاطر وردهم رداً شديداً ، فلما خلوا إلى أنفسهم ورأوا عجلاً جسداً من الذهب صـنعه لهـم الـسامري ، واستطاع أن يجعله بهيئة بحيث يخرج صوتاً كصوت الثيران ، ونسوا وصية نبـيهم لهـم من قبل بعبادة ربهم الذي لا تدركه الأبصار – رب العالمين – .

ويذكر سفر الخروج فساد بني إسرائيل بعبادتهم العجل فيقول :

" اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر ، زاغوا سـريعاً عـن الطريق الذين أوصيتهم صفوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذا آلهتـك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر " [٥٩٨] .

ويذهب زكي شنودة إلى : " أن قصة اتخاذ بني إسرائيل للعجل كما ترويها التوراة تدل على أن اليهود لم يؤمنوا بالله في يوم من الأيام إيماناً راسخاً وإنما كـانوا سـرعان مـا ينقلبون إلى عبادة الأوثان وأنهم فعلوا ذلك في كل مراحل تاريخهم " [٥٩٩] .

الموقف الثالث : قولهم لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة :

يذكر الله (عز وجل) أن موسى بين لبني إسرائيل أنهم قد ظلموا أنفسهم باتخـاذهم العجل وطلب منهم أن يتوبوا إلى ربهم .

قـال تعـالى : M ^ _ ` a b c d e f g h i j
k l m n o p q r s t u v w x y L [٦٠٠] .

ثم بعد ذلك عقلوا إيمانهم بموسى ورسالته على رؤيتهم لله تعالى حيث إن عقـولهم لم تقو على فهم الذات العلية الفهم الصحيح وظنوا أنه من الممكن رؤيتها .

([٥٩٨]) الخروج ٣٢ : ٧-٨ .

([٥٩٩]) اليهود ، زكي شنودة ، ص (٢٣٣) .

([٦٠٠]) سورة البقرة ، آية (٥٤) .

والعجب أن الذين طلبوا رؤية الله هم السبعون المختارون منهم الذين اختارهم موسى لميقات ربه[٦٠١] ويرفضون الإيمان بموسى إلا أن يروا ا لله عياناً .

فقـــد قـــال تعـــالى : M z } | { ~ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ © ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ L [٦٠٢] .

M u v w x y z } | { فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ © فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ L [٦٠٣] .

الوثنية في عصر القضاة :

يمثل عصر القضاة العصر الأول للوثنية القومية وهي الوثنية التي استمرت طوال هذا العصر ، وتمثلت في ترك يهوه ، والتوجه إلى عبادة الآلهة الأجنبية .

ويذكر أن عبادة الرب ظلت معروفة لدى اليهود وبعض الوقت في عصر القضاة كما ورثوها من تعاليم موسى و يشوع ، ولكنهم سرعان ما انقسموا إلى عشائر متفرقة متباعدة متعادية وسرعان ما ضعف إيمانهم بالله حتى نسوه تماماً ، فلم يكونوا يتذكرونه إلا حين يغير عليهم شعب آخر ويحتل أرضهم ويستعبدهم ثم إذا انتصروا يعودون بعد ذلك إلى نسيان إلههم أو عبادة آلهة وثنية معه . [٦٠٤]

فقد جاء في سفر القضاة : " وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب إله آبائهم .. وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم ،

([٦٠١]) انظر : تفاصيل ذلك الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد القرطبي (٤٠٣/١) ، (٢٩٣/٧–٢٩٦) ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

([٦٠٢]) سورة البقرة ، آية (٥٤–٥٥) .

([٦٠٣]) سورة النساء ، آية (١٥٣) .

([٦٠٤]) انظر : موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية (٢٤٨/٨) .

وسجدوا لها وأغاظوا الرب حين تركوا الرب و عبدوا البعل وعشتاروت .. ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها ... " [٦٠٥] .

وعلى أية حال فقد كانت السمة الدينية العامة التي تميز بها عصر القضاة هي الردة عن عبادة " يهوه " والتوجه إلى عبادة الآلهة الأجنبية حتى سمى عصر القضاة بعصر الارتداد .

الوثنية في عصر الانقسام :

ويمثل هذا العصر العصر الثاني للوثنية القومية العامة التي غلبت على سكان المملكتين وشاعت بين صفوف اليهود بدءاً من البيت المالك وانتهاء بعامة الشعب .

١. مملكة إسرائيل الشمالية :

ويذكر أن مملكة إسرائيل الشمالية عاشت حوالي قرنين من الزمان تسيطر عليها أساليب الترف الوثني والانحلال الأخلاقي [٦٠٦] .

وقد بدأ التدهور الديني في عهد يربعام أول ملوك مملكة إسرائيل عند اقتناعه بضرورة وجود ركيزة دينية لنظامه الجديد ، فأخذ بوضع صنمين على صورة عجلين من الذهب في بيت إيل ودان ، وطلب إلى الأسباط العشرة عبادتها ، وأقام لها كهنة يؤدون طقوس عبادتهما وجعل نفسه رئيساً لأولئك الكهنة [٦٠٧] .

ثم سار ملوك إسرائيل على نهج أبيهم " يربعام " حتى تفشت الوثنية في جميع أنحاء المملكة .

([٦٠٥]) القضاة ٢ : ١١-١٩ .

([٦٠٦]) الصهيونية العالمية وإسرائيل ، حسن ظاظا ، ص (٤٣) الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية ، القاهرة ١٩٧١م .

([٦٠٧]) انظر : ملوك أول ١٢ : ٢٦-٢٩ .

فنجد سائر ملوك إسرائيل قد توارثوا خطايا يربعام واستمروا في ممارسـة الطقـوس الوثنية .

٢. مملكة يهوذا الجنوبية :

لم تكن مملكة يهوذا بعيدة عن الوثنية وإنما كانت غارقة فيها حيث إنها سارت في نفس الطريق الذي سلكت فيه إسرائيل .

فيذكر أن ملوك يهوذا بالرغم من إخلاصهم للمعبد الكبير في أورشليم إلا أنهم غضوا النظر في بداية الأمر عن عبادة الآلهة الأجنبية فقدر للمملكتين أن تشهدا عبادات وطقوس وثنية [٦٠٨] .

فأخذت الوثنية تضرب في أنحاء المملكة جميعاً ، وتفشى فيها الكفر والفسوق والانحلال ، وكان الانحراف الديني شاملاً شمولاً عجيباً في معظم مراحلها ، حتى أنه كان بيت الرب مملوءاً بالرجاسات والأصنام والمشاهد الوثنية لإقامة الطقوس الوثنية فضلاً عن الأماكن الأخرى وفي كل ناحية من أنحاء الدولة .

فالشاهد أن كثيراً من ملوك إسرائيل ويهوذا قد ارتكبوا كل ألوان العسف والعنف والظلم والاغتصاب والدعارة والفجور ضد رعاياهم كما تزوجوا من الوثنيات وعبدوا الآلهة الوثنية[٦٠٩] .

ويذكر قاموس الكتاب المقدس أن تاريخ اليهود حافل بتأثرهم بمختلف المعتقدات الوثنية ، فلابد أنهم تأثروا بها وهم في سوريا ، ولما هاجروا إلى مصر وجدوا هناك ديانات وثنية منظمة ذات طقوس وآلهة وفلسفات فتأثروا بها أيضاً .

وحينما خرجوا منها عائدين إلى فلسطين تسربت معهم المؤثرات الوثنية .

وهكذا تقلبوا من وثنية إلى وثنية طيلة حياتهم ، وكان أنبياؤهم يندددون بالمعتقدات الوثنية ويدعون شعوبهم إلى الإقلاع عنها ويحذرون أممهم من مغبة تقليد جيرانهم الذين كان مصيرهم الهلاك والدمار والانحلال [٦١٠] .

([٦٠٨]) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص (٤٠١) ، الحضارات السامية القديمة ، ص (١٤٤) .

([٦٠٩]) انظر : الصهيونية العالمية وإسرائيل ص (٤٦) ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص (٢٣٣) .

([٦١٠]) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص (٥٩٤-٥٩٥) .

والخلاصة أن اليهود كانوا ينزعون الوثنيــة بكـل جـوارحهم وبأفئـدتهم ويعكفـون عليها طيلة أيامهم ويتمسكون بها تمسكاً عجيباً ويدافعون عنهـا دفاعـاً شـديداً ، فكـان هذا من العوامل التي ساعدت على تأثر اليهودية بالأديان الوثنية القديمة .

وحري بالبحث أن نشير إلى جل مظاهر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية القديمـة ، والصلة الثقافية التي تربط هذه الثقافات باليهودية المحرفة .

ولابد أن نشير إلى أن علماء اليهود أنفسهم قد ساهموا في تشريع الديانـة اليهوديـة وتجريدها من صفة الدين المنزل ، وعلى ذلك فإن الـتراث اليهـودي – المتمثـل في كتـبهم وأسفارهم المقدسة –إذ لا يمثل العقليـة اليهوديـة فحـسب بـل يحمـل في ثنايـاه ثقافـات وحضارات ومعتقدات وعادات وطقوس الأمـم الـتي عـاش اليهـود بينهـا عـبر تـاريخهم الطويل.

ولقد استوعب اليهود هذه الحضارات المختلفـة وصـبغوها بـصبغة يهوديـة حتـى بدت وكأنها من نتاج العقلية اليهودية .

يقول صاحب كتاب (اليهودية) : " فاليهودية إذن تـأثرت بمعتقـدات وطقـوس أمم مختلفة وساهمت أجيال عديدة في تطوير وتكوين فكر وشريعة وطقوس هذه الديانة " [٦١١] .

وتذكر الباحثة كاترين هنري : " أن اليهود الأولين كـانوا يعيـشون وسـط شـعوب كثيرة ذات ثقافات مختلفة ولغـات وعقائـد وعـادات مختلفـة ولا شـك أن ديـنهم اسـتمد أصوله من هذه التربات المختلفة " [٦١٢] .

فالاختلاط والامتزاج الذي كان بين اليهود والشعوب الوثنيـة القديمـة لا شـك أنـه كان له أثره العميق في حياة إسرائيل العقلية والأدبية والدينية ، فعنـدما اتـصل اليهـود

([٦١١]) اليهودية ، د / محمد بحر عبد الحميد ، ص (١٨٠) .

([٦١٢]) التاريخ في الكتاب ، ص (٤٥) .

بالكنعانيين أخذوا يتكلمون لغتهم ويتصاهرون معهم ، ونستطيع أن نـدرك بـسهولة مـا يجره عليهم مثل هذا التقرب إلى شعب وثني من الأخطار .

فإذا كان اليهود قد تأثروا بالدين الكنعاني واللغة الكنعانية فكان لابد أن يمتد هذا التأثير بالناحية الأدبية ، فكان الأدب العـبري مليئـاً بكـثير مـن التـشابه والمـصطلحات الكنعانية[٦١٣].

وعلى سبيل المثال نجد أن أسفار الكنعانيين الفينيقيين القديمة فيها ما يشبه تماماً آيات أسفار العهد القديم ، والأولى تتحدث عن البعل إله الفينيقيين والثانية تتحدث عن "يهوه " إله اليهود ، وقد كتبت هـذه الأشـعار الفينيقيـة حـوالي القـرنين الرابـع عـشر والثالث عشر ق . م . أي زمن دخول اليهود أرض كنعان بعد خروجهم من أرض مصر .

---

(٦١٣) انظر : تاريخ شعب العهد القديم ، ص (١٨٦-١٨٧) . وتاريخ لبنان ، د/ فيليب حتى ، ص(١٧٠) ترجمـة : أنيس فريحة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٧٨م.

أما آيات أسفار العهد القديم فقد كتبت بعد هذا التاريخ بزمن طويل[٦١٤] .

مقتطفات من أسفار العهد القديم	مقتطفات من الشعر القصصي الفينيقي
١. لأنه هوذا أعداؤك يا رب لأنه هوذا أعداؤك يبيدون كل فاعلي الإثم . [٦١٥]	هوذا أعداؤك يا بعل ، هوذا أعداؤك ليتك تضربهم هوذا أنت تقهر كل أعدائك .
٢. إذا أعطى قولاً ، تكون كثرة مياه في السماوات ، منح بروقاً للمطر . [٦١٦]	بعل يعطي صوته في السحب يرسل بروقاً إلى الأرض .
٣. أطلع من مسكن قدسك من السماء بارك الأرض التي أعطينا أرض تفيض لبناً وعسلاً . [٦١٧]	السماء تمطر زيتاً ، الأودية تفيض بالعسل .
٤. رأس كلامك حق وإلى الدهر كل أحكامك عدلك [٦١٨] .	كلامك حق حكمتك إلى الدهر
٥. حين كنت أخرج إلى الباب في القرية وأهيئ في الساحة مجلس رآني الغلمان فاختبأوا ، والأشباح قاموا ووقفوا لأني أنقذت المسكين المستغيث واليتيم وجعلت قلب الأرملة يسر . [٦١٩]	" دانيال " ينهض ويجلس عند البوابة بين العظماء والشرفاء ، يحكم في قضية الأرملة ويدافع عن اليتيم[٦٢١].
٦. كسرت رؤوس التنانين على المياه أنت رضفت رؤوس لوياناثان [٦٢٠] .	أهلكت الحية الملتوية أهلكت الحية الملتوية الملعونة ذات الرؤوس السبع [٦٢٢].

([٦١٤]) انظر : التاريخ في الكتاب ص (٤٥-٤٦) .

([٦١٥]) مزمور ٩٢ : ٩ .

([٦١٦]) أرميا ١٠ : ١٣ .

([٦١٧]) تثنية ٢٦ : ١٥ .

([٦١٨]) مزمور ١١٩ : ١٦٠ .

([٦١٩]) أيوب ٢٩ : ٧-١٣ .

([٦٢٠]) مزمور ٧٤ : ١٣-١٤ .

([٦٢١]) التاريخ في الكتاب ص (٤٦-٤٧) .

([٦٢٢]) التاريخ في الكتاب ص (٤٦-٤٧) .

والمتعن في هذه المقتطفات السالفة ، يدرك أن النصوص في العهد القديم وفي الشعر القصصي الفينيقي كأنها من مترجمين مختلفين لنص واحد .

كما كان أيضاً للأدب المصري تأثرٌ واضحٌ وكبير تغير ملامح اليهودية فإن كثيراً من العلماء والنقاد المحدثين يشكون في المصدر الإلهي لسفر المزامير [٦٢٣] .

فيرى ول ديورانت أن " المزامير ليست كلها من وضع داود وحده بل من وضع طائفة من الشعراء كتبوها بعد الأسر اليهودي بزمن طويل ، ويغلب أن يكون ذلك في القرن الثالث ق . م " [٦٢٤] .

" ويذهبون إلى أن بعض هذه المزامير قد تأثرت بتراتيل الشعوب التي احتك بها اليهود مثل البابليين والمصريين " [٦٢٥] .

وهكذا يبدوا واضحاً أن الإسرائيليين منذ دخولهم مصر على أيام الهكسوس مروراً بإقامتهم في فلسطين وحتى السبي البابلي وكتابة توراتهم لم يبتعدوا عن التأثير المصري في كل المجالات الفكرية والمادية .

ومن هنا كان التأثير المصري في التوراة وفي العبادات وفي مجالات الحياة الإسرائيلية الأخرى والتي كان الأدب واحداً من تبرر ، حيث أقبل علماء الساميات على دراسة هذا الأدب وظهرت نتائج أبحاثهم وكلها تبرر الأدب المصري وأثره على الأدب العبراني[٦٢٦].

([٦٢٣]) انظر : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص (٩٢) .

([٦٢٤]) قصة الحضارة (٣٨٦/٢) .

([٦٢٥]) اليهودية د / بحر عبد المجيد ص (٩٥) .

([٦٢٦]) انظر : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (٣٤٩/٩ – ٣٥٠) .

ومن أبرز الأمثلة على تأثر المزامير بالآداب المصرية تلك المقارنة التي قام بها العلماء بين المزمور (١٠٤) وبين أنشودة أخناتون[٦٢٧] .

نشيد أخناتون	مزمور (١٠٤)
وعندما تقرب في الأفق الغربي تصبح الأرض سوداء كما لو كان حل بها الموت ، ينام الناس في حجرة وقد لفوا رءوسهم . ويخرج كل أسد من عرينه وجميع الزواحف تخرج لتلد ويلف الظلام كل شيء . وفي الصباح إذا أشرقت في الأفق انكشف الظلام وإذا الناس يقومون على أقدامهم في العالم كله يؤدون أعمالهم ما أعظم أعمالك التي عملت يا رب إنها خفية على الناس خلقت الأرض كما تشاء ، والسفن تبحر شمالاً وجنوباً وتعج الطرق بالناس ، الأسماك في النهر أمامك وأشعتك تنفذ إلى أعماق الأخضر العظيم (البحر) الناس يرفعون أذرعهم ابتهالاً عند ظهورك . أنك أنت الذي يمدهم بكل شيء ما يحتاجون ويحصل كل شخص على طعامه عندما تبزغ ف الأفق الشرقي تملأ الأرض بجمالك [٦٢٨]	تجعل ظلمة فيصير ليل ، فيه يدب كل حيوان الوعر . مزمور ١٠٤ : ٢٠ الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها . مزمور ١٠٤ : ٢١ تشرق الشمس فتجتمع وفي مآربها تربض ، الإنسان يخرج إلى شغله إلى الماء . مزمور ١٠٤ : ٢٢-٢٣ ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت ملآنة الأرض من غناك . مزمور ١٠٤ : ٢٤ هذا البحر الكبير الواسع الأطراف هناك دبابات بلا عدد، صغار حيوان مع كبار هناك تجري السفن " لوياثان" هذا خلقته ليلعب فيه . كلها أياك تترجى لترزقها قوتها في حنية تعطيها فتلتقط ، تفتح يدك فتشبع خيراً ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض .

(٦٢٧) أخناتون من فراعنة الأسرة الثامنة عشر (١٥٧٠-١٣٢٠ ق . م) في عصر الدولة الحديثة وكان يسمى أمنحوتب الرابع (١٣٧٠-١٣٤٩ق . م) أخذ يفكر في الدعوة إلى عبادة الشمس واختار أحد مظاهرها وهو " أتون " ودعى إلى التوحيد في عبادة " أتون " راجع تفاصيل ذلك : قصة الحضارة (٢/١٦٨-١٦٩) مصر الفرعونية ص (٣٠٢-٣٠٨) .

(٦٢٨) مصر في القرآن والسنة،د/ أحمد يوسف ص(١٨٤)دار المعارف بمصر ١٩٧٣م،مصر الفرعونية ص (٣٠٩-٣١٤) .

(مزمور ١٠٤ : ٢٥-٣٠)	

فيتضح من هذا العرض الفقرات المتشابهة بين أنشودة أخناتون ومزمور (١٠٤) . فيظهر لنا مدى الشبه المدهش بين الصورتين لا من حيث مضمون أنشودة أخناتون فحسب بل إننا كذلك نجد تتابع الأفكار وترتيبها الظاهري ، وهذا واضح .

لذا فإن بريستيد يقرر أنه لا يمكن أن تكون تلك المشابهات من قبيل الصدفة بل إنها على العكس دليل على وجود جزء عظيم من الأنشودة المصرية الدينية القديمة منشوراً بشكل معدل في المزامير العبرانية [٦٢٩] .

ويذكر ول ديورانت : " أن ما بين هذه الأنشودة وبين المزمور (١٠٤) من تشابه يغفل عنه وهو ما الناس لا يترك مجالاً للشك فيما كان لمصر من أثر في الشاعر العبراني"[٦٣٠].

" وليس هناك شك في أن أناشيد أخناتون لإلهه كانت ذات أثر مباشر على المزامير ، فإن المزمور (١٠٤) ، يكاد يكون منقولاً عن النشيد الكبير ، وليس من قبيل توارد الخواطر، أما كيفية وصول هذا النشيد إلى العبرانيين فمن المحتمل أن يكون قد حفظ في آسيا ، وبقي في آدابها تتناقله الأجيال حتى جاء الوقت الذي بدأ فيه العبرانيون بكتابه التوراة في القرن الثامن ق . م " [٦٣١] .

وكذلك الحال في سفر الأمثال ، فإن عدداً من الباحثين المحدثين قد أنكروا المصدر الإلهي لهذا السفر واعتبروه تعبيراً عن الحكمة الإنسانية[٦٣٢] .

([٦٢٩]) فجر الضمير ، بريستيد ص (٣٩٣-٣٩٤) ترجمة د/ سليم حسن ، مراجعة : عمر الإسكندري ، مكتبة مصر ، ١٩٨٠م .

([٦٣٠]) قصة الحضارة (١٦٩/٢ – ١٧٥) .

([٦٣١]) مصر الفرعونية ، ص (٣٠٨) .

([٦٣٢]) انظر : مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص (٣٠) .

وقد أجمع العلماء بأن محتويات سفر الأمثال الذي يؤلف نحو فصل ونصف ، قد أخذ معظمه بالنص عن حكم الحكيم المصري القديم أمينموبي [٦٣٣] ، وأشار عالم المصريات الألماني أدولف أرمان أن تعاليم أمينموبي هي الأساس ا لذي اعتمدت عليه الحكم الموجودة في سفر الأمثال من العهد القديم " التوراة " [٦٣٤] .

أمينموبي المصري	سفر الأمثال
أمل أذنيك لتسمع أقوالي واعكف قلبك على فهمها لأنه خير أو شيء مفيد أن تحفظها في قلبك ولكن الويل لمن يتعداها . (أمينموبي ، الجزء ٣ : ٩-١٢)	أمل أذنيك واسمع كلام الحكماء ووجه قلبك إلى معرفتي لأنه حسن إن حفظها في جوفك إن ثبتت جميعاً على شفتيك . (الأمثال ٢٢ : ١٧-١٨)
لأجل أن تردد تقرير لمن قد أرسله (أمينموبي، الجزء ١ : ٦)	لأعلمك قسط كلام الحق لترد جواب الحق للذين أرسلوك (أمثال ٢٢ : ٢١)
لا تزحزحن من علامات حدود الحقول ولا تكونن شرها من أجل ذراع ، أرض ولا تتعدين على حدود أرملة . (أمينموبي ٧ : ١٢-١٥)	لا تنقل التخم القديم ولا تدخل حقول الأيتام . (أمثال ٣٢ : ١٠)
لا تتعبن نفسك في طلب المزيد حينما تكون قد حصلت بالفعل على حاجتك وإذا جلب إليك المال بالسرقة فإنه لا يمكث معك سواد الليل وعندما يأتي الصباح لا يكون في منزلك . بل يكون قد صنع لنفسه أجنحة كالأوز وطار إلى السماء .	لا تتعب لكي تصير غنياً . لأنه إنما يصنع لنفسه أجنحة كالنسر يطير نحو السماء. هل تطير عينيك نحوه وليس هو ؟ (أمثال ٢٣ : ٤-٥)

(٦٣٣) دون أمينموبي حكمه وتعاليمه التي وجهها إلى ابنه في ثلاثين فصلاً خص كل فصل منها بموضوع ، وتناولت وصاياه إلى ابنه . انظر : مصر والشرق الأدنى القديم (٥١٥/٤) .

(٦٣٤) انظر : التوراة الهيروغليفية ، د / فؤاد حسنين ، ص (١٤٥-١٤٦) دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .

سفر الأمثال	أمينموبي المصري
	(أمينموبي ٩ ، ١٤– ١٠ ، ٥)
لا تستصحب غضوباً ومع رجل ساخط لا تجئ . (أمثال ٢٢ : ٢٤)	لا تصاحبن رجلاً حاد الطبع ولا تلحن في محادثته . (أمينموبي ١١ : ١٣–١٤)
إذا جلست تأكل مع متسلط فتأمل ما هو أمامك تأملاً وضع سكيناً لحنجرتك إن كنت شرهاً لا تشته أطايبه لأنها خبز أكاذيب . (سفر الأمثال ٢٣ : ١–٣)	لا تأكل الخبز في حضرة رجل عظيم ولا تعرض فمك في حضرته وإذا أشبعت نفسك من طعام محرم . فإن ذلك ليس إلا لذة ريقك وانظر فقط (أنت على المائدة) إلى الوعاء الذي أمامك وكن مكتفياً بما فيه . (أمينموبي ٢٣ : ١٨)
أرأيت رجلاً مجتهداً في عمله أمام الملوك يقف . (امثال ٢٢ : ٢٩)	الكاتب الماهر في وظيفته سيجد نفسه كفءاً لأن يكون من رجال البلاط . (أمينموبي ٢٧ : ١٦–١٧)
ألم أكتب لك ثلاثين فصلاً من جهة مؤامرة ومعرفة . (أمثال ٢٢ : ٢٠)	تبصر لنفسك في هذه الفصول الثلاثين حتى تكون مسرة لك وتعليماً . (أمينموبي ٢٧ : ٧–٨)

وكما كان الحال في سفر المزامير والأمثال فكذلك كان الحال في بعض الأسفار مثل نشيد الأنشاد والجامعة وأيوب ودانيال فقيل في سفر نشيد الأنشاد أنه في وصفه الحالي يرجع إلى تاريخ متأخر لأنه حوى بعض الألفاظ اليونانية التي لم تدخل إلا بعد السبي بزمن طويل .

ويرى ول ديورانت كتابة هذا السفر إلى العصر اليوناني ويرى أنه قد ألفه شاعر أو شاعرة يهودية [٦٣٥] .

---

[٦٣٥] قصة الحضارة ، الجزء الثالث .

ويرى أنها مجموعة من الأغاني البابلية الأصل تشيد بذكر اشتار وتموز .

" ويرى كثيرٌ من العلماء أن تأثيرات المعتقدات التموزية على العبرانيين تتجلى في أن سفر الإنشاد في التوراة (العهد القديم) يتطابق في نقاط عديدة مع الأغاني والأناشيد الخاصة بزواج الإله تموز من الآلهة عشتار " (٦٣٦) .

وهناك رأي آخر يتمثل في أن تكون هذه الأناشيد من وضع جماعة من شعراء الغزل العبرانيين تأثروا بالروح الهيلينية التي دخلت إلى بلاد اليهود مع الإسكندر(٦٣٧) .

وأما عن سفر الجامعة فإن العلماء يعتقدون أن كاتب هذا السفر عاش في العصر اليوناني وقد تأثر بالفلسفة اليونانية وبفكرة القضاء والقدر التي أشبعت بها الثقافة اليونانية .

" ويذهب بعض المفكرين إلى أن سفر الجامعة يحتوي على تعاليم أخرى تقترب من فلسفة الرواقيين(٦٣٨) بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فقالوا إن كثيراً من الألفاظ مأخوذة من أصل يوناني " (٦٣٩) .

ويذهب مارتن لوثر إلى أن سفر الجامعة مجموعة من فلسفة الفلاسفة(٦٤٠) .

ويذهب صموئيل هنري هوك إلى أن الواعظ العبري القديم (مؤلف سفر الجامعة) كان مطلعاً على ملحمة جلجامش (٦٤١) البابلية ونقل عنها بعض كلمات ومن هذا القبيل قول إحدى الإلهات للبطل جلجا مش :

---

(٦٣٦) حضارة بلاد وادي الرافدين د / فاضل عبد الواحد ، ص (٢٨٦) دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٣م .

(٦٣٧) قصة الحضارة (٣٨٨/٢) .

(٦٣٨) نسبة إلى رواق بوليجنوتس ، والرواقية فلسفة أخلاقية وفدت إلى أثينا مع الأجانب من غير اليونانيين والفلسفة في الرواقية هي محبة الحكمة والحكمة هي العلم بالأشياء الإلهية والإنسانية والمعرفة عندهم حسية (المعجم الفلسفي) .

(٦٣٩) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد ص (١٦٣) دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة .

(٦٤٠) انظر : التوراه الهيروغليفية ، ص (٥٣) .

مقتطفات من ملحمة جلجا مش	سفر الجامعة
جلجا مش إلى أين تفذ الخطى ؟ الحياة التي تروقها لن تجدها ، فالآلهة حين خلقت البشرية ، خلقت الموت معها ، واحتفظت بالحياة بين أيديها ، أملأ بطنك أي جلجامش ابتهج في ليلك وفي نهارك ، اجعل لنفسك في كل يوم بهجة ومراحاً أرقص ليلك ونهارك وامزج والبس الزاهي من الثياب والجديد ليكن رأسك مغسولاً واستحم في الماء ترفق ملتفتاً إلى الصغير الذي يمسك بيدك فهذه هي بغية البشرية . [٦٤٢]	لكل الأحياء يوجد رجاء فإن الكلب الحي خير من الأسد الميت ، لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون ، أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم نسي ومحبتهم وبغضهم وجسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد في كل ما يحمل تحت الشمس اذهب كل خبزك بفرح واشرب خمرك بقلب طيب لأن الله منذ زمان قد رضي عملك لتكن ثيابك في كل حين بيضاء ولا يعوز رأسك الدهن التذ عيشاً مع المرأة التي أحببتها كل أيام حياة باطلك التي أعطاك إياها تحت الشمس كل أيام باطلك إن ذلك نصيبك في الحياة وفي تعبك الذي تعبته تحت الشمس . [٦٤٣]

وأما عن سفر أيوب فقد أجمع الباحثون على أن مؤلف هذا السفر قد يكون أدوميا أو مصرياً .

وإن كان الرأي القائل بمصريته أقرب إلى الصواب وذلك بدليل الأثر الثقافي المصري الذي هو واضح من ثنايا هذا السفر فسفر أيوب في الواقع ما هو إلا صورة صادقة لصقه المتشائم المصري [٦٤٤] .

([٦٤١]) هي قصة مفصلة عن الطوفان الذي شمل البشر عندما شاع الفساد والانحلال وهي ملحمة طويلة جداً : انظر تفاصيلها : قصة الحضارة (٢١٨/٢) ، جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة ، فراس السواح ، دار علاء الدين/ دمشق ١٩٧٧م .

([٦٤٢]) منعطف المخيلة البشرية ، صموئيل هنري هووك ، ص (٤٣-٤٤) ترجمة : صبحي حديدي ، دار الحوار للنشر والتوزيع / سوريا ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

([٦٤٣]) سفر الجامعة ٩ : ٤-١٠ .

([٦٤٤]) انظر : التوراه الهيروغليفية ص (١٤٥ ، ٢٠٤) .

وإلا إذا عدنا للقرآن الكريم نجد أنه عرض لنا قصة أيوب – عليه السلام – كنبي ابتلاه الله فكان من الصابرين يقول الله تعالى : M وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ L [٦٤٥] .

ثم يقول سبحانه : L = < ; 9 8 6 5 4M [٦٤٦] .

وأما عن سفر دانيال فمجمل القول فيه أن النقاد يجمعون على أن هذا السفر هو مجرد أسطورة من الأساطير ترجع في بعض أجزائها إلى الثقافات البابلية والأشورية وقد استغلها اليهود وطوروها حسب رغباتهم [٦٤٧] .

إذاً : فإن سفر دانيال ألف بتأثير من الاضطهاد اليوناني وباقتباس من الأساطير البابلية والأشورية ، ثم قام اليهود بدسه بين الأسفار المقدسة على أنه وحي وإلهام من الإله بعد أن نسبوه إلى دانيال وهو منه براء .

([٦٤٥]) سورة ص ، آية (٤١) .

([٦٤٦]) سورة ص ، آية (٤٤) .

([٦٤٧]) انظر : المرجع السابق ، مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص (٣٣) .

المطلب الخامس : الألوهية في التلمود

إذا كانت أسفار العهد القديم قد أبرزت الإله بصورة مادية تعكس التصور الوثني لدى اليهود في القرون السابقة للميلاد فإن اسفار التلمود الذي وضعوه بعد ذلك تواصل نفس المسيرة في القرون التالية للميلاد بل إنها تضيف إليها مزيداً من الخرافات والأباطيل التي امتلأت بها صفحات التلمود .

فالأسفار التلمودية تظهر إله إسرائيل متصفاً بكثير من صفات الحوادث وصفات النقص .

فالتلمود يعزو إلى الله – كما عزت التوراة إليه من قبل – صفات البشر من حب وبغض وضحك وبكاء وشعور بالإثم والندم .

يذكر ول ديورانت : " أن الله كما يصفه التلمود إله متصف صراحة بصفات البشر فهو على سبيل المثال يحس بوخز الضمير ويلبس التمائم ويدرس التوراة ثلاث مرات في كل يوم " (٦٤٨) .

وقال التلمود : " إن النهار اثنتا عشرة ساعة : في الثلاثة الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة ، وفي الثلاثة الثانية يحكم ، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك " (٦٤٩) .

فيصور التلمود الله سبحانه وتعالى قبل هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل بأنه كان يقسم النهار إلى اثنتي عشرة ساعة ، ويقضي ساعاته الثلاث الأولى في مراجعة الشريعة واستذكارها ، ثم كان يقضي الساعات الثلاث التالية في القيام على شئون الحكم بين

---

(٦٤٨) قصة الحضارة (٩٤/١٤) وانظر : التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي ، صبري جرجس ، ص (٨١). عالم الكتب / القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠م .

(٦٤٩) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص (٥٥) .

الناس والساعات الثلاث الثالثة كان يشغل بتدبير العيش للخلق ، وأما الساعات الـثلاث ا لأخيرة فيقضيها في اللعب مع الحوت ملك الأسماك .

ويقـول التلمـود : " إن الله في الليـل يـدرس التلمـود ، وأنـه في الـساعات الـثلاث الأخيرة من الليل يلعب مع اللافياتان ملك الأسماك وأنه انقطع عن اللعب معه بعد تدمير الهيكل في أورشليم " [٦٥٠] .

ومنـها :

" أن أسمود سلطان الشياطين ، يقتبس العلم من المدرسة العالية التي تثقـف الـرب وجميع الملائكة في السماء " [٦٥١] .

وزعم كتّبه التلمود أن الله رأى أن يحـرم الحـوت أُنثـاه بـسبب كـبر حجمـه حتـى لا يتناسلا فيملأ الدنيا وحوشاً فتهلك .

" والحوت كبير جداً يمكن أن يدخل في حلقة سمكـة طولهـا /٣٠٠/ فرسخ دون أن تضايقه ، ونظراً لحجمه الكبير رأى الله أن يحرمه من زوجتـه ، لأنـه إن لم يفعـل ذلـك لامتلأت الدنيا وحوشاً أهلكت من فيها ولذلك حبس الله الذكر بقوته الإلهية وقتل الأنثى وملحها وأعدها لطعام المؤمنين في الفردوس " [٦٥٢] .

ويذكر التلمود أن هذا النظام قد تغير بعـد أن قـدر الله هـدم الهيكـل وتـشريد بـني إسرائيل ، فلم يعد لله جلد على اللعب والرقص كما كـان يـصنع في الأزمـان الـسالفة ، إذ اعترف هذا الإله بخطئه في هذا الصدد وندم على مـا فعلـه واعتـبر أنـه ارتكـب خطيئـة ثقيلة وهذه الخطيئة أنهكت ضميره الحي حتى إنه قد خصص ثلاثة أرباع الليـل للبكـاء

([٦٥٠]) التلمود أسرار ، حقائق ، ص (٥٦٩) .

([٦٥١]) المرجع السابق ، ص (٥٧٠) .

([٦٥٢]) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص (٥٥) .

والندم وكان إذا بكى سقطت من عينيه دمعتان في البحر فيسمع لهما دوي في الآفاق يصم الآذان وتضطرب المياه وترجف الأرض فتنجم عن ذلك الزلازل .

فيقول التلمود : " ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل ، كما أنه من ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حواء بعد ما زينها بملابسها وعقص لها شعرها ، وقد اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل فصار يبكي ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلاً : تباً لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي وشغل الله مساحة أربع سنوات فقط بعد أن كان ملء السماوات والأرض في جميع الأزمان"[٦٥٣].

وقال : " إن الرب كان يرقص مع حواء بعد أن برجها وزينها وسرح شعرها بنفسه حتى تدمير الهيكل ، ومنذ تدميره فإن الله لم ينقطع عن البكاء والنحيب ، وهو يطوي ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد الصريع ثم يصرخ : " الويل لي لأني تركت بيتي ينهب وهيكلي يحرق وأولادي يتشتتون ... " [٦٥٤] .

وعندما يسمع الناس يمجدونه يقول : " يطرق رأسه ، ويقول : ما أسعد الملك الذي يمدح ويبجل مع استحقاقه لذلك ، ولكن لا يستحق شيئاً من المدح الأب الذي يترك أولاده في الشقاء " [٦٥٥] .

فالرب في التلمود وبعقيدتهم يندم ويبكي ويزأر ويصرخ ويهمر الدموع .

([٦٥٣]) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص (٥٦) .

([٦٥٤]) التلمود أسرار .. حقائق ، ص (٥٧٠) .

([٦٥٥]) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص (٥٦) .

فقال : " يتندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى إنه يلطم ويبكي كل يوم، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر ، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه ، وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل " [٦٥٦] . .

وقال : " إنه سبحانه يهمر كل يوم دمعتين سخينتين في البحر : تسبب فرقعة شديدة ، تسمع من أقصى العالم إلى أقصاه ، وفي كثير من الأحيان تنزل قوتها الهزات الأرضية العنيفة بالمسكونة " [٦٥٧] .

وأيضاً قوله : " والرب يغضب عندما يرى تعاسة الشعب اليهودي فيضرب برجليه على عرشه فيحصل الزلازل " [٦٥٨] .

فهذا هراء واستعلاء على الإله واتهامه بما لا يليق ولا ينبغي أن يتصف به الإله الحق فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ويذكر ابن حزم[٦٥٩] فسقهم وكفرهم البواح بالله عز وجل فيما ورد في بعض أسفار التلمود " أن رجلاً اسمه إسماعيل كان على أثر خراب بيت المقدس فسمع الله تعالى يئن كما تئن الحمامة ويبكي وهو يقول الويل لمن أخرب بيته وضعضع ركنه وهدم قصره وموضع سكينته، ويلي على ما أخربت من بيتي ، ويلي على ما فرقت من بني وبناتي ، قامتي منكسة ، حتى أبني بيتي وأرد إليه بنَّي وبناتي .

---

(٦٥٦) الكنز المرصود في قواعد التلمود .

(٦٥٧) التلمود أسرار ... حقائق (٥٧٠) .

(٦٥٨) المرجع السابق ص (٥٧١) .

(٦٥٩) هو أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، ولد بقرطبة ، كان أبوه وزيراً للحاجب المنصور ، كان شافعياً المذهب ثم أصبح بعد ذلك من الظاهرية الذين ينفون الرأي بكل أنواعه ويأخذون بالنصوص وحدها .

انظر : شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أحمد بن محمد بن خلكان ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة.

ويذكر ابن حزم أن هذا قال فأخذ الله تعالى بثيابي وقال لي اسمعني يا بني يا إسماعيل قلت يا رب فقال لي يا بني إسماعيل بارك على قال فباركت عليه ومضيت "[٦٦٠] .

ويعلق ابن حزم على ذلك بقوله : " فاعجبوا لعظيم ما انتظمت هذه القصة عليه من وجوه الكفر الشنيع .

فمنها إخباره عن الله تعالى أن يدعو على نفسه بالويل مرة بعد مرة الويل حقا على من يصدق بهذه القصة وعلى الملعون الذي أتى بها .

ومنها وصفه الله تعالى بالندامة على ما فعل وما الذي دعاه إلى الندامة أتراه كان عاجزاً هذا عجب آخر .

وإذا كان نادماً على تبديهم وإلقاء النجس عليهم حتى يبلغ ذلك إلى إلقاء الحكة في أدبارهم كما نص في آخر توراتهم .

ما في العالم صفة أحمق من صفة من يتمادى على من يندم عليه هذه الندامة ومنها وصفه الله تعالى بالبكاء والأنين .

ومنها وصفه لربه تعالى بأنه لم يدر هل سمعه أم لا حتى سأله عن ذلك ثم كان أظرف شيء إخباره عن نفسه بأنه أجاب بالكذب وأن الله تعالى قنع بكذبه وجاز عنده ولم يدر أنه كاذب .

ومنها وصفه الله تعالى بتنكيس القامة .

ومنها طلبه البركة من ذلك المنتن وبالله الذي لا إله إلا هو ما بلغ قط ملحدٌ ولا مستخفٌ هذه المبالغ التي بلغها هذه اللعين ومن يعظمه "[٦٦١] .

([٦٦٠]) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٢٢/١) .

([٦٦١]) المرجع السابق (٢٢٢/١-١٢٣) .

والله حسب ما جاء في التلمود ليس معصوماً من الطيش وبعد ذلك يندم بعد ذهاب الطيش منه ، فقد جاء في التلمود :

" أن الله إذا حلف يميناً غير قانونية احتاج إلى من يحلله من يمينه ، وقد سمع أحد العقلاء من الإسرائيليين الله تعالى يقول : من يحللني من اليمين التي أقسمت بها ؟ ولما علم باقي الحاخامات أنه لم يحلله منها اعتبروه حماراً ، لأنه لم يحلل الله من يمنيه ، وبذلك نصبوا ملكاً بين السماء والأرض اسمه (مي) لتحليل الله من أيمانه ونذوره عند اللزوم"[٦٦٢].

كما استدل من أسفار التلمود على عبادة اليهود للملائكة فمن ذلك عبادتهم للملك " صندلقون " خادم التاج ا لذي في رأس معبودهم فقد خصصوا عشرة أيام من أول أكتوبر يعبدونه فيها ، ويطلقون عليه اسم الرب الصغير"[٦٦٣].

" واعلموا أن الرب الصغير الذي أفردوا له الأيام المذكورة ، يعبدونه فيها من دون الله (عز وجل) وهو عندهم (صندلقون) الملك خادم التاج الذي في رأس معبودهم ، وهذا أعظم من شرك النصارى ، ويستطرد ابن حزم قائلاً : ولقد أوقفت بعضهم على هذا فقال لي " ميططرون" ملك من الملائكة ، فقلت وكيف يقول ذلك الملك : ويلي على ما أخربت من بيتي وفرقت بني وبناتي ... وهل فعل هذا إلا الله (عز وجل) .

" واعلموا أن اليهود يقومون في كنائسهم طبقاً لتعاليم تلمودهم أربعين ليلة متصلة ؛ من أيلول وتشرين الأول– وهما سبتمبر وأكتوبر – فيصيحون ويولولون بمصائب .. منها قولهم : لأي شيء تسلمنا يا الله هكذا ، ولنا الدين القيم والأثر الأول ؟! لم يا الله تتصمم عنا وأنت تسمع ؟! وتعمى وأنت مبصر ؟ أهذا جزاء من تقدم إلى عبودتك ؟! أو

---

(٦٦٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص (٥٧) .

(٦٦٣) انظر : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص (٣٣) .

بدر إلى الإقرار بك؟! لم يا الله لا تعاقب من يكفر النعم ولا تجازي بالإحسان ، ثم تبخسنا حظنا ، وتسلمنا لكل معتد ، وتقول إن أحكامك عادلة ؟! " [٦٦٤] .

فهذه عبادة من دون الله (عز وجل) صريحة لا شك فيها ، بل هي استخفاف بالله (عز وجل) وبملائكته ورسله– تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً –.

وتضمنت أيضاً أسفار التلمود عبادة اليهود لأحبارهم واتخاذهم أرباباً من دون الله يعبدونهم بطاعتهم إياهم في تحليل ما حرم الله (عز وجل) وتحريم ما أحل الله مما جاء في شريعتهم المنزلة في التوراة .

وهذا عين ما جاء في أسفار تلمود اليهود الذي أعطي للحاخامات (علماء وفقهاء اليهود) العصمة من الخطأ وألزم طاعتهم طاعة عمياء لكن تعاليمهم وأقوالهم والتي جعلوها أفضل من أقوال الأنبياء .

ومما قالوه : " اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء ، وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة ، لأن أقوالهم هي قول الله الحي ، فإذا قال لك الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى ، وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله ، فما بالك إذا قال لك إن اليمنى هي اليمنى واليسرى هي اليسرى " [٦٦٥] .

ومما أجمع عليه أحبارهم (لعنهم الله) قولهم : " إن من شتم الله تعالى وشتم الأنبياء يؤدب ، ومن شتم الأحبار يموت أي يقتل " [٦٦٦] .

فيا عجب لهؤلاء الملحدين الذين لا دين لهم حيث يفضلون أنفسهم على ربهم (عز وجل) وأنبيائهم – عليهم السلام –.

([٦٦٤]) التلمود أسرار ... حقائق ص (٢٠٢–٢٠٣) .

([٦٦٥]) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص (٥٢) .

([٦٦٦]) التلمود أسرار ... حقائق ، ص (٢٠١) .

وقال الحاخام " روسكي : " التفت يا بني إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى " [٦٦٧] .

فاليهود يعتقدون أن لكل الحاخامات سلطة آلهية ، وكل ما قالوه صادر عن الله تعالى.

يقول الرابي مناحم : " إن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مشكلة معضلة لا يمكن حلها في السماء " [٦٦٨] .

ولقد جاء في قول أحد علمائهم : " إن مخافة الحاخامات هي مخافة الله " [٦٦٩] .

وقد جاءت العبارات الآتية في التلمود : " ومن يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ ، وكأنه جادل العزة الإلهية " [٦٧٠] .

وقال الحاخام مناحم في أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها : " إنها كلام الله مهما وجد فيها من التناقض : فمن لم يعتبرها ، أو قال إنها ليست أقوال الله ، فقد أخطأ في حقه تعالى " [٦٧١] .

وذكر في كثير من كتب اليهود : " أن أقوال الحاخامات المتناقضة لبعضها منزلة من السماء ، ومن يحتقرها فمثواه جهنم وبئس المصير " [٦٧٢] .

---

[٦٦٧] الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص (٥١) .

[٦٦٨] المرجع السابق .

[٦٦٩] المرجع السابق ص (٥٢) .

[٦٧٠] المرجع السابق .

[٦٧١] المرجع السابق .

[٦٧٢] المرجع السابق .

ويذكر الحاخام " روسكي " أن جميع الحاخامات الذين ألفوا التلمود يأمرون بالطاعة العمياء لهم ، حتى وإن كان هناك تناقض وتضارب بين أقوالهم ، فجميعهم قالوا الحق .

فقد قال : " إن الحاخامين المذكورين قالا الحق ، لأن الله جعل الحاخامات معصومين من الخطأ " [٦٧٣] .

وجاء في التلمود : " إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله ! ! وقد وقع يوماً الاختلاف بين الباري (تعالى) وبين علماء اليهود في مسألة ، فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربيين ، واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور " [٦٧٤] .

بل إن اليهود لم يجعلوا العصمة مختصة فقط بالحاخامات بل بكل ما يتعلق بهم .

فقد قيل : " إن حمار الحاخام لا يمكن أن يأكل شيئاً محرماً " [٦٧٥] .

فهذا منتهى السفه وقلة الأدب عند التحدث عن مقام الله (عز وجل) ، وهؤلاء القوم لا يعرفون حرمة لربهم ولا لدينهم ، فماذا تنتظر من قوم أوجبوا العصمة على أنفسهم وحرموها على أنبياء الله بل وجعلوها لحيواناتهم .

([٦٧٣]) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص (٥٣) .

([٦٧٤]) المرجع السابق .

([٦٧٥]) المرجع السابق .

المبحث الثالث

تصور أسماء الله وصفاته عند اليهود

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : دلائل وحدانية الله في أسمائه وصفاته في الأسفار اليهودية .
- المطلب الثاني : التجسيم والتشبيه في الأسفار اليهودية .
- المطلب الثالث : أسماء الله وصفاته في التلمود .

المطلب الأول : دلائل وحدانية الله في أسمائه وصفاته في الأسفار اليهودية

لقد ذكرت أسفار اليهود بعض الأسماء التي تعتبر من صفات الله تعالى بما يليق بجلاله وعظمته ، ولعلها من النصوص التي لم تعبث بها وبشواهدها الأيدي ومن هذه الأسماء ما يلي :

الأول والآخر :

أعلن الله هذه الحقيقة فقال : " أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري " [٦٧٦] .

وقال موسى : " منذ الأزل إلى الأبد أنت الله " [٦٧٧] .

وقال : " اذكر مراحمك يا رب وإحسانك لأنها منذ الأزل هي " [٦٧٨]

وقال : " أنت يا رب إلى الأبد تجلس " [٦٧٩] .

القدوس :

" من يقدر أن يقف أمام الرب الإله القدوس " [٦٨٠] .

وفي موضع آخر : " إني أنا الرب إلهكم فتقدسون وتكونون قديسين لأني أنا قدوس"[٦٨١] .

([٦٧٦]) أشعياء ٤٤ : ٦ .

([٦٧٧]) مزامير ٩٠ : ٣ .

([٦٧٨]) مزامير ٢٥ : ٦ .

([٦٧٩]) مراثي أرميا ٥ : ١٩ .

([٦٨٠]) صموئيل الأول ٦ : ٢٠ ، وانظر المزمور ٣٣ : ٢١ .

([٦٨١]) لاويين ١١ : ٤٤ . وانظر : الملوك الثاني ١٩ : ٢٢ .

وانظر : لاويين ١١ : ٤٥ ، ٢٢ : ٣٢ ، ١٩ : ٢ .

القاضي :

تذكر المزامير : " الله هو القاضي " [٦٨٢] .

الرقيب :

قال أيوب : " ماذا أفعل لك يا رقيب الناس " [٦٨٣] .

الرحيم الرؤوف :

جاء في سفر الخروج : " الرب إلـه رحـيم ورؤوف بطـئ الغـضب وكـثير الإحـسان والوفاء " [٦٨٤] .

وأيضاً : " إن الرب إلهك إله رحيم لا يتركك ولا يهلكك " [٦٨٥] .

الغفور :

يقول نحميا النبي : " أنت إله غفور وحنان رحيم " [٦٨٦] .

العظيم المرهوب :

" الرب عظيم .. وهو مرهوب فوق جميع الآلهة " [٦٨٧] .

" اذكروا السيد العظيم المرهوب " [٦٨٨] .

([٦٨٢]) مزامير ٧٥ : ٧ .

([٦٨٣]) أيوب ٧ : ٢٠ .

([٦٨٤]) خروج ٣٤ : ٧-٦ .

([٦٨٥]) تثنية ٤ : ٣١ ، وانظر مزامير ٨٦ : ١٥ ، ١١ : ٤ ، يونان ٤: ٢ .

([٦٨٦]) نحميا ٩ : ١٧ .

([٦٨٧]) أخبار الأيام الأولى ١٦ : ٢٥ .

([٦٨٨]) نحميا ٤ : ١٤ .

الأمين الحافظ :

" فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ " [٦٨٩]

وأيضاً : " الرب حافظ الأمانة " [٦٩٠].

العظيم الجبار :

" لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب والإله العظيم الجبار المهيب"[٦٩١].

" والآن يا أيها العظيم الجبار المخوف حافظ العهد والرحمة " [٦٩٢] .

القادر :

وقال : " وقال يعقوب ليوسف الله القادر على كل شيء " [٦٩٣] .

" من إله أبيك ... ومن القادر على كل شيء الذي كان يباركك " [٦٩٤] .

الخالق المصور :

" لأنه هكذا قال الرب خالق السماوات هو الله ، مصور الأرض وصانعها " [٦٩٥] .

" إله ا لدهر الرب خالق أطراف الأرض " [٦٩٦] .

" المصور قلوبهم جميعاً المنتبه إلى كل أعمالهم " [٦٩٧] .

---

[٦٨٩] تثنية ٧ : ٩ .

[٦٩٠] مزمور ٣١ : ٢٣ .

[٦٩١] تثنية ١٠ : ١٧ .

[٦٩٢] نحميا ٩ : ٣٢ . انظر : المزمور ٣٣ : ١٦ .

[٦٩٣] تكوين ٤٨ : ٣ .

[٦٩٤] تكوين ٤٩ : ٢٥ ، انظر : خروج ٦ : ٣ ، أشعياء ١٣ : ٦ .

[٦٩٥] أشعياء ٤٥ : ١٨ .

[٦٩٦] أشعياء ٤٠ : ٢٨ .

[٦٩٧] مزمور ٣٣ : ١٥ .

العلي :

" فقال إبرام .. رفعت يدي إلى الرب الإله العلي " [698] .

وفي موضع آخر : " اذبح لله حمداً وأوف العلي نذورك " [699] .

" وارنم لاسم الرب العلي " [700] .

المالك :

" فقال إبرام .. رفعت يدي إلى الرب الإله العلي مالك السماء والأرض " [701] .

الحميد :

" أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائي" [702] .

وأيضاً : " عظيم هو الرب وحميد جداً " [703] .

ولقد صرحت بعض النصوص من أسفار اليهود بـصفات عليـا لله (تعـالى) كمـا يليـق بجلاله حيث تصفه بما يلي :

الواحد :

واحد لا إله غيره ولا شريك له : " أنت هو الإله وحدك لكل ممالـك الأرض " [704] .

وأيضاً : " اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد " [705] .

([698]) تكوين ١٤ : ٢٠ .

([699]) مزمور ٥٠ : ١٤ .

([700]) مزمور ٧ : ١٧ .

([701]) تكوين ١٤ : ٢٠ .

([702]) مزمور ١٨ : ٣ .

([703]) مزمور ٤٨ : ١ .

([704]) الملوك الثاني ١٩ : ٦ .

" أنت هو الرب وحدك " [٧٠٦] .

الحي :

حي : " إني أرفع إلى السماء يدي وأقول حي أنا إلى الأبد " [٧٠٧] .

وقال : " لأنه من هو جميع البشر الذي سمع صوت الله الحي يتكلم من وسط النار مثلنا " [٧٠٨] .

" ثم قال يشوع بهذا تعلمون أن الله الحي في وسطكم "[٧٠٩] .

الأزلي والأبدي :

أزلي أبدي : " مبارك أنت أيها الرب إله إسرائيل أبينا من الأزل وإلى الأبد " [٧١٠] .

" وغرس إبراهيم .. باسم الرب الإله السرمدي " [٧١١] .

لا تدركه الأبصار :

لا تظهر له صورة : " إنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب " [٧١٢] .

لا يشبه أحداً من الخلق :

" بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلوني " [٧١٣] .

([٧٠٥]) تثنية ٦ : ٤ .

([٧٠٦]) نحميا ٩ : ٦ . وانظر : أشعياء ٣٧ : ١٦ ، ٤٥ : ٥ .

([٧٠٧]) تثنية ٣٢ : ٤٠ .

([٧٠٨]) تثنية ٥ : ٢٦ . وانظر ٣٢ : ٤٠ .

([٧٠٩]) يشوع ٣ : ١٠ .

([٧١٠]) أخبار الأيام الأول ٢٩ : ١٠ .

([٧١١]) تكوين ٢١ : ٢٣ .

([٧١٢]) تثنية ٤ : ١٥-١٦ . وانظر : ٤ : ١٠-١٢ ، مزمور ٣٠ : ٧ .

([٧١٣]) أشعياء ٤٦ : ٥ .

وقوله : " من مثلك بين الآلهة يا رب " [714] .

الكامل :

الله كامل : " الكامل العارف " [715] .

العالم :

فهو عالم بكل شيء : " الرب إله عليم " [716] .

وأيضاً : " و يعلم العارفين فهماً ... ويعلم ما هو في الظلمة وعنده يسكن النور"[717]

.

القادر :

قادر على كل شيء : " ولما كان إبرام ... قال له الله القدير سر أمامي " [718] .

" لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يفقد أحداً " [719] .

السميع :

فهو يسمع كل شيء لا يخفى عليه دبيب النملة .

فقد جاء في قوله : " وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذليك " [720] .

وأيضاً قوله : " لأن الرب قد سمع صوت بكائي " [721] .

([714]) خروج ١٥ : ١١ . انظر : أشعياء ٤٠ : ١٨ ، ٢٥ ، ٢٦ .

([715]) أيوب ٣٧ : ١٦ .

([716]) صموئيل الأول : ٢ : ٣ .

([717]) دانيال ٢ : ٢٠ -٢٣ ، وانظر : مزامير ١٣٩ : ١-١٦ .

وانظر : أشعياء ٤٦ : ٨-١٠ .

([718]) تكوين ١٧ : ١ .

([719]) أشعياء ٤٠ /: ٢٦ ، وانظر : مزمور ٢٤ : ٨ .

([720]) تكوين ١٦ : ١١ .

وقوله : " الرب يسمع عندما أدعوه " [٧٢٢] .

وأيضاً : " أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم انقذهم " [٧٢٣] .

العدل :

فهو عادل سبحانه وتعالى ، وحرم الظلم على نفسه فقد جاء في قوله :

" وهو يقضي للمسكونة بالعدل " [٧٢٤] .

وقال : " لأن الرب عادل ويحب العدل " [٧٢٥] .

وجاء أيضاً : " عدلك مثل جبال الله " [٧٢٦] .

" وتخبر السماوات بعدله لأن الله هو الديان " [٧٢٧] .

ثم يخبر بأن الرب لا يرضى الظلم ويقول : " لأنه ليس عند الرب إلهنا ظلم ، ولا محاباة ولا ارتشاء " [٧٢٨] .

الرحيم :

فقد جاء في قوله : " لتكن يا رب رحمتك علينا حسبما انتظرناك " [٧٢٩] .

" ما أكرم رحمتك يا الله ... أدم رحمتك للذين يعرفونك " [٧٣٠] .

---

[٧٢١] مزامير ٤ : ٣ .

[٧٢٢] مزامير ٦ : ٨ . وانظر : ٣١ : ٢٢ .

[٧٢٣] مزامير ٣٤ : ١٧ ، وانظر مزامير ٦٦ : ١٩ ، ٧٨ : ٢١ .

[٧٢٤] مزمور ٩ : ٨ .

[٧٢٥] مزمور ١١ : ٧ .

[٧٢٦] مزمور ٣٦ : ٦ .

[٧٢٧] مزمور ٥٠ : ٦ .

[٧٢٨] الأيام الثاني ١٩ : ٧ .

[٧٢٩] مزمور ٣٣ : ٢٢ .

[٧٣٠] مزمور ٣٦ : ٦-١٠ .

" توكلت على رحمة الله إلى الدهر والأبد " [٧٣١] .

" لأن رحمتك قد عظمت إلى السماوات وإلى الغمام " [٧٣٢] .

الرؤوف :

" حسب كثرة رأفتك أمح معاصي " [٧٣٣] .

وقال : " الرب إله الجنود يتراءف على بقية يوسف " [٧٣٤] .

" والآن ترضوا وجه الله فيتراءف علينا " [٧٣٥] .

الكلام :

الله يتكلم متى شاء وكيف شاء ، وكلمته هي الكائنة فقد جاء في نصوصهم تكليم الله لموسى في قوله : " وكلم الرب موسى قائلاً " [٧٣٦] .

" فقال الرب لموسى مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين " [٧٣٧] .

" فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل ربي " [٧٣٨] .

" لأني أنا الرب أتكلم والكلمة التي أتكلم بها تكون " [٧٣٩] .

---

(٧٣١) مزمور ٥٢ : ٨ .

(٧٣٢) مزمور ٥٧ : ١٠ ، انظر : مزمور ٥١ : ١ ، ٥٢ : ١ .

(٧٣٣) مزمور ٥١ : ١ .

(٧٣٤) عاموس ٥ : ١٥ .

(٧٣٥) ملاخي ١ : ٩ ، وانظر : مزمور ١٢٣ : ٢ .

(٧٣٦) خروج ١٤ : ١ .

(٧٣٧) خروج ١٤ : ٢٦ .

(٧٣٨) تكوين ١٦ : ١٣ .

(٧٣٩) حزقيال : ١٢ : ٢٥ ،

العظمة والجبروت والجلالة والحكمة :

فقد جاء في قوله : " لك يا رب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد لأن لك كل ما في السماء والأرض .. والغنى والكرامة من لدنك وأنت تتسلط على الجميع وبيدك القوة والجبروت " [٧٤٠] .

وقال : " يا رب إله آبائنا .. وبيدك قوة وجبروت " [٧٤١] .

وفي موضع آخر : " وقال ليكن اسم الله مباركاً من الأزل وإلى الأبد لأن له الحكمة والجبروت " [٧٤٢] .

فهذه بعض الأسماء والصفات الإلهية التي لا يتصور العقل السليم معها ما يناقضها إذ من ثبتت له الوحدانية انتفى عنه التعدد .

ومن كان منزهاً عن المماثلة انتفى عنه التجسيم والتشبيه بالمخلوقات ومن كان كاملاً عالماً قادراً فإنه يستحيل عليه النقص والوصف بالجهل والعجز ، ومع ذلك نجد كل هذا في أسفار اليهود دليلاً واضحاً على التحريف .

([٧٤٠]) أخبار الأيام الأولى ٢٩ : ١١-١٢ .

([٧٤١]) أخبار الأيام الثاني ٢٠ : ٦ .

([٧٤٢]) دانيال ٢ : ٢٠ .

المطلب الثاني : التجسيم والتشبيه في الأسفار اليهودية :

لا يقف الحد حول الذات الإلهية العلية عند اليهود بأنها رب إسرائيل دون سواهم من البشر وأنها نماذج وصور ينوب بعضها عن بعض ، ولكن الأدهى أن صوراً من التي تعرض عن الإله في العهد القديم ، تجعله مثل غيره من المخلوقات يغار ويغضب ويتألم ويندم ، وبعد كل تلك الصفات فهو يلد ، وعنده من الأولاد مثل البشر فلليهود بعض الأسماء التي جعلوها أعلاماً على الذات الإلهية لديهم يدعون أنها مقدسة لأنها وحي من السماء ، بينما هي تدل على مظاهر الانحراف .

١. الوهيم : أو إيلوهيم صفة جمع باللغة العبرية معناها الآلهة .

أطلقت التوراة هذا الاسم بصيغة المفرد في المواضع التي وصفت الله بأنه الخالق لكل البشر والكائنات حيث يكثر استخدامه في سفر التكوين والمزامير ولا يمكن موافقتهم في إطلاقه على إله واحد لأنه اسم جماعي ، لكن اليهود استساغوا لكثرة عبادتهم للأوثان على مر التاريخ فأطلقوه على الخالق دون أن يجدوا في ذلك أي غضاضة [٧٤٣] .

٢. يهوه بمعنى الآتي أو الذي سيكون : [٧٤٤]

فهذا الاسم لا يعرف اشتقاقه على التحقيق فيصح أنه من مادة الحياة ويصح أنه نداء لضمير الغائب أي " ياهو " لأن موسى علم بني إسرائيل أن يتقوه ذكره توقيراً له وأن يكتفوا بالإشارة إليه [٧٤٥] .

ويطلق اليهود هذا الاسم للدلالة على الإله في المجالات التي يخصصون فيها هذا الإله ببني إسرائيل ، فإن " يهوه " إله إسرائيل .

([٧٤٣]) انظر : نشأة اليهود ص (٢٩٢) .

([٧٤٤]) السنن القويم في تفسير العهد القديم (١٧/١) .

([٧٤٥]) اليهودية ، د / شلبي ، ص (١٨٣) .

٣. أدوناى أو أدوني :

بمعنى " سيدي " باللغات السامية وهو اللقب الذي كان الكنعانيون يطلقونه على الإله " تموز " والذي أصبح " أدونيس " عندما انتقل إلى اليونانيين[٧٤٦] فأطلقه متأخرو اليهود على الإله بمعنى " السيد " أو " الرب " عندما حرم الكهنة اليهود النطق باسمه "يهوه " على الجميع عدا رئيسهم أثناء الصلاة فأصبحوا يقولون " أدوني " في المواضع التي يذكر فيها اسم الإله وقد ورد ذلك في أكثر الترجمات الغربية للأسفار اليهودية[٧٤٧] .

وهذا يدل على أن أسماء الإله توقيفية يخترعون ما شاءوا فالواجب الوقوف عند ذلك.

٤. إيل :

اسم من أسماء الله في العبرية فقد كان اليهود يسمون الله " إيل " وكثير ما تستعمل التوراة اسم " إيل " مع صيغة صفات الله مثل (إيل عليون) ، كما جاء في الأصل العبري أي " الله العلي " و " إيل شداي " كما جاء في الأصل العبري كذلك أي (الله القدير) [٧٤٨] وهي في أسماء الملائكة مثل جبرائيل وميكائيل .

وقدروا هذا الاسم في اللغات السامية التي كان الوثنيون يتكلمون بها ويدل على معنى الإله على العموم وهو كذلك في اللغة الأوجريتية اسم أبي الإله وقد كان اسم إله من آلهة الكنعانيين ، لهذا تستخدمه التوراة أحياناً للدلالة على آلهة الوثنيين في النص العبراني[٧٤٩].

([٧٤٦]) التوراة بين الوثنية والتوحيد ، ص (١٦) .

([٧٤٧]) انظر : نشأة اليهود ، ص (٣٩٤) .

([٧٤٨]) تكوين ٣٥ : ١١ .

([٧٤٩]) نشأة اليهود ، ص (٢٥٩) ، وبتصرف : قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٤٢) .

٥. بعل :

وهو في اللغة السامية يعني " الرب " أو " السيد " وهو إله كان يعبده الكنعانيون ، كان اليهود أحياناً يعتبرون اسم البعل مرادفاً لاسم " الله " أو " الرب " فكان " بعل بريت " أي " رب العهد " وهو الاسم الذي يتعبد اليهود الله به في شكيم في زمن القضاة [٧٥٠] .

ويستدل من هذين الاسمين على تعلق اليهود بآلهة الوثنيين في إطلاق هذه المفردات لاسم الله وهي أسماء لا تليق بجلاله وعظمته .

وأما عن افتراءات اليهود في الصفات الإلهية فإنه ثبت بالتوراة اليهودية وحدانية الإله وتنزهه عن مشابهة المخلوقين واستحالة رؤيته في الدنيا كما عرضنا النصوص سابقاً ثم تناقضت وأشارت إلى آلهة متعددة مع الله الواحد الأحد ، ووصفته بصفات لا تليق بجلاله وعظمته ، بل لا تليق بأضعف الناس من البشر فكيف برب العزة والجلال.

ومن معالم الشرك أنه قد ثبت تعدد الآلهة في نصوص أسفار اليهود بإثبات آلهة أخرى مع الإله ومن ذلك قوله :

١. " الله قائم في مجمع الله ، في وسط الآلهة يقضي " [٧٥١] .

٢. " قدام الآلهة أرنم لك " [٧٥٢] .

٣. إله الآلهة الرب تكلم " [٧٥٣] .

٤. " لابد إلهنا أعظم من جميع الآلهة " [٧٥٤] .

---

[٧٥٠] قضاة : ٨ : ٣٣ ، ٩ : ٤ .

وانظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٨٢) .

[٧٥١] مزامير ٨ : ١ .

[٧٥٢] مزامير ١٣٨ : ١ .

[٧٥٣] مزامير ٥٠ : ١ .

٥. " وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر "[٧٥٥] .

٦. " كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامه قضيب ملكك – أحببت البر وابغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفاقك " [٧٥٦] .

صفات الإله عند اليهود :

أ. صفات الذات [٧٥٧]

١. تشبيه هيئة الإله بالإنسان :

شبه اليهود رب العزة سبحانه وتعالى بصورة الإنسان في الهيئة في خلق آدم –عليه السلام – فقروا في نصوصهم : " وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا " [٧٥٨] .

وأيضاً : " لأن الله على صورتنا عمل الإنسان " [٧٥٩] .

وقال : " فتخلق الله الإنسان على صورته ، وعلى صورة الله خلقه " [٧٦٠] .

وليس هذا الشبه مقتصرا على الذكور من بني آدم فقط بل ألحق إناثهم بشبهه أيضاً : " هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله ذكراً وأنثى خلقه " [٧٦١] .

---

(٧٥٤) أخبار الأيام الثاني ٢ : ٥ ، انظر : مزامير ٩٣ : ٩ ، تثنية ١٠ : ١٧ .

(٧٥٥) تكوين ٣ : ٢٢ ، وانظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١٢٠–١٢١) .

(٧٥٦) مزامير ٤ : ٦–٧ ، وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/٢٠٥) ، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الآلهية ، د / عبد الشكور العروسي (١/٢٩٤) رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

(٧٥٧) انظر : نشأة اليهود ص (٣٠٤–٣٦٨) ، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية (١/٣٦٤) .

(٧٥٨) تكوين ١ : ٢٧ .

(٧٥٩) تكوين ٩ : ٧ .

(٧٦٠) تكوين ١ : ٢٨ .

(٧٦١) تكوين ٥ : ١–٥ .

٢. نسبة الحواس والأعضاء للإله :

لقد نسبوا للإله من الحواس والأعضاء ما جاء ذكرها بقرينة لا يتأتى معها الانصراف عن التجسيم بأي حال من الأحوال مثل :

أ. الفـــم :

" من هو الإنسان الحكيم الذي يفهم هذه والذي كلمه فم الرب فيخبره بها " [٧٦٢] .

" يا بني آدم قد جعلتك رقيباً لبني إسرائيل فاسمع الكلمة من فمي وأنذرهم من قبلي" [٧٦٣] .

ب . الشفتان واللسان :

" وهو ذا اسم الرب يأتي من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم شفتاه ممتلئتا سخطاً ولساه كنار أكله " [٧٦٤] .

" ولكن ياليت الله يتكلم ويفتح شفتيه معك " [٧٦٥] .

جـ. العينان :

" افتح يا رب عينيك وانظر .... " [٧٦٦] .

" الرب هيكل قدسه ، الرب في السماء كرسيه ، عيناه تنظران أجفانه تمتحن بني آدم " [٧٦٧] .

([٧٦٢]) أرميا ٩ : ١٢ .

([٧٦٣]) حزقيال : ٣ : ٧ ، وانظر : أخبار الأيام الثاني ٦ : ١٤–١٦ .

([٧٦٤]) أشعياء ٣٠ : ٢٧ .

([٧٦٥]) أيوب ١١ : ٥ .

([٧٦٦]) أشعياء ٣٧ : ١٧ .

([٧٦٧]) مزامير ١١ : ٤ ، انظر : تثنية ٣٢ : ٩ ، ١٠ ، الملوك الأول ٨ : ٢٣ .

د . الأنف :

" يقول السيد الرب إن غضبي يصعد في أنفي " [٧٦٨] .

" وتكشف أسس المسكونة من زجرك يا رب من نسمة ريح أنفك " [٧٦٩] .

هـ . الأذنان :

" أمل يا رب أذنك استجب لي " [٧٧٠] .

" دعوتك باسمك يا رب من الجب الأسفل لصوتي سمعت لا تستر أذنك عن زفرتي عن صياحي " [٧٧١] .

و . الرأس :

" يأليت رأسي مال وعيني ينبوع دموع فأبكي نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبي"[٧٧٢] .

" فليس البر كدرع وخوذة الخلاص على رأسه " [٧٧٣] .

ز . الوجه والقفا :

" كريح شرقية أبددهم أمام العدو أريهم القفا لا الوجه في يوم مصيبتهم "[٧٧٤] .

ح . اليد والذراع :

جاء عن الإله : " إني أرفع إلى السماء يدي وأقول حي أنا إلى الأبد " [٧٧٥] .

---

[٧٦٨] حزقيال ٣٨ : ١٨ ، انظر : صموئيل الثاني ٢٢ : ٧ ، ٢٩ .

[٧٦٩] مزامير ١٨ : ١٥ .

[٧٧٠] مزامير ٨٦ : ١ ، وانظر : عدد ١١ : ١ ، ٢ ، ٨ ، صموئيل الثاني ٢٢ : ٧ .

[٧٧١] مراثي أرميا ٣ : ٥٥ .

[٧٧٢] أرميا ٩ : ١ .

[٧٧٣] أشعياء ٥٩ : ١٧ .

[٧٧٤] أرميا ١٨ : ١٧ .

[٧٧٥] أرميا ١٥ : ٥-٦

" فقد شمر ا لرب عن ذراع قدسه أما عيون كل الأمم فترى كل أطراف الأرض خلاص الهنا " [776] .

ط . الكف والأصابع :

قال الرب : " وأنا أيضاً أصفق كفي على كفي وأسكن غضبي أنا الرب تكلمت "[777]

.

" فقال العرافون لفرعون هذا أصبع الله " [778] .

ي . القدمان :

جاء في سفر زكريا : " وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قدام أورشليم من الشرق " [779] .

" لندخل إلى مساكنه ونسجد موطئ قدميه " [780] .

ك . الرجلان :

" ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعه من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة " [781] .

ل . القلب :

يقول الرب : " من مفرج عني الحزن قلبي في سقيم " [782] .

([776]) أشعياء ٥٢ : ١٠ .

([777]) حزقيال ٨ : ١٩ .

([778]) خروج ٨ : ٩ .

([779]) زكريا ١٤ : ٣-٤ .

([780]) اشعياء ٦٦ : ١ .

([781]) خروج ٢٤ : ١٠ .

([782]) أرميا ١٩ : ٥

" لا يرتد حمو غضب الرب حتى يفعل وحتى يقيم مقاصد قلبه في آخر الأيام "[٧٨٣]

.

م . الأحشاء :

جاء عن الرب : " أحشائي أحشائي توجعني جدران قلبي يئن " [٧٨٤] .

ولا نعلم إن كانت هذه الحواس والأعضاء تشبه حواس وأعضاء البشر بناء على صورته وهيئته كصورة الإنسان وهيئته كما يزعمون أم هي غير ذلك " .

فنصوصهم مضطربة مليئة بالكثير من الصور العجيبة التي تشبه تارة بالإنسان كرجل الحروب [٧٨٥] وتارة بالحيوانات كالأسد [٧٨٦] .

وأيا كان أساس الشبه لهذه الحواس والأعضاء فإنها لا يمكن أن تكون إلاَّ لإله مادي مجسم ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ب . صفات الأفعال : [٧٨٧] .

لقد صور اليهود أفعال الإله في صورة أفعال بشرية ضعيفة فافتروا من الأقاصيص والكواذب التي ألحقت بالإله العديد من صفات الجهل والغفلة وضآلة التفكير ، وضآلة الرأي وساذج اللفظ وطفولية السلوك ، ومن هذه الصفات لأفعاله . هناك نصوص كثيرة تشهد بأن توراتهم المزعومة امتلأت بتلك النماذج ومنها :

١ . النوم والاستيقاظ :

" استيقظ لماذا تتفافى يا رب انتبه لا ترفض إلى الأبد " [٧٨٨] .

([٧٨٣]) أرميا ٣ : ٢٤ .

([٧٨٤]) أرميا ٤ : ١٩–٢٠ .

([٧٨٥]) انظر : أشعياء ٤٢ : ١٣ .

([٧٨٦]) انظر هوشع ١٣ : ٧–٨ .

([٧٨٧]) انظر : نشأة اليهود ص (٣٠٤–٣٦٨) وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية ص (٣٣٠) .

٢. الحزن والسقم :

" من يفرج عني الحزن – قلبي في سقم " [٧٨٩] .

" فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض " [٧٩٠] .

٣. التعب الحاجة إلى الراحة :

" فأكملت السماوات والأرض وكل جندها ، وفرغ الله في اليوم السادس من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً " [٧٩١] .

٤. الأسف والندم :

" فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه " [٧٩٢] .

" فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه " [٧٩٣] .

٥. الاستمتاع والسرور برائحة شواء طعام الإله :

" وعلم الرب موسى قائلاً : أوصى بني إسرائيل وقال لهم قرباني طعامي مع وقائدي رائحة سروري تحرصون أن تقربوه لي في وقته " [٧٩٤] .

([٧٨٨]) مزامير ٤٤ : ٢٣ .

([٧٨٩]) أرميا ٨ : ١٨ .

([٧٩٠]) تكوين ٦ : ٥–٧ .

([٧٩١]) تكوين ٢ : ١–٣ .

([٧٩٢]) تكوين ٦ : ٥–٧ .

([٧٩٣]) خروج ٣٢ : ١٢–١٤ .

([٧٩٤]) عدد ٢٨ : ١ .

" وقال الرب لموسى كلم الكهنة بني هارون وقل لهم ... مقدسين يكونون لا لهم ولا يدنسون اسم آلههم لأنهم يقربون وقائد الرب طعام آلههم فيكونون قدسا " [٧٩٥] .

٦. المشي والسير :

" وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار " [٧٩٦] .

" وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب يهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً أو ليلاً " [٧٩٧] .

فالرب يسير أمام بني إسرائيل ليلاً ونهاراً حتى يهديهم إلى الطريق في البرية ، فقد جاء سفر الخروج قوله : " وارتحلوا من سكوت ونزلوا في أيثام في طرف البرية ، وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم ، لكي يمشوا نهاراً وليلاً ، لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب " [٧٩٨] .

٧. السكن :

" جبل الله جبل باشان جبل اسنمة جبل باشان لماذا أيتها الجبال المسنمة ترصدن الجبل الذي اشتهاه الله لسكنه بل الرب يسكن فيه إلى الأبد " [٧٩٩] .

فالرب يسكن وسط الناس ويلعب وينام ثم يستيقظ كما تزعم التوراة فجاء في سفر زكريا قوله : " ترنمي وأفرحي يا بنت صهيون لأني هأناذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب ، فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ، ويكونون لي شعباً فأسكن في وسطك

---

(٧٩٥) لاويين ٢١ : ١-٧ .

(٧٩٦) تكوين ٣ : ٨ .

(٧٩٧) خروج ١٢ : ٢-٣ .

(٧٩٨) خروج ١٣ : ٢٠ .

(٧٩٩) مزامير ٦٨ : ١٥-١٦ .

فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليك ، والرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة ، ويختار أورشليم بعد ، اسكنوا يأكل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه"[٨٠٠] .

فيعتقد اليهود بأن الرب أمر موسى وهارون – عليهما السلام – ببناء خيمة الاجتماع ، ليسكن فيها ، ثم أمر بعد ذلك ببناء التابوت ، حتى يكون مقره، وحتى يكون بالقرب من أبنائه اليهود ، يتولى أمورهم ويرعاهم وينصرهم على أعدائهم ، ويطلقون عليه اسم رب الجنود في التابوت .

ثم عندما أخذ الفلسطينيون التابوت وبقي معهم سنوات ظل الرب مسجوناً عندهم ، ولكن الرب ضربهم بالبواسير ، لذلك أعاد الفلسطينيون الرب وتابوته إلى بني إسرائيل ، ثم قرر الرب أن يسكن في جبل صهيون في أورشليم ، ثم استقر أخيراً في الهيكل الذي بناه سليمان له .

حتى يرتاح من التجول في التابوت الذي كثيراً ما يأخذه الأعداء ، ثم بعد ذلك تهدم الهيكل وتحطم وانتقل منه الرب إلى السماء ، ولكنه يعاود زيارته لجبل صهيون ، وسيعود مرة أخرى للسكن في الهيكل عندما يأتي المسيح الدجال ، ويسكن فيه مع شعبه وحبيبه ابنه البكر إسرائيل إلى الأبد ، بعد أن يهلك كل الأمم التي تعادي وتحارب ابنه[٨٠١].

فالرب عندهم غير مستقر يتنقل من سكن إلى آخر ، ثم هو عندهم ضعيف وقليل الحيلة لا يستطيع أن يفك نفسه من حبس التابوت ، عندما أصبح في متناولي الفلسطينيين.

([٨٠٠]) زكريا ٢ : ١٠–١٣ .

([٨٠١]) انظر: الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، د / محمد علي البار ، ص (٣٠–٣١) . دار القلم ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ –١٩٩٠م . (بتصرف)

فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، عن هذا القول الفاجر والسفه العظيم مع ذات الله عز وجل .

٨. النزول والرؤية :

يتكرر نزول الرب إله إسرائيل إلى الأرض مرات ومرات ، ويمشي أحياناً أمام إسرائيل على هيئة عمود سحاب نهاراً وعمود نار ليلاً ، يهديهم على الطريق ، وأيضاً الرب يتكلم مع أي إنسان يريد أن يؤذي إسرائيل ويهدده ، بل وتكلم مع جم غفير من الناس ومنهم شيوخ بني إسرائيل ، بل وسمع كل بني إسرائيل كلامه ورأوه بأعينهم ، فالرب عند بني إسرائيل متجسد على هيئة بشر لذلك يمكن رؤيته في الدنيا .

فقد جاء في سفر الخروج : " وأما السبعون فقد رأوه وهو واقف وتحت رجليه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة "[٨٠٢] .

ونزل الرب مئات المرات إلى خيمة الاجتماع ، فيقول : " ونزل الرب في عمود سحاب ، ووقف الرب في باب الخيمة ودعا هارون ومريم كلاهما وقال : اسمعا كلامي فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدي موسى فحمى غضب الرب ومضى . فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة إذا مريم برصاء مثل الثلج " [٨٠٣] .

ويصف أشعيا الرب بعد رؤيته بقوله : " في سنة وفاته ... رأيت السيد الرب جالساً على كرسي عالي مرتفع وأذيالاً تملأ الهيكل السرافيم واقفون فوقه ، لكل واحد ستة أجنحة ، باثنين يغطي وجهه ، وباثنين يغطي رجليه ، وباثنين يطير . وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس . رب الجنود مجده ملأ الأرض . فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخاناً . فقلت ويل لي !! إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين ، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين ، لأن عيني قد رأتا الملك رب

([٨٠٢]) خروج ٢٤ : ٩-١١ .

([٨٠٣]) العدد ١٢ : ٤-١٠ .

الجنود ، فطار إلى واحد من السرافيم وبيده جمرة قد أخـذها بملقـط ، ومـس بهـا فمـي وقال إن هذه قد مست شفتيك فانتزع إثمك وكفر عن خطيئتك " [٨٠٤] .

٩. الخداع :

يزعم اليهود بأن النبي أرميا يصف الله بالخداع فقد جاء في قوله :

" فقلت آه يا سيدي الرب . حقاً إنـك خـداع خـدعت هـذا الـشعب – يقـصد شـعب إسرائيل وأورشليم – قائلاً : يكون لكم سلام .. وقد بلغ السيف النفس " [٨٠٥] .

١٠. الغضب المصاحب للندم :

تصور التوراة المحرفة الرب سبحانه وتعالى بأنه شخص كثير الندم سريع الغضب ، فالرب غضب على البشر فمحا الحياة من على وجه الأرض بالطوفان ثم بعـد فعـل هـذا ندم على تصرفه هذا بالبشرية " وقال الرب في قلبه : لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجـل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ، ولا أعود أيضاً أميـت كـل حـي كمـا فعلت " [٨٠٦] .

فالرب غضب على بني إسرائيل عندما عبدوا العجل وقال لموسي : " فالآن اتـركني ليحمي غضبي عليهم فأصيرك شعباً عظيماً . فتضرع موسى أمـام الـرب إلهـه وقـال لـه : أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك ... فندم الرب على الـشر الـذي قـال إنـه يفعله بشعبه " .

وفي موضع آخر : " وقد غضب الرب على آخاب وأرسل الروح القدس ليضله ، ولكن آخاب تواضع للرب فندم الرب على إغوائه آخاب . ثم عاد آخاب وغضب الرب علـى ابـن

([٨٠٤]) أشعيا ٦ : ١-١١ .

([٨٠٥]) ارميا ٤ : ١٠ .

([٨٠٦]) تكوين ٨ : ٢٠ – ٢٢ .

آخاب بدلاً منه ، وجعل الشر عليه بدلاً من أبيه " [٨٠٧] . وندم الرب على أنه فعل الـشر بابن آخاب أيضاً .

١١. الجهل وعدم المعرفة :

ففي زعم التوراة اليهودية الرب يطلب من بني إسرائيل أن يضعوا علامة الدم علـى بيوتهم حتى يعرفهم عندما يمر وسط بيوت المصريين وإلا فإنـه سيقع في الخطأ حـسب زعمهم ولن يعرفها .

فقال : " فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكـر في أرض مـصر مـن الناس والبهائم وأصنع أحكاماً بكل آلهـة المـصريين أنـا الـرب ويكـون الـدم علامـة علـى البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم و وأعبر عـنكم فـلا يكـون علـيكم ضـربة الهـلاك حـين أضرب أرض مصر " [٨٠٨] .

وعندما آكل آدم من شجرة المعرفة بإغراء زوجته حـواء الـتي أغرتهـا الحيـة ، لم يعرف الرب أن آدم أكل من الشجرة إلا عندما اختبأ منه آدم وكان الـرب حـسب زعمهـم يتمشى في الجنة .

فقال : " وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريـح النهـار فاختبـأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت؟ فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت ... " [٨٠٩] .

فيزعم كتّبة التوراة عدم علـم الله (عـز وجـل) ونـسبة الجهـل إليـه بأنـه اكتـشف خطيئة آدم مصادفة بدون علم مسبق بها ، إضافة إلى ذلك عدم علم الله (عـز وجـل) مكـان آدم بسؤاله له عندما اختبأ أين أنت ؟ ... مع أن الله لا يخفى عليه شيء ولا آدم ومكانه .

([٨٠٧]) الملوك الأول ٢٢ : ٢٠-٢٢ .

([٨٠٨]) خروج ١٢ : ١٢-١٣ .

([٨٠٩]) تكوين ٣ : ٨-٢١

فهذا يعكس تصور اليهود في نظرتهم للذات الإلهية ، مما يعني أن أقلام الكتّبة وأهواءهم كانت لها دور كبير في صياغة القصة وأنها متأثرة في ذلك بالأديان الوثنية .

١٢. الخشية والخوف :

فقد جاء في سفر التكوين إن الرب الإله خاف وخشي على مملكته من الزوال وحكمه من الانهيار ، فدعا ملائكته ونزل وحطم مدينة البشر المتحدين المتحابين ، وبلبل ألسنتهم وفرقهم في الأرض حتى لا ينافسوه في ملكه وملكوته (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً).

فقال : " وكانت الأرض لساناً واحداً ولغة واحدة ... وقالوا هلم نبني لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نبدد على وجه الأرض . فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما ، وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل ، الآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه ، هلم تنزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم بعضاً فبددهم من هناك على وجه الأرض"[٨١٠] .

فلم يكتف اليهود بأن وصفوا الله عز وجل بالصفات السلبية التي تتناقض مع مقام الألوهية ، بل نسبوا إليه الزوجة والولد .

١. نسبة الزوجة و الحظيات للإله :

لقد تصور اليهود للإله زوجة وحظيات[٨١١] فقد جاء في قوله : " بنات ملوك بين حظياتك ، جعلت الملكة عن يمينك بذهب وفير اسمعي يا بنت وانظري وأميلي أذنك وانس شعبك وبيت أبيك فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدي له " [٨١٢] .

([٨١٠]) تكوين ١١ : ١-٩ .

([٨١١]) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/٢٦٠) .

([٨١٢]) مزامير ٤٥ : ٨-١٢ .

ويصور الدكتور البار معتقدهم في ذلك بقوله : " وهكذا يصورون الرب (تعالى الله عن ذلك) أنه مغرم بفتاته إسرائيل ولهذا فهو يحبها رغم زناها ويدعوها إليه .. ويأمر هوشع بنيه أن يتزوج زانية وأن يخالل إمراة رجل آخر لأن هكذا فعل الرب !! أعوذ بالله فقد أحب الرب إسرائيل وهي تحب رجلاً آخر وتزني معه وتترك الرب إلهها ...، ومحبته لإسرائيل أشد من محبة الرجل لزوجته و حبيبته وهو مغرم بها جداً رغم خيانتها وزناها وفجورها .. ويريد أن ترجع إليه بأي ثمن ، ومستعد أن يعطيها كل ما تريد .. فقط ترجع إلى أحضانه " [٨١٣] .

٢. نسبة الولد والأولاد للإله :

لقد جار تحريفهم حتى نسبوا لله تعالى الولد والأولاد .

يعتقد اليهود أن آدم ابن الله – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – لأن الله خلقه من روحه ، ويظنون أن ذلك لأن فيه جزءاً من ذات الله ، لأنهم يعتقدون أن الله خلقه على صورته كما وضحنا سابقاً.

وأما نسبة الأولاد فقد جاء في سفر التكوين أن لله تعالى من الأولاد من الذكور وقد فتنهم جمال بنات الآدميين فاتخذوهن خليلات وولدن منهن نسلاً امتاز ببسطة كبيرة في الجسم وهمم الجبابرة الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان وأنهم من نسل الإله "[٨١٤] .

فقال : " وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات ، أن أبناء الله رأوا أن بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم من كل ما اختاروا فقال الرب لا يدين روحي الإنسان إلى الأبد ، لزيفاته هو بشر وتكون أيامه فئة وعشرين سنة ، كان في

([٨١٣]) الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، ص (٢٠) .

([٨١٤]) انظر : المرجع السابق ، ص (١٦) .

الأرض طغاة في تلك الأيام وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً . هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذووا اسم " [815] .

وجاء أيضاً : " أنتم أولاد الرب إلهكم " [816] .

" أنا أكون له أباً وهو يكون لي أبناً " [817] .

ويقول داود كما يزعمون أن الرب قال له : " أنت ابني . أنا اليوم ولدتك اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً ، وأقاضي الأرض ملكاً " [818] .

وقالوا عن سليمان بعد أن عبد الأوثان حسب زعمهم : " هو يبني لاسمي وهو يكون لي أبنا وأنا له أباً وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد " [819] .

التجسيم عند اليهود :

وكان شأن الإله في نظر اليهود شأن آلهة العالم القديم لم يتصوروه بلا جسد .

بل لم يسعهم كفرهم حتى جسدوه إلهاً ملموساً فأظهروه عياناً في صورة رجل يراه موسى – عليه السلام– ويتكلم ويراه معه سبعون رجلاً ويستمع شعب بني إسرائيل لكلامه.

وقد جاء في أسفارهم : " أما عبدي موسى ، فليس هناك ، بل هو أمين في كل بيتي فما لي فم وعين أتكلم معه لا بالألغاز وشبه الرب يعاين " [820] .

([815]) تكوين ٦ : ١–٥ .

([816]) التثنية ١٤ : ١٥ .

([817]) صموئيل الثاني ١٣ : ٧ .

([818]) المزمور ٢ : ٧ .

([819]) أخبار الأيام الأول ٢٢ : ١٠ .

([820]) عدد ١٢ : ٧–٨ .

وفي موضع آخر : " ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه "[٨٢١] فتصوروا الله تعالى في صورة مجسمة ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل والظهور والتجلي لجميع المخلوقات .

١- ومن ذلك تجلي الرب لإبراهيم – عليه السلام- في صورة رجل .

ومن القصص التي وردت في سفر التكوين أيضاً والتي تصور الرب بصورة بشرية محضة قصة إهلاك قوم لوط وتدمير قريتي " سدوم وعمورة " [٨٢٢] حيث يذكر السفر أن ثلاثة رجال " وهم الله وملكان معه " قدموا إلى إبراهيم وهو جالس أمام خيمته وأن إبراهيم قد عرف الله من بينهم ورجاهم أن يستريحوا عنده قليلاً من وعثاء سفرهم وقدم إليهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم ، وفطائر وعجلاً حنيذاً لطعامهم فانتحى ثلاثتهم تحت ظل شجرة وأخذوا يأكلون مما قدمه إليهم ، وإبراهيم جالس على مقربة منهم ثم تفقد الإله زوجة سارة وسأله عنها وأخذ يبشرها ويبشر إبراهيم بأنه سيمر بهما في هذا الموعد نفسه من السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاماً زكياً ثم اشتبك معه إبراهيم في نقاش و جدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد إهلاكهما بغية أن يثنيه عن ذلك ، لأن بعض أهلهما اتقياء ، ولا يصح أن يؤخذ المحسن بالمسيء " [٨٢٣] .

فقد ورد في سفر التكوين قوله : " وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه له الرب وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض ، وقال يا سيد إن كنت قدو جدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ، ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا

---

(٨٢١) خروج ٣٣ : ١١ .

(٨٢٢) سدوم تقع اليوم تحت الماء في جنوب البحر الميت ، وكانت القرية التي سكنها لوط ثم تم تدميرها لخطيئة أهلها قوم لوط ، وأما عمورة فهي بلدة في غور الأردن تحالف ملكها مع ملك " سدوم " ثم دمرت أيضاً . قاموس الكتاب المقدس .

(٨٢٣) انظر : اليهودية واليهود ، د/ علي عبد الواحد وافي ، ص (٣٦) . دار نهضة مصر للطبع والنشر .

تحت الشجرة ، فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميداً اعجني واصنعي خبزاً له ، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً حنيذاً وأعطاه للغلام فأسرع لعمله ، ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا" [٨٢٤] .

٢. ظهور الرب ليعقوب – عليه السلام – ومصارعته حتى الفجر .

وذكر سفر التكوين قصة مصارعة الرب ليعقوب لا تقل عن قصة تجلي الرب لإبراهيم في دلالتها على المعنى نفسه .

فالرب ظهر ليعقوب ذات ليلة في صورة رجل وأخذ يصارعه حتى بزوغ الفجر دون أن يتمكن من التغلب على يعقوب .

فقد جاء قوله : " فبقي يعقوب وحده ، وصارعه الإنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال الرب : أطلقني لأنه قد طلع الفجر . فقال يعقوب لا أطلقك إن لم تباركني فقال له الرب ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ، فقال الرب : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس فقدرت " [٨٢٥] .

ومما تقدم نخلص إلى أن صفات الله سبحانه وتعالى في التوراة لا يمكن أن تكون صفات الله خالق الأكوان ومدبرها ، بل لا يمكن أن تكون إلا من صفات أراذل البشر .

فكل ما ذكروه من القصص والأساطير وما تحتوي عليه من خرافات وأباطيل وقدح وعدم التأدب مع الذات الإلهية يرجع إلى الأساطير والخرافات الوثنية القديمة .

---

(٨٢٤) تكوين ١٨ : ١–٨ .

(٨٢٥) تكوين ٣٢ : ٢٣–٣٢ .

فهذا قليل من كثير من هذه الافتراءات والغثاء والكذب والتجديف في وصف المولى (عز وجل) والتوراة والعهد القديم كلها مليئة بهذه الأوصاف والصفات المتكررة والسجايا الخبيثة التي لا يمكن أن يوصف بها إلا أحط البشر وأراذلهم فكيف يمكن أن يوصف بها المولى (سبحانه وتعالى) .

المطلب الثالث : أسماء الله وصفاته في التلمود

يصدم المرء حينما يقرأ التوراة الموجودة في أيدي الناس اليوم ، كما يصاب بالهلع والروع عندما يفاجأ بصفات الله سبحانه وتعالى في التلمود ، ولا شك أن أحبار اليهود قد حرفوا التوراة التي أنزلها الله على موسى – عليه السلام – وكتبوا التلمود والتوراة بأيديهم ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، وجعلوا المولى (سبحانه وتعالى) في صورة بشر حقود سريع الغضب كثير الندم ، شديد الحرص على أبنائه اليهود الذين زاغوا وعبدوا العجل والبعليم وعشتاروت وغيرها من الأرجاس .

ويذكر التلمود أن آدم اتخذ خليلة من الشياطين اسمها " ليليت " وعاشرها لمدة مئة وثلاثين سنة ، فولدت له أبناء وبنات كثيرين كما أن حواء اتخذت لها مجموعة من الشياطين عشاقاً وولدت منهم أبناء وبنات . ومع ذلك أنجبت حواء من آدم مجموعة من الأبناء والبنات . ولذا فإن أبناء آدم وحواء هم أبناء الله ، أما أبناء الزاني من الشياطين فهم أبناء الناس [٨٢٦] .

فيذكرالتلمود أن اليهود هم أبناء الله وأحباؤه بل هم جزء من الله كما سبق ذكر ذلك في توراتهم المحرفة .

فقد جاء في التلمود قوله : " وتتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده ، ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة

([٨٢٦]) انظر : الكنز المرصود في قواعد التلمود ص (٦٠) ، والتلمود أسرار وحقائق ص (٥٧٥) .

لبــاقي الأرواح ، لأن الأرواح الغــير يهوديــة هــي أرواح شــيطانية وشــبيهة بــأرواح الحيوانات "[827] .

وجاء أيضاً " إذا ضرب أممي إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية " [828] .

([827]) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص (٦٦) .

([828]) التلمود أسرار وحقائق ص (٣٧٦) .

وقال الرابي مناحم : " أيها اليهود إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله ، وأما باقي الأمم فليست كذلك " [٨٢٩] .

وبذلك فقد أثبت التلمود نسبة الولد لله (عز وجل) ، بل لم يكتفوا بذلك وزعموا أن أرواح اليهود هي جزء من ذات الله وهذا قول صريح بالتولد ، فهم يساوون أنفسهم مع الله عز وجل .

لهذا قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ، وهم لا يقصدون فقط المحبة المعنوية والبنوة المعنوية كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، ولكنهم يقصدون أن أرواحهم هي جزء من ذات الله تعالى ، لأنهم هم المثلون لنسل آدم وحواء في نقائه . وبما أن آدم مخلوق على صورة الله وشبهه تماماً ، وروحه جزء من روح الله وذاته (تعالى الله عما يقولون الظالمون علواً كبيراً) ، فإن اليهود أبناء الله الحقيقيون حساً ومعنى ، فجاء في قوله " اليهود من جوهر الله ، كما أن الولد من جوهر أبيه " [٨٣٠] .

ولقد صور أحبار اليهود الإله في تلمودهم بصورة هابطة ووصفوه بصفات النقص والعيب التي لا تليق بالعزة الإلهية فمنها :

١. البكاء ولطم الوجه والندم :

فهو يغير البرنامج بعد أن شرد أبناؤه اليهود من فلسطين وخرب الهيكل ، فيجعل الثلاثة ساعات الأخيرة من النهار ليبكي على تشريد أبنائه اليهود ، فيصرخ ويزأر قائلاً : " تباً لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ، ونهب أولادي وشغل الله مساحة أربع سنوات فقط بعد أن كان ملء السماوات والأرض في جميع الأزمان ، ويتندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى أنه يلطم ويبكي كل يوم ، فتسقط

([٨٢٩]) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص (٧٥) .

([٨٣٠]) التلمود أسرار وحقائق ص (٧٢٨) .

من عينيه دمعتان في البحر ، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه ، وتضطرب الميـاه ، وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل " [٨٣١] .

وحينما يسمع الرب أبناؤه اليهود يمجدونه رغم كل ما فعله بهـم ، يبكـي ويقـول بعد أن يلطم وجهـه : " ما أسعد الملك الذي يُمدحُ ويبجل مـع اسـتحقاقه لـذلك ، لكـن لا يستحق شيئاً من المدح الأب الذي يترك أولاده في الشقاء " [٨٣٢] .

فبذلك هم يزعمون أن الإلـه غـير أهـل لتمجيـد بـني إسـرائيل لأنـه قـضى علـيهم بالتشريد والشقاء .

والرب عندهم في ليلة عيد البكور وهي العاشرة من تشرين الأول " أكتوبر " " يقوم ويقول وهو قائم ينتف شـعره ويبكـي قلـيلاً قلـيلاً ويلـي إذ خربـت بـيتي وأيتمـت بـني وبناتي قامتي منكسة لا أرفعها حتى ابني بيتي وأرد إليه بني وبناتي ويرد هذا الكلام " [٨٣٣] .

٢. الغضب والطيش والكذب :

فقد أجمع أحبار اليهود على الغضب على الله وأنه غير معصوم مـن الطـيش والنـدم على أفعاله .

" والرب يغضب عندما يرى تعاسة الشعب اليهودي ، فيضرب برجليه على عرشه فيحصل الزلازل " [٨٣٤] .

ويذكر التلمود للتدليل على ما قد يستولى على الإله من نـزوات الغـضب مـا حـدث منه بعد أن ثاب إلى رشده – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – وزالـت عنـه نـزوة الغـضب

([٨٣١]) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص (٥٦) .

([٨٣٢]) المرجع السابق .

([٨٣٣]) التلمود أسرار وحقائق ، ص (٢٠٢) .

([٨٣٤]) المرجع السابق ، ص (٥٧١) .

فتحلل من يمينه وكف عن العمل الشرير الذي كان موشكاً أن يقع منه ، وندم على ذلك بعد ذهاب الطيش منه .

فجاء في التلمود : " إن الله حلف يميناً غير قانونية احتاج إلى من يحلله من يمينه ، وقد سمع أحد العقلاء من الإسرائيليين الله تعالى يقول : من يحللني من اليمين التي أقسمت بها ؟ ولما علم باقي الحاخامات أنه لم يحلله منها اعتبروه حماراً ، لأنه لم يحلل الله من يمينه ، ولذلك نصبوا ملكاً بين السماء والأرض ، اسمه " مي " لتحليل الله من أيمانه ونذوره عند اللزوم " (٨٣٥) .

وكما " حصل لله أن يحنث في يمينه فقد كذب أيضاً بقصد الإصلاح بين إبراهيم وامرأته سارة " (٨٣٦) .

٣. النوم واللعب والراحة والجهل :

وجاء في التلمود : أن الله ينام في الليل ويعمل في النهار ويتدارس التوراة ويلعب مع الحوت ملك الأسماك ... وعندهم أن الله يقسم اليوم إلى اثني عشرة ساعة ليل قيام فيها ويرتاح ، واثني عشر ساعة نهار ، ويقسمها كالتالي : في الثلاث الساعات الأولى يدرس التوراة مع الأحبار ، وفي الثلاث الثانية يحكم العالم ويدير شؤونه ، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفي الرابعة يلعب مع الحوت ملك الأسماك (٨٣٧) .

قال التلمود : " إن النهار اثنتا عشرة ساعة في الثلاث الأولى منها يجلس ا لله ويطالع الشريعة وفي الثلاث الثانية يحكم ، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفي الثلاث الثالثة الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك " (٨٣٨) .

---

(٨٣٥) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص(٥٧) .

(٨٣٦) المرجع السابق .

(٨٣٧) انظر بشيء من التصرف : الله جل جلاله والأنبياء في التوراة ص (٢٧) .

(٨٣٨) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص (٥٥) .

وقال مناحم : إنه لا شغل الله في الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة ومع " أسمودية" فها بعد صعوده إليها كل يوم " [839] .

فالرب بعقيدتهم ينام في الليل ويحتاج إلى الراحة ويلعب مع الحوت ثم وصفوه بالجهل لذلك لابد أن يتعلم مع الملائكة بل والشياطين تعاليم التوراة ، ويتدارس ما تشتمله التوراة مع أحبار اليهود فإله اليهود الذين يعتقدون به يجمع بين المتناقضات يلعب ويحكم العالم ، ينام ويحتاج إلى الراحة ويتعلم ثم يطعم العالم – تعالى الله (عز وجل) عما يقولون علواً كبيراً – .

٤. نسبة الخطأ على الله عز وجل :

فالمخلوق الضعيف هو " القمر " عند أحبار اليهود يخطئ الرب (عز وجل).

أما تخطئة القمر لله فإنه قال له " أخطأت حيث خلقتني أصغر من الشمس ، فأذعن الله عز لذلك واعترف بخطئه وقال : اذبحوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي لأني خلقت القمر أصغر من الشمس " [840] .

فيكون بذلك قد نفوا عن الله صفات الكمال من قدرة وعلم وحكمة وإتقان وتقدير وأثبتوا له الجهل والنسيان والخطأ .

فالإله عند اليهود كالإنسان يصيب ويخطئ ، وله أخطاء كثيرة لا تغفر حتى أنه يندم بعد ذلك من أجلها ، وكثيراً ما يخطئ وكثيراً ما يطلب إلى القائمين بأمر التلمود أن يغفروا له أخطاءه .

فهاهو الرب يعترف بخطئه أمام كبير الأحبار كما يفترون لعنة الله عليهم .

---

(839) المرجع السابق .

(840) المرجع السابق ، ص (٥٦) .

فقد جاء في التلمود : " أنه قد وقع الاختلاف يوما بينه (أي الله) وبينهم في مسألة وبعد أن طال الجدل تقررت إحالة المشكلة إلى أحد الحاخامات الربانيين ، واضطر يهوه أن يعترف بخطئه بعد حكم الحاخام المذكور " (٨٤١) .

ومن أخطاء الإله التي وقع فيها ويذكرها التلمود : هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل واعتراف الإله بالخطأ والندم على ذلك ومحاولة التكفير بالبكاء والندم ، وخلق القمر أصغر من الشمس والطيش المصاحب للغضب ، وكثراً ما يخطأ الإله عند أحبار اليهود.

ففي التلمود : " للحاخامين السيادة على الله ، وعليه إجراء ما يرغبون فيه " (٨٤٢)

.

فاليهود قبح الله وجوههم نفوا العصمة عن الله (عز وجل) وأثبتوها لأحبارهم عليهم من الله ما يستحقون .

وذكر الإمام ابن حزم " أن سفراً من أسفار التلمود يسمى " سفر توما " قد وصف جبهة خالقهم وعظم مساحتها فقال إنها من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراعاً ، وأنه جاء في سفر من اسفار هذا الكتاب يقال له " سادر ناشيم " أن في رأس خالقهم تاجاً فيه ألف قنطار من ذهب وفي أصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب ، وأن الملك الذي يخدم ذلك التاج اسمه " صندلقون " (٨٤٣) .

فهذه نماذج يسيرة من التلمود تدل دلالة واضحة على انحرافهم وكفرهم وضلالهم عن طريق الحق في أسماء الله وصفاته وإذا كانت التوراة تجهل " يهوه " الإله ا لمسيطر على العالم بالأمر والنهي والحكم ، فإن التلمود قد هبط إلى أدنى مستويات الجهل

---

(٨٤١) التلمود أسرار وحقائق ، ص (٧٥٦) .

(٨٤٢) المرجع السابق ، ص (٢٢٩) .

(٨٤٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٢١/١) .

والكفر بذات العزة الإلهية ، فالإله في التوراة متفرد بين الآلهة المتعددة ، وقد هبطت مكانته إلى حد ارتفاع الحاخامين عليه في المكانة في التلمود .

فعقيدة اليهود التي جاءت في التوراة والتلمود في الله (عز وجل) عقيدة شاذة وموغلةٌ في الوثنية .

الفصل الثاني

نقد تصور اليهود لقضية التوحيد

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : النقد العقلي
- المبحث الثاني : النقد من خلال مصادرهم المقدسة
- المبحث الثالث : النقد من خلال القرآن والسنة

المبحث الأول
النقد العقلي

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : نقد مفهوم الربوبية .
- المطلب الثاني : نقد مفهوم الألوهية
- المطلب الثالث : نقد مفهوم الأسماء والصفات

المطلب الأول : نقد مفهوم الربوبية :

لإثبات ربوبية الله تعالى الربوبية الكاملة المطلقة الشاملة والمحضة إذ يجب إثبات ربوبيته لجميع ما في الكون من الذوات والصفات والحركات والأفعال كما يجب ربوبية مبانيه لهذا الكون وما فيه (٨٤٤) .

ودعوى اليهود بتأثير القمر وإدارة الكواكب لهذا العالم بما تحدثه من حركاتها في الحوادث من دون الله ، يقتضي القدح في الربوبية الكاملة المطلقة الشاملة . وكذلك زعمهم بنسبة الجهل والضعف وعدم الدقة للخالق يقتضي نفي ربوبيته المحضة لما في هذا الكون وإثبات مشابهته لما في العالم وهذا يقتضي نفي ربوبيته المحضة .

وحين اعتقدت اليهود بأن للقمر ضرراً وتأثيراً على الناس وأن للكواكب السلطة على إدارة هذا الكون وحياة البشر والإخبار بأنباء الغيب كزعم الفلاسفة الذين جعلوها المبدعة لما في العالم السفلي المؤثرة فيه .

اقتضى هذا تفهماً لربوبية الله تعالى الشاملة لجميع ما في العالم من الذوات والصفات والحركات والأفعال . لأنها جعلت لحركة الشمس والقمر والكواكب تأثيراً منفرداً بذاتها في الخلق وهذا يقتضي مشاركتها في التأثير والتدبير كآلهة وأرباب في هذا العالم . وأصول عقيدة الإسلام تأبى هذا وتثبت ما هو خلاف ذلك ، فالشمس والقمر والكواكب والملائكة وغيرها خلق من خلق الله تعالى سبحانه مسخرة بمشيئته وأمره لتدبر ما في العالم فليس لهم السلطة على إدارة أي شيء بذاتهم ، وما كان لديهم من القدرة والتصريف ليس إلا تسخيراً من الله تعالى امتثالاً لأوامره .

وإنما أمرهم بمباشرة حركات الكون ليستدل العباد على وحدانيته تعالى .

---

(٨٤٤)التفسير القيم ، ابن القيم الجوزية ، ص٥٢ . بتصرف ، جمع : محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية / بيروت ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م .

فجعلهم آية من آياته الباهرة والدالة على انفراده بالخلق وأنه وحده الفعال لما يريد، قال تعالى : M n o p q r s t u v w L[845] .

وقد أثبت شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم (رحمهما الله) حكمة الله في خلقه وأمره إذ جعل حركات الشمس والقمر والكواكب والأفلاك من جملة أسباب الحوادث بمشيئته سبحانه وتسخيراً بأمره ، ليستدل عباده على وحدانيته وربوبيته ، وأنها المخلوقة المربوبة المسخرة بأمره حيث قال شيخ الإسلام (رحمه الله) : " العلماء متفقون على إثبات حكمة الله في خلقه وأمره وإثبات الأسباب والقوى وليس من السلف من أنكر كون حركات الكواكب قد تكون من تمام أسباب الحوادث ، كما أن الله جعل هبوب الرياح ونور الشمس والقمر من أسباب الحوادث وقد ثبت في الصحيحين عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده ، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة " [846] .

وقوله : " لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته " رد لما كان قد توهمه بعض الناس من أن كسوف الشمس كان لأجل موت لإبراهيم إبن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وكان قد مات وكسفت الشمس ، فتوهم بعض الجهال من المسلمين أن الكسوف كان لأجل هذا فبين لهم النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الكسوف لا يكون سببه موت أحد من أهل الأرض ونفى بذلك أن يكون الكسوف معلولاً عن ذلك ... وبين أن هذا من آيات الله التي يخوف بها عباده والتخويف إنما يكون بما يكون سبباً للشر،قال تعالى :M 3 4 5 6 7 8 L[847] .

([845]) سورة الأعراف ، آية (٥٤) .

([846]) ورد المعنى في صحيح البخاري : كتاب (الكسوف) باب (الصلاة في كسوف الشمس) وباب (الصدقة في الكسوف) ، وفي صحيح مسلم : كتاب (الكسوف) باب (صلاة الكسوف) .

([847]) سورة الإسراء ، آية (٥٩) .

فلو كان الكسوف وجوده كعدمه بالنسبة إلى الحوادث لم يكن سبباً لشر وهو خلاف نص الرسول (صلى الله عليه وسلم) " [٨٤٨] .

فيتضح من هذا أنه قد يكون لحركات الكواكب والشمس والقمر تأثر على الخلق ، ولكن لا يكون هذا إلا بأمر الله تعالى لها، وما كان لها هذا إلا لإثبات حكمة الله تعالى في خلقه وأمره .

وهذا يتضمن رداً واضحاً لتصورات اليهود الفاسدة في الاعتقاد بانفراد الأفلاك في تأثيرها على الكون وحياة البشر .

وقد استدل ابن القيم في رده على اليهود في اعتقادهم الفاسد بتأثير القمر في حياة الناس بإثبات تسخير الله تعالى للقمر بعباده ليدلهم على ربوبية خالقه وبارئه ، وخالقهم وبارئهم .

فقد ذكر في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [٨٤٩] .

فقال : (أقسم سبحانه بالقمر الذي هو آية الليل وفيه من الآيات الباهرة الدالة على ربوبية خالقه وبارئه وحكمته وعلمه وعنايته بخلقه – ما هو معلوم بالمشاهدة فإذا تأمل البصير القمر مثلاً ، وافتقاره إلى محل يقوم به ، وسيره دائباً لا يفتر ، مسير ، مسخر ، مدبر ، وهبوطه تارة وارتفاعه تارة ، وأفوله تارة أو ذهاب نوره شيئاً فشيئاً ، ثم عوده إليه كذلك علم قطعاً أنه مخلوق مربوب مسخر ، تحت أمر خالق قاهر مسخر له كما يشاء، وعلم أن الرب سبحانه لم يخلق هذا باطلاً ، وأن هذه الحركة فيه لابد أن ينتهي إلى الانقطاع والسكون ، وأن هذا الضوء والنور لابد أن تنتهي إلى ضده وأن هذا

---

(٨٤٨) الرد على المنطقيين ، شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية ، ص (٢٧٠-٢٧١) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

(٨٤٩) سورة المدثر ، آية (٣١-٣٧) .

السلطان لابد أن ينتهي إلى العزل ولو شاء تعالى لأبقى القمر على حالـة واحـدة لا يـتغير وجعل التغيير في الشمس ولو شاء لغيرهما معاً ، أو شـاء لأبقاهمـا علـى حالـة واحـدة ، ولكنه يرى عباده آياته في أنواع تصاريفها ليدلهم على أنه الله الـذي لا إلـه إلا هـو الملك الحق المبين الفعال لما يريد : M n o p q ׀ s t u v w L[٨٥٠] „ [٨٥١] .

ويتضح من هذا أنه ما كان للقمر من حركة أو تصريف أو تـأثير إلا بـأمر الله تعـالى ومشيئته فهو الخالق ، فلا يستحق العبادة ولا التعظيم ومن فعـل هـذا كـان مـشركاً بـالله تعالى.

وكذلك أثبت (رحمه الله) بطلان اعتقاد اليهود في سـلطة الكواكـب علـى إدارة هـذا الكون وحياة البشر والإخبار بأنباء الغيب بالاستدلال من مشاهدة أحوالها وهيأتها علـى تسخيرها وانقيادها بأمر خالقها .

قال الإمام ابن القيم : (ثم يقال لهذه الطائفة – مـن الفلاسـفة – بمـاذا عـرفتم أن الموجودات بالعالم السفلي كلها مركبة على تـأثير الكواكـب والروحانيـات وهـل هـذا إلا كذب بحت وبهت ، فهب أن بعض الآثـار المـشاهدة مـسبب عـن تـأثير بعـض الكواكـب والعلويات ، كما يشاهد من تأثير الشمس والقمر في الحيوان والنبات وغيرهما ، فمن أين لكم أن جميع أجزاء العالم السفلي صادر عن تأثير الكواكب والروحانيات ، وهل هـذا إلا كذب وجهل فهذا العالم فيه من التغيير والاستحالة والكون والفساد ما لا يمكـن إضـافته إلى كوكب ولا يتصور وقوعه إلا بمشيئة فاعل مختار قادر مؤثر في الكواكب والروحانيات ، مسخر لهـا بقدرتـه ، مـدبر لهـا بمـشيئته ، كمـا تـشهد عليهـا أحوالهـا و هيئاتـهـا وتسخيرها وانقيادها أنها مدبرة مربوبة مـسخرة بـأمر قـادر قـاهر يـصرفها كمـا يـشاء

([٨٥٠]) سورة الأعراف ، آية (٥٤) .

([٨٥١]) التبيان في أقسام القرآن ، العلامة شمس الـدين ابـن قـيم الجوزيـة ص(١٦٣-١٦٥) تعليـق : محمـد حامـد الفقي ، دار المعرفة للطباعة ، بيروت .

ويدبرها كما يريد ليس لها من الأمر شيء ولا يمكن أن تتصرف في أنفسها بذرة فضلاً أن تعطي العالم وجوده ، فلو أرادت حركة غير حركتها أو مكاناً غير مكانها أو هيئة أو حالاً غير ما هي عليه ، لم تجد إلى ذلك سبيلاً فكيف تكون رباً لكل ما تحتها مع كونها عاجزة مصرفة مقهورة مسخرة آثار الفقر مسطورة في صفحاتها وآياتها العبودية والتسخير بادية عليها فبأي اعتبار نظر إليها العاقل رأى آثار الفقر وشواهد الحدوث وأدلة التسخير والتصريف فيها ، فهي خلق من ليس كمثله شيء ، وآيات من آياته ، عبيد مسخرات بأمره M o n p q ׀ s t u v w L[٨٥٢] " [٨٥٣].

وفي موضع آخر نص الإمام ابن القيم (رحمه الله) على أنه لا حركة في هذا العالم إلا بأمر الله تعالى وإذنه ومشيئته ، وقد وكل لمباشرة ذلك ملائكته الكرام امتثالاً وطاعة لأوامره تعالى بخلاف ما يزعمه منكرو الصانع – من الفلاسفة – من نسبة ذلك إلى النجوم. مستدلاً بما أخبر الله سبحانه وتعالى في ذلك حيث بين أن السماوات : (كل حركة في السماوات والأرض من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنبات والحيوان ، فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض كما قال تعالى : M ~ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ L[٨٥٤] وقال : M فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾ L[٨٥٥] وهي الملائكة عند أهل الإيمان واتباع الرسل – عليهم السلام – وأما المكذبون للرسل ، المنكرون للصانع فيقولون هي النجوم) [٨٥٦] .

([٨٥٢]) سورة الأعراف ، آية (٥٤) .

([٨٥٣]) مفتاح دار السعادة ، العلامة الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية ص(١٢٦) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

([٨٥٤]) سورة النازعات ، آية (٥) .

([٨٥٥]) سورة الذاريات ، آية (٤) .

([٨٥٦]) إغاثة اللهفان : ابن القيم الجوزية (١٢٥/٢) ، تعليق محمد الفقي ، دار المعرفة .

وفي موضع أخر أشار إلى أن هذا التدبير للملائكة لا يخرج عن أمر الله تعالى وإذنه ومشيئته ، وإنما كان تدبيرها مباشرة وامتثالاً وطاعة لأوامر الله سبحانه وتعالى : " إنه سبحانه قد وكل بالعالم العلوي والسفلي ملائكة فهي تدبر أمر العالم بإذنه ومشيئته وأمره، فلهذا يضيف التدبر إلى الملائكة تارة لكونهم هم المباشرون للتدبير كقوله : M ~ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ L[٨٥٧] ويضيف التدبير إليه كقوله : M D E F G H I J K L M N O P Q S T W V X Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e L[٨٥٨] .

وقولـــه : M قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ ´ µ ¶ ¸ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ L[٨٥٩] .

فهو المدبر أمراً وإذنا ومشيئة والملائكة المدبرات مباشرة وامتثالاً " [٨٦٠] .

فيبطل بهذا زعم اليهود في الاعتقاد بسلطة الكواكب على إدارة هذا العالم وما فيه ، ويثبت قدحهم في ربوبية الخالق بجعل بعض المخلوقات مدبرة لبعض الأمور وعلى هذا فربوبيته شاملة كاملة مطلقة .

ومن افترى بنسبة الجهل لله تعالى والعجز وعدم الدقة في تصريف الكون لم يكن موحداً لله تعالى في ربوبيته توحيداً مخلصاً إذ يلزمه التشبيه وعدم إثبات مباينته للخلق ، وتشبيه الخالق بالمخلوق يلزم منه أنه يجوز على الواجب بنفسه (الخالق) ما يجوز على المحدث (المخلوق) فيثبت لهذا ما لهذا فيكون بذلك الشيء الواحد واجباً بنفسه

([٨٥٧]) سورة النازعات ، آية (٥) .

([٨٥٨]) سورة يونس ، آية (٣) .

([٨٥٩]) سورة يونس ، آية (٣١) .

([٨٦٠]) إغاثة اللهفان (١٣٠/٢) ، انظر : الصفدية ، ابن تيمية (١٧٤/١-١٧٥) تحقيق د . محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، دار الهدى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

وممكناً ، موجوداً ومعدوماً وهو جمع بين النقيضين يبطل به تشبيه الإله بالمخلوقين ويثبت به ضرورة الإيمان بمغايرة الخالق لخلقه ليتم توحيد ربوبيته المحضة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " قد ثبت بالعقل ما أثبته السمع من أنه سبحانه لا كفء له ، ولا سمي له ، وليس كمثله شيء فلا يجوز أن تكون حقيقته كحقيقة شيء من المخلوقات ولا حقيقة شيء من صفاته كحقيقة شيء من صفات المخلوقات فيعلم قطعاً أنه ليس من جنس المخلوقات ، لا الملائكة ولا السماوات ولا الكواكب ولا الهواء ولا الماء ولا الأرض ولا الآدميين وإن مماثلته لشيء منها أبعد من مماثلة حقيقة شيء من المخلوقات لحقيقة مخلوق آخر ، فإن الحقيقتين إذا تماثلتا جاز على كل واحدة ما يجوز على الأخرى ، ووجب لها ما يجب لها ،فيلزم أن يجوز على الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز على المحدث المخلوق من العدم والحاجة ، وأن يثبت لهذا ما يثبت لذلك من الوجود والفناء ، فيكون الشيء الواحد واجباً بنفسه غير واجب بنفسه موجوداً معدوماً وذلك جمع بين النقيضين وهذا مما يعلم به بطلان قول المشبه " [(٨٦١)] .

أما الإمام ابن القيم (رحمه الله تعالى) ، فإنه يوضح أن الإقرار بتوحيد الربوبية يلزم صاحبه الشهادة بقيام الرب تعالى وحده لإدارة هذا الكون وكل ما فيه بعلمه وقدرته وحكمته المطلقة لا يشاركه أي مخلوق في ذلك : فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وعليه فإن خلاف ذلك ليس توحيداً فيقول (رحمه الله تعالى) في إقرار العبد بتوحيد الربوبية : " يشهد صاحب قيومية الرب تعالى فوق عرشه ، يدبر أمر عباده وحده ، فلا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع ولا مميت ولا محي ولا مدبر لأمر المملكة

([٨٦١]) الرسالة التدمرية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص (٥٥-٥٦) مكتبة الرياض الحديثة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، (١٠٣/٢) ، دار العاصمة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

غيره ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه ولا يجري حادث إلا بمشيئته ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها علمه ، وأحاطت به قدرته ونفذت مشيئته ، واقتضتها حكمته"[٨٦٢] .

فيتبين لنا أن ما قاله رحمه الله يحمل رداً واضحاً على ما تزعمه اليهود أو غيرهم من التنقيص من مقام الربوبية ، بنسبة الجهل والضعف وعدم الدقة في خلقه تعالى فحتى يثبت توحيد الربوبية المحضة على الوجه الذي يليق بجلاله ، لابد من إثبات مباينة الرب لخلقه ، وامتيازه عنهم بصفات الكمال من الإقرار بكمال علمه وقدرته وحكمته تعالى في خلقه ، وهذا خلاف ما زعمته اليهود ، فيلزم منه قدحهم في خصائص الربوبية وإيمانهم بالرب إيماناً غير صحيح ، وهذا يعني انحرافهم في توحيد الربوبية فهم وإن لم يثبتوا خالقاً أو صانعاً لهذا الكون غير الله عز وجل ، إلا أنهم لم يوحدوه كما ينبغي لجليل صفاته .

---

(٨٦٢) مدارج السالكين ، ابن القيم الجوزية (٥٣٢/٣) . مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٥هـ /١٩٥٦م .

المطلب الثاني : نقد مفهوم الألوهية

ازدحمت الأسفار اليهودية بالنصوص المتناقضة والتي تتحدث عن التوحيد والشرك معاً ، وعن التنزيه والتجسيم والتشبيه ونسبة ما لا يليق بالله عز وجل معاً .

وقد ندد العلماء باليهود لوقوعهم في الشرك وجريهم وراء معبودات الأمم الأخرى الوثنية .

يقول زكي شنودة : " طوال عهودهم – أي اليهود – أو أغلبها يتمردون على عبادة الله ويعبدون آلهة الشعوب الوثنية المخالطة لهم أو المحيطة بهم أو المتعاملة معهم أو المسيطرة عليهم " [٨٦٣] .

وقد ذكر بعض العلماء الأمثلة على وقوع اليهود في الشرك وانحرافهم عن توحيد الله في ألوهيته مستنكرين مستقبحين شنيع فعلهم مخاطبين العقول السليمة بفساد تفكير هؤلاء القوم وسوء صنيعهم وإقامة الحجة على بطلان المعبودات التي عبدوها جميعاً مبينين حقيقة عبادتهم للشيطان بانقيادهم وطاعتهم له في تزيين الشهوات واتباعهم له فيها .

فمن هذه الأمثلة :

١. إنكار عبادة الأصنام :

لقد أنكر شيخ الإسلام ابن تيمية على اليهود عبادتهم للأصنام بتقريعهم مبيناً ظلمهم وشركهم بالله في قوله : " أما الذين ظلموا فما يشك أحد أنهم اليهود الذين سجدوا

([٨٦٣]) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية (٤٨٣/٨) .

لرأس العجل وكفروا بالله مراراً كثيرة – ليست واحدة – وقتلوا أنبياء الله ورسله وعبـدوا الأصنام"[(٨٦٤)] .

وفي موضع آخر قال : " وكانـت بنـو إسـرائيل أمـة عاصـية تـارة يعبـدون الأصـنام والأوثان وتارة يعبدون الله ، وتارة يستحلون محارم الله بأرض الجبل فلعنـوا علـى لـسان داود"[(٨٦٥)] .

وفي حين آخر عاب الإمام ابن القيم على اليهود فـساد تفكيرهـم وعمايـة بـصائرهم لطلبـهم من نبيهم أن يجعل لهم آلهـة من الأصنام يعبدونها كآلهـة الوثنيين متعـامين عـن عجائب الله في انقاذهم من ذل فرعون الذي كان يسومهم وجنوده أشد العذاب .

وقد ذكر الإمام ابن القيم طلبهم هذا ثم علق علـى ذلـك بمخاطبـة العقـول الـسليمة وتوجيهها للنظر في بلادة حس هؤلاء القوم الذين ينعم الله تعالى عليهم بشتى أنواع النعم فيقابلونه بالجحود والطغيان هذا والوقت كان لا يزال قريباً بإنعامه عليهم ، كما يوجـه أشد الإنكار عليهم في طلبهم من المخلوق أن يجعـل لهـم إلهـاً مخلوقـاً مجعـولاً مثلـهم ، وذلك لاستبعاد واستحاله كون الإله العظيم الخالق الجاعـل لكـل شـيء مخلوقـاً مجعـولاً يصنعه مخلوق غيره .

قـال الإمـام : " أول تلاعـب الـشيطان بهـذه الأمـة في حيـاة نبيهـا وقـرب العهـد بإنجائهم من فرعون وإغراقه وإغراق قومه ، فلما جاوزوا البحر رأوا قوماً يعكفـون علـى أصنام لهم فطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً مثلهم قال تعـالى : M ! " #
$ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : L

[(٨٦٦)] .

---

(٨٦٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/٤٤) .

(٨٦٥) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/٦٠٦) .

(٨٦٦) سورة الأعراف ، آية (١٣٨) .

فقال لهم موسى – عليه السلام – كما بين سبحانه : M 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E L [٨٦٧] .

فأي جهل فوق هذا ؟ والعهد قريب وإهلاك المشركين أمامهم بمرأى من عيونهم ، فطلبوا من موسى – عليه السلام – أن يجعل لهم إلهاً .

فطلبوا من مخلوق أن يجعل لهم إلهاً مخلوقاً ، وكيف يكون الإله مجعولاً فإن الإله هو الجاعل لكل ما سواه ، والمجعول مربوب مصنوع فيستحيل أن يكون إلهاً " [٨٦٨] .

وفي موضع آخر أشار إلى فساد اعتقادهم بحقيقة الألوهية وعظمتها بطلبهم السابق بقوله : " وحقيق لمن سأل نبيه أن يجعل له إلهاً ، فيعبدوا إلهاً مجعولاً بعد ما شاهد تلك الآيات الباهرات أن لا يعرف حقيقة الإله ولا أسمائه وصفاته ونعوته ودينه ، ولا يعرف حقيقة المخلوق وحاجته وفقره " [٨٦٩] .

لقد أنجاهم سبحانه نجاة عظيمة عجيبة تدعو من له قلب إلى الخشوع لعظمة الله (عز وجل) والإيمان به والثبات على الحق ، غير أن بني إسرائيل بما جبلوا عليه من غلظة القلب والعناد المستحكم في نفوسهم ، لم يستفيدوا من كل تلك العجائب والمعجزات .

٢. إنكار عبادة العجل :

يذكر الله عز وجل في كثير من سور القرآن الكريم آيات عديدة تتحدث عن ألوان النعم التي ساقها سبحانه وتعالى لبني إسرائيل ولكنهم لم يشكروه عليها .

بل قابلوها بالجحود والطغيان من ذلك ما كان منهم بعد أن نجاهم الله من عبودية فرعون وذلك بإغراقه أمام أعينهم ، فعبدوا العجل في غيبة نبيهم عندما ذهب يناجي

---

[٨٦٧] سورة الأعراف ، آية (١٣٨-١٣٩) .

[٨٦٨] انظر : سورة الأعراف ، آية (١٣٨) .

[٨٦٩] إغاثة اللهفان (٢/٢٩٩) .

ربه أربعين ليلة، عبدوه رغم كل ما شاهدوا من المعجزات والبراهين التي تلين بها أقسى النفوس ويقوى بها أضعف الإيمان ويغرس بها في القلوب الطاعة لله (عز وجل) .

وينكر شيخ الإسلام ابن تيمية عليهم ذلك بقوله : " ضرب أهل مصر العشر ضربات وهم يرون ذلك جميعه ، ويعلمون أن الله يضعه لأجلهم وأخرجهم من مصر بيد قوية وشق لهم البحر وأدخلهم فيه ، وصار لهم الماء حائطاً عن يمينهم وحائطاً عن شمالهم ، ودخل فرعون وجميع جنوده في البحر ، وبنو إسرائيل ينظرون ذلك ، فلما برز موسى وبنو إسرائيل من البحر وخلفهم فرعون بجنوده فيه ، أمر الله موسى أن يرد عصاه إلى الماء فعاد الماء كما كان وغرق فرعون وجميع جنوده في البحر وبنو إسرائيل يشهدون ذلك ، فلما غاب عنهم موسى أتى الجبل يناجي ربه وأخذ لهم التوراة من يد الله ، تركوا عبادة الله ونسوا جميع أفعاله ، وكفروا به وعبدوا رأس العجل من بعد ذلك " [٨٧٠] .

وقد أنكر الإمام ابن القيم عبادتهم للعجل محتجاً عليهم بإظهار عجزه وعيبه ونقصه عن صفات الكمال . موكداً أن نفي ذلك يوجب بطلان ألوهيته .

قال الإمام ابن القيم : " قال تعالى في سورة طه عن السامري M ! " # $ %
& ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : L[٨٧١] .

ورجع القول هو التكلم والتكليم .. فجعل نفي صفات الكمال موجباً لبطلان الإلهية ، وهذا أمر معقول بالفطر والعقول السليمة والكتب السماوية ، ففاقد صفات الكمال لا يكون إلهاً ولا مدبراً ولا رباً ، بل هو مذموم مصيب ناقص ليس له الحمد لا في الأولى ولا في الآخرة .

([٨٧٠]) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، (٢٢٦/٢) ، وانظر : الفتاوي (٥٨/٦) .

([٨٧١]) سورة طه ، آية (٨٨-٨٩) .

وإنما الحمد في الأولى والآخرة لمن له صفات الكمال ونعوت الجلال التي لأجلها استحق الحمد ولهذا سمي السلف كتبهم التي صنفوها في السنة وإثبات الرب وعلوه على خلقه ، وكلامه وتكليمه توحيداً ، لأن نفي ذلك وإنكاره والكفر به إنكار للصانع ، وجحد له ، وإنما توحيده إثبات صفات كماله وتنزيهه عن الشبيه والنقائض .

ثم أخذ يندد بهم لعدم فطنتهم وقلة فهمهم وغباوتهم المتجاوزة للحد لسوء اختيارهم لما عزموا على اتخاذه إلهاً لهم يعبدونه من دون الله رغم ما شهدوه من أدلة التوحيد وعظمة الرب وجلاله مما لم يشاهده أحد سواهم .

قال الإمام : " وأما اليهود فقد حكى الله لك عن جهل أسلافهم وغباوتهم وضلالهم ما يدل على ما وراء ذلك من ظلمات الجهل التي بعضها فوق بعض ، ويكفي في ذلك عبادتهم العجل الذي صنعته أيديهم من ذهب ، ومن غباوتهم أن جعلوه على صورة أبلد حيوان وأقله فطانة والذي يضرب به المثل في قلة الفهم ، فانظر إلى هذه الجهالة والغباوة المتجاوزة للحد كيف عبدوا مع الله إلهاً آخر وقد شاهدوا من أدلة التوحيد وعظمة الرب وجلاله ما لم يشاهده سواهم ؟ وإذ قد عزموا على اتخاذ إله دون الله اتخذوا وليتهم اتخذوه من الأحياء الناطقين ، بل اتخذوه من الجمادات ، وإذ قد فعلوا لم يتخذوه من الجواهر العلوية كالشمس والقمر والنجوم بل من الجواهر الأرضية وإذ قد فعلوا لم يتخذوه من الجواهر التي خلقت فوق الأرض عالية عليها كالجبال ونحوها بل من جواهر لا تكون إلا تحت الأرض والصخور والأحجار عالية عليها ، وإذا قد فعلوا لم يتخذوه من جوهر يستغنى عن الصنعة وإدخاله النار وتقليبة وجوهها مختلفة وضربه بالحديد وسبكه بل من جوهر يحتاج إلى نيل الأيدي له بضروب مختلفة وإدخاله النار وإحراقه واستخراج خبثه وإذ قد فعلوا لم يصوغوه على تمثال ملك كريم ولا نبي مرسل ولا على تمثال جوهر علوي لا تناله الأيدي بل على تمثال حيوان أرضي .

وإذا قد فعلوا لم يصوغوه على تمثال أشرف الحيوانات وأقواها وأشدها امتناعاً من الضيم كالأسد والفيل ونحوها بل صاغوه على تمثال أبلد الحيوان وأقبله للضيم والذل بحيث يحرث عليه الأرض ويسقى عليه بالسواقي والدواليب ، وليس له قوة يمتنع بها من كبير ولا صغير ، فأي معرفة لهؤلاء بمعبودهم ونبيهم وحقائق الموجودات " (٨٧٢) .

كما أنكر عليهم (رحمه الله تعالى) ما هو أشد من عبادتهم له ، وذلك نسبتهم موسى إلى الشرك وعبادة العجل معهم من دون الله فجعلوه إلهاً لموسى فنسبوا موسى – عليه السلام– إلى الشرك وعبادة غير الله .

بل عبادة أبلد الحيوانات وأقلها دفعاً عن نفسه بحيث يضرب به المثل في البلادة والذل فجعلوه إلهاً كليم الرحمن " (٨٧٣) .

٣. الرد على عبادة الكواكب والقمر والشمس :

بين الإمام ابن تيمية (رحمه الله) أن في القرآن الكريم الرد على الذين عبدوا الكواكب والشمس والقمر ، وذلك في خطاب الخليل إمام الحنفاء إبراهيم –عليه السلام – وأشار إلى أن هؤلاء العبدة هم من الصابئين المشركين الذين هم علماؤهم الفلاسفة اليونانيون وقد اتخذوا الأصنام على صور الكواكب وطبائعهم ، فكان ذلك من أعظم أسباب عبادة الأصنام.(٨٧٤)

وقد أشار إلى صنيع أولئك القوم الإمام ابن القيم الجوزية بقوله :

" والمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر ، ويصورونها في هياكلهم ، ولتلك الكواكب عندهم هياكل مخصوصة وهي المتعبدات الكبار كالكنائس

---

(٨٧٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن قيم الجوزية ، ص (٣٤٩–٣٥٠) تحقيق : أحمد السقا ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧هـ . وانظر : إغاثة اللهفان (٢/٣٠٠) .

(٨٧٣) إغاثة اللهفان (٢/٣٠٠) .

(٨٧٤) انظر : فتاوى ابن تيمية (٢/٤٤٦) .

للنصارى والبيع لليهود فلهم هيكل كبير للشمس وهيكل للقمر ، وهيكل للزهرة ، وهيكل للمشترى ، وهيكل للمريخ ، وهيكل لعطارد ، وهيكل لزحل ، وهيكل للعلة الأولى ، ولهذه الكواكب عندهم عبادات ودعوات مخصوصة ، ويصورونها في تلك الهياكل ، ويتخذون لها أصناماً تخصها ويقربون لها القرابين ، ولها صلوات خمس في اليوم والليلة نحو صلوات المسلمين " [875] .

كما أشار إلى أن أصل شركهم هو طلب القربى والشفاعة وبتطهير نفوسهم عن الشهوات الطبيعية ، والتي لا تحصل إلا باستمداد من الروحانيين الذين جلبوا على الطهارة لهذا تضرعوا وابتهلوا وذبحوا القرابين وأوقدوا البخور والعزائم استعداداً واستمداداً لشفاعة الكواكب عند إلههم ، من غير حاجة إلى وساطة الرسل الذي يشاركونهم في المادة والصورة الطبيعية فأشركوا بالله تعالى و كفروا بأنبيائه . قال الإمام ابن القيم (رحمه الله) : " قالوا الأنبياء أمثالنا في النوع وشركاؤنا في الصورة يأكلون مما نأكل ويشربون مما نشرب وما هم إلا بشر مثلنا يريدون أن يتفضلوا علينا جعلوا أنفسهم في ذلك التلقي بمنزلة الأنبياء ، والمقصود أن هؤلاء كفروا بالأصلين اللذين جاءت بهما جميع الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم .

أحدهما : عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه من إله .

والثاني : الإيمان برسله ، وما جاءوا به من عند الله تصديقاً وإقراراً ، وانقياداً وامتثالاً ، وليس هذا مختصاً بمشركي الصائبة كما غلط فيه كثير من أرباب المقالات بل هذا مذهب المشركين من سائر الأمم ، لكن شرك الصابئة كان من جهة الكواكب والعلويات "[876].

([875]) إغاثة اللهفان (٢/٢٥٠) .

([876]) إغاثة اللهفان (٢/٢٥٢-٢٥٣) .

وللرد على ذلك ذكر الإمام ابن القيم محاجة إبراهيم – عليه السلام – لعبدة الكواكب لإبطال ألوهيتها ، وفساد أعتقادهم وإدانتهم بالشرك .

فقال رحمه الله : " ولذلك ناظرهم أمام الحنفاء (صلوات الله وسلامه عليه) في بطلان إلهيتها بما حكاه الله سبحانه وتعالى في سورة الأنعام أحسن مناظرة وأبينها ، فظهرت فيها حجته ودحضت حجتهم فقال بعد أن بين بطلان إلهية الكواكب والقمر ، والشمس ، بأفولها ، وأن الإله لا يليق به أن يغيب ويأفل فلا يكون إلا شاهداً غير غائب كما لا يكون إلا غالباً قاهراً ، غير مغلوب ولا مقهور نافعاً لعباده ، يملك لعباده الضر والنفع فيسمع كلامه ويرى مكانه ويهديه ويرشده ، ويدفع عنه كل ما يضره ويؤذيه ، وذلك ليس إلا الله وحده فكل معبود سواه باطل ، فلما رأى إمام الحنفاء أن الشمس والقمر والكواكب ليست بهذه المثابة صعد منها إلى فاطرها وخالقها ومبدعها فقال : M u v w x y z { | | ~ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ L[٨٧٧] .

وفي ذلك أشار إلى أنه سبحانه خالق أمكنتها ومحالها التي هي مفتقرة إليها ، ولا قوام لها إلا بها فهي محتاجة إلى محل تقوم به ، وفاطر يخلقها ويديرها ويربها والمحتاج المخلوق المربوب المدبر لا يكون إلهاً فحاجة قومه في الله . ومن حاجه في عبادة الله فحجته داحضة . فقال إبراهيم – عليه السلام– كما بين سبحانه : M وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى © ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ ´ µ ¶ ¸ شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ L[٨٧٨] وهذا من أحسن الكلام . أي تريدون أن تصرفوني عن الإقرار بربي وبتوحيده وعن عبادته وحده ، وتشككوني فيه وقد أرشدني وبين لي الحق حتى استبان لي كالعيان وبين لي بطلان الشرك وسوء عاقبته ، وأن آلهتكم لا تصلح للعبادة، وأن

---

(٨٧٧) سورة الأنعام ، آية (٧٩) .

(٨٧٨) سورة الأنعام ، آية (٨٠) .

عبادتها توجب لعابديها غاية الضرر في الدنيا والآخرة ، فكيف تريدون مني أن أنصرف عن عبادته وتوحيده إلى الشرك به ؟ وقد هداني إلى الحق وسبيل الرشاد ؟

فالحاجة والمجادلة إنما فائدتها طلب الرجوع والانتقال من الباطل إلى الحق ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن العمى إلى الإبصار ، ومجادلتكم إياي في الإله الذي كل معبود سواه باطل تتضمن خلاف ذلك . فأخافوه بآلهتهم أن تصيبه بسوء ، كما يخوف المشرك الموحد بإلهه الذي يألهه مع الله أن يناله بسوء ، فقال الخليل : Mوَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ L[٨٧٩] فإن ألهتكم أقل وأحقر من أن تضر من كفر بها وجحد عبادتها ، ثم رد الأمر إلى مشيئة الله وحده ، وأنه هو الذي يخاف ويرجى ، فقال : M ´ µ ¶ ¸ شَيۡـٔٗاۚ L[٨٨٠] وهذا استثناء منقطع والمعنى لا أخاف آلهتكم فإنها لا مشيئة لها ولا قدرة ، لكن إن شاء ربي شيئاً نالني وأصابني ، لا آلهتكم التي لا تشاء ولا تعلم شيئاً وربي له المشيئة النافذة ، وقد أحاط كل شيء علما ، فمن أولى بأن، يخاف فيعبد ، هو سبحانه أم هي ؟

ثم قال : Mأَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ L[٨٨١] فتعلمون ما أنتم عليه من إشراك من لا مشيئة له ولا يعلم شيئاً ممن له المشيئة التامة والعلم التام .

ثم قال : M وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ L[٨٨٢] .

وهذا من أحسن قلب الحجة وجعل الحجة الباطلة بغيها دالة على فساد قوله ، وبطلان مذهبه ، فإنهم خوفوه بآلهتهم التي لم ينزل الله عليهم سلطاناً بعبادتها ، وقد

([٨٧٩])سورة الأنعام ، آية (٨٠) .

([٨٨٠])سورة الأنعام ، آية (٨٠) .

([٨٨١])سورة الأنعام ، آية (٨٠) .

([٨٨٢])سورة الأنعام ، آية (٨٠) .

تبين بطلان إلهيتها ومضرة عبادتها ، ومع هذا فلا تخافون شرككم بالله ، وعبادتكم معه آلهة أخرى ؟ فأي الفريقين أحق بالأمن وأولى بأن لا يلحقه الخوف ؟ فريق الموحدين أم فريق المشركين ؟

فحكم الله سبحانه بين الفريقين بالحكم العدل الذي لا حكم أعظم منه فقال : M ! " # $ % & L[٨٨٣] أي بشرك : M ' ( ) * + , L[٨٨٤] فحكم سبحانه للموحدين بالهدى والأمن وللمشركين بغير ذلك . وهو الضلال والخوف ثم قال : M - . / 0 1 2 4 5 6 7 9 : ; < = L[٨٨٥] "[٨٨٦] .

ولما تبين لنا هنا أصل شرك الصابئة ورد الإمام ابن القيم عليهم كان هذا الرد رداً على اليهود الذين سلكوا مسلكهم ، أيضاً لأن الدعوى واحدة ، والحكم واحد .

٤. إنكار عبادة الملائكة والبشر :

من مظاهر عبادة اليهود للملائكة والتي سجلها شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) دعاؤهم للملائكة والأنبياء للاستشفاع بهم عند الله وقد أشار إلى أن هذا مما ابتدعه أهل الكتاب من الشرك والعبادات التي لم يأذن بها الله تعالى .[٨٨٧]

فالمشركون من أولئك القوم يخاطبون الملائكة ويخاطبون الأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم[٨٨٨] وأكد على عبودية هذه المخلوقات لله تعالى ورجائها وخوفها منه كسائر خلقه سبحانه وتعالى .

---

(٨٨٣)سورة الأنعام ، آية (٨٢) .

(٨٨٤) سورة الأنعام ، آية (٨٢) .

(٨٨٥) سورة الأنعام ، آية (٨٣) .

(٨٨٦) إغاثة اللهفان (٢/٢٥٣– ٢٥٥٥) .

(٨٨٧) انظر : فتاوى ابن تيمية (١/١٥٨–١٥٩) .

(٨٨٨) انظر : فتاوى ابن تيمية (١/١٢٦–١٥٨–١٥٩–١٦٠) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/١٢٢)

.

مستشهداً بما جاء في الشرع على بطلان ذلك .

قال الشيخ : " قالت طائفة من العلماء : كان اقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالعزير والمسيح وغيرهما ، فبين الله تبارك وتعالى أن هؤلاء عباده كما أنتم عباده يرجون رحمته كما ترجون رحمته ، ويخافون عذابه كما تخافون عذابه ، ويتقربون إليه كما تتقربون إليه قال تعالى : M?@ A B C D E F G H I J K

L MN O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ `

a b d e f g h i j L[٨٨٩] "[٨٩٠] .

ثم أخذ (رحمه الله) يشرح الآية الكريمة ويثبت كفر كل من اعتقد ذلك فقال : " فبين الله تعالى أن من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً فهو كافر مع اعتقاده أنهم مخلوقون ، فإنه لم يقل أحد قط أن جميع الملائكة والنبيين مشاركون لله سبحانه وتعالى في خلق العالم ، وقد قال تعالى : M 9 : ; < = > ? @ L[٨٩١] .

قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : تسألهم من خلق السماوات والأرض فيقولون الله ، وهم يعبدن غيره ، وقد قال تعالى : Mوَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ © وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ L[٨٩٢] فأخبر سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم كانوا يقرون بأن خالق العالم واحد مع اتخاذهم آلهة يعبدونهم من دونه سبحانه يتخذونهم شفعاء إليه أو يتقربون بهم إليه "[٨٩٣] .

وفي موضع آخر صور رحمه الله واقع شركهم باتخاذهم الملائكة والنبيين أرباباُ في صورة واضحة تتمثل في الاستشفاع والتوسط بهم لجلب المنافع ودفع المضار وتفريج الكروبات وغفران الذنوب .

([٨٨٩]) سورة آل عمران ، آية (٧٩) .

([٨٩٠]) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٢٢/١) .

([٨٩١]) سورة يوسف ، آية (١٠٦).

([٨٩٢]) سورة لقمان آية (٢٥) .

([٨٩٣]) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٢٣/١).

وشبه (رحمه الله) تعالى حال هذه الوساطة بالوسائط ا لتي تكون عادة بين ملوك البشر وبين الناس فهي لا تخرج عن أحد أوجه ثلاثة :

١. إما لإخبار الوسائط الملوك من أحوال الناس ما لا يعرفونه .

٢. أو لعجز الملوك عن تدبير شئون رعيتهم بدون أعوان يعينونهم على ذلك . □

٣. أو لعدم تحرك إرادة الملوك لنفع رعيتهم والإحسان إليهم إلا بمحرك خارجي ينصحهم ويوعظهم.

ورداً على اعتقاد اليهود وغيرهم في بطلان شفاعة ووساطة العزير والمسيح والملائكة ، يذكر شيخ الإسلام بطلان جميع أنواع الوسائط التي بين الملوك والناس وذلك على أحد وجوه ثلاثة .

الوجه الأول :

أما لإخبارهم عن أحوال الناس بما لا يعرفونه :

ومن قال إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بتلك الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم : فهو كافر بل هو – سبحانه – يعلم السر وأخفى ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء M 5 6 7 8 L[٨٩٤] .

يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه المسائل ، ولا يتبرم بإلحاح الملحين .

الوجه الثاني :

أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ، ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه فلابد له من أنصار وأعوان ، لذله أو عجزه ، والله سبحانه وتعالى ليس له ظهير ولا ولي من الذل

---

(٨٩٤) سورة الشورى ، آية (١١) .

، قال تعالى : M قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ L [895] .

وقــال تعــالى : M s t u v w x y z { | } ~ ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ © L [896] .

وكل ما في الوجود من الأسباب ، فهو خالقه وربه ومليكه ، وهو الغني عن كل ما سواه ، وما سواه فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك .

والله تعالى ليس له شريك في الملك بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد و هو على كل شيء قدير .

الوجه الثالث :

أن يكون الملك ليس مريد النفع لرعيته والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج فإذا خاطب الملك من ينصحه ، ويعظه ، أو من يدل عليه ، بحيث يكون يرجوه ويخافه ، تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته ، إما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، وإما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه ، والله تعالى : " هو رب كل شيء ومليكه ، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض فجعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك ، فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن

([895]) سورة سبأ ، آية (٢٢) .

([896]) سورة الإسراء ، آية (١١١) .

الراعي الشافع إرادة الإحسان والدعاء والشفاعة ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده ، أو يعلمه ما لم يكن يعلم ، أو من يرجوه الرب ويخافه " [٨٩٧] .

وبهذا أدى شيخ الإسلام المطلوب في رده ونقده لاتخاذ اليهود للملائكة أو الأنبياء وغيرهم وسائط من دون الله تعالى وألزمهم ببطلان ذلك.

٥. إنكار التوسل بالأنبياء :

ومن مظاهر شرك الألوهية التي دان بها الشهود اتخاذهم لقبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، يتوسلون بأنبيائهم عندها ، وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك حتى لا تصبح تلك القبور أوثاناً تعبد من دون الله تعالى كفعل اليهود .

وفي بيان واجبات اقتضاء الصراط المستقيم على المسلم لمخالفة دين وشرائع اليهود المحرفة . ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى) ، ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : " فعن جندب بن عبد الله البجلي قال : سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل أن يموت بخمس وهو يقول : ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك [٨٩٨] " [٨٩٩].

ثم تناول شرح الحديث بقوله : " وصف (صلى الله عليه وسلم) الذين كانوا يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد وعقب هذا الوصف بالأمر بحرف الفاء وأن لا يتخذوا القبور مساجد ، وقال إنه (صلى الله عليه وسلم) ينهانا عن ذلك . ففيه دلالة

([٨٩٧]) فتاوى ابن تيمية (١٢٦/١-١٢٧-١٢٨) ، وانظر : ص (١٥٨-١٦٠) . وانظر (٣٩٧/٣) ، وانظر (٤٧/١٤) ، وانظر (٢٦٩/١٧-٢٧٢) .

([٨٩٨]) صحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

([٨٩٩]) اقتضاء الصراط المستقيم ، ابن تيمية (٣٩٢/١) تحقيق ناصر عبد الكريم العقل ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ، وانظر : الجوب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١١٧/١) .

على أن اتخاذ من قبلنا سبب لنهينا ، إما مظهر للنهي وإما موجب للنهي وذلك يقتضي أن أعمالهم دلالة وعلامة على أن الله ينهانا عنها وأنها علة مقتضية للنهي " [900] .

ثم يؤكد (رحمه الله) وجوب اجتنابهم ذلك لاستفاضة النهي عنه باللعنة عليهم ، حيث أكمل حديثه بقوله :" وعلى التقديرين يعلم أن مخالفتهم أمر مطلوب للشارع في الجملة ، والنهي عن هذا العمل للعنة اليهود والنصارى مستفيض عنه (صلى الله عليه وسلم) ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " [901] .

وفي لفظ لمسلم " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " [902] " [903] .

وقد أكد (رحمه الله) أن ما نهى عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد نهى عنه رسولهم موسى – عليه السلام – فقد نهى عن دعاء الأموات وغير ذلك من الشرك كغيره من الأنبياء والرسل فقال : " وهذا الذي نهى عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) من هذا الشرك زيارة الأنبياء والمشايخ للتوسل إليهم أو سؤال الله بهم أو سؤال الله عندهم هو كذلك في شرائع غيره من الأنبياء ففي التوراة أن موسى– عليه السلام – نهى بني إسرائيل عن دعاء الأموات وغير ذلك من الشرك " [904] .

([900]) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٩٢/١ –٢٩٣) .

([901]) صحيح البخاري : كتاب الصلاة ، باب (٥٥) حديث (٤٣٧) .

([902]) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، حديث (٥٣٠) .

([903]) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٩٣/١) ، وانظر : الفتاوى (١١/١١) (٢٧٠/٢٢) .

([904]) المرجع السابق (٣٥٧/١) ، وانظر : التثنية ١٨ : ٩–١٢ .

(وذكر أن ذلك من أسباب عقوبة الله لمن فعله ، وذلك أن دين الأنبياء – عليهم السلام – واحد وإن تنوعت شرائعهم ، كما في الصحيح عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " إنا معشر الأنبياء ديننا واحد " [٩٠٥]) [٩٠٦] .

وقد وصف الإمام ابن القيم فتنة الناس بقبور الأنبياء والصالحين بأنها أعظم ما كاد به الشيطان لبني الإنسان حيث أضل بها كثيراً من الناس لأن مآل الأمر فيها إلى عبادة أربابها من دون الله تعالى فعبادة قبورهم واتخاذها أوثاناً وبناء الهيكل عليها و تصوير الصور لأربابهم ثم جعل تلك الصور أجساداً لها ظل ، ثم جعلها أصناماً يؤدى إلى عبادتهم مع الله تعالى [٩٠٧] .

وقد كان لليهود نصيبٌ وافرٌ من كيد الشيطان وتلاعبه بهم في هذا الأمر .

قال الإمام ابن القيم : " ومن تلاعبه أيضاً : اتخاذه قبور أنبيائهم مساجد وقد لعنهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ذلك ولعنته تتناول فعلهم " [٩٠٨] .

([٩٠٥]) يبدو أن الشيخ روى الحديث بمعناه ، فحديث أبي هريرة المتفق عليه بغير هذا اللفظ ، انظر: صحيح مسلم (١١٩/١٥) ، وفتح الباري (٣٥٣/٦–٣٥٤) .

([٩٠٦]) الفتاوى (٣٥٧/١) ، وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١١٧/٢) (١٧٦/٣) .

([٩٠٧]) انظر : إغاثة اللهفان (١٨٢/١–١٨٣) .

([٩٠٨]) المرجع السابق (٢١٩/٢) .

المطلب الثالث : نقد مفهوم الأسماء والصفات

لقد كان اتجاه اليهود إلى التجسيم والتعـدد واضـحاً في معظـم مراحـل تـاريخهم ، فلقد وصل الأمر باليهود إلى حد جسيم من بذاءة القول وشـناعة الاعتقـاد لا يجـرؤ عليـه غيرهم ، إذ قاسوا الخالق على المخلوق فصبغوا التوحيد بالتشبيه والتجسيم .

وقد أشار شيخ الإسلام في بعض تقريراته لاعتقاد اليهـود في هـذه المـسألة بقولـه : "أما التوحيد ، فإن اليهود شبهوا الخالق بالمخلوق فوصفوا الرب سبحانه بصفات الـنقص التي يختص بها المخلوق ، فقالوا إنه فقير وبخيل وأنه تعب وغير ذلك " [٩٠٩] .

وإليك جملة من أقوال اليهود وافتراءاتهم بتشبيه الله (عز وجل) بالبشر والقـدح في صفاته عز وجل :

١. فلقـد اتهمـوه بـالفقر قـال تعـالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , L [٩١٠] .

٢. رميهم الله سبحانه وتعالى بالبخل ، قال تعـالى : M ´ µ ¶ ¸ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا L [٩١١] .

٣. نسبة التعب لله ، عندما قالوا إن الله خلق السماوات والأرض في سـتة أيـام ، ثـم استراح في اليوم السابع . [٩١٢]

٤. نسبة الندم إلى الله ، فالرب عند اليهود ندم كثيراً [٩١٣] .

([٩٠٩]) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢٩٢/٣ ، ٥٢) . وانظر : الفتـاوى (٣٧١/٣) ، وانظـر : درء تعـارض العقل والنقل ، ابن تيمية (٧٨/١) .

([٩١٠]) سورة آل عمران ، آية (١٨١) .

([٩١١]) سورة المائدة ، آية (١١٤) .

([٩١٢]) انظر : تكوين ٢ : ٢-٣ .

٥. افتراؤهم على الله تعالى بوصفه بالخمول والندم .[٩١٤]

٦. تطاولهم في اعتقادهم بظهور الله تعالى في الدنيا .[٩١٥]

٧. تجسيد الله تعالى ورميهم له بالضعف[٩١٦] .

٨. تشبيه الإنسان بالله تعالى .[٩١٧]

٩. نسبة الولد لله ، قال تعالى: M k l m n o L[٩١٨] .

لقد ذكر شيخ الإسلام أن وصف الله تعالى بالندم واللغوب وحصول رؤيته وعدم إحاطة علمه ، وأكله وشربه وحزنه وبكاءه واتخاذه الصاحبة والولد واستعانته بالغير والاعتضاد به نقص في صفات الله تعالى لأن مشابهة المخلوق الناقص في صفات النقص تنقيص مطلق لله تعالى كما أن مماثلة شيء من صفاته للمخلوقين تمثيل وتشبيه يتنزه عنه الرب تبارك وتعالى والنقص ضد الكمال وذلك على النحو التالي :

أ. إذا علم أن الله حي ، والموت ضد ذلك وهو يتنزه عنه فكذلك النوم والسنة لأن النوم آخر الموت ، وهذا ضد كمال الحياة .

ب. أما اللغوب الذي هو التعب من الأعياء ، فهو نقص يتنزه الخالق عنه ، فالخالق له كمال القدرة ونهاية القوة بخلاف المخلوق الذي يلحقه التعب والكلال .

---

(٩١٣) انظر : التكوين ٦ : ٦ ، صموئيل ١٥ : ١١ .

(٩١٤) انظر : المزمور ٤٤ : ٢٣ .

(٩١٥) انظر : المزمور ١-٢ ، والخروج ٤ : ٦ .

(٩١٦) انظر : التكوين ٣٢ : ٢٤-٢٩ .

(٩١٧) انظر : تكوين ١ : ٢٦ ، ٢٧ .

(٩١٨) سورة التوبة ، آية (٣٠) .

جـ. الأكل والشرب نقص لعدة وجوه :

١. لأنه افتقار إلى ما يحمله أو يعينه على ذلك من أعضاء الأكل والشرب كما أنه ليس فيه الاستغناء بنفسه ، لذلك فإن نفي الأكل والشرب دليل على الكمال .

٢. الآكل والشارب أجوف والملائكة صمد لا تأكل ولا تشرب والله صمد فكل كمال للمخلوق جاز أن يتصف به الخالق شرعاً ، فالخالق أولى به من المخلوق .

٣. جعل الأكل والشرب دليلاً على نفي ألوهية المسيح وأمه ، فدل ذلك على تنزيهه من الأكل والشرب بطريق الأولى والأحرى .

٤. البكاء والحزن مستلزم لصفة الضعف والعجز الذي يتنزه عنه سبحانه وهو ضدكمال القدرة .

٥. اتخاذ الصاحبة والولد ، يفهم منه الحاجة إلى الولد والله سبحانه يتنزه عن ذلك لأنه ضد صفات الكمال .

٦. الاستعانة بالغير من الاعتقاد به يتضمن الافتقار إلى الغير والاحتياج إليه وهو ضد صفات الكمال .

٧. نفي العزوب ، مستلزم لكمال علمه بكل ذرة في السماوات والأرض [٩١٩].

وفيما يتعلق بزعمهم باستراحة الرب وتعبه من الخلق ، ففي نظر اليهود أن مادام الرب كان يقوم بعملية الخلق في ستة أيام متواصلة فلابد – في نظرهم – أنه تعب ويحتاج إلى الراحة ولذلك فإنه استراح في اليوم السابع وباركه وجعله مقدساً .

([٩١٩]) انظر : الرسالة التدمرية ص (٥٤–٥٥) . وانظر : الفتاوى (٣/٨٥، ٨٦ ، ١٣٠، ١٤١) .

يقول الشيخ الباجي : " كيف يحسن أن يقال " واستراح في اليوم السابع فإن الاستراحة إنما تطلق على من يناله التعب ، فأما من أفعاله بالأمر التكويني يقول للشيء كن فيكون فذلك في حقه ممتنع " [٩٢٠] .

وخلاصة الأمر أن زعم كاتب الرواية بأن الرب قد استراح لا يتفق مع تنزيه الله (جل جلاله) ، وبذلك فإن من المقطوع به أن هذا مما تأثر به من الديانات القديمة من منطلق التصورات الوثنية للإله حيث يرونه كالبشر يأكل ، ويشرب ، ويستريح ، ويتعب ولم يكن هذا بعيد عن متناول الكاتب الكهنوتي ، وذلك لأن التراث البابلي كان منشوراً أمامه يأخذ منه ما يروقه ومايتفق مع ميوله الوثني .

من أجل ذلك ذكر موريس بوكاي أن الواضح أن هذه الراحة التي فرضها اليهود على الله (عز وجل) أنها أسطورة واستراحة مزعومة[٩٢١] .

أما فيما يتعلق بتشبيه الإنسان بالله (عز وجل) وقوله : " وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا " [٩٢٢] أي أن الله خلق الإنسان على صورته .

يقول الباجي : " كيف يحسن أن يقال " كصورتنا وشبهنا " مع أن الله سبحانه منزه عن الصورة بل هو خالق الصور كلها مغاير للمخلوق ومستغن عنه .

فإن قيل المراد خلق إنسان له قدرة على الخير والشر ، وإرادة لهما يفعل بقدرته ما يريده كما لله سبحانه قدرة وإرادة .

قلت : هذا إن سلم فلفظ الصورة لا يدل عليه ، لأن لفظ الصورة مدلولة الهيئة والشكل ، كما يقول : فلان صورته حسنة ، والصورة في الحائط مليحة ، واللفظ الدال

([٩٢٠]) على التوراة ص (٢٧–٢٨) .

([٩٢١]) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاي ص (٤٤–٤٥) ، الطبعة الرابعة ١٩٧٧م ، دار المعارف .

([٩٢٢]) تكوين ١ : ٢٦ ، ٢٧ .

على هذا أن يقال : صفاته صفاتنا . فلم عدل عن اللفظ الحسن الدال على المعنى المراد من غير إيهام للباطل إلى ما يوهمه " [٩٢٣] .

وكما يقول الإمام ابن حزم " لو لم يقل إلا " كصورتنا " لكان له وجه حسن ومعنى حسن وهو أن يضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق كما تقول هذا عمل الله وتقول للفرد الحسن هذه صورة لله أي تصويره الله والصفة التي انفرد بملكها وخلقها لكن قوله "كشبهنا " منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل أوجب شبه آدم لله (عز وجل) ولابد ضرورة .

وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل إذ الشبه والمثل معناهما واحد وحاشى لله أن يكون له مثل أو شبه " [٩٢٤] .

ويبطل تشبيه الخالق بالمخلوق لأنه جمع بين النقيضين إذ التشبيه يلزم جواز ما للمخلوق على الخالق من العدم والفناء ، فيكون المخلوق خالقاً والمعدوم موجوداً أو الممكن واجباً بذاته ، وهذا تناقض يستحيل جمعه فيثبت منه إبطال التشبيه في حق الذات القدسية ومعانيه على جميع المخلوقات .

فلم يتصور اليهود الإله بلا جسد ، لذلك نقرأ في العهد القديم كيف يتحدث الإسرائيلي عن الإنسان الذي خلقه الرب على صورته .

فلم يكتف الإسرائيلي بتجسيد الرب بل خلع عليه سائر صفات الإنسان من خير أو شر فهو يأكل ويشرب ويتعب ويستريح ويغار من منافسيه وهو يصارع ويدفن الموتى ويتمشى في الجنة [٩٢٥] .

([٩٢٣]) على التوراة ص (٢٥-٢٦) .

([٩٢٤]) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١١٧-١١٨) .

([٩٢٥]) انظر : اليهود واليهودية والمسيحية ، فؤاد حسنين ص (١٤-١٥) معهد البحوث ، ١٩٦٨م .

" وهكذا حبس اليهود إلههم داخل ذلك الإطار البشري المحدود ولم يستطع خيالهم أن يتسامى تصوره إلى ما وراء الحدود المادية فتخرج في رواياتهم على صورة تأباها النفس ويمجها الذوق ، وكانت الصورة العامة التي قدمتها الأسفار أقرب إلى المادية منها إلى الروحية " [٩٢٦] .

ومما ورد في سفر التكوين عن قصة الطوفان[٩٢٧] عن ندم الرب على أنه خلق الإنسان فاضطر إلى إهلاك أفراده عن طريق الطوفان ولكنه لم يلبث أن ندم مرة أخرى على إهلاكهم بعد أن اشتم رائحة الشواء ثم يعزم في قلبه على أن لا يحدث بعد ذلك طوفاناً لا يعود يلعن الأرض أبداً ، ويأخذ على نفسه ميثاقاً بذلك ويضع علامة " قوس قزح " ليتذكر بها هذا الميثاق .

فهكذا صور اليهود الله سبحانه بصورة لا تليق به ، جعلوه غير مدرك لأبعاد ما يصنعه ، غير عارف بما سيحدث من الإنسان مستقبلاً حتى يندم على خلقه لأنه لم يتوقع منه أن ينحرف .

يقول الشيخ الباجي : " كيف يحسن أن يقال : " وتأسف الله على آدم إذ خلقه على الأرض " فإن الله سبحانه لا يتأسف على شيء ، لأنه يعلم ما يكون قبل أن يكون فلا يفعله إلا كما يريد ، فلا يلحقه فيه ندم ولا تأسف – سبحانه وتعالى – إنما ذلك في حق عاجز جاهل بعواقب الأمور " [٩٢٨] .

فهل الله سبحانه وتعالى قد ندم على إحداث الطوفان ؟! وهل يأخذ على نفسه الميثاق بعدم تكرار هذا الطوفان مرة أخرى ؟! وهل هو ينسى حتى يذكره أحد ؟!

يذكر الشيخ الباجي أن كون القوس علامة العهد لا يحسن لوجهين :

([٩٢٦]) مصر والشرق الأدنى القديم (٣/٢٢٠-١٢١) .

([٩٢٧]) انظر : تكوين ٦ : ٥-٧ ، ٩ : ١٢-١٧ .

([٩٢٨]) على التوراة ، ص (٤٣-٤٤) .

أحدهما : أن القوس لا يكون في كل غمام ، بل في القليل من أوقات الغمام ، وهو وقت رقة الغمام حيث لا يكون موجباً لكثرة الأمطار التي يخاف منها الطوفان فلا تحصل العلامة وقت الحاجة إليها بل وقت الاستغناء.

وثانيهما : أن عهده بأنه لا يرسل الطوفان عليهم إن لم يعتمدوا على صدقه .

فقوله : إن القوس علامة لعهده ، لا يعتمدون أيضاً على صدقه ، وإن اعتمدوا على صدقه فلا حاجة إلى هذه العلامة التي لا تناسب الطوفان ولا عدمه ، ولا تنطلي إلا على ضعيف العقل ، ثم إن قوله : " وليكن قوس في الغمام أراه وأذكر عهدي " يفهم منه : أن رؤية القوس تذكره سبحانه وتعالى بالعهد .

وهذا لا يتوهمه أحد من العقلاء أن النسيان يجوز تطرقه إليه سبحانه حتى يتذكر برؤية القوس ، فكيف يجوز أن يخبر به سبحانه عن ذاته المقدسة " [٩٢٩] .

فلا شك أن قصة قوس قزح هذه تشبه رواية الأساطير ، ولا تليق بكتاب مقدس ولا بأي فكر علمي ، ثم نسأل :أليس الله بخالق الكون وواضع ناموسه ؟

ألا يعرف إله إسرائيل أن قوس قزح يظهر في السماء حاوياً ألوان الطيف السبعة عند التقاء أشعة الشمس ببخار الماء فتنكسر أشعة الشمس في مناشير بخار الماء التي تحلل بدورها شعاع الشمس مكونة قوس قزح . [٩٣٠]

أما بالنسبة لاعتقاد اليهود بظهور الله في الدنيا :

حيث وردت قصة في سفر التكوين تصور الرب بصورة بشرية محضة وهي قصة إهلاك قوم لوط عليه السلام وتدمير قريتي " سدوم وعمورة " حيث يصورون الله (عز

([٩٢٩]) المرجع السابق ، ص (٥٦-٥٧) .

([٩٣٠]) انظر : التوراة العقل . العلم التاريخ ، د / بدران محمد بدران ، ص ٤٧ .

وجل) على صورة رجل ومعه ملكان قدموا إلى إبراهيم –عليه السلام –وهو جالس أمام خيمته[931].

وقد ناقش الشيخ الفقيه علاء الدين الباجي هذا النص فاستنكر ظهور الرب لإبراهيم عند الشجرة فقال : " كيف يحسن أن يقال " وظهر الله لإبراهيم ... " فإنه (سبحانه وتعالى) منزه عن ظهوره للناظر في صورة رجل من جملة ثلاث رجال أتوا في ضيافة إبراهيم من غير أن يستدعيهم لضيافته بل هذا أمر لا يرضاه لنفسه بعض البشر ، فضلاً عن إله العالم ، واستنكر أيضاً أكل الرب والملكين وشربهما عند إبراهيم فذكر أنه لا أجهل ممن يعتقد أن إله العالم يأكل مع الملكين لا يأكلان باتفاق العقلاء لأن الملائكة أرواح مجردة عن الأبدان .

ثم إنه كيف يحسن أن يقال : " قال الرب : إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر عندي..." فإنه منزه عن أن يستعلم عن شيء بل هو عالم بكل شيء من الأزل قبل وجوده.

وقوله : " حاشا لك يا ديان كل الأرض أن تقضي بهذا القضاء " لا يحسن لأن مثل هذا الكلام لا يقال إلا لجاهل يفعل ما لا يليق ، فيتلطف به بحسن عبارة ليرجع عن خطئه"[932] .

أما بالنسبة لظهور الرب ليعقوب – عليه السلام – ومصارعته حتى الفجر فقد وردت هذه القصة في سفر التكوين تجسد الرب (تبارك وتعالى) وترميه بالضعف ، فهذه القصة لا تقل عن قصة تجلي الرب لإبراهيم في دلالتها على معنى الرب [933].

يعلق الإمام ابن حزم على هذه القصة بقوله " في هذا الفصل شنعة يقشعر منها جلود أهل العقول وبالله العظيم لولا أن الله (عز وجل) قص علينا كفرهم بقولهم يد الله

([931]) انظر : تكوين ١٨ : ٢٣-٣٣ .

([932]) على التوراة ، ص (٧٣) .

([933]) انظر : تكوين ٣٢ : ٢٤-٣٢ .

مغلولة وبقولهم إن الله فقير ونحن أغنياء لما نطقت ألسنتنا بحكاية هذه العظائم لكنا نحكيه منكرين له كما نتلوه فميا نصه عز وجل تحذيراً من إفكهم " [٩٣٤] .

فقد ذكر في هذا المكان أن يعقوب صارع الله (عز وجل) تعالى الله عن ذلك وعن كل شبه لخلقه – فكيف عن لعب الصراع الذي لا يفعله إلا أهل البطالة ، وأما أهل العقول فلا لغير ضرورة ثم لم يكتفوا بهذه الشهرة حتى قالوا إن الله (عز وجل) عجز عن أن يصرع يعقوب بنص كلام توراتهم وحقق ذلك قولهم عن الله تعالى أنه – أي يعقوب– قال كنت قوياً على الله تعالى فكيف على الناس " [٩٣٥] .

وقد استنكر العلامة الباجي هذه القصة ونقد النص الذي أوردها وبين أنه غير مقبول ولا يحسن مطلقاً لأنه يحتوي على أمور لا تليق :

١. لأن ظاهره أنه يريد بالإنسان الله تعالى – تعالى الله عن ذلك .

٢. لأنه ذكر فيه المصارعة بينهما .

٣. لأنه جعلها ممتدة إلى الفجر .

٤. لأنه فيه أنه لم يقو أحدهما على الآخر .

٥. لأنه قال : " أطلقني " ولم يقدر أن ينطلق بذاته .

٦. لأنه لم يطلقه – كما قال– إلا بعوض ، وهو أن يباركه .

٧. لأنه قال : " ما اسمك ؟ " وفيه دليل على أنه لم يعلم اسمه .

٨. لأنه قال : لأنك قويت مع الله وفيه شبه من قول الشخص : إن فلاناً قوي مع المصارع الفلاني القيم في الصراع بإدمانه معه . [٩٣٦]

([٩٣٤]) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، (١٤١/١) ، وانظر التوراة العقل العلم التاريخ ص (٥٧–٥٨) .

([٩٣٥]) المرجع السابق (١٤١/١–١٤٢) .

([٩٣٦]) انظر : المرجع السابق ، ص (٨٢–٨٣) .

وأما قوله : لأني رأيت الله وجهاً لوجه فهو وصل على ما ذكره إلى ما هو أعلى من ذلك وهو المصارعة والمغالبة – سبحانه الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وهذه الأمور السابقة التي لا تليق بالله عز وجل لا يجب لإله قوي قدير أن يتصف بها بل يستحيل على عقل بشري ناضج مفكر أن يصدق هذه الخزعبلات والأباطيل ، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون .

المبحث الثاني

النقد من خلال مصادرهم المقدسة

وفيه :

١. النصوص الدالة على ربوبية الله .

٢. النصوص الدالة على ألوهية الله .

٣. النصوص الدالة على أسماء الله وصفاته .

المبحث الثاني : النقد من خلال مصادرهم المقدسة

لقد دلت نصوص اليهود من التوراة على توحيد الله (عز وجل) في جميع أنواع التوحيد ومناقضة أقوالهم الكفرية التي تسيء إلى الله (عز وجل) .

وهذا يدل على أن أساس رسالة موسى – عليه السلام – ودين اليهود هو توحيد الله (عز وجل) دون شريك ولا مثيل وتنزيه الله في ذاته المقدسة ، وهو دين جميع أنبياء بني إسرائيل –عليهم السلام– ومن هذه النصوص الواردة :

١. النصوص الدالة على ربوبية الله (عز وجل) ، وأنه خالق كل شيء " هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت ، يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات " [٩٣٧] .

٢. النصوص الدالة على ألوهيته سبحانه وتعالى :

الوصايا العشر الواردة في سفر الخروج وهي : " لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما في السماء .... لا تسجد لهن ولا تعبدهن ... لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً ... أكرم أباك وأمك ... لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك .... " [٩٣٨] .

فهذه الوصايا جامعة لدلائل الألوهية في العهد القديم ، فهي غاية الإلمام والشمول بالعقيدة والشريعة اليهودية .

٣. النصوص الدالة على أسماء الله وصفاته (عز وجل) :

فقد ذكر العهد القديم صفات الله سبحانه وتعالى وأسماءه بما يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى ، وأعلن هذه الحقيقة في قوله :

([٩٣٧]) تكوين ٢ : ٤ .

([٩٣٨]) خروج ٢ : ١–١٧ .

" أنا الأول وأنا الأخر ولا إله غيري " [939] .

فالإله عادل وحرم الظلم على نفسه فقد جاء في قوله : " لأن الرب عادل ويحب العدل " [940] .

واكتفي بهذا الإيجاز السريع الدال على الموضوع ، لأنه سبق سياق وعرض نصوص العهد القديم " التوراة " الدالة على توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، والناقدة لكفر اليهود في ذلك ، والمبينة تناقضهم الذي لا يقبله عقل ولا نقل ، في الفصل السابق من هذا الباب في عرض تصور اليهود لقضية التوحيد . [941]

([939]) أشعياء ٤٤ : ٦ .

([940]) مزمور ١١ : ٧ .

([941]) انظر : الفصل الأول من هذا الباب المبحث الأول في المطلب الأول ، والمبحث الثاني في المطلب الثاني ، والمبحث الثالث في المطلب الأول .

المبحث الثالث
النقد من خلال الكتاب والسنة

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : نقد مفهوم الربوبية .
- المطلب الثاني : نقد مفهوم الألوهية .
- المطلب الثالث : نقد مفهوم الأسماء والصفات

المطلب الأول : تقدم مفهوم الربوبية

اليهود كأي أمة من أمم العالم لم يكونوا منكري لتوحيد الربوبية أي لم يكونوا منكرين لوجود الله ، بل كانوا مشركين بربوبية الله في خلقه ورزقه ، حيث جعلوا لله شريكاً في الربوبية .

ولقد تفرد الله سبحانه وتعالى بجميع لوازم الربوبية التي تخصه وحده لا شريك له وقد ثبت ذلك بأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية .

١. أدلة الربوبية من القرآن الكريم :

فلقد تفرد الله سبحانه وتعالى بالخلق وأنه وحده الفعال لما يريد .

قال تعالى : M n o p q r s t u v w L[942] .

وقال تعالى : M _ ` a b c d e f g h i L[943] .

فلفظ " كل شيء " يدل على تفرد الله عز وجل بالخلق وحده دون سواه .

ولقد رد القرآن الكريم أحسن رد على شرك اليهود في توحيد الله في ربوبيته .

فلقد اعتقد اليهود بأن للقمر ضرراً وتأثيراً على الناس إذ يهيج بعض الأمراض العصبية كالجنون والصرع كما ورد ذلك في قاموس الكتاب المقدس[944] ، فسجدت له اليهود وعبدته .

فمالوا بهذه إلى مذهب الفلاسفة الذين زعموا بأن الكواكب هي المؤثرة في العالم السفلي .

([942]) سورة الأعراف ، آية (٥٤) .

([943]) سورة الزمر ، آية (٦٢) .

([944]) انظر : قاموس الكتاب المقدس (٧٤٣/٢) .

وهذا الاعتقاد بتأثير القمر وإدارة الكواكب للكون والبشر ، شرك في الأمر والتدبير الذي هو من مستلزمات خصائص توحيد الربوبية الحقة ، وهو كفر بالله تعالى ، إذ كيف يصح إفراد الرب بالتوحيد الخالص إذا أشرك معه في الأمر والتدبير خلق من خلقه ، والله رب كل شيء وخالقه ومليكه وهو الغني عما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه بقوله تعالى : M قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ L[٩٤٥] .

وأيضاً تنسب اليهود إلى الرب تبارك وتعالى الخطأ في الخلق والاعتراف بالذنب وتكفيره عن ذلك ، فقد زعموا أن الله (عز وجل) خلق القمر أصغر من الشمس ، فخطأه القمر وراجعه في ذلك ، فأذعن الله (عز وجل) له تعالى عن ذلك علواً كبيراً واعترف بخطئه.

وهذا –والعياذ بالله – مما يدل على اضطراب الرب عندهم وعدم دقته في الخلق سبحانه وتعالى عما يفترون .

وهذا الوصف للخالق الذي تزعمه اليهود مرفوض بداهة لأنه يتعارض مع صفات الكمال المطلقة اللازمة للربوبية ، إذ الرب الخالق حكيم في تقدير خلقه على الصورة السليمة فسبحان الله الذي قال : M وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ L[٩٤٦] .

وقال تعالى : M إِنَّا كُلَّ à خَلَقْنَاهُ â ﴿٤٩﴾ L[٩٤٧] .

فالله الخالق الذي أتقن خلق كل شيء ، قال تعالى : M صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ à L[٩٤٨] .

وقال تعالى : M t u v w x |L[٩٤٩] .

([٩٤٥]) سورة سبأ ، آية (٢٢) .

([٩٤٦]) سورة الفرقان ، آية (٢) .

([٩٤٧]) سورة القمر ، آية (٤٩) .

([٩٤٨]) سورة النحل ، آية (٨٨) .

وقال تعالى : M ! " # $ L[950] .

وقال تعالى : M< ? @ A B C D L[951] .

فجميع هذه الآيات الكريمة تدل دلالة واضحة وجلية على إتقان الله وتقدير في خلقه الخلق .

ولقد رمى اليهود الذات الإلهية بالتعب والحاجة للراحة بعد الجهد الكبير في خلق السماوات والأرض ، وهذا مما يدل على ضعف الإله وعدم كمال قدرته مما يقدح في ربوبيته (عز وجل) .

وقد رد عليهم القرآن الكريم بقوله تعالى: M ? @ A B C D E F G H I J K L L[952] .

وقال تعالى : M T U V W X Y Z [L[953] .

وقال تعالى : M _ ` a b c d e f g h i L[954] .

وما أكثر ما يتندم الرب في اعتقاد اليهود وهذا يتنافى مع التقدير الحكيم لما يشاء ويتعارض مع العلم السابق لفعله وأفعاله وإرادته لما يريد ويقدح في ربوبيته إذ كيف يكون ربا من كان جاهلاً ؟! والله (عز وجل) يقرر أنه العليم الحكيم قال تعالى : Mإِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ © هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ L[955] .

كما قد أثبت سبحانه وتعالى عظيم علمه وإحاطته بكل شيء .

([949]) سورة السجدة ، آية (٧) .

([950]) سورة الذاريات ، آية (٤) .

([951]) سورة الملك ، آية (٣) .

([952]) سورة ق ، آية (٣٨) .

([953]) سورة الذاريات ، آية (٥٨) .

([954]) سورة البقرة ، آية (١٦٥).

([955]) سورة يوسف ، آية (١٠٠) .

قال تعالى : M وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ L [٩٥٦] .

وقال تعالى : M إِنَّ رَبَّكَ © ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦ L [٩٥٧] .

وعلى هذا فإن اليهود حين نسبوا الاضطراب وعدم الدقة والضعف والجهل لله تعالى فقد قدحوا في ربوبيته لأن من خصائص الربوبية كمال حكمه الله تعالى وقوته وعلمه لما يخلق ويفعل ويريد ويشاء والتي هي أساس التوحيد في ربوبيته . ومن الآيات التي تدل على قدحهم في الربوبية والتي تقرر وصفهم للذات الإلهية بالفقر في قوله تعالى : M !
" # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6
7 8 L [٩٥٨] .

وكذلك وصفهم الله تعالى بالبخل قال تعالى : M ´ µ ¶ ¸ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ à â فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ ç è é ê ë L [٩٥٩] .

لأن من كمال الربوبية اتصافه بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص .

٢. أدلة الربوبية من السنة النبوية المطهرة :

وقد دلت السنة النبوية على ما دل عليه القرآن ، روى البخاري بسنده عند أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " [٩٦٠] .

([٩٥٦]) سورة الأنعام ، آية (١٠١) .

([٩٥٧]) سورة الحجر ، آية (٨٦) .

([٩٥٨]) سورة آل عمران ، آية (١٨١) .

([٩٥٩]) سورة المائدة ، آية (٦٤) .

([٩٦٠]) سبق تخريجه ص (٧٢)

وروى مسلم بسنده عن عياض (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال – فيما يرويه عن ربه أنه قال : " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطاناً " [٩٦١] .

وحاصل ذلك أن الله قد خلق عباده خلقه مقتضية للتوحيد وأنهم لو استمروا عليها دون صارف يصرفهم عنها لكانوا حنفاء موحدين ، لكن الشياطين صرفتهم عن مقتضى تلك الخلقة إلى الشرك ، وهذا ما وقع فيه اليهود فإخبار الله تعالى أنه خلق عباده حنفاء يدل على أنه خلقهم على ما يقتضي أن يكونوا موحدين ، لأن الحنيف في اللغة وفي نصوص الكتاب والسنة هو المائل عن الشرك إلى التوحيد .

فإيمان اليهود بتوحيد الربوبية إيمان ناقص يشوبه شائبة ، وإن لم يكونوا منكرين لوجود الله ، ولكن كانوا مشركين غير موحدين لتوحيد الله في ربوبيته .

([٩٦١]) سبق تخريجه ص (٧٢)

المطلب الثاني : نقد مفهوم الألوهية

١. من القرآن الكريم :

من مظاهر شرك اليهود في الألوهية تخصيصهم الإله باليهود ، وأن الله عز وجل إله محلي خاص بهم دون سائر الشعوب ، فلم تعرفه إلهاً للخلق أجمعين ، ويتضح من ذلك أنه هو إله اليهود وحدهم دون سائر الشعوب ، وهم شعبه المختار .

ومن هنا يظهر انغلاق هذه الديانة اليهودية عليهم ، وانحرافهم باعتقاد اختصاص الإله بهم وعلى هذا فإن وحدانية ألوهية الله (عز وجل) لم تكن عامة على كل البشر ، بل ألوهية خاصة ببني إسرائيل ، وهذا يتنافى مع الألوهية المطلقة لله عز وجل لجميع البشر ، وقد أثبت الله عز وجل بطلان ذلك في قوله تعالى : M ! " # $

% & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7

8 9 : ; < L[962] .

وقد نفى القرآن الكريم إفكهم في قولهم بأنهم شعب الله المختار وأبناؤه ، قال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , . / 0 1 2 4 5

6 7 8 9 ; < = > ? @ B C D L[963] .

ولقد قبح القرآن الكريم قول اليهود الشنيع على الله باتخاذه الولد سبحان الله عما يصفون ، فقد قال تعالى : M s t u v x z { | } ~ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ L[964] .

([962]) سورة العنكبوت ، آية (٤٦) .

([963]) سورة المائدة ، آية (١٨) .

([964]) سورة البقرة ، آية (١١٦) .

وقـــال تعـــالى : M k l m n o p q r s t v w x z { | } ~قَبۡلُۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ L (٩٦٥)

.

فلقد وضح الله عز وجل في الآية الكريمة أن زعمهم هذا إنما هو تقليد للأمم الوثنية التي كانت قبلهم ، وأن الله يتنزه عن ذلك سبحانه ، فقد قال تعـالى : M s t u v w x y z { | } ~ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ © ﴿١١١﴾ L (٩٦٦) .

فاليهود لم يعرفوا الاستقرار على عبادة الله الواحـد الأحـد طـوال تـاريخهم ورغـم التحذيرات الكثيرة التي وجـهها الله إليهم عن طريق رسله ، فقد تعـددت آلهـتهم حتـى أصبحت بعدد مدنهم ، وكان اتجاه اليهود إلى التجـسيم واضـحاً منـذ بدايـة ظهـورهم في التاريخ بين الأمم ، فقد نبه القرآن الكريم عن أول خطواتهم في الشرك بالله ، فقـد طلبـوا من موسى عليـه السلام بعد أن جاوز الله بهم البحر بسلام ، أن يجعل لهم إلهـاً يعبدونـه من دون الله كما كان لأولئك القوم المشركين ، فقد قـال الله تعـالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + - . / 0 1 2 3 4 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E L (٩٦٧) .

وقد وضح القرآن وقوعهم في الشرك في قوله تعـالى : M @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y L (٩٦٨) .

---

(٩٦٥) سورة التوبة ، آية (٣٠) .

(٩٦٦) سورة الإسراء ، آية (١١١) .

(٩٦٧) سورة الأعراف ، آية (١٣٨-١٣٩) .

(٩٦٨) سورة البقرة ، آية (٥١-٥٤) .

ويتبين من ذلك أن اليهود عبدوا الحيوانات ، وقد أحبوا عبادة العجل على الخصوص ، واشتهروا بصناعة التماثيل لها ، ومن أشهرها العجل الذهبي ، وقد قص الله عز وجل علينا قصة عبادة اليهود للعجل وصرح بأن السامري هو الذي صنعه لتعبده اليهود فترة غياب موسى – عليه السلام– لميقات ربه تعدياً و تجاوزا لأوامر الله تعالى ، وبين (عز وجل) أنه – أي العجل – لا يملك ضراً ولا نفعاً ...

قال تعالى : M قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ © ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ ´ µ ¶ ¸ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ !

8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # "

P O N M L K J I H G F D C B A @ ? > = < ; : 9

g f e d c b ` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q

. (٩٦٩) L x w v u t s r q p o n m k j i h

ثم وضح (عز وجل) الحقيقة الأكيدة في قوله تعالى : M إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ L (٩٧٠) .

ولقد أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم موسى – عليه السلام – ليبين لهم قبح صنيعهم هذا ، فقال تعالى : M { | } ~ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ © أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ´ ¶ ¸ وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ L (٩٧١) .

---

(٩٦٩) سورة طه ، آية (٨٥–٩٠) .

(٩٧٠) سورة طه ، آية (٩٨) .

(٩٧١) سورة البقرة ، آية (٩٢–٩٣) .

ولقد قبح القرآن الكريم فعل اليهود الشنيع باتخاذهم العجل معبوداً من دون الله (عز وجل) وتوعدهم بالغضب والذلة في الحياة الدنيا .

فقد قال الله تعالى في ذلك : M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i L [٩٧٢] .

فبهذا وضح القرآن الكريم تلاعب الشيطان بهذه الأمة ، وبيان فساد فعلهم ، وشركهم بالله (عز وجل) ، وجهلهم المركب بألوهيته .

وقد بين الله (عز وجل) بطلان هذه الأصنام وبين أنها لا تضر ولا تنفع بقوله سبحانه وتعالى على لسان أبيهم إبراهيم –عليه السلام– : M _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ © ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا ´ µ ¶ L [٩٧٣] .

وقد بدأ اليهود عبادة البعل في عصر موسى –عليه السلام– وفي عصر القضاة ، وازدهرت هذه العبادة في عصر الانقسام فأدخلت في المملكة الشمالية ، فأرسل الله نبياً من أنبيائه يبين بطلان عبادة بعل ، وهو النبي إلياس –عليه السلام –وتذكر أسفار العهد القديم أن اسم هذا النبي هو – إيليا – فنبي الله عاب على قومه عبادة ودعوة البعل وتركهم ربهم أحسن الخالقين .

قال تعالى : M وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ´ µ ¶ ¸ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ ! " # $

([٩٧٢]) سورة الأعراف ، آية (١٥٢) .

([٩٧٣]) سورة الشعراء ، آية (٦٩ – ٧٧) .

% & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6

7 8 9 : ; < = L[٩٧٤] .

ولقد كانت الكواكب من معبودات الشعوب الوثنية التي عاصرت اليهود فعبدوها من دون الله (عز وجل) ، وقد حرم الله (عز وجل) عباد الشمس والقمر والنجوم بقوله تعالى : Mلَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ´ µ ¶ ¸ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ L[٩٧٥] .

فهم خلق من خلقه التي تذل خضوعاً وسجوداً له قال تعالى : M C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d f g h i j k l L[٩٧٦] .

ولقد أنكر الله سبحانه وتعالى على اليهود عبادتهم للملائكة والبشر واتخاذهم الأحبار والعلماء من دون الله تعالى .

ولقد صدق المولى (عز وجـــل) في قوله تعالى : M? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b d e f g h i j L[٩٧٧] .

فهذا مما ابتدعه أهل الكتاب من الشرك والعبادات التي لم يأذن بها الله تعالى ويتمثل شرك اليهود في عبادة أحبارهم في طاعتهم لهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ، فاتخذوهم أرباباً تُعبد من دون الله (عز وجل) فأصبحوا يشرعون لهم مالم

---

(٩٧٤) سورة الصافات ، آية (١٢٣–١٣٢) .

(٩٧٥) سورة فصلت ، آية (٣٧) .

(٩٧٦) سورة الحج ، آية (١٨) .

(٩٧٧) سورة آل عمران ، آية (٧٩–٨٠) .

ينزل به الله من سلطان فقد قال الله تعالى في حقهم : M ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ L [978] .

وقد أخبر أيضاً القرآن الكريم عن عبادة اليهود للطاغوت لتركهم عبادته واتباعهم لأهوائهم ودليل ذلك قوله تعالى : M ﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ ﴾ L [979] .

ويقول تعالى : M ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ L [980] .

وقد أخبر شيخ الإسلام (رحمه الله) إلى أن المقصود بالطاغوت بقوله : " وقد أخبر الله عن اليهود بأنهم عبدوا الطاغوت .. وهو اسم جنس يدخل فيه الشيطان ، والوثن والكهان والدرهم والدينار " [981] .

وقال في موضع آخر : " مادام الكافر كافراً فإنه لا يعبد الله ، وإنما يعبد الشيطان ، سواء كان متظاهراً أو غير متظاهر به كاليهود فإن اليهود لا يعبدون الله ، وإنما يعبدون الشيطان – أي الطاغوت ومنه الشيطان –، لأن عبادة الله (عز وجل) إنما تكون بما شرع وأمر ، وهم وإن زعموا أنهم يعبدونه فتلك الأعمال المبدلة والمنهي عنها وهو يكرهها ويبغضها وينهى عنها فليس عبادة " [982] .

([978]) سورة التوبة ، آية (31) .

([979]) سورة المائدة ، آية (60) .

([980]) سورة النساء ، آية (51) .

والجبت : كل ما عبد من دون الله ، وقيل : هي كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك ، وهي كلمة ليست عربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي (لسان العرب) : (جبت) .

([981])الفتاوى (16/565) .

([982]) المرجع السابق (16/556-566) ، وانظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (14-455) .

ولقد عبد اليهود أيضاً أنواع النباتات والأشجار ، وجاء في القرآن الكريم تنزيه الله عز وجل عما يشركون من جميع أصناف النباتات والأشجار والبشر وغير ذلك مما لا نعلم من المخلوقات والتي لا تستحق العبادة ، قال تعالى : M y z { | } ~ تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ L [٩٨٣] .

ولقد أخذ الله سبحانه وتعالى الميثاق على بني إسرائيل بعبادته وحده لا شريك له ، ولكنهم نقضوا هذا الميثاق ففي قوله تعالى يوضح ذلك : Mوَإِذۡ أَخَذۡنَا © بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ´ µ ¶ ¸ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾ L [٩٨٤] .

٢. من السنة النبوية المطهرة :

ومن مظاهر شرك الألوهية اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، يتوسلون بأنبيائهم عندهم ، فقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك حتى لا تعبد تلك القبور وتصبح أوثاناً من دون الله تعالى كما فعل اليهود .

ففي الصحيحين ، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " [٩٨٥] .

وفي لفظ مسلم : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " [٩٨٦] .

وروى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور

([٩٨٣]) سورة يس ، آية (٣٦) .

([٩٨٤]) سورة البقرة ، آية (٨٣) .

([٩٨٥]) سبق تخريجه ص (٢٥٧)

([٩٨٦]) سبق تخريجه ص (٢٥٧)

أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك " [987]

.

وأيضاً من مظاهر شرك الألوهية عند اليهود ما ذكره (صلى الله عليه وسلم) باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وذلك ما ورد في قصة عدي بن حاتم[988] عن كيفية عبادة اليهود لأحبارهم باتباعهم وطاعتهم فيما يحلونه ويحرمونه عليهم من أوامر وتشريعات بغير ما أنزل الله .

عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) يقرأ هذه الآية M ٱتَّخَذُوٓاْ © وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ ´ µ ¶ ¸ وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ L [989] فقلت له : إنا لسنا نعبدهم قال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحللون ما حرم الله فتحلونه ؟ فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم " [990] .

([987]) سبق تخريجه ص (٢٥٧)

([988]) هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس ، وأبو حاتم الموصوف بالجود ، وقد عدي على النبي سنة تسع في شعبان وقيل ستة عشر فأسلم بعد أن كان نصرانياً ، شهد فتوح الطرق والقادسية ومهران ويوم الجسر وشهد صفين ، مات بالكوفة أيام المختار سنة سبع وستين وله مائة وعشرون عاماً . انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة عز الدين بن الأثير ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م.

([989]) سورة التوبة ، آية (٣١) .

([990]) الترمذي ، ك (التفسير) ب (٥) ح (٢٧٨) ومسند أحمد (٢٥٧/٤) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٨١/١٠) ، دار المعرفة بيروت ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م .

المطلب الثالث : نقد مفهوم الأسماء والصفات

١. من القرآن الكريم :

من مظاهر شرك اليهود في أسمائه وصفاته وصفه ونعته بأقبح الصفات والنعوت ، وتشبيه الخالق بالمخلوق الضعيف ، فوصفوا الرب بصفات النقص التي يختص بها المخلوق.

وقد رد عليهم القرآن الكريم جميع هذه الافتراءات :

١. اتهامهم الله بالفقر فقد قال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 L[٩٩١].

وقد وضح سبحانه وتعالى أن جميع الناس فقراء إليه وهو الغني ، قال تعالى : M u v w x y z | } ~ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ L[٩٩٢].

٢. رميهم الله تعالى بالبخل ، وقد رد الله سبحانه قولهم ببيان أن يديه مبسوطتان قال تعالى : M ´ µ ¶ ¸ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ L[٩٩٣].

٣. نسبة التعب لله عز وجل ،وقد رد الله سبحانه عليهم بأن اللغوب لا يلحقه ، قال تعالى : M ? @ A B C D E F G H I J K L L[٩٩٤].

وساق دليلاً آخر حيث قال تعالى : M l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ L[٩٩٥].

([٩٩١]) سورة آل عمران ، آية (١٨١) .

([٩٩٢]) سورة فاطر ، آية (١٥) .

([٩٩٣]) سورة المائدة ، آية (٦٤) .

([٩٩٤]) سورة ق ، آية (٣٨) .

([٩٩٥]) سورة الأحقاف ، آية (٣٣) .

٤. الخمول والنوم : وقد رد الله عليهم بأنه لا تأخذه سنة ولا نوم ، وأنه سبحانه لا يثقله حفظ السماوات والأرض ، قال تعالى : M s t u v w x y { | } ~ نَوۡمٌۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ ´ µ ¶ ¸ خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ L [٩٩٦] .

٥. نفي العزوب وكمال علمه رداً على زعمهم العزوب لله سبحانه قال تعالى : M S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i L [٩٩٧].

وقال تعالى : M وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ à â إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ L [٩٩٨] .

٦. ظهور الله في الدنيا ، بين الله سبحانه استحالة رؤيته في الدنيا لأحد من البشر فقد قال تعالى : M 5 6 7 8 9 : ; < = > ? L [٩٩٩] .

واليهود يزعمون أن الله ظهر لموسى في العليقة ، وقد أنكر القرآن الكريم ذلك الزعم في قوله تعالى : M وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ © إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ ´ µ ¶ ¸ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ L [١٠٠٠] ، فبين سبحانه أن التجلي كان للجبل ، وأن موسى نظر إلى المتجلى عليه فصعق .

([٩٩٦]) سورة البقرة ، آية (٢٥٥) .

([٩٩٧]) سورة سبأ ، آية (٣) .

([٩٩٨]) سورة يونس ، آية (٦١) .

([٩٩٩]) سورة الأنعام ، آية (١٠٣) .

([١٠٠٠]) سورة الأعراف ، آية (١٤٣) .

وأما زعمهم ظهور الله لإبراهيم – عليه السلام – فقد وضح القرآن الكريم القصة على حقيقتها ، فبين أن الذين وفدوا على إبراهيم – عليه السلام– كانوا ملكين مشكلين في صورة آدميين فظنهم بشراً قال تعالى : M ©أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ ´ ¶ µ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ à كَذَٰلِكِ â رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ç è é L[1001] .

٧. افتراء اليهود بسماعهم صوت الإله ، فلقد أثبت القرآن ونصوصه أن الله لم يكلم أحداً من البشر إلا موسى – عليه السلام – وكانت هذه خاصية اختص بها موسى – عليه السلام – دون غيره من البشر عامة ، ومن الأنبياء خاصة .

فقد قال الله تعالى : M I J K L M L[1002] .

وقال تعالى : M وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ L[1003] .

٨. افتراؤهم في اتخاذ الصاحبة والولد ، فقد قال تعالى : M بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ L[1004] .

قال تعالى : M : ; < = > ? @ A B C L[1005] .

وقال تعالى : M { } ~ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ © فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن ´ µ ¶ ¸ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ L[1006] .

٩. تشبيه الله بالإنسان :

(1001) سورة الذاريات ، آية (٢٤–٣٠) ، وانظر : سورة هود ، آية (٧٤–٧٦) .
(1002) سورة النساء ، آية (١٦٤) .
(1003) سورة الأعراف ، آية (١٤٣) .
(1004) سورة الأنعام ، آية (١٠١) .
(1005) سورة الجن ، آية (٣) .
(1006) سورة يونس ، آية (٦٨) .

قال تعالى : M 1 2 3 5 6 7 8 L[١٠٠٧] .

وقوله تعالى : M * + , - . L[١٠٠٨] .

وقوله عز وجل : M 1 2 3 4 L[١٠٠٩] .

وقولـه تعـالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 L[١٠١٠] .

فيثبت الصفات وينفي مماثلة المخلوقات .

وقولــه تعــالى : M سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢ L[١٠١١] .

١٠. وصفهم الله بأنه يأكل ويشرب ، فقد نفى الله عنه ذلك في قوله تعـالى : : M ! " # $ % & ' (L[١٠١٢] **فالصمد الذي لا يأكل ولا يشرب .**

فالله عالم بكل شيء يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان وما يكـون ومـالم يكـن لـو كـان كيف كان يكـون ، M ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ L[١٠١٣] .

ومن أظهر وأدل الأدلة على تنزيه الله تعـالى وتقديـسه المتـضمنه صـفات الكمـال لله ونفي صفات النقص عنه في الرد على اليهود فتعالى الله الذي M 1 2 3 5 6 7 8 L[١٠١٤] .

(١٠٠٧) سورة الشورى ، آية (١١) .

(١٠٠٨) سورة مريم ، آية (٦٥) .

(١٠٠٩) سورة النحل ، آية (٧٤) .

(١٠١٠) سورة الإخلاص ، آية (١-٤) .

(١٠١١) سورة الصافات ، آية (١٨٠) .

(١٠١٢) سورة الإخلاص ، آية (١-٢) .

(١٠١٣) سورة الأنعام ، آية (٥٩) .

١١. ويذكر اليهود أن الأضاحي المشوية يرتـاح لهـا الإلـه ، وينـتعش مـن رائحـة الدخان المتصاعد من حرقها ، وأنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه ، ويـرد الله تعـالى في

القرآن الكريم على مزاعمهم هذه فيقرر أن الله لا يناله شيء من لحـوم الأضـاحي ولا مـن دمائهم وأنه قد شرع الأضحية لتكون مظهراً من مظاهر تقوى الله وامتثال أوامره وشـكره على نعمائه التي أسبغها على عباده وخاصته على ما رزقهم من بهجة الأنعام ، وفي ذلك يقــول تعــالى : M u v w x y z { | } فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا © مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ ´ µ ¶ ¸ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ L [١٠١٥] .

١٢. وصفهم الله بالجهل :

فقد زعموا أن الله (عز وجل) طلب منهم أن يضعوا علامة الـدم علـى بيـوتهم حتـى يعرفها من بين بيوت المصريين عند هلاكهم ، فيعبر بيوتهم ولم يهلكها .

وهـذا باطـل فـإن الله (جـل وعـلا) قـــال : M H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j L [١٠١٦].

١٣. وصفهم لله بالندم :

فقد كذبهم الله في ذلك بقوله : M لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ L [١٠١٧].

([١٠١٤]) سورة الشورى ، آية (١١) .

([١٠١٥]) سورة الحج ، آية (٣٦-٣٧) .

([١٠١٦]) سورة سبأ آية (٣) .

([١٠١٧]) سورة الأنبياء ، آية (٢٣) .

وقال تعالى : M ´ µ ¶ ¸ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ L[١٠١٨].

(١٠١٨) سورة الفرقان آية (٧٧) .

٢. من السنة النبوية المطهرة :

ينقل الحافظ ابن كثير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه لما نزل قوله تعالى : M ´ µ ¶ ¸ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً L[١٠١٩] قالت اليهود يا محمد افتقر ربك فسأل عباده القرض ! فأنزل الله سبحانه : M ! " # $ % & ' ( ) * + , L[١٠٢٠][١٠٢١].

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : دخل أبو بكر الصديق فوجد من اليهود ناساً كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال فنحاص وكان من علمائهم وأحبارهم فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص اتق الله واسلم ... فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ما نبغي إلى الله من حاجة من فقر وأنه إلينا الفقير ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه لأغنياء ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم (صلى الله عليه وسلم) ينهاكم عن الربا و يعطينا ولو كان غنياً ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر رضي الله عنه فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً ، وقال : والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك يا عدو الله ، فذهب فنحاص إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر ، فقال : يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، يزعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه فجحد فنحاص ذلك وقال : ما قلت ذلك فأنزل الله فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقاً لأبي بكر M ! " # $ % & ' (

(١٠١٩) سورة البقرة ، آية (٢٤٥) .

(١٠٢٠) سورة آل عمران ، آية (١٨١) .

(١٠٢١) تفسير القرآن العظيم ، (٤٣٣/١) .

(* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 L (١٠٢٢) ”

(١٠٢٣) .

وأما في قوله تعالى : M ´ µ ¶ ¸ مَغْلُولَةٌ L (١٠٢٤) نقل عن محمد بن إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : قال رجل من اليهود يقال له شاس بن قيس إن ربك بخيل لا ينفق فأنزل الله هذه الآية (١٠٢٥) .

أما دعوى استراحة الرب في اليوم السابع ، فجاء في تفاسير الطبري وابن كثير والدر المنثور عن قتادة قوله في تفسير هذه الآية أن اليهود عليهم لعائن الله قالوا : خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع ، وهو يوم السبت ، وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه ” (١٠٢٦) .

وأورد الطبري والسيوطي أن اليهود جاءوا إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالوا يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة فلما أخبرهم قالوا صدقت إن أتممت فعرف النبي (صلى الله عليه وسلم) ما يريدون فأنزل الله M H I J K L

(١٠٢٧) . (١٠٢٨)

(١٠٢٢) سورة آل عمران ، آية (١٨١) .

(١٠٢٣) تفسير الطبري (٤٤١/٧ ، ٤٣٤) ، وانظر تفسير ابن كثير (٤٣٤/١) .

(١٠٢٤) سورة المائدة ، آية (٦٤) .

(١٠٢٥) تفسير ال

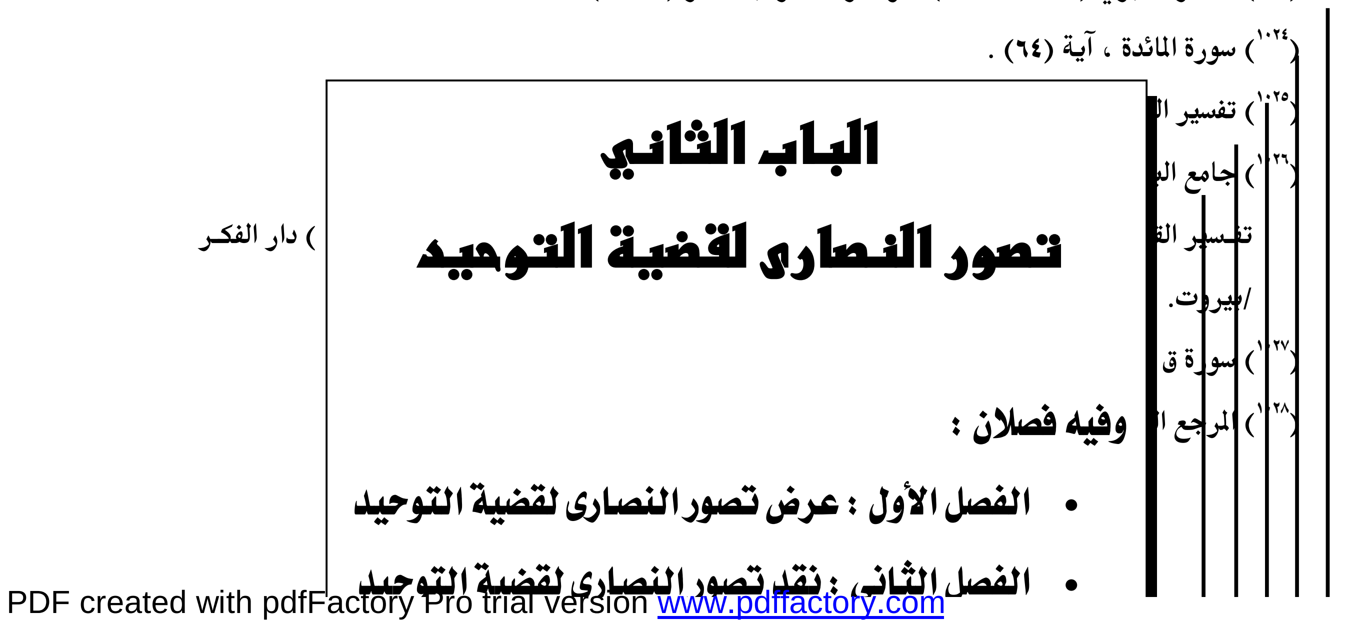
(١٠٢٦) جامع الب ...) دار الفكر

تفسير الق

/بيروت.

(١٠٢٧) سورة ق

(١٠٢٨) المرجع ال



ذ

الفصل الأول

عرض تصور النصارى لقضية التوحيد

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : تصور الربوبية عند النصارى
- المبحث الثاني : تصور الألوهية عند النصارى
- المبحث الثالث : تصور أسماء الله وصفاته عند النصارى

المبحث الأول

تصور الربوبية عند النصارى

وفيه ثلاثة مباحث :

- المطلب الأول : دلائل الربوبية عند النصارى
- المطلب الثاني : دلائل شرك الربوبية عند النصارى

المطلب الأول : دلائل الربوبية عند النصارى :

إن الإيمان بوجود الله تعالى يعتبر حجر الزاوية في الأديان المنزلة من الله تعالى ، وكون النصرانية هي إحدى تلك الأديان ، فإن الإيمان بوجود الله يعتبر في الأصل نقطة الانطلاق والقاعدة الأولى لبناء النصرانية الحقة .

فكما كان هناك دلائل لربوبية الله (عز وجل) عند اليهود ، فكذلك النصارى فدلائل ربوبيته (عز وجل) واضحة عندهم في نصوص العهد الجديد بالإضافة إلى نصوص العهد القديم بكونهم يؤمنون بالعهدين .

فدلائل العهد القديم تعتبر أيضاً من دلائل النصارى على ذلك بالإضافة إلى دلائل العهد الجديد " التوراة " .

فتعترف أغلب نصوص العهد القديم " التوراة " بأن الرب هو الخالق لهذا الكون المدبر لما فيه ومالكه ، وتقرر تفرده سبحانه وتعالى في ذلك ويستدل النصارى بهذه النصوص جميعها على ربوبية الله (عز وجل)[١٠٢٩] بالإضافة إلى نصوص العهد الجديد " الإنجيل " .

يقول القس إلياس مقار : " وإذا كان من المحال على الإنسان أن يصل إلى آخر شوط في طريق الإيمان بوجود الله ، فلا أقل من أن يسير في هذا الطريق بعض الأشواط ، وسيكتشف في سيره إن آجلاً أو عاجلاً ما قيل قديماً : " إن الفكر عن الله كالشمس في كبد السماء لا يقدر أحد أن يحدق فيها بعينه ، وإن كان من اليسير أن يرى في ضوئها كل شيء"[١٠٣٠] .

فالعهد الجديد " الإنجيل " أضاف إلى الله تعالى كثيراً من صفات الربوبية منها :

([١٠٢٩]) انظر إلى تلك النصوص في الفصل الأول من الباب الأول في المطلب الأول من المبحث الأول من هذا البحث .

([١٠٣٠]) إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى ، إلياس مقار ، ص (٣٢) ، مطبعة دار العلم العربي ، الطبعة الثانية .

نسبة الخلق لله (عز وجل) ، فالرب (عز وجل) خالق كل شيء في هذا الكون .

وقد جاء في قوله : " وقائلين أيها الرجال لماذا تفعلون هذا . نحن بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها " [١٠٣١] .

وأيضاً : " أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهي بإرادتك كائنة وخلقت " [١٠٣٢] .

" وأقسم بالحي إلى أبد الآبدين الذي خلق السماء وما فيها والأرض وما فيها والبحر وما فيه " [١٠٣٣] .

وجاء في الرسالة إلى العبرانيين " ولكن بدون إيماني لا يمكن إرضاؤه لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود ، وأنه يجازي الذين يطلبونه " [١٠٣٤] .

وفي موضع آخر : " وأنت يا رب في البدء أسست الأرض والسماوات هي عمل يديك" [١٠٣٥].

وهو الصانع لكل شيء فقال : " ولكن الذي صنعها لهذا عينه هو الله الذي أعطانا أيضاً عربون الروح " [١٠٣٦] .

" أليست يدي صنعت هذه الأشياء كلها " [١٠٣٧] .

" لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله " [١٠٣٨] .

(١٠٣١) اعمال ١٤ : ١٥ .

(١٠٣٢) رؤيا ٤ : ١١ .

(١٠٣٣) رؤيا ١٠ : ٦ .

(١٠٣٤) عبرانيين ٦ : ١١ .

(١٠٣٥) عبرانيين ١ : ١٠ .

(١٠٣٦) ٢ كورنثوس ٥ : ٥ .

(١٠٣٧) اعمال ٧ : ٥٠ .

(١٠٣٨) عبرانيين ١١ : ١٠ .

وأيضاً : " فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله وقالوا أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها " [١٠٣٩] .

" ثم رأيت ملاكاً .. قائلاً بصوت عظيم خافوا الله واعطوه مجداً لأنه قد جاءت ساعة دينونته واسجدوا لصانع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه " [١٠٤٠] .

فالرب حي ينجي من يشاء ويميت من يشاء بيده كل شيء تبارك وتعالى رب العالمين.

فقد جاء في إنجيل يوحنا قوله : " لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحي " [١٠٤١].

" من غضب الله الحي إلى أبد الأبدين " [١٠٤٢] .

" أوصيك أمام الله الذي يحي الكل " [١٠٤٣] .

فإن الاعتراف بوجود الله والإيمان به أمر لا يحتاج إلى نقاش وغير قابل للجدل لدى النصارى ، حتى أنهم لَيَقُولُونَ إنه لم يرد نص في الكتاب المقدس يناقش هذه المسألة ، نظراً لبداهة العلم بوجود الله ورغم هذا فإن كُتَّابَهم لا يلزمون الصمت في هذا الشأن ، وإنما أقاموا الأدلة المتعددة على وجود الله .

ويقول صاحب كتاب " التفاسير البيضاوية المسيحية " في شرحه لما ورد في الرسالة إلى العبرانيين ما نصه : " وهذه عبارة ذات أهمية إذ وجد بين جماعة العبرانيين – وهو

(١٠٣٩) اعمال ٤ : ٢٤ .

(١٠٤٠) رؤيا ١٤ : ٧ .

(١٠٤١) يوحنا ٥ : ٢١ .

(١٠٤٢) رؤيا ١٥ : ٧ .

(١٠٤٣) رؤيا ١٥ : ١٠ .

الأرجح – نفر ممن كانوا من الأمم في الأصل لأن الأمم في ذلك العصر ارتابوا في وجود إلـه حي عامل متسامٍ فوق الكل " [١٠٤٤] .

المطلب الثاني : دلائل شرك الربوبية عند النصارى :

النصارى أمة مثل كل الأمم الوثنية في الكفر والـضلال وشـأنها كـشأن اليهوديـة في الانحراف الديني ، إيمان ثم ارتداد وكفر عـن طريـق الله ، ونـصوصهم تـضارب بعـضها البعض، لا يستطيعون أن يوفقوا بـين تناقـضات نـصوص الأدلـة لـديهم ، فهـم يـذكرون ويؤكدون بأن الله موجود وهو خالق الكون ثم يقعون في مأزق الكفر والـضلال ويـشركون في ربوبية الله البشر ، بأن جعلوا المسيح عيسى بن مريم رباً وشريكاً لله في الخلق .

فالنصارى نسبوا إلى الله (عز وجل) نفس صفات النقص والقـدح في مقـام الربوبيـة التي نسبها اليهود لذات الله (عز وجل)[١٠٤٥] باعترافهم بقدسية نصوص العهد القديم " التوراة" التي تنص على ذلك ، بل إنهم جعلوها من مصادرهم المقدسة المعتمد عليها .

وجعل النصارى المسيح عيسى ابناً لله ومشاركاً له في الخلق والإحياء والإماته ، بـل جعلوه إلهاً مساوياً للآب في كل الصفات الإلهية ، فيطلقون علـى المـسيح ألقـاب الله كلَّهـا ويصفونه بأوصاف الله ويعتقدون بأنه يعمل أعمال الله من خلق وتدبير .

فيطلقون عليه الرب ويقول " ونيس " : " وقد دعي المسيح رباً في العهد الجديد مـا يقرب من أربعمائة (٤٠٠) مرة " [١٠٤٦] فمن هذه النصوص ما جاء في سفر أفـسس قولـه :

([١٠٤٤]) التفاسير البيضاوية للمسيحية لكاتن و . هـ . ت . جردنـر وآخـرين ص (١٢٤–١٢٥) دار التـأليف والنـشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

([١٠٤٥]) سبق ذكر ذلك في الفصل الأول من الباب الأول في المطلب الثاني من المبحث الأول من هذا البحث .

([١٠٤٦]) هل الله موجود ، رمسيس ونيس ص (٢١) الطبعة الثانية ، لجنة خلاص النفوس للنشر / مصر .

" سلام على الأخوة ومحبة بإيمان من الله الآب والرب يسوع المسيح . النعمة مع جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح في عدم فساد " (١٠٤٧) .

وفي موضوع آخر : " شاكرين كل حين على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح " (١٠٤٨) .

وأيضاً ما جاء بقوله : " فإن سيرتنا نحن هي في السماوات التي منها أيضاً ننظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح " (١٠٤٩) .

فالمسيح عند النصارى يعمل أعمال الله ، فهو الخالق : فجاء في سفر يوحنا : "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان " (١٠٥٠) .

وقوله أيضاً : " وأنير الجميع فيما هو شركه السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع " يسوع المسيح " " (١٠٥١) .

وجاء أيضاُ في دعوة بولس الشركية وصف المسيح عيسى بأنه خالق العالم أجمعين وواهب الحياة لهم : " فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي لكم به ، الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي" (١٠٥٢) .

وهو الذي وهب الناس الحياة والحركة والوجود فقال : " إذ هو يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء . وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه

(١٠٤٧) افسس ٦ : ٢٣ ، ٢٤ .

(١٠٤٨) أفسس ٥ : ٢٠ .

(١٠٤٩) فيلبي ٣ : ٢٠ .

(١٠٥٠) يوحنا ١ : ٣ .

(١٠٥١) إفسس ٣ : ٩ .

(١٠٥٢) أعمال ١٧ : ٢٤ .

الأرض وحتم بالأوقات المعنية وبحدود مسكنهم .. لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد " [1053] .

ويذكر سفر أعمال الرسل بأن بولس أخذ يكرر ويدعو إلى الإيمان بربوبية المسيح حيث قال : " وكريبس رئيس المجمع : آمن بالرب مع جميع بيته .. فقال الرب لبولس برؤيا في الليل لا تخف بل تكلم ولا تسكت لأني أنا معك ولا تقع بك أحد ليؤذيك .. فأقام سنة وستة أشهر يعلم بينهم بكلمة الله " [1054] .

ويقول الدكتور بوست في تاريخ الكتاب المقدس : " طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الآب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن ، وإلى الابن الفداء ، وإلى الروح القدس التطهير " [1055] .

فهذا تصريح من القوم واضحٌ بشرك الربوبية حيث جعلوا الابن " المسيح عيسى " بزعمهم مشاركاً لله (عز وجل) في الخلق ، حيث إن الخلق صفة للرب وحده لا شريك له والخلق من صفات الربوبية .

وأيضاً المسيح هو المحيي للموتى :

فقد جاء في إنجيل يوحنا قوله : " لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحي كذلك الابن أيضاً يحي من يشاء " [1056] .

وقوله : " لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته " [1057] .

([1053]) أعمال ١٧ : ٢٥ ، ٢٦ .

([1054]) أعمال ١٨ : ٨–١١ .

([1055]) محاضرات في النصرانية ص (١٠٠) .

([1056]) يوحنا ٥ : ٢١ .

([1057]) يوحنا ٥ : ٢٦ .

وهو الذي يقيم الموتى روحياً وجسدياً ، كما في إنجيل يوحنا :

" الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون " [١٠٥٨] .

والإنجيل نفسه يروي قصة إحيائه لعازر : " صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً ، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب " [١٠٥٩] .

فالمسيح له نفس أوصاف الرب فهو الأزلي كما في رسالة بولس إلى العبرانيين : "يسوع المسيح هو أمس واليوم إلى الأبد " [١٠٦٠] .

إن هذه النصوص وما تحتويه من صفات عديدة خاصة بالربوبية تعبر عن معتقد النصارى الواضح الذي يدل دلالة كبرى على شركهم وكفرهم الواضح في ربوبية الله (عز وجل) ، حيث إنهم جعلوا العالم في تدبيره وتكوينه خاضعاً لشريك أخر مع الله (عز وجل) وهو بزعمهم " المسيح عيسى بن مريم " .

([١٠٥٨]) يوحنا ٥ : ٢٥ .

([١٠٥٩]) يوحنا ١١ : ٤٤ .

([١٠٦٠]) العبرانيين ١٣ : ٨ .

المبحث الثاني

تصور الألوهية عند النصارى

وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول : دلائل توحيد الألوهية في مصادر النصرانية .
- المطلب الثاني : البذور الأولى لشرك الألوهية عند النصارى .
- المطلب الثالث : المؤثرات الوثنية لظهور شرك الألوهية عند النصارى .
- المطلب الرابع : جوانب شرك الألوهية في المصادر النصرانية .

المطلب الأول : دلائل توحيد الألوهية في مصادر النصرانية :

إن التوحيد هو دعوى الرسل جميعاً كما في قوله تعالى : M ! " # $ %
& ' ( ) * + , - . / 0 L[١٠٦١] .

ولم يكن عيسى بدعاً من الرسل بل سار على طريق إخوانه من الرسل الكرام يدعو الناس إلى عبادة الله وحده .

فلقد كانت دعوة عيسى – عليه السلام – دعوة حق ويقين وتصحيح وتجديد لما حرف من التوراة ، وأمر من الله بإخراج الناس من الظلمات إلى النور .

فجاء عيسى — – عليه السلام – — مجدداً ومكملاً لدعوة موسى — – عليه السلام – — ومبيناً للطريق الحق لعبادة الله وحده لا شريك له ، حيث قال : M ! " #
$ % & ' ( ) * + , · . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9
: ; < L[١٠٦٢] .

فتوحيد الله الخالص في ألوهيته جاء به عيسى – عليه السلام – وأوردتها الأناجيل.

ورغم انحراف القوم عن نهج ربهم (عز وجل) ورسولهم الذي أرسل إليهم ، فإن العهد الجديد " الإنجيل " لا يخلو من نصوص واضحة الدلالة على توحيد الله (عز وجل) في ألوهيته.

(١٠٦١) سورة الأنبياء ، آية (٢٥) .

(١٠٦٢) سورة المائدة ، آية (٤٦) .

فقد ورد في إنجيل يوحنا قول عيسى – – عليه السلام – – مخاطباً الله تعالى :
" وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته"[1063] .

فبين عيسى – – عليه السلام – – أن الحياة الأبدية معرفة وحدانية الله وأن عيسى رسوله ، ولم يقل إن الحياة الأبدية معرفة الأقانيم الثلاثة ، أو أن عيسى إنسان وإله.

ولا احتمال هنا لخوف عيسى – عليه السلام – من اليهود ؛ لأنه كان يخاطب ربه ، ولو كان اعتقاد التثليث وألوهية المسيح مدار النجاة لبينه ، وإذا ثبت أن الحياة الأبدية في اعتقاد وحدانية الله وبشرية المسيح الرسول .

وورد في إنجيل مرقس : " فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل . فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد . وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هي الوصية الأولى وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك . ليس وصية أخرى أعظم من هاتين فقال له الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه . ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحروقات والذبائح . فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له : لست بعيداً عن ملكوت الله " [1064] .

ومثل هذه الفقرات ما ورد في إنجيل متى : " أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم .. وسأله واحد منهم وهو ناموسي يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس . فقال له

([1063]) يوحنا ١٧ : ٣ .

([1064]) مرقس ١٢ : ٢٨–٣٤ .

يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء " [١٠٦٥] .

فعلم أن أول كل الوصايا المصرح بها في التوراة والإنجيل وعليها مدار الناموس وعمل الأنبياء هي اعتقاد وحدانية الله ، ولم يقل عيسى – عليه السلام – إن أول كل الوصايا هي اعتقاد التثليث ، ولا إن المسيح أحد الأقانيم الثلاثة .

إذن فالواجب اعتقاده ، وحدانية الله ورسالة رسله جميعاً ، وفهم المسيح عيسى –عليه السلام – .

وفي إنجيل لوقا يناجي المسيح ربه فيقول : " أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض"[١٠٦٦] .

وكذلك الحال في إنجيل يوحنا فإن المسيح يرفع عينيه نحو السماء فيقول : " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته"[١٠٦٧].

وفي رسالة بولس الرسول إلى أهل روميه : " لأن الله واحد " [١٠٦٨] .

وفي رسالته إلى أهل غلاطية : " وأما الوسيط فلا يكون الواحد ولكن الله واحد " [١٠٦٩] .

وفي رسالة يعقوب : " أنت تؤمن أن الله واحد ، حسناً تفعل " [١٠٧٠] .

([١٠٦٥]) متى ٢٢ : ٣٤–٤٠ .

([١٠٦٦]) لوقا ١٠ : ٢١ .

([١٠٦٧]) يوحنا ١٧ : ٣ .

([١٠٦٨]) روميه ٣ : ٣٠ .

([١٠٦٩]) غلاطية ٣ : ٢٠ .

([١٠٧٠]) يعقوب ٢ : ١٩ .

وما يدل أيضاً على وحدانية الله في ألوهيته عبادة المسيح له وحده لا شريك لـه دون ند أو شريك ، ما ورد على لسانه – – عليـه الـسلام – – بأنـه يعبـد الله ، فقـد ورد في إنجيل متى : " حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جثسيماني فقـال للتلاميـذ : أجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك .. ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكـان يـصلي .. فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً .. فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة " [1071] .

وفي إنجيل لوقا : " إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد " [1072] .

وهذا يدل على أن المسيح – عليـه الـسلام – كـان يـؤدي الفـرائض المكتوبـة عليـه كسائر العبيد ، وأنه لم يدع إلى عبادة غير الله تعالى ، ولو كان إلهاً لدعا إلى عبـادة نفـسه ، والإله لا يعبـد غـيره ولا يعبـد نفـسه ، ولا يتقـرب لغـيره ولا لنفـسه ، فوقـوع هـذه العبادات من عيسى – عليه السلام – يدل على أنه عبد مربوب لله يصلي له ويتقرب إليه ويدعوه بخضوع وتذلل .

والسجود من العبـادات البدنيـة الـتي حـث عليهـا الإنجيـل فقـد جـاء في قولـه : "واسجدوا لله الجالس على العرش قائلين آمين " [1073] .

وفي موضع آخر : " اسجد لله فإن شهد يسوع هي روح النبوة " [1074] .

" ويسجدون للحي إلى أبد الأبدين .. أنت مـستحق أيهـا الـرب أن تأخـذ المجـد " [1075] .

(1071) متى ٢٦ : ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ .

ويلاحظ : في (وخر على وجهه وكان يصلي) سجوده – عليه السلام – لخالقه ، وأن الـصلاة المفروضـة عليـه كانت في هيئتها كصلاتنا . وهذا كما في (رؤيا ١٩/٤) في قوله (واسجدوا لله الجالس على العرش) .

(1072) لوقا ٤ : ٨ .

(1073) رؤيا ١٩ : ٤ .

(1074) رؤيا ١٩ : ١٠ .

(1075) رؤيا ٤ : ٩– ١١ .

وقد جاء في الخوف : " قائلاً بصوت عظيم خافوا الله واعطوه مجده .. واسجدوا لصانع السماء والأرض " [1076] .

وقوله : " أحبوا الأخوة خافوا الله " [1077] .

وفي موضع آخر : " فأخذت الجميع حيرة ومجدوا الله وامتلأوا خوفاً قائلين إننا رأينا اليوم عجائب " [1078] .

وأيضاً الذبح عبادة بدنية يتقرب بها العبد لله (عز وجل) فقد جاء في ذلك : "بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قابيل " [1079] .

وفي موضع آخر : " فلتقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح " [1080] .

وفي تجربة عيسى – عليه السلام – مع إبليس أكبر دليل على خضوع وعبودية المسيح لله (عز وجل) .

حيث إن إبليس طلب من المسيح – عليه السلام – أن يسجد له من دون الله حين قال له : " ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عالٍ جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي حينئذ قال له يسوع : اذهب يا شيطان : لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد و إياه وحده تعبد " [1081] .

نرى في هذه الفقرات أن إبليس أراد أن يجرب المسيح فطلب منه أن يسجد له سجدة واحدة ليعطيه ملك العالم ، وهذه القصة – على الشك في صحتها – فيها إشارة

([1076]) رؤيا ١٤ : ٧ .

([1077]) بطرس الأولى ٢ : ١٧ .

([1078]) لوقا ٥ : ٢٦ .

([1079]) عبرانيين ١١ : ٤ .

([1080]) عبرانيين ١٣ : ١٥ .

([1081]) متى ٤ : ٨-١١ .

تامة وواضحة لبشرية المسيح ورسالته ، وتوحيده لله ، وأنه ليس إلهاً ولا ابن إلـه ، بـل هو عابد لله .

بالإضافة إلى ذلك فقد ذكر كثيرٌ من أنواع العبادات في الإنجيـل كالعبـادات القلبيـة والقولية والبدنية وأنها متوجهة إلى الله .

وتقول دائرة المعارف الأمريكية : " لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركـة لاهوتيـة ، بداية مبكرة جداً في التاريخ ، وفي حقيقة الأمر فإنها تـسبق عقيـدة التثليـث بـأكثر مـن عشرات السنين " [(١٠٨٢)] .

فالأصل هو التوحيد الحق الذي جاء به الأنبياء – عليهم السلام – من لـدن آدم إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) خاتم الأنبياء والمرسلين ولكن هـؤلاء القـوم حرفـوا رسـالة نبيهم ، ورغم هذه التحريفات والزيادات والطمس لمعالم الدين الحـق بقيـت في الإنجيـل كما في التوراة آيات كثيرة تشع بنور الحق كما تشع ا لشمس فتنير الظلام ، ومنهـا هـذه الآيات التي تتحدث عن التوحيد الحق .

[(١٠٨٢)] دائرة المعارف الأمريكية .

المطلب الثاني : البذور الأولى لشرك الألوهية عند النصارى :

لقد مر بنو إسرائيل قبل بعثة المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام – بمراحل متعددة من الانحرافات في العقيدة ، فقد كانوا عبدة أوثان في معظم الحالات .

وتعاقبت أنبياء الله إلى بني إسرائيل ليدعوهم إلى عبادة الله (عز وجل) ، وترك الأوثان من دون الله ، ولكنهم عاندوا أنبياءهم ، واستمروا على هذا العناد إلى أن سلط الله عليهم الأمم الأخرى ، فطردتهم من بلادهم ، وشردتهم وأصبحوا مستعبدين في سبي بابل أبشع الاستعباد ، وأيضاً في أثناء هذا السبي عبدوا الآلهة الوثنية التي كان يعبدها أهل تلك البلاد [١٠٨٣] .

وكان معظم بنو إسرائيل ينساقون وراء شهواتهم ورغباتهم ويتظاهرون باحترام شريعة موسى – عليه السلام – ولكنهم كانوا عبيد شهواتهم ، وعباد أصنام إلى أن أرسل الله إليهم عيسى – عليه السلام – بالدعوة الحقة إلى عبادة الله وحده لا شريك له .

وكانت رسالته – عليه السلام – خاصة لبني إسرائيل ، فجاء عيسى – عليه السلام– مجدداً ومكملاً لدعوة موسى – عليه السلام – فقد بعث عيسى – عليه السلام – في قوم سادت فيهم الماديات واستغرقوا في الشهوات ، ونسوا حق الله (عز وجل)، وباعوا دينهم بدنياهم ، واستبدلوا عبادة الله بعبادة الأوثان ، وخضعوا لسلطان الرومان الوثنيين ، وتأثروا بهم وبعبوديتهم [١٠٨٤] .

ولتأثرهم بعبادة الرومان الوثنيين الذي كانوا يحكمون البلاد ، فقد أقام لهم " هيردوس الكبير " ملك اليهود في ذلك الوقت الهياكل الوثنية لعبادة الإمبراطور

([١٠٨٣]) انظر : حزقيال ١ : ٢٠ .

([١٠٨٤]) انظر : محاضرات في النصرانية ص (١٧–١٨) .

الروماني في أورشليم ، وذلك لتملقهم والتزلف إليهم ، ومن ثم نهج أبناء هيردوس نفس المنهج ، وكان يساندهم في ذلك كثير من طوائف اليهود ورؤساء الكهنة [1085] .

وفي تلك الظروف ولد عيسى – عليه السلام – ثم بعث " يبشر بالروح وهجر الملاذ التي استغرقت النفوذ في تلك الأيام ، واستولت عليها ، ويبشر بعالم الآخرة ، ولقد أيده الله بمعجزات ، إن ولادته نفسها معجزة " [1086] .

ولكن تأبى نفوس بني إسرائيل الضالة التي جبلت على الغلظة والقسوة أن تتبع نبي الله عيسى – عليه السلام – وتسير على نهجه ، بل قامت بمحاربته ، ورفض دعوته ، وقليل منهم من اعتنق دينه وآمن به ، وشنوا عليه حرباً شعواء لا هوادة فيها وهذا أمر ليس غريباً على بني إسرائيل ، فهم قتلة الأنبياء .

كما جاء في سفر أرميا : " أكل سيفكم أنبياءكم كأسد مهلك " [1087] .

فقام بنو إسرائيل بتحريض الناس على نبي الله عيسى – عليه السلام – وعملوا على منعهم من سماع دعوته ، ولكن عندما أتعبتهم الحيل ورأوا الضعفاء والفقراء يسمعون نداءه ، ويلتفون حوله مقتنعون بقوله ، أخذوا على الكيد له وتحريض الرومان عليه ، وقالوا عنه أمام الحاكم الروماني إنه هو الذي يحرض الناس على عدم دفع الضرائب فكذبوا عليه ، كما زعموا : إنه يدعي أنه ملك اليهود ، وحاولوا إقناع الحاكم الروماني على أن يصدر الأمر بالقبض عليه والحكم عليه بالإعدام والصلب .

والقرآن الكريم يشير إلى أن الله لم يمكنهم من قتله وصلبه بل أنجاه من أيديهم ورفعه إليه.

(1085) انظر : موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية (٨/٢٩٠) .

(1086) محاضرات في النصرانية ص (١٩) .

(1087) إرميا ٢ : ٢٠ .

قال تعالى : M I J K L M N O L[١٠٨٨] .

وقال تعالى : M f g h i j k l m n o L[١٠٨٩] .

ورغم ذلك كله رأى اليهود أن أتباع عيسى – عليه السلام – يزيدون ويتمسكون بدعوته – عليه السلام – أكثر مما سبق . فأخذوا بمساندة الحاكم الروماني الوثني باضطهاد أتباع المسيح – عليه السلام – وتعذيبهم والقضاء عليهم ، ورغم ذلك فهم أكثر تمسكاً بالدعوة .[١٠٩٠]

فعندما رأى اليهود حال أتباع المسيح – عليه السلام – بهذه الصورة علموا أن التقتيل والتعذيب لن يجعلهم يتركون دعوة نبيهم – عليه السلام – يجعلهم أكثر تمسكاً بها ، ففكروا في حيلة يخرجون بها المؤمنين عن إيمانهم ويلبسون عليهم دينهم .

فمن هنا كانت البداية لليهود في انحراف المسيحية عن التوحيد ، ووصولها إلى ما آلت إليه من انحراف في عقيدتها .

وكانت هناك شخصية بارزة لعبت دوراً كبيراً وأساسياً في تاريخ دين المسيح – عليه السلام – لا شك أن هذه الشخصية أحدثت انقلاباً شاملاً على المسيحية وقضت عليها ، كما استطاعت في نفس الوقت أن تؤسس ديانة تختلف تماماً عما جاء به المسيح– عليه السلام–.

وهذه الشخصية هي " بولس الرسول " الذي كان يطلق عليه سابقاً " شاول "[١٠٩١]

.

([١٠٨٨]) سورة النساء ، آية (١٥٧) .

([١٠٨٩]) سورة النساء ، آية (١٥٨) .

([١٠٩٠]) انظر : محاضرات في النصرانية ص (٢٢–٢٣) .

([١٠٩١]) من الممكن أن نستنتج أن شاول هو اسمه عندما كان يهودياً محارباً لاتباع المسيح – عليه السلام – وأن هذا الاسم ارتبط بالبطش والاضطهاد والتعذيب ، وعندما ادعى الدخول في المسيحية غَيَّر هذا الاسم المرتبط بالبطش والتعذيب إلى بولس حتى يندثر ما علق في أذهان الناس حول شخصية شاول سفاح الدماء .

فهو رجل يهودي ولد من أبوين يهوديين من فرقة الفريسيين وقد تربى على مبادئ هذه الفرقة ، ولد في طرسوس من أعمال كيليكيا[١٠٩٢] في السنة العاشرة الميلادية ، فقد اكتسبت عائلته حق المواطنة الرومانية ، وقد درس على يد أحد أحبار اليهود وهو غمالائيل [١٠٩٣] .

ويصرح بولس بيهوديته حتى بعد إدعائه أنه أصبح مسيحياً ، حيث قال : "أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم " [١٠٩٤] .

وقد تلقى " بولس " ثقافته في مدينة طرسوس التي حاول ملوكها أن يصبغوها بالصبغة الإغريقية ، وقد أثرت الفلسفة اليونانية والثقافة الهلينية المنتشرة آنذاك في المدينة في عقليته ، بل وطبعته بطابع روماني أكثر من يهودي [١٠٩٥] .

ويفصل لنا في سفر أعمال الرسل حياته : " أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدباً عند رجلي غمالائيل " [١٠٩٦] .

وبعد ذلك زعم أنه مرسل بوحي من الله ورسوله إلى الأمم جميعاً .

([١٠٩٢]) هي بلاد في آسيا الصغرى تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في القسم الجنوبي من الأناضول ، وهي في تلك الفترة كانت مستعمرة رومانية يقال لها : قيليقيا . انظر : معجم الحضارات السامية .

([١٠٩٣]) هو حاخام يهودي عضو في السنهدريم " والسهندريم " هو مجلس اليهود الكبير وقد أطلق عليه هذا الاسم باعتباره المحكمة العليا للأمة اليهودية ، وهو فريسي وأحد اللاهوتيين ، المعروفين جداً في القرن الميلادي الأول ، وكان أحد معلمي بولس الشريعة ، ويروى أنه من ذرية الرابي المشهور هليل وتوفي في منتصف القرن الميلادي الأول . انظر : قاموس الكتاب المقدس .

([١٠٩٤]) أعمال الرسل ٢٣ : ٦ .

([١٠٩٥]) أنظر : قصة الحضارة (١١/٢٤٩-٢٥٣) .

([١٠٩٦]) أعمال الرسل ٢٢ : ٣ .

حيث ذكر أنه رأى رؤيا يقول له فيها الرب : " فقال لي فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً " [1097] .

وقد بذر هذا الرجل بذور التحريف والتبديل بقصة تحوله إلى المسيحية فيحكي لنا سفر أعمال الرسل هذه القصة حيث يقول : " وأما شاؤل فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة ، وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم وفي ذهابه حدث أنه أقترب إلى دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذي أنت تضطهده ، فقال وهو مرتعد ومتحير : يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل " [1098] .

ثم يروي الإصحاح أن شاول نهض عن الأرض وهو مفتوح العينين ولكنه لا يبصر ، ومكث على هذا الحال ثلاثة أيام فلم يأكل ولم يشرب ، وكان هناك تلميذ في دمشق اسمه "حنانيا " فأوحي إليه الرب أن يلتقي مع شاول ويضع يده على عيني شاول ثم يبصر ، ومن ثم وقع من عينيه شيء كأنه قشور ثم أبصر في الحال وقام واعتمد ، وتناول طعاماً فتقوى ، ثم مكث شاول مع التلاميذ في دمشق أياماً ، ثم جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله ، فبهت جميع الذين كانوا يسمعون " [1099] .

فهذه القصة الواردة توضح لنا أن بولس كان يهودياً متعصباً يكره أتباع المسيح – عليه السلام – ويساعد على تقتيلهم وتعذيبهم واضطهادهم ، ثم فجأة يتحول من عدو

(1097) أعمال الرسل ٢٢ : ٢١ .

(1098) أعمال الرسل ٩ : ١-٩ .

(1099) انظر : أعمال الرسل ٩ : ١٠-٢٢ بتصرف .

لدود إلى مسيحي وداعية مخلص ، بل وأضحى اللاهوت النصراني ، فلنا أن نقول : ما سر هذا التحول العجيب المفاجئ ؟

والذي يبدو لي أن بولس عجز عن محاربة المسيحية ، واتباع المسيح – عليه السلام – ووضع حداً لهذه الدعوة بالقتل والعنف والاضطهاد فلجأ إلى و سيلة المكر والدس والخداع والتدمير الداخلي ، فاخترع هذه القصة الكاذبة الواهية .

قال الدكتور السقا : " وبعد رفعه إلى السماء ، اجتهد اليهود في تضييع دعوته ما وسعتهم قوتهم إما بالسلاح وإما بالفكر ، ولما كانوا عاجزين عن تضييع الدعوة بالسلاح تضييعاً كلياً لوقوعهم تحت سيطرة الرومان ، لجأوا إلى سلاح الفكر يلبسون به الحق بالباطل ، ويحرفون به الكلم عن مواضعه ، تظاهروا باعتناق النصرانية ، وبدأوا يفكرون ، فظهر منهم بولس وهو يهودي صميم " [(١١٠٠)] .

والملاحظ في النص أن الجمع الذين كانوا يستمعون إليه استغربوا وأنكروا قوله ، لأن قوله غريب لم يعرفوه عن أتباع عيسى – عليه السلام – فلم يستجيبوا إليه ورفضوا دعوته ، ولقد صرح بولس بهذا الأمر حيث قال : " أنت تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا أرتدوا عني " [(١١٠١)] .

والملاحظ أيضاً أنه لم يقم بتنفيذ هذه الخطة الماكرة لتحريف دين عيسى – عليه السلام – وتأسيس ديانة جديدة ونصرانية معاصرة إلا بتحريض من رؤساء الكهنة اليهود، وكان بولس هذا واحداً منهم . ورغم ذلك كله سادت وانتشرت دعوة بولس بين أوساط الناس ولعل السبب في ذلك كان حق المواطنة الرومانية التي أعطته الحرية في نشر

([١١٠٠]) أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص (٨٥) الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م ، دار الأنصار ، القاهرة.

([١١٠١]) ثيموثاوس الثانية ١ : ١٥ .

دعوته وعدم اضطهاده ، إلى جانب تأثره بالفلسفة الإغريقية المنتشرة آنذاك في مسقط رأسه مدينة طرسوس .

وكل ذلك كان له الأثر الكبير على أفكاره وعبادته ، ولم يكن المجتمع الذي نشر فيه دعوته يستغرب هذه العبارات والأفكار بل كان يتقبلها بقلب رحب ، بل وكانت أرضه خصبة بقبول دعوته الوثنية .

قال ول ديورانت : " وهذه الأديان الغامضة الخفية هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس وأعدت بولس لدعوة اليونان " (١١٠٢) .

وكان كثير الاستخدام لأسلوب المكر والكيد والعمل في الخفاء وهذا أسلوب استخدمه اليهود على مر العصور .

وبذلك استطاع أن يقوم بدوره لأنه جمع بين ثلاث مميزات . أنه كان يونانياً بثقافته وفلسفته الإغريقية ويهودياً بمكره و خداعه وكيده وخبثه ، ورومانياً بجنسيته ، وحق مواطنته ، ومداهنته للحاكم .

وبذلك ذهب بولس يتجول في أنحاء كثيرة يبشر بدعوته الباطلة بأن المسيح – عليه السلام – ابن الله ، بالإضافة إلى تحريفات كثيرة في التشريعات الإلهية وبتجوله بدعوته هذه في أنحاء مختلفة جعلها دعوة مفتوحة لجميع الأمم ، ونادى بعالمية دعوته ، ولو أدى ذلك إلى التهاون والتساهل ببعض التشريعات التي كانت تنفر الوثنين فأبطل الختان وتحريم لحم الخنزير مداهنة لهم ، وحتى يدخلوا إلى دعوته .

ولقد قال بولس : " كنت مع اليهود يهودياً ، ومع الرومي رومياً ، ومع الإرمائي إرمائياً ، والإرمائي هو الذي يعبد الكواكب والأوثان " (١١٠٣) .

(١١٠٢) قصة الحضارة (٢٥٠/١١) .

فأصبح لبولس شأن عظيم بين الأمم ، بل أصبحت رسائله كتاباً مقدساً ، واحتلت المكانة العظيمة والصدارة الأولى فكانت رسائله تفوق الأناجيل .

" لقد فتح بولس للمسيحية[1104] الباب إلى ا لقول " بالتثليث " وأصبحت كلماته التي ضمت عليها رسائله كتاباً مقدساً ، له ما للإنجيل من حرمة واحترام ، فتناولها الشراح والدارسون من علماء الكنيسة ورجال اللاهوت بكل ما يملكون من طاقات البحث والنظر وخرجوها على كل وجه ممكن أو غير ممكن ، فكانت منها تلك الفلسفة اللاهوتية التي شغلت العقل المسيحي ولا تزال تشغله " [1105] .

ولقد غير بولس وجه رسالة المسيح ولوثها بأفكاره المسمومة التي خلطها من الفلسفات الإغريقية والوثنية الرومانية فلقد شهد علماء النصارى أنفسهم على ذلك .

يقول ول ديورانت في كتابه " قصة الحضارة " : " ومن حقنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية والأخلاقية والرواقية انتقلت من البيئة المدرسية في طرسوس إلى مسيحية بولس ، وكان في طرسوس كما كان في معظم المدن اليونانية أتباع للأورفية[1106] وغيرها من العقائد الخفية ، يعتقدون أن الله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم ، ثم قام من قبره

([1103]) تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار الهمذاني ، (١/١٥٠) دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٣٨٦هـ . نقلاً عن النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، د / محمد أحمد الحاج ص(١٢٧). الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، دار القلم / دمشق .

([1104]) الحق أن يقال النصرانية ، لأنها هي التي تنسب إلى الدين المحرف الذي وضعه بولس الرسول وأتباعه ، وإلا فالمسيحية التي تنسب إلى المسيح عيسى – عليه السلام – لم تقل بالتثليث .

([1105]) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ص (٣١٣) ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٥م، دار الكتب الحديثة .

([1106]) المذهب الأورفي أو الديانة الأورفية تنسب إلى الشاعر الأسطوري اليوناني " أورفيوس " ولقد ظهر هذا المذهب الوثني في القرن السادس قبل الميلاد في اليونان ، ولقد اشتق هذا المذهب من أسطورة كريتيه ، وأصبح بعد ذلك ديناً وثنياً له كتبه المقدسة .

انظر : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، ص (٤٣٣) .

، وأنه إذا ادعى بإيمان حق ، وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة استجاب لهم وأنجاهم من الجحيم ، وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة ، وهذه الأديان الغامضة الخفية هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس ، واعدت لبولس لدعوة اليونان " [١١٠٧] .

وفي موضع آخر يقول : " وعرض بولس الإنجيل على غير اليهود من أهل كورنثه ودخل كثيرون منهم في دينه ، ولعل المسيحية قد بدت لهم أنها صورة أخرى من الأديان الخفية ، التي طالما حدثتهم عن المنقذين الذين يبعثون بعد موتهم ، ولعلهم حين قبلوها قد مزجوه بتلك العقائد القديمة ، وأثروا في بولس فجعلوه يفسر المسيحية تفسيراً يألفه العقل الهلنستي " [١١٠٨] .

فهذه النصوص من " ول ديورانت " شاهدة على أن بولس هو واضع الأساس لعقيدة التثليث ، وممهد السبيل لأتباعه الضالين الذين جاءوا من بعده ليكملوا مسيرة شركهم مع الله (عز وجل) .

ويأتي الكاتب الألماني " هايتمولير " ويؤكد تقريرات " ول ديورانت " في بولس حيث يقول : " إن بولس لم يتأثر بعيسى عن طريق المجتمع المسيحي الأول ولكن الأثر انتقل إليه بواسطة حلقة أخرى من حلقات سلسلة المتوارثات التي يمكن ربطها كما يلي :

(عيسى – المجتمع المسيحي الأول – المسيحية الهلينية[١١٠٩] – بولس) [١١١٠] .

ومن الملاحظ من هذه النصوص أن بولس أثر في المسيحية بما تأثر به من البيئة الطرطوسية المحيطة به من أفكار ، وعبادات و ثنية ، وفلسفات يونانية ، ثم ظل

([١١٠٧]) قصة الحضارة (١١/٢٤٩) .

([١١٠٨]) المرجع السابق (٢٥٨/١١) .

([١١٠٩]) أي الأفكار اليونانية والمعتقدات الفلسفية الإغريقية .

([١١١٠]) كتاب (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) ص (١٠٢) .

يطوف أماكن كثيرة يبشر بدعوته بحق الرعوية الرومانية التي اكتسبها من أسرته ، وظل سائراً على منهجه ينشيء الكنائس ، ويلقي الخطب ، ويؤلف الرسائل ، إلى أن قتل في اضطهاد نيرون[1111] عام ٦٦ أو ٦٧م [1112] .

فالحديث عن بولس حديث عن المؤسس الحقيقي للديانة النصرانية[1113] .

ومنذ أن تجاوزت النصرانية حدود الدولة الرومانية وبدأت تنتشر بين الناس ولم تقتصر على اليهود فقط ، بدأ حكام الدولة الرومانية بالاضطهادات المتتالية حول معارضيهم ، وشملت هذه الاضطهادات أتباع عيسى –عليه السلام– الموحدين الذين ظلوا على إيمانهم ، ولم ينحرفوا في تيار انحراف بولس وأتباعه ، كما شملت أتباع النصرانية المعاصرة " أتباع بولس " .

وأما أتباع عيسى – عليه السلام– الموحدون ، فلقد واجهوا اضطهاداً من الجانبين:

الجانب الأول : اضطهاد من كهنة اليهود الذين كانوا لا يريدون انتشار دعوة عيسى – عليه السلام – .

والجانب الثاني : اضطهاد الدولة الرومانية وحكامها .

(1111) هو إمبراطور روماني ، ولد سنة ٣٧م ، وتولى الملك سنة ٥٤م ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقتل سنة ٦٨م ، أظهر في أول أمره الوداعة واللين ثم تغيرت أحواله ، وسلك سبيل الجور والعسف والظلم ، عدا على معلمه الفيلسوف " سينيك " ثم قتله وقتل أمه التي كانت سبباً في توليه الملك ، وقتل امرأته وأخاه ، وكان ظالماً سفاكاً للدماء ، فلما طال على الناس أمره ، اجتمعت كلمة رجال المملكة على عزله وحكموا عليه بالقتل ضرباً بالعصى، فأبت نفسه أن يموت تعذيباً فقتل نفسه بيده . انظر : دائرة معارف القرن العشرين . محمد فريد وجدي ، الطبعة الثالثة ، دار المعرفة / لبنان .

(1112) انظر : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص (٨٢) بتصرف ، وتاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ص (٩٠) ، ترجمة : مرقص داود ، مكتبة المحبة / القاهرة .

(1113) انظر : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، وتطورات هامة في المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص(١٠٠/١٠١) الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

فأول اضطهاد نزل بالمسيحيين كان في عهد المسيح – – عليه السلام – – ثم استمر هذا الاضطهاد حتى بعد رفعه – – عليه السلام – – إلى أن قضى عليهم بولس وأتباعه اليهود على مر العصور بالاضطهادات المتتالية بالمعاونة مع حكام الرومان .

وأما أتباع النصرانية المعاصرة " أتباع بولس " فقد نزل بهم الاضطهاد من قبل الرومان ، لأن الرومان اعتبروا النصرانية المعاصرة حركة متطرفة تعمل في السر على قلب النظام القائم [١١١٤] .

وأشد ما نزل بهم من أذى وابتلاء في عهد نيرون سنة ٦٤م ، الذي كان يعد الجهر بالمسيحية[١١١٥] جريمة يعاقب عليها بالإعدام ، ثم أنزل بهم البلاء واتهمهم بأنهم هم الذين أحرقوا روما ، فلقد تفنن وأتباعه في تعذيبهم ، فكانوا يضعون بعضهم في جلود الحيوانات ويطرحونهم لتنهشهم الكلاب ، وألبسوا بعضهم ثياباً مطلية بالقار وجعلوها مشاعل يستضاء بها ، ويصلب بعضهم ، وقتل بعضهم ، وفي أثناء هذه الاضطهادات قتل رسول الضلال " بولس " ومؤسس النصرانية ، ولقد صدق من قال فيه :

" وما نفعه جهاده في فصل المسيحية عن أصله اليهودي إرضاء للوثنية والحكام"[١١١٦] .

ثم يليه عهد تراجان[١١١٧] عام ١٠٦م ، فقد نزلت بهم الألام والنكبات ، ولقد منعت التجمعات السرية ، وتتابعت الاضطهادات حتى بعد موت تراجان ، وإن أخذت

(١١١٤) انظر : قصة الحضارة (٣٧١/١١) بتصرف ، ومحاضرات في النصرانية ص (٢٩–٣٠) .

(١١١٥) وفي ذلك العصر المبكر أطلق لفظ " المسيحيون " على المتبعين للمسيح بحق وباطل .

(١١١٦) كتاب (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) ص (١١٣) .

(١١١٧) ولد في أسبانيا من أسرة إيطالية استوطنت تلك البلاد ، وكان قائداً رومانياً شجاعاً وحتى بعد توليه العرش ظل قائداً ، واشتهر بالقسوة والغلظة والاغترار بالنفس وكان إدارياً قديراً ، توفي في الرابعة والستين من عمره ، بعد أن حكم تسعة عشر عاماً . انظر : قصة الحضارة (٣٩٢/١٠–٤٠٢) والموسوعة العربية الميسرة .

الرحمة بعض قياصرتهم، ثم خلف من بعدهم خلف ينزلون عذاباً مراً يزيل أثر الرحمة السابقة النسبية .

ثم أتى بعد ذلك " ديسيوس "[١١١٨] عام ٢٤٩–٢٥١م ، ينزل بهم الويلات والبلاء ما تقشعر منه الأبدان ، ثم أتى بعد " ديسيوس " رجل أبلغ أذى ، وأنكى بطشاً وهو "دقلديانوس" [١١١٩] عام ٢٨٤م .

وقد أتى إليهم بعد أن خف عنهم العذاب قليلاً ، وكانوا يرجون منه الخير لأن مدير خاصته نصراني ، ولكنه كان أشد من غيره على النصارى ، فجاء إلى مصر وأنزل بهم البلاء وبأهلها وأزال استقلالها ، وكانت مصر آنذاك معظمها نصرانية[١١٢٠] ، فقد أمر بهدم الكنائس وإحراق جميع الكتب ، وأمر بالقبض على الأساقفة وقذفهم في غيابات السجن وعمل على قهر النصارى، وحملهم على إنكار دينهم ، وقد قتل في عهده عدد كبير هائل من الأقباط بلغ عددهم أربعين ومائة ألف ، ولقد استمر اضطهاد حكام الروم ضد النصارى إلى أن جاء عهد " قسطنطين " [١١٢١] وفي غمرة هذه الاضطهادات ألفت الأناجيل – كما يقولون – ويقرر مناظروهم بأن تلك الاضطهادات هي السبب الرئيسي في فقدان السند المتصل .

([١١١٨]) هو إمبراطور روماني وفيلسوف روقي ، تبناه انطونيوس بيوس ، واستخلفه مع ابنه بالتبني لوكيوس فروس ، انفرد بالحكم عام ١٦٩م ، اشتهر في الفلسفة بتأملاته ، وفي الحكم بإخلاصه لواجبه ، وواصل سياسة تراجان في الاضطهادات المتتالية لمخالفيه ، انظر : الموسوعة العربية الميسرة .

([١١١٩]) هو إمبراطور روماني ولد في سالونا بدلماشيا من أبوين متواضعين ، وكان قائداً للجيش الروماني عندما اختير ليخلف نومريانوس بعد مقتله ، حكم بالاشتراك مع كارينوس ، وقد أخضع الفرس وطرد بعض غزاة البرابرة ، وفي عهده اضطهد النصارى اضطهاداً شديداً . انظر : الموسوعة العربية الميسرة .

([١١٢٠]) كانت مصر آنذاك مستعمرة رومانية فكان معظم سكانها وزعماء الكنائس نصارى .

([١١٢١]) هو قسطنطين بن قسطنديوس كلوروس من زوجته هيلانة ، ولد في نيش من أعمال يوغوسلافية ، سنة ٢٨٠م ، التحق بالجيش وهو في سن مبكر من عمره ، أظهر شجاعة وبأساً وحنكة فرقي إلى رتبة قائد ، تولى عرش الإمبراطورية سنة ٣٢٣م . انظر : قصة الحضارة (٣٨٢/١١) .

ويبدو لي أنه لا يوجد في نصوص أناجيلهم إلا الظن ، ويتمسكون ببعض القرائن ، ولكن الظن لا يغني من الحق شيئاً [1122] .

يقول الشيخ رحمت الله الهندي في ذلك : " ولذلك طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال : " إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشر سنة ، وتفحصنا في كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئاً غير الظن والتخمين ، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن ، وقد قلت : إن الظن في هذا الباب لا يغني شيئاً ، فمادام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفينا ، وإيراد الدليل في ذمتهم لا ذمتنا " [1123] .

وقد أُنزل على عيسى – عليه السلام – إنجيل واحد و ليست أناجيلَ كثيرةً ، وإن هذه الأناجيل الأربعة التي يقرر النصارى منها عقائدهم هي ما اعتمدته المجامع من أناجيل كثيرة ، ومعروف أن إنجيل عيسى – عليه السلام – لا وجود له بين أناجيلهم ، وهذه الأناجيل الأربعة هي من تأليفهم ، فلم يكتبها عيسى – عليه السلام – ولم يملها ولم يسمع بها.

ولو تأملنا في هذه الأناجيل لوجدنا التناقض الواضح والاختلاف الكبير بين فقراتها، والأمثلة على ذلك كثير ، والدراسات حول هذه الأناجيل تشمل جوانب عدة ليس هنا مقام ذكرها [1124] .

(1122) انظر : قصة الحضارة (11/370 – 381) ، محاضرات في النصرانية ص (30–33) .

(1123) إظهار الحق ، (1/111) .

(1124) انظر : تفاصيل هذه الدراسات إلى : الفارق بين الخالق والمخلوق ، عبد الرحمن زاده " الاختلافات والتضارب بين الأناجيل الأربعة " ص (19–377) .

وبعد مرور عهد الاضطهاد على النصارى جاء عهد الاستقرار والطمأنينة والرخاء ، فكان عهد قسطنطين بالنسبة للنصارى عهد الأمن والاستقرار وفاتحة تمكين للنصرانية.

ففي هذا العهد بدأ انتشار النصرانية بشكل واسع في الدولة الرومانية وأصبحت النصرانية تتمتع بحرية دينية كبيرة ، فإن براءة ميلان[١١٢٥] عام ٣١١م ، نصت على هذه الحرية :

" وللمسيحيين أن يستمروا في الوجود ، وأن ينظموا اجتماعاتهم شرط أن لا يُخلُّوا بالنظام وعليهم بناء على تسامحنا وتعاطفنا أن يصلوا إلى إلههم لتسعد ظروفنا وظروف الدولة وظروفهم " [١١٢٦] .

والنصارى أنفسهم يرجعون الفصل في أمورهم إلى الحاكم الروماني قسطنطين الذي تولى العرش عام ٣٢٣م ، وقلد رجال الدين النصارى المناصب العليا في الدولة ، وفعل قسطنطين هذا لم يكن نابعاً من عقيدة يعتنقها إنما كان لسبب سياسي وهو أن يجعل النصارى الذين انتشروا في أنحاء الدولة الرومانية أعواناً مخلصين له ، يساعدونه في القضاء على الأعداء .

ويوضح ذلك ما قاله : " ول ديورانت " وهو يتساءل " ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً في عمله هذا ؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية ؟ أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية ؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب " [١١٢٧] .

(١١٢٥) مدينة إيطاليا عاصمة مقاطعة لمبارديا ، وهي أكبر مدينة صناعية بإيطاليا . انظر : الموسوعة العربية الميسرة.

(١١٢٦) الروم أسدرستم ص (٥٤) ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٥م ، نقلاً عن النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص (١٣١).

(١١٢٧) قصة الحضارة (٣٨٧/١١) .

" فكان يزور معابد الوثنيين ويحضر اجتماعاتهم " [1128] .

فالمفهوم من ذلك أن قسطنطين لم يعتنق النصرانية طيلة توليه العرش بل بقي على وثنيته وشركه ، ولم يعتنقها إلا على فراش الموت -كما يرى كثير من الباحثين- .

وفي نفس الوقت كان يساند النصارى فيما يشاءون ، وذلك لظروف سياسة دولته ، وحتى يستطيع المحافظة عليها ، وكان يعمل على القضاء على أي خلاف وانشقاق محافظة على وحدة الإمبراطورية ويوضح ذلك " ول ديورانت " بقوله : " ويتضح من رسائله التي بعث بها إلى الأساقفة المسيحيين أنه لم يكن يعني بالفروق اللاهوتية التي كانت تضطرب بها المسيحية مع أنه لم يكن يتردد في القضاء على الإنشقاق محافظة على وحدة الإمبراطورية ، وقد كان في أثناء حكمه كله يعامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون ، فكان يستدعيهم إليه ، ويرأس مجالسهم ، ويتعهد بتنفيذ ما تقره أغلبيتهم من آراء ، ولو كان مسيحياً حقاً لكان مسيحياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذ ، ولكن الآية انعكست في حال قسطنطين فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية " [1129] .

ويتضح لنا ذلك جلياً عندما عقد " مجمع نيقية " وأيد القائلين فيه بألوهية المسيح – عليه السلام – وذلك خوفاً من تزعزع سياسته ، فوقف مؤيداً لطائفة القائلين بألوهية المسيح ونفى أريوس وأتباعه الموحدين وطردهم من الكنيسة حتى تستقر سياسة دولته ولا تنتشر الفوضى .

وعندما شرع في نقل عاصمته على الشرق وأحس بالحاجة إلى استرضاء سكان الشرق من الإمبراطورية أخذ بتأييد مذهب أريوس الذي سبق اضطهاده ، ونفى أثناسيوس[1130]

([1128]) السيد المسيح يلوح بالأفق ، محمد سعيد الزغبي ، ص (197) الطبعة الأولى 1973م ، نقلاً عن النصرانية من التوحيد إلى التثليث .

([1129]) قصة الحضارة (11/387) .

([1130]) هو بطريرك الإسكندرية حجة في شئون الكنيسة ، برز في مجمع نيقيه بدفاعه عن عقيدة ألوهية المسيح ضد آريوس ، نفي خمس مرات إلى روما ، انظر : الموسوعة العربية الميسرة .

زعيم القائلين بألوهية المسيح – عليه السلام – وأتباعه ، وعقد مجمع صور[1131] عام ٣٣٤م ، لإلغاء قرارات مجمع نيقيه السابق ، وقرر العفو عن آريوس وأتباعه [1132] .

ولكن آباء الكنيسة القائلين بألوهية المسيح – عليه السلام – اجتمعوا واتفقوا على إخفاء قرارات مجمع صور ، " فكان هناك اتفاق وجداني أو كان هناك اصطلاح فكري بين كتاب التاريخ الكنسي على إغفال ملابسات مجمع صور ٣٣٤م الذي ألغى فيه قسطنطين قرارات "مجمع نيقيه " ٣٢٥م بسبب تغير ظروف السياسة من الغرب إلى الشرق داخل إمبراطوريته " [1133] .

فقسطنطين كان تقريره للعقائد يتبع مصلحته السياسية " وإذن فالمجامع والعقائد في يد الإمبراطور كالكرة في يد الطفل يقذقف بها في الاتجاه الذي يحلو له ، فمرة مع "أثناسيوس " المصري لأنه يقول بعقيدة تتفق مع ميول الإمبراطور مادام يقيم في عاصمته بالقسم الغربي ، ومرة مع " أريوس " المصري الذي طرد وشرد ، لأن آراء آريوس تحقق أهدافاً سياسية للإمبراطور في القسم الشرقي الذي سينقل عاصمته إليه " [1134] .

فبذلك كان يساند النصارى في آرائهم ويعاونهم في مجامعهم ا لتي يقررون فيها عقائدهم على حسب حاجته السياسية ، فكان يكره الخلاف ويحاول القضاء عليه بأقصى سرعة لأنه يخاف أن يؤثر ذلك على عرشه .

فكان ذلك واضحاً في قضية " آريوس " فقد كتب قسطنطين إلى " آريوس " الذي كان ينادي بالوحدانية ، وإن الابن المخلوق لا يساوي الآب في الجوهر ، وخصمه " أثناسيوس

([1131]) هي مدينة من بلاد الشام فينيقية قديمة وهي الآن من أهم المواني في لبنان ، انظر : معجم الحضارات السامية ، والروض المعطار في خبر الأقطار .

([1132]) انظر كتاب (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) ص (٢١٢-٢١٧) بتصرف .

([1133]) المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

([1134]) المرجع السابق .

" الذي كان ينادي بألوهية عيسى – عليه السلام – ويقول بمساواة الابن للأب في الجوهر ، بوجوب التآلف والبعد عن الخصام .

ولكن الطرفين لم يستجيبا إلى ذلك وعجز قسطنطين عن إقناعهما فرأى أنه لابد أن ينهي هذا الخلاف حتى يستقر له حكمه ، فعقد مجمعاً يفصل بين الطرفين فكان "مجمع نيقية " المنعقد عام ٣٥٢م فاجتمع فيه ثمانية وأربعون وألفان " ٢٠٤٨" من الأساقفة فكانوا مختلفين في الآراء ، وقد مال قسطنطين مع رأي القائلين بألوهية المسيح – عليه السلام – على مذهب بولس الرسول ، وجعله هو الرأي الأرجح ، وليس ذلك إلا لأن رأي المؤلهين أتباع بولس هو أقرب إلى الوثنية التي كان يعيش فيها ونشأ عليها .

ثم اختار منهم ثمانية عشر وثلاثمائة (٣١٨) أقام بهم مجلساً خاصاً ، وعهد إليهم الفصل في ذلك الخلاف وأعطاهم سيفه وقضيبه ، وأن يتخذوا ما يشاءون من القرارات على أن تصبح قراراتهم مذهباً رسمياً يعتقنه جميع النصارى .

فمن أهم قراراتهم : إثبات ألوهية المسيح – عليه السلام – وتكفير آريوس وحرمانه وطرده وتكفير كل من يقول بأن المسيح – عليه السلام – إنسان ، وحرق جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح – عليه السلام – ، ومن ثم وضع قانون الإيمان [١١٣٥]

.

فمن هذا المجمع تقررت ألوهية المسيح – عليه السلام – كعقيدة رسمية تنتشر في جميع أنحاء العالم بقوة السيف والسلطان وقتل ونفي جميع من يعارضها [١١٣٦] .

ومن الملاحظ أن " مجمع نيقيه " لم يتعرض إلى العنصر الثالث من عناصر الألوهية المزعومة وهو " الروح القدس " فمن ثم ذهب أعداء الله يكملون مسيرتهم الشركية لكي

([١١٣٥]) انظر إلى نص هذا القانون : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، ص (٢٤٩-٢٥٣) .

([١١٣٦]) انظر : كتاب (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) ص (٢١٣-٢١٦) . ومحاضرات في النصرانية ص (١٢٢-١٢٩) .

يتمموا العنصر الثالث من عناصر الألوهية المزعومة في معتقدهم الفاسد ، فيعقدون مجمعاً ثانياً حول " ألوهية روح القدس " وهو مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م .

عقد هذا المجمع من أجل الفصل في أمر " مقدونيوس " بطريرك القسطنطينية القائل بأن الروح القدس مخلوق وليس إلهاً ، فاختلفت معه كنيسة الإسكندرية القائلة بألوهية روح القدس ، والمتعصبة لهذا الرأي ، فاجتمع من أجل ذلك في القسطنطينية عام ٣٨١م هذا المجمع وكان عدد أعضائه مائة وخمسين أسقفاً وانتهى المجمع بإقرار رأي كنيسة الإسكندرية القائلة بألوهية الروح القدس ، وعدم شرعية المذهب الأريوسي الذي قويت شوكته في مجمع صور عام ٣٣٤م ، والذي تصدى له قساوسة كنيسة الإسكندرية ، وأيضاً في هذا المجمع أخر قانون الإيمان الذي ينص على ألوهية روح القدس ، وتقرر أيضاً لعن " مقدونيوس " وإشياعه وكل من يخالف هذا القرار .

فالمثلثون يستفيضون في شرح هذا المجمع بينما هو لا يمثل مجمعاً مسكونياً في نظر الرهبان ، ولكنهم يهتمون به لأنه يتمم لهم مسيرتهم الشركية التي بدأت من مجمع نيقية ، ولأنه يوافق أهواءهم ومعتقداتهم ، وأما بالنسبة للحاكم الروماني فلأنه يضمن له رواجاً سياسياً في حكمه ومملكته (١١٣٧) .

فمن هذا المنطلق يمكن القول بأن هذين المجمعين (نيقية ، والقسطنيطينة الأول) هما اللذان قررا عقيدة التثليث كعقيدة رسمية ومن خالفها لعن وطرد من الكنيسة .

ونستطيع أن نخلص مما سبق إلى ما يلي :

١. إن الدولة الرومانية لم تخرج عن وثنيتها عندما قبلت وارتضت دعوة بولس الرسول، إنما احتضنت النصرانية وأثرت فيها بفلسفاتها وأفكارها الوثنية ، ثم ارتضت نشرها بين أنحاء الإمبراطورية ، لأنها اصطبغت بصبغة الوثنية ، ولم

(١١٣٧) انظر : كتاب (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) ص (٢١٨-٢٢١) . والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص (١٢٦) .

تظل على توحيدها السابق ، وأيضاً الذي ساعد على نشرها بهذه السرعة لأن بها جذوراً دينية مستقاة عند هؤلاء القوم فتم قبولها بدون أي معارضة وحتى في عهد قسطنطين لم يرض عن دعوة أتباع بولس الرسول القائلين بألوهية عيسى – عليه السلام – في مجمع نيقية ، إلا لأن آراءهم توافق آراءه الوثنية . □

٢. إن للوثنية الرومانية وفلسفتها اليونانية الأثر الواضح والبارز في انحراف وتحول المسيحية عن عقيدتها التوحيدية السابقة ، وما كان للمسيحية أن تتحول من دعوة خاصة لبني إسرائيل إلى ديانة عالمية إلا بتأثير من الفلسفات الإغريقية . □

٣. إن النصرانية المعاصرة " نصرانية بولس " لم تنتصر في المعركة التي دارت بينها وبين الوثنية ، وإن كان النصارى يعتبرون اعتناق الدولة الرومانية للنصرانية وجعلها ديانة رسمية في الدولة انتصاراً باهراً عظيماً . □

قال جينيبر : " والواقع أن المسيحيين كانوا قد دفعوا ثمن الانتصار غالياً ، بحيث تستطيع القول في شيء كثير من الجزم ، بأن مؤمني عصر الحواريين لم يكونوا لينظروا إلى هذا الانتصار – لو قدر لهم ذلك – إلا أنه نكبة كبرى " [(١١٣٨)] . □

والملاحظ : " أن انتصار المسيحية في سائر وجوهه ، لم يكن إلا انتصاراً ظاهرياً ، حيث إن الدين الجديد لم يطوع العالم اليوناني والروماني لعقيدته وروحه ، بل على العكس من ذلك ، نرى هذا العالم قد تشربه وطوعه لتطلعاته الأصلية ولتقاليده في جميع المجالات الفكرية والمادية .

والكنيسة هي المسئولة عن تلك النتيجة ، لأنها هي التي كانت القوة المتحكمة في أمور المسيحية ، والممثلة الوحيدة للمسيحيين ، وهي التي وافقت بوصفها هذا على الحلول الوسط على ألوان مختلفة من التنازلات ، ثم هي التي انتصرت في تلك

([١١٣٨]) المسيحية نشأتها وتطورها ، شارل جينيبر ص (٢٣٠) دار المعارف / القاهرة.

الظروف لا المسيحية ، وأصبحت الكنيسة جانباً من جوانب الدولة الرومانية "[1139] .

٤. دخلت المسيحية في معمعة الشرك والوثنية بسبب تأثير المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالتمسك بمسيحية السيد المسيح – عليه السلام – أمثال بولس الرسول وأتباعه الكفرة .

يقول بعض العلماء : " دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ، ومناصب عالية في الدولة الرومانية يتظاهرون بالنصرانية ، ولم يكونوا يحتفلون بأمر الدين ولم يخلصوا في يوم من الأيام "[1140] .

٥. عقيدة بولس القائلة بألوهية عيسى – عليه السلام – وأنه ابن الله أكدت في مجمع نيقية ، ووضعت من أجلها القرارات الصارمة ، وفرض الإيمان بها على الجميع ، ثم تم نشرها بقوة السلطان والسيف ، وفي مجمع القسطنطينية الأول اكتملت حلقات الوثنية التي بدأها بولس وأسس بذورها في العصور الأولى .

([1139]) المرجع السابق .

([1140]) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ، ص (٢٣٧) طباعة دار القرآن / بيروت / دمشق ، نشر الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، الكويت ١٣٩٨هـ . نقلاً عن : النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص (١٣٧) .

المطلب الثالث : المؤثرات الوثنية لظهور شرك الألوهية عند النصارى :

كانت دعوة المسيح – عليه السلام – إلى التوحيد الخالص كدعوة سائر الأنبياء والمرسلين ، والحواريون والتلاميذ الذين رفع عنهم المسيح كلهم كانوا على ذلك التوحيد ، إلى أن دخل بولس الرسول في المسيحية، وكان قبل ذلك من اليهود الفريسيين المتعصبين على النصرانية، وكان ولد في طرسوس وتربى في أورشليم واسمه الأصلي شاول .

ولم يكن هذا اليهودي المتعصب من تلامذة المسيح – عليه السلام – أو حوارييه ، بل لم ير المسيح في حياته أبداً ، ولم يسمع منه أي موعظة ، وكان عدواً لدوداً للمسيحيين ، يضطهدهم على استمرار ، وقد حكى ذلك عن نفسه في سفر أعمال الرسل ، حيث يقول إنه سافر من أورشليم إلى دمشق ليأتي بالمسيحيين ويسلمهم إلى السجون وساحات التعذيب .

كما يقول في سفر أعمال الرسل : " أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم "[1141] .

هكذا كانت حياة هذا اليهودي في فتك المسيحيين ، واضطهادهم وقتلهم وتشريديهم ، ولما لم يتمكن من استئصال جذور المسيحية من قلوب المؤمنين بالمسيح ، اختار حيلة غيرت تاريخ المسيحية من فجر تاريخها .

فأعلن دخوله في المسيحية فجأة بغير تمهيد ، وفي ذلك يحكي عن نفسه : "فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق ، أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم ، فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قائلاً لي : أنا يسوع شاول ، لماذا

[1141] أعمال ٩ : ١–٣ .

تضطهدني ؟ فأجبت : من أنت يا سيد ؟ فقال لي : أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده . والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني فقلت : ماذا أفعل يا رب ؟ فقال لي الرب : قم واذهب إلى دمشق ، وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل ، ولما كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئت إلى دمشق " (١١٤٢) .

ويذكر لوقا بعد ذكره نهاية هذه القصة جملة غيرت تاريخ المسيحية رأساً على عقب وأخرجتها من أديان التوحيد إلى أديان الوثنية والمجوسية وهي قوله : " وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا : أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذي يدعون بهذا الاسم " (١١٤٣) .

لقد عرف بولس الطقوس الوثنية منذ نعومة أظفاره وشاهدها في مدينة طرطوس وعرفها عن كثب في رحلاته المتعددة وتأثر بها إلى حد بعيد ، ولهذا نقلها بعد تحويرها إلى المسيحية ، ولقد استطاع بولس أن يوسع دائرة الدين الذي جاء به يسوع لليهود في فلسطين إلى دين عالمي يوناني ، مع احتفاظه ببعض تعاليم يسوع ، وفي فترة وجيزة تحول من دين في إطار اليهودية إلى دين عالمي جديد .

ولم يكن بولس وحده هو الذي قام بهذا التغيير ، ولكن كان لبولس في ذلك فضل الريادة ، وقد كان بولس ذا روح وثابة ، وعشق عنيف للعمل ، وقدرة خارقة على تطويع الآراء والمذاهب المختلفة المتباينة وتطويعها وتحويرها لخدمة أغراضه .

ولقد بدأ بولس حياته باضطهاد المسيحيين والمسيحية ، ثم انتهى به الأمر ليكون رسولها وحواريها إلى الأمم .

(١١٤٢) أعمال ٢٢ : ٧-١١ .

(١١٤٣) أعمال ٩ : ٢١-٢٢ .

وأما بدراسة مبادئ بولس فيظهر أنـه أخـذها مـن الرومـان الـوثنيين الـذين كـانوا يسجدون للشمس والنار ، ومن البراهمة الهنود الذين يقولون بثلاثة أقانيم ومن الفلاسفة الإغريقيين .

هكذا اخترع هذا اليهودي المتعصب ديناً جديداً ، وأصبح معلماً كـبيراً ، وادعـى أن السيد المسيح علمه مباشرة ، وبمقابـل مبادئـه الوثنيـة اهتـدى قليـل مـن المـسيحيين إلى التوحيد ، ونفي ألوهية المسيح كبطرس وبرنابا [١١٤٤] .

وفي طرطوس حيث ولد بولس وعاش حيـاة طفولتـه وصـباه كانـت تـتم عبـادة بعـل طرطوس ، كما كانت تتم عبادة ساندان إله الخصب وكان الأهالي يحتفلـون بـه كـل عـام ويتطاهرون بإحراقه ويزعمون أنه يرتفع إلى السماء ليتحد بإلـه الـسماء ا لأعظـم ويكـون بذلك منقذاً وشفيعاً للمؤمنين به .

وقد تأثر بولس بكل ذلك وتشربه ثم نقله بعد ذلك إلى عقيدتـه الجديـدة بعـد أن ، تم له الإنطلاق إلى آفاق التبشير لدى الوثنيين ولذا دُعي (الحـواري المرسـل إلى المـشركين). ولهذا فقد لاقى نجاحاً كبيراً لدى هؤلاء الوثنيين ، وبصورة أقـل لـدى اليهـود الـذين عاشوا في اليونان والذين كانوا متأثرين إلى حد ما بالحياة اليونانية و فلـسفتها وعباداتهـا ، أما اليهود في فلسطين و معهم المسيحيون اليهود فقد نظروا إلى نشاطات بولس شـزراً ، واتهموه اتهامات عدة ، ولكنه بذكائه الخارق وسعة معلوماته بالكتاب المقدس (التوراة) كان يخرج من أسئلتهم المحرجة بقوله إنه فريسي وأنه مختون ، وأنه يتبـع الـشريعة ، مع أن تعاليمه كانت الإنطلاق إلى العالم الـوثني وعـدم إلـزامهم بأحكـام الـشريعة مـن الختان والعبادات ، فسمح لهم بذلك كله ولاقى في ذلك نجاحاً كبيراً خاصة وأنه ركـز في جهوده التبشيرية على فكرة الخلاص .

(١١٤٤) انظر : المطلب الثاني من هذا المبحث تفاصيل حياة بولس .

فكان بولس يونانياً أُشْرِبَ في بيئة طرطوس بالثقافة اليونانية كما كان في نفس الوقت مواطناً رومانياً بالمولد ، وبذلك حصلت له مميزات و حصانات ضد الاضطهاد ، كما كان في نفس الوقت يهودياً تلمودياً فريسياً كما قال عن نفسه .

فأصبح لبولس شأن عظيم بين الأمم ، بل أصبحت رسائله كتاباً مقدساً ، واحتلت المكانة العظيمة والصدارة الأولى ، فكانت رسائله تفوق الأناجيل .

فلقد غير بولس وجه رسالة المسيح – عليه السلام – ولوثها بأفكاره المسمومة التي كانت خليطاً من الفلسفات الإغريقية والوثنية الرومانية وأثر في المسيحية بما تأثر به من البيئة الطرطوسية المحيطة به من أفكار وعبادات وثنية وفلسفات يونانية [١١٤٥] .

وقد جمع بولس بين ثلاث مميزات فكان يونانياً بثقافته وفلسفته الإغريقية ، ويهودياً بمكره وخداعه وكيده وخبثه ، ورمانياً بجنسيته وحق مواطنته ، بمداهنته للحاكم استطاع أن يكون هو الواضع لأساس عقيدة التثليث وممهداً السبيل لإتباعه الضالين الذين جاءوا من بعد ليكملوا مسيرة شركهم وكفرهم مع الله (عز وجل) .

ولقد كانت المسيحية في قرونها الأولى غاية في المرونة مستعدةً لتقبل الكثير من العقائد الوثنية التي تعيشها شعوب الإمبراطورية وخاصة في اليونان وروما ، وذلك بعد أن تعدلها لتوائم عقيدة الكنيسة .

إن المسيحية لم تكن تستطيع مدافعة أمام هذه النزعات والشعائر السائدة ، وإذا كانت قد انتصرت في القرن الثالث على سائر ألوان التأليف الديني الوثني فذلك لأنها كانت قد تطورت هي الأخرى إلى تأليف ديني تجتمع فيه سائر العقائد الخصبة ، واستطاعت المسيحية أن تكسب عطفاً نشطاً بين رحاب العالم اليوناني الروماني ، وقد أخذ الإيمان المسيحي بعضاً من روح كل طبقة من طبقات المجتمعات الوثنية التي كان

([١١٤٥]) انظر : قصة الحضارة (٢٤٩/١١-٢٣٥) . المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص (٣١٣) ، الأديان في تاريخ شعوب العالم ، ص (٤٣٣) .

بين أظهرها ، واجتمعت على المسيحية تأثيرات هذه العقائد وأدت إلى دفع الإيمان إلى اتجاهين مختلفين كل الاختلاف وهما :

- الأول : ينزع إلى الثقافة اليونانية الوثنية ليستعير منها كل المفاهيم التي من شأنها زيادة المسيحية الأولى عمقاً وجمالاً .
- الثاني : يتسامى بالأفكار البسيطة الأولى ويوسع من أبعادها بتركيب هذه الأفكار مع معتقدات أو نظريات مستعارة من البيئة المحيطة ، فراح يجمع بين موضوعات متعددة ومتباينة أشد التباين من وثنية أوليمبية والأورفية ، والديانات المختلفة إلى المذاهب الفلسفية ، ثم إنه غير مهتم بالتوفيق بين ما يستعيره وبين معطيات الإيمان المعروفة ، فقد أدى ذلك إلى ظهور اتجاه خاص يبرر أبشع التركيبات المؤلفة بصورة كاملة من مذاهب شتى متناقضة ، ولا تظهر فيه المسيحية القديمة أبداً فقد تغيرت تغيراً كاملاً عما كانت عليه زمن المسيح عيسى وتلاميذه ، فهو باختصار فلسفة معقدة عسرة الإدراك .

وهكذا نجد هناك عوامل متعددة أدت إلى إدخال الطقوس الوثنية في المسيحية وخاصة بعد أن هجر هؤلاء المسيحيون المعابد اليهودية وكان لبولس في ذلك الدور الريادي الذي ازداد مع مرور الزمن قوة ورسوخاً .

ولا مجال للشك في أن الروح الوثنية فيما يختص بمظاهر العبادة العملية قد فرضت نفسها على المسيحية شيئاُ فشيئاً حتى أصبحنا نجدها كاملة في احتفالاتها ، فإذا تأملنا الكنيسة المسيحية في مقتبل القرن الرابع ، فإنه يتعذر علينا أن نجد صورة من صور مجتمع الحواريين .[١١٤٦]

([١١٤٦]) انظر : محاضرات في النصرانية ص (٢٩-٣٠) .

اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ص (١٠٠/١٠١) .

يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، ص (١١٣) .

أقانيم النصارى ص (١٨٥) .

يقول الدكتور أندرية ناتيون : " ونحن في دراستنا لتاريخ الأديان اليوم لا نستطيع أن ننكر ما بين المسيحية والوثنية من صلات وثيقة ، وأواصر متينة ، بل إنه يلزمنا ويجب علينا أن نبين كيف أن هذه المسيحية تحدرت من الوثنية ، وصار لهما نسب واحد وأصل مشترك وهذا أمر منطقي وطبيعي جداً لدى مؤرخ الأديان ونحن لا نبالغ إذا قلنا : إن ما يعرف بالأسرار الدينية في المسيحية مستوحى من الأديان الوثنية القديمة " [١١٤٧].

" إننا لا نستطيع أن نفهم مسيحيتنا حق الفهم إذا لم نعرف جذورها الوثنية فقد كان للوثنية قسط وافر في تطور الدين المسيحي ، وإذا صح أن لليهودية تأثيراً على المسيحية وكانت أساساً جوهرياً للنظرة المسيحية فإن علينا أن ننبه إلى أن اليهودية نفسها أصيبت بالتأثيرات الوثنية من بابل وفارس وخضعت لنفوذهما عندما كان اليهود في المنفى ، غير أن هناك تأثيراً خاصاً مباشراً أصاب المسيحية وهو جوهر موضوعنا " [١١٤٨].

وهذا بالضبط ما أوضحه القرآن الكريم من تأثر اليهود والنصارى بالذين كفروا إذ جعلوا لله ابناً وذلك في قوله تعالى : M k l m n o p q r
s t v w x z { | } ~ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ L [١١٤٩].

فاليهود الذين كانوا في زمن عزير (عزرا) كانوا يعيشون في بابل والدولة الفارسية ، فرفعوا لعزيرٍ مكانته إلى أن جعلوه ابن الله متأثرين بذلك بمن سبقهم من الوثنيين وخاصة أهل بابل وفارس ، وأما النصرانية فإن عملية تأليه يسوع " المسيح عيسى بن

([١١٤٧]) الأصول الوثنية للمسيحية ، أندرية نايتون ص (١٩-٢٠) ترجمة سميرة عزمي الزين ، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ، بيروت ، ١٩٩٠م .

([١١٤٨]) المرجع السابق .

([١١٤٩]) سورة التوبة ، آية (٣٠) .

مريم " استمرت ونمت وأينعت حيث بدأها بولس وأتباعه كُتّاب الأناجيل الأربعة ، وصارت عقيدة أساسية من عقائد النصارى .

يقول أندرية نايتون : " لقد كان للوثنية الفارسية واليونانية هيمنة على المسيحية، وكذلك كان للوثنية في عموم الشرق ودراسة المسيحية تثبت أن الآلهة الوثنية لم تمت بعد"[١١٥٠] .

وفي موضع آخر : " إن الكنيسة ابتلعت بعض العناصر الوثنية ولكنها أضفت عليها طابعها الخاص ، وذلك لاستقطاب ما يمكن استقطابه من عبدة الأصنام ، وهذا ما أدى إلى دخول عناصر وثنية جديدة على المسيحية ، فلماذا لا نعود إلى النصوص الوثنية القديمة ونصوص المسيحيين الأوائل مثل القديس جوستينين الذي يعترف بوجود أفكار جوهرية متشابهة بين المسيحية والوثنية ؟ إن بعض المؤلفين المسيحيين لم يجدوا حرجاً في القول : بأن الشيطان كان قد اخترع الوثنية على غرار المسيحية التي جاءت بعدها اختراعاً احتياطياً ، واعترف القديس جوستينين بتشابه طقوس القربان المقدس في المسيحية والأديان الوثنية ، كما أن كليمان الإسكندري قارن بين ا لأسرار المسيحية والأسرار الوثنية ، وكذلك فعل فيرميكوس ماتيرنوس . ونجد أن الوثنيين يتهمون المسيحيين بأنهم يلقدون شعائرهم ويحاكونها فقد وقتوا موت المسيح وصعوده إلى السماء في الفترة الزمنية التي يحتفلون فيها بموت الإله " أتيس " [١١٥١] .

ويعترف كثير من الكتَّاب الكاثوليك بوجود تأثيرات وثنية على الأصول والأسرار المسيحية ، يقول هـ . لوكليرك : " طبعاً استعار المؤمنون المسيحيون من هنا وهناك بعض التفاصيل الوثنية أنى وجدوها " [١١٥٢] .

(١١٥٠) الأصول الوثنية للمسيحية ، ص (٢٤-٣٣) .

(١١٥١) المرجع السابق .

(١١٥٢) المرجع السابق .

ويقول كارل بونج : " إن جذور المسيحية والتثليث تعود إلى الأديان الوثنية القديمة في بابل ومصر وفارس والهند واليونان " [١١٥٣] .

فالنصارى تأثروا في وضع عقائدهم بالأمم السابقة مثل شعوب الرافدين ، والشعوب المصرية القديمة ، وقدماء اليونان ، والرومان ، والمدرسة الأفلاطونية الحديثة ، وشعوب الهند والصين .

فالقول بالتثليث عقيدة وثنية قديمة لها جذورها ، وقد تطورت مع مرور الزمن على أيدي أمم كثيرة وفلسفات عدة ، حتى استقرت في وضعها الأخير على أيدي النصارى .

التأثر بالشعوب الشرقية :

فلقد تأثرت النصرانية تأثراً واضحاً وكثيراً بشعوب بلاد الرافدين من السومريين والكلدانيين والآشوريين وشعوب الهند والصين ، فلقد أخذت منهم تعدد الآلهة والقول بالتثليث .

فلقد كان في سومر أولى هذا الثالوث حسب قولهم " الثالوث البدئي " الذي انحدرت منه جميع الآلهة وتشكلت منه المادة الأساسية للكون وهو :

أولاً : " أبسو " الماء العذب ، ثم ثانياً : زوجته " تعامه " الماء الملح البدئي ، ثم ثالثاً : الضباب المنبعث منهما وهو " نمو " .

ومن ثم قسم السومريون الكون إلى عناصر رئيسية وهي " السماء " " آنو " والأرض " أنكي " والغلاف الجوي " أنليل " .

وجعلوا من هذه العناصر الثلاث الرئيسية ثالوثاً مقدساً عندهم[١١٥٤] .

فنجد في الكلدانية ثالوث مقدس مكون من :

([١١٥٣]) علم النفس والأديان الغربية ، كارل بونج ، ترجمة سميرة عزمي ، ص (٧٧) .

([١١٥٤]) انظر : عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة ، فوزي حميد ص (١١٣-١٢٠) ١٩٩١م ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .

" أنا " الأقنوم الأول في الثالوث الكلداني المقدس ، ويوصف بأنه أبو الألهة ورب الأرواح ، و" بيلوس أوبيل " الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس ، و " حيا " الأقنوم الثالث وهو إله نصفه سمك ونصفه إنسان .

وهناك ثالوث أخر معروف عند الكلدانيين يتكون من :

أولاً : " سيني " أو " سن " إله القمر وله هياكل كثيرة في مدينة أور " (1155) .

ثانياً : " سانسي " إله الشمس وهو رب النار .

ثالثاً : " فول " ويقال له " إيفا " ومعناه الهواء وهو رب الجو والأعاصير والعواصف.

وكان الأشوريون يدعون " مردوخ " الكلمة ويدعونه أيضاً " ابن الله البكر " وكانوا يتوسلون إليه بالدعاء . (1156)

ولقد ذكر العالم " دوان " أن من الأمم المثلثة القديمة المشهورة الفينيقيين والفرس حيث قال : " وكان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم مثل الهنود تماماً وهم أورمزد ، ومترات ، فأورمزد " الخلاق " ومترات " ابن الله " المخلص الوسيط واهرامان " المهلك".

ونجد في كتابات زوستر سانن ، (الشرائع الفارسية) هذه الجملة " الثالوث اللاهوتي " مضيء في العالم ، ورأس هذا الثالوث " موتاد " وكان الأشوريون والفينيقيون يعبدون آلهة مثلثة الأقانيم " (1157) .

(1155) مدينة في بلاد ما بين النهرين بالقرب من المصب القديم لنهر الفرات .

معجم الحضارات السامية .

(1156) انظر : الديانات والعقائد في مختلف العصور ، أحمد عبد الغفور عطار (٢١٤/١ ، ٢١٥، ٢١٦) ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ –١٩٨١م ، مكة المكرمة . وخرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها في الديانات الأخرى ،دوان ص(٤٧٣) نقلاً عن العقائد الوثنية في الديانة النصرانية محمد طاهر التنيرص (٤٣) ، تعليق : محمد الشيباني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، مكتبة ابن تيمية / الكويت .

(1157) الديانات القديمة ، دوان (٨١٩/٢) نقلاً عن العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص (٤٣) .

وتنص الديانة الهندوسية بالاعتقاد بثلاثة أقانيم " برهما – فشنو – سيفا " .

قال العميد عبد الرزاق أسود في موسوعته " وللهنود تثليث أوجدوه من ثلاثة آلاف سنة ، وهو مكون من (براهما ، فشنو – سيفا) ويمثل أصحاب هذه الديانة هؤلاء الآلهة على شكل إله واحد ويعتبرون هذه الأسماء صفات مختلفة له "[1158] . فبهذا المفهوم يعتبرون الأسماء الثلاثة (براهما – فشنو – سيفا) صفات مختلفة لإله الواحد ، فقالوا ثلاثة في واحد ، وواحد في ثلاثة .

فهذا يدل دلالة واضحة على مدى تأثر النصرانية بالديانة الهندوسية في قضية التثليث ، بل هم الذين فتحوا الباب للنصارى فيما يسمى " تثليث في وحده ، ووحدة في تثليث " [1159] .

فالخالق عند النصارى هو الله " الآب " وعند الهندوس " براهما " والله " الابن " المسيح المخلص عند النصارى كما يقولون بمثابة كرشنا الرب المخلص عند الهندوس ، والله " الروح القدس " عند النصارى وهو بمثابة " سيفا " المبري المهلك هو الروح القدس عند الهندوس .

وقد جاء أيضاً في الديانات الصينية " أن أصل كل شيء واحد ، وهذا الواحد الذي هو أصل الوجود (اضطر إلى إيجاد ثان ، والثاني انبثق منهما ثالث ، من هذه الثلاثة صدر كل شيء " [1160] .

([1158]) موسوعة الأديان والمذاهب ، العميد عبد الرزاق محمد أسود (٥٣/١) ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م . الدار العربية للموسوعات ، بيروت / لبنان .

([1159]) انظر : التشابه الكبير في الديانتين : محاضرات في النصرانية ص (١٠٠–١٣٤) ، وأديان الهند الكبرى ، أحمد شلبي ص (٥٢) .الطبعة العاشرة١٩٩٧م ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة .

([1160]) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص (٣٩) .

وفي الطاوية[1161] الصينية تثليث واضح أخبر عنه العلامة دوان حيث قال : " وأنصار "لاوكومتذا " وهو الفيلسوف الصيني المشهور ، وكان قبل المسيح –عليه السلام – بأربع سنين وستمائة ، يدعون " شيعة تاوو " ويعبدون إلهاً مثلث الأقانيم ، وأساس تعليم فلسفته اللاهوتية أن " تاوو " هو العقل الأبدي انبثق منه واحد ، ومن هذا الواحد انبثق ثان ، ومن الثاني انبثق ثالث ، ومن هذه العناصر الثلاثة صدر كل شيء " [1162] .

فالعدد عند النصارى ، والطاوية واحد ولكن المعدودات مختلفة .

التأثر بالديانة المصرية القديمة :

كان لدى مصر التثليث المصري الذي انتقل إلى المسيحية ، وكان له صور عدة ومن أشهرها ثالوث " أوزيريس " الأب ، و" إيزيس " الأم ، و " حورس " الابن .

إن الروح القدس عند المسيحيين يوازي كع عند المصريين ، وبه يتحد الأب بالابن ، وذلك من خلال أم بشرية غير أن هذه الأم كما عند المسيحيين تبقى خارج إطار التثليث[1163].

وجاء في قول كارل يون : " لا صحة لما يقوله اللاهوتيون المسيحيون المعاصرون حين يزعمون أن مصر القديمة لم يكن لها أثر على قيام الأفكار والعقائد المسيحية، وإنني لأرى الأمر على نقيض ما يقولونه فمن المستحيل أن تكون الأفكار البابلية هي الأفكار الوحيدة التي دخلت فلسطين ، لا سيما وأن فلسطين خضعت للسيادة المصرية فترة طويلة ، وكانت لها علاقة وثيقة مع جارتها القوية مصر .

(1161) تنتسب هذه الديانة إلى مؤسسها " لاوتسي " وتعني المعلم القديم ولد سنة ٦٠٤م ، وكان معاصراً لكنفوشيوس وأكبر منه سناً لجأ إلى الفلسفة الصوفية الطبيعية وخاض فيها . انظر : عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة= =ص(٢٣٧) والديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى ، محمد العريبي ص (٢٤٦) ، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م ، دار الفكر اللبناني / بيروت .

(1162) خرافات التوراة والإنجيل ، وما يماثلها في الديانات الأخرى ، ص (١٧٢) نقلاً عن العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص (٣٩) .

(1163) انظر د . علم النفس والأديان الغربية من كتاب الأصول الوثنية للمسيحية ص (٨٣) .

إنني لا أفهم كيف أن البروتستانت اللاهوتيين يعملون المستحيل لإقناعنا بأن الأفكار المسيحية هبطت من السماء ولم تتأثر بشيء قبلها " [١١٦٤] .

ويقول كارل يونج : " إن التثليث ليس فكرة مسيحية وإنما جاء من الوثنيات القديمة ، وما يهمنا هنا أن أفكار التثليث كانت تنبع من لا وعي الناس ، إن آباء الكنيسة لم يشعروا بالراحة إلى أن أعادوا بناء عمارة التثليث على غرار نموذجها المصري الأصيل "[١١٦٥] .

" فالتطوير المسيحي للتثليث نسخ من غير وعي المثال المصري القديم لفكرة الأب والأبن (رع – موتف) والتي كانت سائدة في اللاهوت المصري ، ونجد أن تصورات الله كانت منتظمة في مفاهيم تثليثية وآلهة مثلثة ، بل إن كثيراً من الممارسات السحرية والشعائر كانت تعتمد على أساس ثلاثي " [١١٦٦] .

التأثر باليونان والرومان :

ففي الأروفية اليونانية فإن الرقم ثلاثة يرمز إلى الماضي والحاضر والمستقبل ، وكان "أورفيوس " يطلق على الإله جوبيتير اسم البداية والوسط والنهاية و " أورفيوس " كل الأشياء عملها الإله الواحد مثلث الأسماء والأقانيم ، فالثالوث عند اليونان يتكون من زيوس ، وهيرا ، وديونيزوس ، وعند الرومان جوبيتير وجونون ومتيرفا .

ويرى كثير من الباحثين المسيحيين أن أورفيوس وأفلاطون[١١٦٧] وزرادشت [١١٦٨] وهرمس[١١٦٩] هم دعاة التثليث المسيحي قبل زمنه وأوانه .[١١٧٠]

([١١٦٤]) المرجع السابق .

([١١٦٥]) المرجع السابق .

([١١٦٦]) المرجع السابق ، ص (١١١–١١٧) .

([١١٦٧]) هو فيلسوف يوناني ولد عام ٤٢٧ ق . م ، وتوفي عام ٣٤٧ ق . م ، ولد في أثينا ، وكان أشهر نظرياته نظرية المثل وله كتاب " الجمهورية " . انظر : الملل والنحل (٨٨/٢) .

([١١٦٨]) هم أتباع زرادشت بن يورشب ، المولود سنة ٦٦٠ ق. م في القسم الغربي من بلاد فارس ، والذي ظهر في زمان الملك كشتاسب بن الهراسب وهم من الذين قالوا بأصلين متضادين أحدهما أزلي ، والآخر محدث ، وهما "أهورمزدا " إله الخير " أهريمان " إله الشر . المرجع السابق (٢٣٦/١) .

التأثر بالأفلاطونية الحديثة :

أفلوطين هو ذلك الفيلسوف المصري الذي قصد الإسكندرية وتعلم فيها الفلسفة ، وتتلمذ على أساتذتها ، وقد لازم أستاذه " أمونيوس ساكاس "[1171] ثم ترك الإسكندرية ، ورحل إلى روما وأسس مدرسته عام ٢٨٥م .

فكانت فلسفته عبارة عن رسائل شفوية ، فلم تكن عرضاً منظماً لمذهبه ، إنما هي محاضرات لتوضيح نقاط خاصة بالرجوع إلى أفلاطون وبذلك تكونت " التساعيات "[1172] التي هي الصيغة النهائية لفلسفته .

وبذلك نستطيع أن نقول : سبب تسمية فلسفة أفلوطين " باسم فلسفة الإسكندرية " يرجع إلى أن أفلوطين تعلم الفلسفة في الإسكندرية على يد معلمه " أمونيوس " وسبب تسمية مدرسته " بالأفلاطونية الحديثة " راجع إلى أن مدرسته وليدة تعاليم أفلاطون — وإن كانت وليدة غير شرعية ، لأنها لم تحافظ على كثير من أسس أفلاطون – ، ولقد تأثر كثيراً في دراساته الفلسفية بمنهج علماء اليونان أمثال " أفلاطون وأرسطو " [1173] .

([1169]) هرمس بن زفس ومايا ، إله الفصاحة والتجارة عند اليونان ورسول الألهة ، سماه الرومان مركور ، (المنجد في اللغة والأعلام) .

([1170]) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص (٤٣) .

([1171]) هو أبرز أفلاطوني الإسكندرية في النصف الأول من القرن الثالث ، فإنه لم يدون آراءه ولم يصلنا تفصيلها ، وإنه كان دائماً يحاول التوفيق بين آراء أفلاطون وأرسطو . تاريخ الفلسفة اليونانية ص (٢٨٦) .

([1172]) هي عبارة عن أربعاً وخمسين رسالة وزعها إلى ستة أقسام في كل قسم تسع رسائل . المرجع السابق ص(٢٨٧).

([1173]) أرسطو هو فيلسوف يوناني ولد عام ٣٨٤ ق . م ، وتوفي عام ٣٢٢ ق . م ، وسماه أفلاطون " بالعقل " ويلقب أيضاُ بالمعلم ، وكان أستاذ الإسكندر المقدوني . انظر : الملل والنحل (١١٩/٢) .

فلقد تبلورت عقيدة التثليث عند أفلوطين من مجموعة أفكـار للفلاسـفة اليونـانيين فهو: " مذهب قام على أصول أفلاطونية ، وتمثل عناصر من جميع المـذاهب ، فلـسفية ، ودينية ، ويونانية ، وشرقية ، فالأفلاطونية الجديدة سورية إسكندرية اثنية " [١١٧٤] .

فمبدأ أفلوطين في الوجود ينص على أن أول شيء انبثق من الواحد هو العقل ، ومـن العقل انبثقت النفس الكلية [١١٧٥] .

أي : إن الواحد " الله " ولد أو فاض عنه " العقل الكلي " وعن العقل الكلـي تولـدت أو فاضت " النفس الكلية " .

فنصوص رسائله التي جمعت في كتابه " التساعيات " تبين وتوضح مبدأ التثليث في منهجه .

فالتثليث عند أفلوطين : الواحد " الله " ثم " العقل الكلي " ثم " النفس الكليـة " أو "الروح " .

ففكـرة التثليـث في الديانـة النـصرانية ، نمـت وترعرعـت علـى يـد بطريـرك الإسكندرية المتأثر بفلسفة المدرسة الأفلاطونية الحديثة .

يقول د / صابر طعيمة : " لكن الفكرة نمت وترعرعت من بعده – أي بعـد عيـسى – – عليـه الـسلام – – وحمـل لواءهـا بطريـرك الإسـكندرية المتـأثر بفلـسفة مدرسـة الإسكندرية " الأفلاطونية الحديثة " التي قالت بفكرة الأقانيم الثلاثة " [١١٧٦] .

فأهم فلسفة أثرت في المسيحية هي فلسفة أفلوطين ، حيث يقول محمد ابو زهرة : " ذلك أن اللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المعين الأصلي التي كانـت فيـه الأفلاطونيـة

(١١٧٤) تاريخ الفلسفة اليونانية ص (٢٨٥) .

(١١٧٥) انظر : قصة الفلسفة اليونانية ، أحمد أمين ، زكي نجيب محمود ص (٢٦٦-٢٧٢) ، الطبعة التاسـعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

(١١٧٦) الأسفار المقدسة قبل الإسلام ص (٢٢٥) .

الحديثة ، ولذا نجد بينهما مشابهات كبيرة ، فإنهما يرتكزان على عقيدة التثليث ، والثلاثة الأقانيم واحدة فيهما " [١١٧٧] .

فبذلك يتضح تأثر النصارى بالأمم السابقة الوثنية ، والاقتباس منهم في معظم العقائد الوثنية ، فهذا التشابه يدل على تأثير النصارى بالأمم الوثنية السابقة ، وإن هذه المعتقدات لا يمكن أن تكون وحياً من الله (عز وجل) لما يلاحظ فيها من شركيات كثيرة .

فعقيدة النصارى بشعبها هي عقائد شتى ، عمل النصارى على تطويرها ووضعها في مقالب مزيفة أمام الجماهير .

وإلا فالنصرانية لم تحارب الوثنية ، ولم تقف في و جهها ، بل حافظت على تقاليد الشعوب الوثنية وتبنتها وجمعتها في أحضانها ، وجعلت منها ديناً جديداً مطوراً .

وصدق من قال : " إن المسيحية كانت أخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم" [١١٧٨].

وبذلك يتبين : أن النصرانية هي مزيج مختلط من الديانات الوثنية القديمة .

([١١٧٧]) محاضرات في النصرانية ص (٣٨) .

([١١٧٨]) قصة الحضارة (١١/٢٧٥ – ٢٧٦) .

المطلب الرابع : جوانب شرك الألوهية في المصادر النصرانية :

تشربت النصرانية ألواناً عديدة من المعتقدات الشركية في حق ذات الله (عز وجل) ، وما من عقيدة أقرت وآمنت بها إلا وكان لها جذر قديم من جذور الوثنية القديمة ، فالنصرانية قد انسلخت تماماً من تعاليم الإنجيل الحقة المنزلة وحياً من الله (عز وجل) ، على نبيه عيسى – عليه السلام – ، حتى صارت ديانة وثنية لا تَمُتُّ إلى الرسالات السماوية بصلةٍ .

فهي بعيدة كل البعد عن الحق المبين ونور الله الحقيقي ، فهي ملطخة بشتى أنواع الشرك من شتى أصناف الأمم الوثنية القديمة .

فأكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعارة من الوثنية ، والدارس للمسيحية اليوم إذا رجع إلى كتب الديانات القديمة الوثنية ، يدهشه ذلك التماثل الواضح بين الشعائر والطقوس والأركان المسيحية والوثنية .

فقد ارتكزت النصرانية على عقائد أساسية أوجبت الإيمان بها قبل كل شيء ، فمن لم يؤمن بها فقد كفر وخرج عن طريق السيد المسيح .

فمن هذه المرتكزات أو جوانب الشرك في توحيد الألوهية ما يلي :

أولاً : التثليث :

إن التثليث الذي يدين به النصارى اليوم لم يكن معروفاً عند أوائلهم وليس من المسلم به لدى الفرق النصرانية في القرون الوسطى بل كان بينهم من الاختلاف حول شخصية المسيح وشخصية الروح القدس ما جعلهم يتمزقون ويتبادلون العداء الصريح مما دعاهم إلى عقد مجامع مسكونية أو محلية للقضاء على أسباب الاختلاف .

وكان أول خلاف ظهر في شخصية المسيح في القرن الأول المسيحي بصور مختلفة ، فطائفة تنكر ناسوت المسيح ، وأخرى تنكر صلبه وتعتقد أن شخصاً آخر حل محله ،

إضافة إلى ذلك من أنكر أزلية المسيح وبنوته لله إلا بالتبني الذي يقال في غيره من المؤمنين[1179].

وقد استمرت هذه الخلافات حول شخصية المسيح من القرن الأول الميلادي حتى بداية القرن الرابع متخذة أشكالاً مختلفة .

فالثالوث النصراني عبارة عن عقيدة أقرتها المجامع النصرانية على هيئة قرارات تمت على فترات متباعدة من الزمن عبر قرون عدة .

وهو ينص على الإيمان بثالوث مقدس مكون من ثلاثة أقانيم ، الأقنوم الأول الله الآب ، والأقنوم الثاني الابن ، والأقنوم الثالث الله الروح القدس .

وجاء في قاموس الكتاب المقدس : " نؤمن بإله واحد ، الآب ، والأبن والروح القدس إله واحد في جوهر واحد متساويين في القدرة والمجد " [1180] .

وقال الدكتور بوست في تاريخ الكتاب المقدس :" طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقاينم متساوية : الله الآب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن وإلى الابن الفداء ، وإلى الروح القدس التطهير "[1181] .

ثم اختلفت فرق النصارى في تفسير هذا الثالوث فذهبت الملكانية إلى : " أن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ، ويعنون بالكلمة : أقنوم العلم ، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة ، ولا يسمون العَلَمَ قبل تدرعه ابناً ، بل المسيح مع ما تدرع به ابن فقال بعضهم : إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن " [1182] .

([1179]) انظر : تاريخ الكنيسة ، موريس يقاريني ، ترجمة الأب ج . عفيف اليسوعي (٩٢/١) ، (٥/٢) . دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٥م .

([1180]) قاموس الكتاب المقدس .

([1181]) محاضرات في النصرانية ص (١٠٠) .

([1182]) الملل والنحل (٢٢٢/١) .

فهم بهذا النص يفسرون الأقانيم بالصفات ، فالآب يفسرونه بصفة الوجود ، والابن بالعلم ، والروح القدس بالحياة .

وقد صرحت الملكانية بإثبات ثلاثة آلهة ، وبذلك هم يقولون إن الله غير الابن غير روح القدس ، فيفهم من قولهم أن الأقنوم عندهم ذات متميزة منفصلة .[١١٨٣]

ولقد كفرهم الله بقولهم هذا ، وقال تعالى : M [\ ] ^ _ ` a b L .[١١٨٤]

وتقول اليعقوبية : " إن الكلمة انقلبت لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده بل هو هو " .[١١٨٥]

ولقد أخبرنا عنهم القرآن الكريم فقال تعالى : M 6 7 8 9 : ; < = > ? L .[١١٨٦]

وتقول النسطورية مثل قول الملكانية سواء بسواء ؛ " إلا أنهم يقولون : إن مريم لم تلد الإله ، وإنما ولدت الإنسان ، وأن الله تعالى لم يلد الإنسان ، وإنما ولد الإله . تعالى الله عن كفرهم " .[١١٨٧]

يقول نسطور : " إن الله تعالى واحد ، ذو أقانيم ثلاثة ، الوجود ، والعلم ، والحياة ، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو ، واتحدت الكلمة بجسد

(١١٨٣) انظر : حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة ، علي الجوهري ص (١٥٥) دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، القاهرة.

(١١٨٤) سورة المائدة ، آية (٧٣) .

(١١٨٥) الملل والنحل (٢٢٥/١) .

(١١٨٦) سورة المائدة ، آية (٧٢) .

(١١٨٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١١١/١) .

عيسى –عليه السلام – لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية ولكن كإشراق الشمس في كوة [1188] على بلورة [1189] " . [1190]

فحاولت النسطورية أن تتوسط بين الملكانية واليعقوبية ، ولكن لم تفلح بل وقعت في مأزق الكفر بالله .

فالنصارى يدعون أن عقيدة التثليث لها دليل واضح في كتبهم رغم أن الناظر والمتأمل في الكتاب المقدس بعهديه – القديم والجديد – لا يجد أنه يشتمل على ذكر لفظ الثالوث أو الأقانيم ، فإن أدلة النصارى على ألوهية المسيح " التثليث " غير صريحة في دلالتها على مرادهم ، فإن لاهوت المسيح عندهم ثابت بأمور :

١. منها نسبة الكمالات الإلهية إليه ، فقد جاء في يوحنا : " في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان في البدء عند الله " [1191] .

ويرون أن هذا النص قد وصف المسيح بالأزلية ، وهي صفة من صفات الألوهية .

٢. يستدلون أيضاً على ألوهيته بوصفه بعدم التغير ، فقد جاء في الرسالة إلى العبرانيين قوله : " يسوع المسيح هو هو أمس ، واليوم ، وإلى الأبد " [1192] .

٣. ويستدلون بوصفه أنه عالم بكل شيء في قوله : " كل شيء قد دفع إلى من أبي وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ، ومن أراد الابن أن يعلن له " [1193] .

(١١٨٨) الخرق في الحائط والثقب في البيت ونحو (لسان العرب) .

(١١٨٩) حجر أبيض شفاف ونوع من الزجاج (المعجم الوسيط) .

(١١٩٠) الملل والنحل (٢٢٤/١) .

(١١٩١) يوحنا ١ : ١ .

(١١٩٢) العبرانيين ١٣ : ٨ .

(١١٩٣) متى ١١ : ٢٧ .

٤. يستدلون على ألوهيته بإحيائه الموتى كما جاء في إنجيل يوحنا : " فانزعج يسوع أيضاً في نفسه وجاء إلى القبر .. قال يسوع ارفعوا الحجر فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الآب اشكرك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر[١١٩٤] هلم خارجاً فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب " [١١٩٥] .

٥. ومن أدلتهم على ألوهيته ، وصفه بالقدرة على كل شيء فقد جاء في قوله : "الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين ، الذين هم بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته ، بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي " [١١٩٦] .

ومن معاني الألوهية التي أضافوها إلى المسيح – عليه السلام – قولهم بالتثليث ، وأن المسيح أحد أركان هذا الثالوث المقدس . وأنه إله وابن إله ، فأضفوا إليه صفة الألوهية ، التي لا يستحقها أحد إلا الله (عز وجل) ، ثم أكملوا هذا الثالوث وجعلوه الروح القدس الركن الثالث المكمل لهذا الثالوث المقدس .

فبهذه الجوانب اكتملت ألوهية المسيح فصار ينعت بالرب أو الإله وصارت تصرف له جميع الأعمال والعبادات القلبية والبدنية ، فأصبحت جميع الكنائس النصرانية تتوجه بالعبادة الخالصة إلى هذا الثالوث المقدس المكون من الله الآب ، والله الابن " المسيح

(١١٩٤) العازر اسم الميت الذي أحياه المسيح بإذن الله .

(١١٩٥) يوحنا ١١ : ٣٨-٤٤ .

(١١٩٦) عبرانيين ١ : ١-٣ .

" والله الروح القدس ، وإلى شخص المسيح خاصةً وينعتونه بالإله الأزلي ثم أن هناك من فرق النصارى من اعتقد بألوهية مريم بالإضافة إلى ألوهية ابنها عيسى – عليه السلام –
.

ففرقة البربرانية تنادي بألوهية المسيح وأمه معاً [1197] وهم الذين أشار الله تعالى إليهم في قوله تعالى : M L M N O P Q R S T U V W X Y Z] \ ] ^ _ ` a b c d e f h i j k l n o p q r s t u v x y z { | } ~ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى © وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا ´ µ ¶ ¸ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ L [1198] .

فالنصارى جعلوا المسيح – عليه السلام – أحد أركان الثالوث المقدس أي جعلوه إله وجعلوا الآب إله وجعلوا الروح القدس إله ، وكل واحد منهم إله منذ الأزل وإلى الأبد ، فأين التوحيد في تعدد هذه الآلهة الكثيرة ، فهذا أمر يصعب فهمه ، وهو عين الشرك وتعدد الآلهة .

فالنصارى يتوجهون في عبادتهم إلى هذا الثالوث ويعتقدون فيه جميع جوانب الألوهية ، وصرفوا له جميع الأعمال والعبادات البدنية كالصلاة والصيام ، والقلبية كالحب والخوف والرجاء والإخلاص والتوكل ، والقولية كالدعاء والاستغفار والحلف ، والمالية كالصدقة والذبح والنذور فبهذا صار المسيح إله يعبد من دون الله .

([1197]) انظر : محاضرات في النصرانية ص(١٥٣) ، والأسفار المقدسة قبل الإسلام ص (١٢١–١٢٣) .

([1198]) سورة المائدة ، آية (١١٦–١١٧) .

ثانياً : الصلب والفداء والإدانة والمحاسبة :

لقد تحدثت الأناجيل الأربعة عن صلب المسيح وأجمعت عليه ، واختلفت رواياتها في كثير مما اقترن بحادثة الصلب من أحداث بشكل يدعو إلى القول بعدم صحة القول بصلب المسيح – عليه السلام – اعتماداً على تلك الروايات المتساقطة ، إضافة إلى ذلك أن تلاميذه انفضوا عنه عند القبض عليه ولم يعلموا ما الذي جرى له .

وإليك النصوص الإنجيلية التي أوردت تفاصيل ما حدث للمسيح من اليهود المعاديين والرومان الحاكمين ، وذلك حسب اعتقاد النصارى وقد ذكر متى في إنجيليه أن المسيح – عليه السلام – قال لتلاميذه بعد أن قدم النصائح والوعظ لمن حوله : " تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح[1199] وابن الإنسان يسلم ليصلب " [1200] .

ولا يتفق مع متى في هذه الرواية أحد من كتاب الأناجيل ، غير أن الجميع يتقاربون في حادثة الصلب ، وكيفية القبض على المسيح – عليه السلام – حسب دعواهم .

ثم يصف متى حالة المسيح – عليه السلام – عندما علم بنِيَّةِ اليهود في صلبه وقال : "اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم ، نفسي حزينة جداً حتى الموت ، امكثوا ها هنا واسهروا معي ثم

(1199) هو ذكرى قيامة المسيح من بين الأموات – كما يزعمون– في العقيدة النصرانية وهو العيد الرئيسي ، ويرتبط به عدد كبير من الأعياد الأخرى ، ويسبق بالصيام الكثير الذي يدوم أربعين يوماً (الموسوعة العربية الميسرة) .

مع ملاحظة أن عبادة الصوم عند النصارى توجيه اختياري وليس أجبارياً ، وهو الامتناع عن الطعام من الصباح حتى منتصف النهار ، ثم تناول طعام خال من الدسم ، ويمتنع في هذا الصوم أكل كل حيوان وما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله ، ويقتصر الصائم على أكل البقول . (موسوعة الأديان والمذاهب) (٢٢٤/١) .

(1200) متى ٢٦ : ٢ .

تقدم قليلاً وخر على وجهه ، وكان يصلي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت ثم جاء التلاميذ فوجدهم نياماً فقال لبطرس : أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة ؟ ...

فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً ... ثم قال لتلاميذه ناموا الآن واستريحوا هو ذا الساعة قد اقتربت ، وابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة قوموا ننطلق ، هوذا الذي يسلمني قد اقترب " [1201] .

هكذا يروي متى في إنجيليه حالة المسيح قبل أن يقبض عليه وهي حالة حزن ، وخوف مما سيقع به فقال " نفسي حزينة جداً حتى الموت " كما يتضح لنا من صلاته المتكررة وتضرعه لله (عز وجل) وهو يخر على وجهه بأن تعبر عنه كأس المني المرتقبة مدى ما عاناه من الخوف قبل رحيله .

ويبين لنا النص أيضاً حالة التلاميذ حيث أثقلت أعينهم بالنوم حيث يدل على ذلك أنهم لم يعرفوا من هو المصلوب ، فإن هربهم ونومهم يؤكد أنهم لم يكونوا معه أو لم يعرفوا ما كان منه وما حصل له .

ويقول متى في الحديث عن حادثة القبض على المسيح : " وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الأثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، والذي أسلم أعطاهم علامة قائلاً : الذي أقبله هو هو أمسكوه ، فللوقت تقدم إلى يسوع ، وقال : السلام يا سيدي وقبله ، فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه " [1202] .

([1201]) متى ٢٦ : ٣٦-٤٥ .

([1202]) متى ٢٦ : ٤٧-٥٠ .

ويتفق مرقس ولوقا مع متى في رواية هذا القصة ولكـن يوحنـا يخـالفهم في ذلـك ، حيث إنه هو الذي أسلم نفسه لكهنة اليهود والرومان وكشف للجند عن هويته وعـرفهم بنفسه[١٢٠٣].

([١٢٠٣]) انظر : يوحنا ١٨ : ٣-٨ .

وتتفق الأناجيل الأربعة على أن جميع الكهنة وشيوخ الشعب تشاوروا فيما بينهم ليسلموه إلى الوالي الروماني " بيلاطس "[1204] .

وينفرد متى في روايته بذكر ندم يهوذا على تسليم المسيح [1205].

وحيث إن الأناجيل الأربعة تتفق في رواياتها عن المحاكمة التي جرت للمسيح أمام الوالي بيلاطس[1206] ، غير أن إجابات المسيح أمام الوالي لم تتفق الأناجيل في روايتها[1207].

ومع أن القضية التي تتحدث عنها هذه الأناجيل قضية واحدة فإن اختلافها في الحديث عنها بالنفي والإثبات يزعزع الثقة في صحة رواية الأناجيل لأن عدم جواب المسيح عن سؤال بيلاطس في بعضها وإجابته في البعض الآخر يعتبر تناقضاً في الحديث عن أمر واحد، وأما عن تجمع هذه الأناجيل بين الإجابة وبين عدم الإجابة بشيء فهو عين التناقض الصارخ .

وهذه خلاصة ما أتى به كتبةُ الأناجيل في حديثهم عن صلب المسيح وهي تتفق وتتشابه أحياناً ، وتختلف وتتناقض أحياناً أخرى .

ويرى النصارى أن المسيح – عليه السلام – صلب ودفن ، وبعد ثلاثة أيام من وفاته قام من القبر ، فوجد القبر الذي وضع فيه فارغاً ، والحجر الذي عليه قد أزيح ، وأن كثيرين من تلاميذه شاهدوه بعد ذلك حيث اجتمع بهم .

وقد ذكرت الأناجيل الأربعة قيامة المسيح من القبر واجتماعه بتلاميذه وما جرى بينه وبينهم من حديث .

(١٢٠٤) انظر : متى ٢٧ : ١– ٢ ، مرقس ١٥ : ١ .

(١٢٠٥) انظر : متى ٢٧ : ٣–٨ .

(١٢٠٦) انظر : متى ٢٧: ١١ ، مرقس ١٥ : ٢ ، لوقا ٢٣: ٣ ، يوحنا ١٨ : ٣٣ .

(١٢٠٧) انظر : متى ٢٧ : ١١–١٤ ، مرقس ١٥ : ٢–٥ ، لوقا ١٢٣–٥ ، يوحنا : ٢٨–٣٨ .

أما الأناجيل فقد روت حادثة القيامة بأشكال مختلفة يمكن للقارئ أن يرى من خلالها ملامح الوضع ، وقد اختلفت اختلافات كبيرة ، وفي هذه الاختلافات في روايات الأناجيل تظهر مدى اضطرابها في حديث يعتبر لدى النصارى من أهم القضايا وأخطرها في الدين مما يجعل ملامح الوضع واضحة في روايات الأناجيل [١٢٠٨].

مما يؤكد عدم صحة قصة قيامة المسيح ، وما لفق من أجل ذلك من الأحاديث .

ويعتقد النصارى في صلب المسيح – عليه السلام – تكفير لخطيئة آدم – عليه السلام– التي ظلت عالقة بجميع البشر .

فيسوع صلب من أجل الفداء من أجل خلاص المؤمنين به من جميع الخطايا ، وأنه يجلس الآن على يمين الله ، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات .

فجاء بولس بفكرة بنوة المسيح لله ، وأنه ابنه الذي أرسله ليتعذب ويصلب ويموت تلك الميتة المشينة لينقذ البشر ويخلصهم من الخطايا الأبدية .

فالمسيح لم يأت إلا ليتعذب ويصلب فداء للبشر وتخليصاً لهم من خطاياهم .

فيقول بولس في رسالته إلى أهل روما : " إن الله لم يعف عن ابنه نفسه وضحى به من أجلنا جميعاً " [١٢٠٩] .

وقال : " بالنسبة إلينا ليس هناك سوى إله واحد هو الأب ، منه كل شيء ، ونحن فيه ، وليس هناك سوى سيد واحد هو يسوع المصلوب به كل شيء ونحن به " [١٢١٠] .

([١٢٠٨]) انظر : متى ٢٨ : ١ – ١٠ ، ١٨– ٢٠ ، مرقس ١٦ : ٨ ، لوقا ٢٤ : ١–٦ ، ١١–١٢ ، يوحنا ٢٠: ١–١٠، ١٧–١٨ .

([١٢٠٩]) روميه ٨ : ٣٢ .

([١٢١٠]) كورنثوس الأولى ٨ : ٦ .

وركز بولس على فكرة ا لخلاص حيث إن الله أنزل ابنه الوحيد والأثير لديه والأبدي الخالد في صورة بشرية ليولد بواسطة الروح القدس من مريم العذراء ثم ليتعذب ويصلب ثم يموت فداء للبشر وتكفيراً لهم عن خطيئتهم الأولى " خطيئة آدم " وعن كل خطاياهم ثم يقوم من بعد الموت ليجلس على كرسي مجده الأبدي مبشراً بعودته القريبة ليدين كل من لم يؤمن به ، ويثبت المؤمنين بحياة سعيدة أبدية خالدة ، وقد جعلهم بواسطة طقوس القربان يتحدون به لحماً ودماً ونسبوا ذلك إلى يسوع .

فقد جاء في إنجيل متى : " وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم ، لأن هذه هو دمي الذي للعهد الجديد ، الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا"[١٢١١] .

" لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية ، لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخص به العالم"[١٢١٢] .

" لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت لِيُخْدَم ، بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"[١٢١٣].

يقول أحد الباحثين المسيحيين : " إن خطيئة آدم عصيان ضد الله وشرود عن الصلة به ، ومعصية ضد قداسته تعالى ، وأعلن لنا يسوع وهو على الصليب أن الله قد تنازل

([١٢١١]) متى ٢٦ : ٢٦-٢٨ .

([١٢١٢]) يوحنا ٣ : ١٦-١٧ .

([١٢١٣]) مرقس ١٠ : ٤٤ .

ليجدد الصلة التي قطعت خطيئتنا أواصرها ويتخطى الشقة التي أحدثها بيننا وبينه إعوجاجنا وزيفنا " [١٢١٤] .

ثم بعد الصلب وتخليصهم من الخطايا يصعد إلى جانب أبيه – كما يزعمون – ليحاسب الناس ويدينهم ، فيرى المسيحيون أن الأب أعطى سلطان الحساب للابن ، ذلك لأن الابن أب الإنسان أيضاً ، فهو أولى بمحاسبة الإنسان .

فيعتقدون أنه بعد أن ارتفع إلى السماء جلس بجوار أبيه على كرسي استعداداً لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا .

فقد قال بولس : " لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل منا ما كان بالجسد ، يحسب ما صنع خيراً كان أو شراً " [١٢١٥] .

وقال أيضاً : " أقام الله المسيح من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماوات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة أخضع كل شيء تحت قدميه " [١٢١٦].

وأيضاً : " إننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح " [١٢١٧] .

" الأب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن " [١٢١٨] .

ويروي يوحنا عن عيسى قوله : " أنا أسمع وأدين ودينونتي عادلة " [١٢١٩] .

([١٢١٤]) أديان العالم الكبرى : وليم باركلي، ترجمة حبيب سعيد ص (١١١) .

([١٢١٥]) كورنثوس الأولى ٥ : ١٠ .

([١٢١٦]) افسس ١ : ٢٢ .

([١٢١٧]) روميه ١٤ : ١٠ .

([١٢١٨]) يوحنا ٥ : ٢٢ .

([١٢١٩]) يوحنا ٥ : ٢٠ .

فعقيدة الإدانة والمحاسبة هذه مبنية على القول بألوهية المسيح – عليه السلام – عند النصارى وهو أساس باطل ، إذ ثبت أنه بشر نبي لم يكن له الحق أن يحاسب أو يدين[١٢٢٠] .

فالنصارى لم يخصوا المسيح – عليه السلام – بعقيدة الصلب والفداء إلا لأنه اجتمعت فيه طبيعة الناسوت واللاهوت فلذلك الله يخصه بأن يصلب فداء للبشرية – كما يزعمون – وإن ذلك فيه تعارض صفة الرحمة والعدل ، فإن ذلك يتعارض مع الألوهية فهو قدحاً في جوانب ألوهية الإله الحق . فكان الصلب والفداء من جوانب القدح في مقام الألوهية ، وذلك شرك في ألوهية الله عز وجل .

ثالثاً : طبيعة المسيح :

بعد أن تقرر التثليث في الديانة المسيحية على الوجه الذي ذكرته سابقاً ، وأجمع المسيحيون جميعاً على اعتناقه، إلا أنهم اختلفوا فيما بينهم في أمور فرعية أخرى من عقائدهم ، وانقسموا إلى طوائف كثيرة ، وأعطت كل فرقة لنفسها لقباً خاصاً بها ، ولكنها ما كانت تخرج في ذلك عن أحد لقبين وهما الكاثوليكية ، والأرثوذكسية .

فبذلك لم يبق على ساحة الحوار والمناظرة إلا المثلثون ، فنشب الخلاف بين كنيسة الإسكندرية ، وكنيسة القسطنطينية حول طبيعة المسيح هل هي طبيعة واحدة أم طبيعتان؟

فقالت كنيسة الإسكندرية بالرأي القائل : إن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت ، وانعقد لأجل هذا مجمع أفسس الثاني عام ٤٤٩م الذي أطلق عليه الكاثوليك " مجمع اللصوص " .

(١٢٢٠) سوف يأتي– إن شاء الله تعالى – الرد على هذه الجوانب في الفصل الثاني من هذا الباب بالتفصيل .

الذي عارضه بطريرك القسطنطينية وأعلن انسحابه ، ثم قرر رئيس المجلس بحرمانه ، ثم اختلفوا حول هذا المجمع أهو صحيح محترم السلطان أم أنه غير مجمع عليه ، ولا تلتزم بآرائه الكنائس ؟

فجاءت ملكة على الرومان تخالف ما ذهب إليه بطريرك الإسكندرية ، وتقرر ما ذهب إليه بطريرك القسطنطينية ، فعقدت " مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م " الذي كثرت فيه المناقشات في جو مليء بالعنف والصخب ، ثم انتهى هذا المجمع بتأييد القائلين بأن للمسيح طبيعتين طبيعة لاهوتية ، وطبيعة ناسوتية ، فمن هنا بدأ الانشقاق بين النصارى المثلثين .

ومن هنا انفصلت الكنيسة القبطية المصرية الأرثوذكسية عن الكنيسة الغربية ولقد كان قرار مجمع خلقيدونية سبباً لهذا الانفصال .

ثم قررت الكنيسة المصرية عقيدتها في قولها : " كنيستنا المستقيمة الرأي [١٢٢١] التي تسلمت إيمانها .. تعتقد بأن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم ، أقنوم الآب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم الروح القدس ، وأن الأقنوم الثاني أي أقنوم الابن تجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء . فصير هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج ، والاستحالة ، بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة " [١٢٢٢] .

ثم إن الكنيسة المصرية لم تعترف بقرار مجمع خلقيدونية فمن ثم قررت الانفصال ، ثم قامت الكنيسة الغربية بحرمان وعزل بطريرك الإسكندرية وتعيين بطريرك على مذهبها .

([١٢٢١]) هذه العبارة ترجمة لكلمة الأرثوذكسية – انظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص (١٣١) .

([١٢٢٢]) محاضرات في النصرانية ص (١٤١) .

ولكن المصريين اشتد غضبهم وهاجوا عندما سمعوا بقرار حرمان وعزل بطريركهم ، واشتد النزاع بين المصريين والرومان على تعيين بطريرك على غير مذهبهم ، وكانوا يرفضون ويحتجون على ذلك ، وكان الحكام يأخذونهم بالعنف تارة وباللطف ، وحسن السياسة تارة أخرى ، أثناء ذلك ظهر داعية قوي الشكيمة اسمه " يعقوب البرادعي" فأخذ يتجول بدعوته يدعوا الناس إلى اعتناق مذهب الكنيسة المصرية الأرثوذكسية ، واشتهر اتباعه باليعقوبيين " اليعاقبة " وفرقته باليعقوبية ، ثم أطلقت الكلمة بعد ذلك على كل من يذهب أن للمسيح طبيعة واحدة ، وذلك اشتقاقاً من اسم يعقوب البرادعي .

فالمجمعان السابقان " أفسس ا لثاني ، وخلقيدونية " يقرر أن عقيدتين مختلفتين يؤديا إلى الفصل التام بين الكنائس القائلة بالتثليث .

فأصبحت كل كنيسة مستقلة برأيها ، ويتبعها عدة كنائس فالكنيسة القبطية المصرية يتبعها في الرأي " الكنيسة الأرثوذكسية السريانية ، والكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية " .

والكنيسة الغربية " كنيسة القسطنطينية " يتبعها في الرأي " كنيسة روما ، وكنيسة أورشليم الأرثوذكسية " .

فكان مجمع خلقيدونية تأكيداً لمذهب الطبيعتين المقرر سباقاً في مجمع " أفسس الأول" فظلت الكنائس القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح متفقة مع اختلافها في بعض التقاليد والطقوس [١٢٢٣] .

وظلت الكنائس القائلة بالطبيعتين متفقة في جميع آرائها إلى أن ظهر في القرن السابع الميلادي، شخص يدعى يوحنا مارون " ذهب إلى أن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وهي المشيئة والإرادة الإلهية ، ولكن هذه المقالة لم ترق في نظر بابوات روما ،

([١٢٢٣]) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ص (٢٦٦-٢٦٨) ، ومحاضرات في النصرانية ص (١٣٧-١٤١) ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص (٢٢٦) .

ورؤساء الكنيسة الكاثوليكيـة ، فطلبـوا مـن الإمبراطـور أن يعقـد مجمعاً يقـرر فيـه أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين – مشيئة إلهية ، ومشيئة إنسانية .

فقرر عقد مجمع القسطنطينية الثالـث عـام ٦٨٠م ، الـذي قـرر عقيـدة الطبيعـتين والمشيئتين ، وقرر فيه أيضاً لعن وكفر " يوحنا مارون " وقد نزلت الاضطهادات الـشديدة بيوحنا مارون وأشياعه ، فشردوا من بلد إلى بلد ، حتى استقروا في جبل لبنان[١٢٢٤] ، ثم عملت كنيسة روما على تقريبهم إليها فأعلنوا لها الطاعة مع التمسك بمـذهبهم القائـل بالمشيئة الواحدة .

ثم ظلت الطوائـف القائلـة بـالطبيعتين والمـشيئتين متحـدة في آرائهـا إلى أن نـشب بينها خلاف في شأن الأقنوم الذي انبثق منه الروح القدس .

فذهبت طائفة منهم إلى أن الروح القدس انبثق من الآب ، والابن معاً .

وذهبت طائفة أخرى إلى أن الروح القدس انبثق من الآب فقط ، وتزعم الـرأي الأول رئيس كنيسة روما ، وقد عقد لذلك مجمع " القسطنطنية الرابع عام ٨٦٩م " الـذي تقـرر فيه انبثاق الروح القدس من الآب والابن معـاً ، وسمـى هـذا المجمـع " المجمـع الغربـي اللاتـيني " وتــزعم الــرأي الثــاني بطريــرك القــسطنطينية " وعقــد لــذلك مجمــع " القسطنطينية " الخامس عام ٨٧٩م الذي قرر فيه انبثـاق الـروح القـدس مـن الآب فقـط ، وسمى هذا المجمع " المجمع الشرقي اليوناني " .

فبهذا الاخـتلاف انقـسمت الكنـائس الغربيـة القائلـة بـالطبيعتين والمـشيئتين إلى كنيستين رئيسيتين :

الأولى : الكنيـسة الغربيـة اللاتينيـة ، ويقـال لهـا " كنيـسة رومـا والكنيـسة الكاثوليكية ، والكنيسة الغربية فقط ، والكنيـسة البطرسـية نـسبة إلى الرسول بطـرس

([١٢٢٤]) هم الآن يشكلون ٢٠٪ من سكان لبنان ، ونظراً لدعم فرنـسا لهـم وغيرهـم مـن الأوربـيين صـار لهـم الغلبـة السياسية، حتى إن رئيس البلد منهم .

وهي القائلة بانبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً ، واتباع هذه الكنيسة هم الكثرة الغالبة ، ومن ثم أصبحت الكنيسة الغربية أم الكنائس .

والثانية : الكنيسة الشرقية اليونانية ويقال لها " الكنيسة الشرقية " فقط " وكنيسة الروم الأرثوذكسية "[1225] وهي القائلة بانبثاق الروح القدس من الآب فقط ، وقد حاولت كنيسة روما التقريب بين الكنائس النصرانية ، وخاصة بين الكنيسة الشرقية اليونانية والكنيسة الغربية اللاتينية . [1226]

ويتبع هذا الخلاف اختلافات كثيرة في المسائل الفرعية العقدية فيما بينهم إلى يومنا الحاضر [1227] .

رابعاً : التجسد :

والتجسد معناه عند النصارى أن يظهر الله للبشر في صورة ما من صور المخلوقات .

ومن صور التجسد عند النصارى ما يلي :

١. ظهوره في عهد إبراهيم – عليه السلام – لهاجر :

قال سفر التكوين : " فوجدها ملاك الرب[1228] على عين الماء في البرية على العين .. وقال يا هاجر جارية سارى من أين أتيت وإلى أين تذهبين ، فقالت : أنا هاربة من و

([1225]) عندما أنشأ قسطنطين عاصمته الجديدة في الشرق وهي القسطنطينية أطلق عليها " روما الجديدة " لأنه على نفس تصميم روما القديمة ، ولذلك أطلق عليها بلاد الروم ، وعلى كنيستها " كنيسة الروم الأرثوذكس " . انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، إشراف مانع الجهني (٥٧٩/٢) . الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ= =وسميت أرثوذكسية : لأنها تابعت الكنيسة الأرثوذكسية المرقسية بالإسكندرية في القول بالانبثاق من الآب فقط .

([1226]) انظر : محاضرات في النصرانية ص (١٣٧–١٤٨) ، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص (١٣١–١٣٦) ، والأديان في تاريخ شعوب العالم ص (٥٢٣–٥٢٤) .

([1227]) انظر : لمعرفة بعض هذه الاختلافات ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص (١٣٧–١٣٩) .

جه مولاتي ساراى ، فقال لها ملاك الـرب ارجعـي إلى مولاتـك و .... وقـال لهـا مـلاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة ، وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك " [١٢٢٩] .

([١٢٢٨]) ملاك الرب عند النصارى هو الرب أي المسيح وليس المراد به ملكاً مـن الملائكـة . انظـر : الـسنن القـويم في تفسير أسفار العهد القديم (١/٢٨٥) .

([١٢٢٩]) تكوين ١٦ : ٧-١١ .

٢. ظهوره لإبراهيم – عليه السلام – :

" وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة ، وسجد إلى الأرض وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة ، فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم .. ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعه قدامهم ، وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا " (١٢٣٠) .

٣. ظهوره ليعقوب – عليه السلام – :

" وقال لي ملاك الله في الحلم يا يعقوب فقلت ها أنذا فقال ارفع عينيك وانظر جميع الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاء ومنمرة لأني قد رأيت كل ما يصنع بك لأبان أنا إله بيت إيل " (١٢٣١) .

٤. ظهوره لموسى – عليه السلام – :

" وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حَمِيهِ كاهن مديان .. وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة(١٢٣٢) ، فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار .. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى فقال ها أنذا ، فقال لا تقترب إلى ههنا .. ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله " (١٢٣٣) .

(١٢٣٠) تكوين ١٨ : ١-٨ .

(١٢٣١) تكوين ٣ : ١-٦ .

(١٢٣٢) هو شجر من شجر الشوك ، انظر : لسان العرب .

(١٢٣٣) خروج ٣ : ١-٦ .

يقول القس فايز فارس في تعليقه على هذا النص : " إن ملاك الرب الـذي ظهـر في العليقة بلهب نار ، إنما هو شخص المسيح ، وكأنما كان ذلك المنظر العظـيم منظـر النـار المتقدة في العليقة ، ولكنها لا تحرقها إشارة إلى ذلك السر العجيب سر التجسد ، واتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح " [١٢٣٤] .

فبهذا يعني أن النصارى تميزوا بمعرفة هذا السر العظيم الخفي الذي جهله موسى ومن بعده الأنبياء – عليهم السلام – .

فهذه الظهورات كلها في نظرهم ما هي إلا ظهور أقنوم الابن للأنبياء متجسداً هـذه التجسدات ، وبلغت هذه التجسدات ذروتها بظهور الله في المسيح وإقامته بين البشر .

يقول الأب بولس إلياس اليسوعي : " أما البواعث التي حدت الكلمة ابـن الله علـى التجسد فيمكننا أن نجملها بكلمة واحدة وهي المحبة ، فالمحبة هي التي حملتـه علـى التجسد ليظهر في شخصه أبوه الله ، وأخوة البشر فيعطـيهم مثـالاً يحتذونـه ، وليفتـدى لهم من عبودية الخطيئة " [١٢٣٥] .

فالحكمة أو الباعث للتجسد الأخير هو أخذ الابن الصورة الإنسانية الكاملة ليقـدم نفسه فداء عن خطايا البشر .

إذاً .. فالنصارى يـرون أن الـدافع إلى التجـسد والباعـث إليـه هـو تخلـيص البـشر وتطهيرهم من تبعه ما لحق بهم من الذنوب والآثام بطريقة آدم – عليه السلام – .

(١٢٣٤) حقائق أساسية في الإيمـان المسيحي ، فـايز فـارس ص (٧٧) ، الطبعـة الأولى ١٩٦٨م ، مجمـع الكنـائس للشرق الأدنى ، دار الجيل .

(١٢٣٥) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ، بولس إلياس اليـسوعي ، ص (٨٨) ، الطبعـة الثانيـة ١٩٦٦م ، المطبعـة الكاثوليكية بيروت .

فالتجسد في نظر النصارى يدور على المصالحة بين الله وبين البشر بعدما حصل مـن خطايا وآثام ، فلم يجد النصارى طريقة تصلح لتكفير تلـك الخطايـا سـوى هـذه الطريقـة الفريدة في تاريخ البشر وأديانـهم المنزلة .

المبحث الثالث

تصور أسماء الله وصفاته عند النصارى

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : أسماء الله وصفاته عند النصارى
- المطلب الثاني : الإلحاد في أسماء الله وصفاته عند النصارى

المطلب الأول : أسماء الله وصفاته عند النصارى :

إن للصفات الإلهية أهمية كبيرة في جميع الديانات السماوية ، إذ أن الصفات هي التي تميز ملامح هذه العقيدة ، فالنصارى لهم في كلام الله وصفاته من التناقض والاضطراب ومخالفة كلام الأنبياء ومخالفة صريح المعقول وصحيح المنقول .

فلقد اصطلح اللاهوتيون على تقسيم صفات الله إلى تقسيمات مختلفة كالإيجابية ، والسلبية ، والأدبية ، والذاتية ، والمشتركة وغير المشتركة ، والحقيقة والنسبية ، ويعنون بالإيجابية الصفات الكمالية التي تنسب إليه تعالى ، وبالسلبية الصفات التي تنفي عن الله ما لا يليق به وبالصفات الأدبية ، صفات الجمال كالقداسة والعدل والرحمة وبالذاتية صفات الذات كالعلم والمشيئة والقوة وغير المحدودية وبالمشتركة ، صفات توجد في البشر كما توجد في الله ، كالقوة ، والمشيئة ، والحق ، والجودة ، وبالصفات غير المشتركة ما يختص بها الله سبحانه كالأزلية والأبدية ، وعدم التغير ، ويعنون بالحقيقة ما ينفرد به الجوهر الإلهي بلا تعلق بما هو خارج عن كالوحدانية ، وعدم التغير والكمال المطلق ، وأما النسبية فيعنون بها الصفات المتعلقة بشيء خارج عنه كالسرمدية بالنسبة للزمن وعدم التحيز بالنسبة للمكان ، والقدرة بالنسبة للخلق[١٢٣٦].

([١٢٣٦]) انظر : إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى ، ص (٧٩–٨٠) . وشرح أصول الإيمان د / إبراهيم سعيد ، د/ أندراوس واطسون (٢٩/١) ، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة .

ومن صفاته تعالى :

١. أنه غير محدود :

معنى هذه الصفة أن الله (عز وجل) غير محدود لا في ذاته ولا في صفاته وأنه حاضر في كل مكان بذاته ، ومنزه عن التحيز والتركيب والتجزئة والاختلاط مع غيره من المخلوقات[١٢٣٧] .

٢. السرمدية :

ويراد بهذه الصفة تنزيهه تعالى عن البداية والنهاية ، وأنه تعالى لا بداية لوجوده ولا نهاية لبقائه ، ويستدلون على هذا بما ورد في المزامير : " يا رب ملجأ كنت لنا في دور فدور ، من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله"[١٢٣٨]. وقوله : " أما أنت يا رب فإلى الدهر جالس وذكرك إلى دور فدور " [١٢٣٩] .

" أما الرب فهو الإله الحق ، الإله الحي والملك السرمدي " [١٢٤٠] .

وقوله : " أنا الألف والياء هذا يقول الرب الإله الكائن والذي كان والذي سيأتي القدير على كل شيء " [١٢٤١] .

٣. القوة والقدرة على كل شيء :

وتعني هذه الصفة أنه تعالى يفعل ما يريد ، وليس هناك من شيء يصعب عليه عمله ، ومن مظاهر هذه القدرة إيجاده تعالى كل شيء من العدم وحفظه جميع خلائقه من

(١٢٣٧) انظر : شرح أصول الإيمان (١/٢٩–٣٠) ، وإيماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص (٨٣) .

(١٢٣٨) مزمور ٩٠ : ١–٢ .

(١٢٣٩) مزامير ١٠٢ : ١٢ .

(١٢٤٠) إرميا ١٠ : ١٠ .

(١٢٤١) رؤيا ١ : ٨ .

الفساد والتلاشي ، وعنايته بمخلوقاته وعمل الفداء بأن حمل ابنه ثقل قصاص ؟ كل خطايا جميع المؤمنين .[١٢٤٢]

يقول القس إلياس مقار : " ولعل أول ما تشير إليه قوة الله في ذهن الإنسان العظمة والجلال ، وكيف لا يبهر الإنسان بهذه القوة وهو يرى مظاهرها الرائعة في الخليقة ، وكيف لا يصيح وهو يرى سناها بالقول: " أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك في كل الأرض حيث جلالك فوق السماوات ، إذاً أرى سمواتك عمل أصابعك ، القمر والنجوم التي كونتها فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفقده " [١٢٤٣] .

" السماوات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه " [١٢٤٤] .

" باركي يا نفس الرب ، يا رب إلهي قد عظمت جداً ، مجداً وجلالاً ، لبست اللابس النور كثوب ، الباسط السماوات كشقة ، المسقف علاليه بالمياه ، الجاعل السحاب مركبته ، الماشي على أجنحة الريح ، الصانع ملائكته وخدامه ناراً ملتهبة ، المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد " [١٢٤٥] " [١٢٤٦] .

٤. الصلاح :

ومن صفاته تعالى الصلاح ، وصفة الصلاح حينما يراد معناها الحقيقي عند النصارى لا يجوز أن تطلق إلا على الله تعالى ، لقول المسيح – عليه السلام – حينما أتاه رجل فقال له : " أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع :

([١٢٤٢]) انظر : شرح أصول الإيمان (١/٣٤-٣٥) .

([١٢٤٣]) مزامير ٨ : ١ ، ٢ .

([١٢٤٤]) مزامير ١٩ : ١ .

([١٢٤٥]) مزامير ١٠٤ : ١-٥ .

([١٢٤٦]) إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص (٨٨) .

لماذا تدعوني صالحاً ؟ ليست أحد صالحاً إلا واحداً وهو الله " [١٢٤٧] وهذا مما يدل على أن المسيح ليس هو الله.

٥. العدل :

ومن صفاته العدل أو العدالـة ، وتعـني هـذه الـصفة المـساواة في العطـاء بحيـث إن العطاء الإلهي ينال كلاً بحسبه ، وبمقتضى هذه العدالة فإن الله تعالى لا يكلف أحداً فوق طاقته ، وأنه يجازي كلاً من المحسنين والمسيئين بمنتهى العدالة التي تعني التـوازن في المنع والعطاء.

فقد جاء في سفر التثنية : " لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآبـاء كل إنسان بخصمه يقتل " [١٢٤٨] .

٦. الرحمة :

ومن صفاته (عز وجل) الرحمة ، ويولى النصارى هذه الصفة اهتماماً بالغاً ويرون أنهم وحدهم هم المختصون في وصف الله تعالى بها من بـين أصـحاب الـديانات المختلفـة ، وحتى الديانة اليهودية غير مشاركة لهم في وصف الله تعالى بهذه الـصفة رغـم أن العهـد القديم الذي يعتبر في اليهودية أساس الديانة يعتبر في النصرانية أيضاً أحد شقي الكتاب المقدس ، ومع ذلك فإنهم يرون لأنفسهم فضل الاختصاص والانفراد بهذه الصفة .

والله (عز وجل) عندهم ليس ذلك الإله المنتقم الجبار الذي تنخلـع القلـوب خوفـاً منه ، لكنه أب رحيم يحب عباده محبة جعلـتهم أبنـاء الله وورثتـه مـع المـسيح ، ومـن مظاهر تلك الرحمة وأجلى صورها أن بذل ابنه الوحيـد فـداء للبـشر وتخليـصاً لهـم مـن خطيئة الإنسان الأول . [١٢٤٩]

([١٢٤٧]) مرقس ١٠ : ١٧–١٨ .

([١٢٤٨]) تثنية ٢٤ : ١٦ .

([١٢٤٩]) انظر : إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص (١٠٥) .

يقول الرب بولس إلياس اليسوعي : " ليس الله في تعاليم السيد المسيح على مثال ما توهمته الديانات الصينية والبابلية والفارسية سيداً يسترضيه الإنسان بتقادمه وذبائحه وما يحوطه من إكرام .. لكن الله في تعاليم السيد المسيح سيد مطلق قائم منذ الأزل ، كلي القدرة والصلاح لا صلاح سواه " [١٢٥٠] .

وقال أيضاً : " ليس الله في تعاليم السيد المسيح كما رآه آباء التوراة والإسرائيليون ، فهو عندهم إله عظيم قدوس رب الصبا والدبور ؟ تنخلع القلوب لمرآه رهبة ، وترتعد الفرائض فرقاً ، فلا يذكر الإسرائيليون من ياهو إلا يداً شقت لهم طريقاً في بحر القلزم ، وأطبقت بعدهم الأمواج على مراكب فرعون ورجاله ، ولا يرون منه إلا و جهاً تحجبه البروق والرعود يوم إنزال الوصايا العشر على موسى في سينا .. لكنه أب رحيم أوجد الإنسان بدافع من حبه ويحفظه في الوجود بدافع من حنان .. إنه أب والإنسان ابن الله على اختلاف اللون والجنس والنزعة ، ومحبة الله للإنسان أين منها محبة الوالدين أولادهم " [١٢٥١].

والوحي الإلهي هو أحد مظاهر تلك الرحمة المنبثقة من محبته تعالى لخلقه و عنايته بهم حتى بعث فيهم الأنبياء والرسل .

٧. الحكمة :

ومن صفاته تعالى عندهم الحكمة : وهي وضع الأمور في وضعها اللائق بها وهذه الصفة تتضمن علمه تعالى بكل شيء وتدبيره لها كافة ، وعلمه تعالى بكل شيء هو معرفته لنفسه وبكل ما عداه معرفة كاملة من الأزل وإلى الأبد لأن كل شيء حاضر أمامه .

(١٢٥٠) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ، ص (٢٣٢) .

(١٢٥١) المرجع السابق .

ومما يدل على معرفته تعالى ذاتاً وصفة كونه تعالى غير محدود في ذاته وصفاته ولو لم يكن كذلك لكان علمه محدوداً وذلك مما يستحيل على الله تعالى .

ومن علامات حكمته تعالى ذلك النظام البديع الذي يسود الكون ويسيطر على الخليقة ، وتوافق المخلوقات في جزيئاتها وكلياتها مما يدل على حكمته التامة وبديع صنعه .

ومن مظاهر هذه الحكمة عمل الفداء الذي محا به الخطيئة البشرية مما يدل على عنايته التامة بخلقه (١٢٥٢) .

٨. السمع والبصر والكلام :

يقول عوض سمعان : " بما أن من له علاقة مع غيره يكون بصيراً وسميعاً وكليماً ، وبما أن الله له مثل هذه العلاقة مع خلائقه ، لا سيما العاقلة منها ، إذن فهو بصير سميع كليم ، وطبعاً دون أن تكون له أعضاء مادية ، لأنه ليس هناك أثر للمادة فيه ، ولذلك قال الوحي منتقداً المعترضين على قدرة الله على السمع والبصر " (١٢٥٣) .

" افهموا أيها البلداء في الشعب ويا جهلاء متى تعقلون ؟ ألغارس الأذن ألاَّ يسمع ؟ ألصانع العين ألا يبصر ؟ " (١٢٥٤) .

ويقول أيضاً بعد سرده لصفات الله (عز وجل) : " إنها أصيلة فيه ، فهو قدير عليم فريد سميع بصير أزلاً قبل وجود أي مخلوق من المخلوقات لأنه تعالى كامل في ذاته

(١٢٥٢) انظر : شرح أصول الإيمان (١/٣٢-٣٣) .

(١٢٥٣) الله ذاته ونوع وحدانيته ، عوض سمعان ، ص (٢٨) ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

(١٢٥٤) مزامير ٩٤ : ٨-٩ .

كل الكمال ، ولا يكتسب شيئاً من الخواص ، أو الصفات بأي حال من الأحوال ، إذ إن الاكتساب يدل على التغير وهو لا يتغير " [١٢٥٥] .

٩. الإرادة :

" أما الإرادة فتعني أن الله تعالى يخلق بمحض الحرية من غير أن يملي عليه أحد إرادته ، ويفعل ما يريد بلا إكراه من أحد ، وقد أوجد الله العالم من العدم .

ولم يخرج شيئاً منه عن ذاته ، لأنه لو كان كذلك لكان مركباً ، والله تعالى لا تركيب فيه لأن المركب لابد له من مركب ، فهو تعالى واجب الوجود أزلي قديم " [١٢٥٦] .

١٠. العلم :

ومن صفاته تعالى العلم ومعرفته بكل شيء والله تعالى كما أنه غير محدود ، فكذلك علمه تعالى غير محدود ، لا يقبل الزيادة ولا النقص وليس لعلمه تعالى ماض أو مستقبل لأن كل شيء حاضر أمامه .

ويستدل النصارى على ذلك بما ورد في كتبهم المقدسة مثل ما جاء في سفر أشعيا : "اذكروا الأوليات منذ القديم ، لأني أنا الله وليس آخر ، الإله وليس مثلي ، مخبر منذ البدء بالأخير ، ومنذ القديم بما لم يفعل قائلاً رأي يقوم وأفعل مسرتي " [١٢٥٧] .

وبما جاء في الرسالة إلى العبرانيين : " وليست خليقة غير ظاهرة قدامه ، بل كل شيء عريان ومكشوف للذي معه أمرنا " [١٢٥٨] .

(١٢٥٥) الله ذاته ونوعه وحدانيته ، ص (٢٣) .

(١٢٥٦) المرجع السابق ، ص (١٨ ، ١٢٨ بتصرف) .

(١٢٥٧) أشعيا ٤٦ : ٩-١٠ .

ويقول القس إلياس مقار بعد إيراده لهـذا الـنص مـن الرسـالة إلى العـبرانيين : " كيف لا وقد أدركنا معنى المكان وعلاقته بالله غـير المحـدود ؟ وهـو بالنـسبة للجزئيـات والكليات علم واضح غير مبهم : " الظلمة أيضاً لا تظلم لديك والليل مثل النهار يضيء لم تختف عنـك عظـامي حينمـا صـنعت في الخفـاء ورقمـت في أعمـاق الأرض رأيـت عينـاك أعضائي وفي سفرك كلها كتبت يوم تصورت إذ لم يكـن واحـد منـا " [١٢٥٩] وهـو بالنـسبة للمعنويات علم دقيق عجيب إذ هو العلم بالأفكار والنوايا والسرائر " [١٢٦٠] .

([١٢٥٨]) العبرانيين ٤ : ١٣ ، وانظر : شرح أصول الإيمان ص (٩١-٩٣) .

([١٢٥٩]) مزامير ١٣٩ : ١٢ ، ١٥ ، ١٦ .

([١٢٦٠]) إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص (٩١ – ٩٢) .

المطلب الثاني : الإلحاد في أسماء الله وصفاته عند النصارى :

أصل الإلحاد في كلام العرب : " العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ومنه اللحد في القبر الانحراف إلى جهة القبلة عن سمت الحفر " [١٢٦١] .

وقال ابن القيم : " والإلحاد في أسمائه : هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها ، وهو مأخوذ من الميل ، كما يدل عليه مادة اللحد ، وفيه وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط ، ومنه اللحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل " [١٢٦٢] .

فمن أنواع الإلحاد في أسمائه سبحانه وتعالى تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً ، فهم يدخلون في أسماء الله ما ليس منها .

وأسماء الرب تبارك وتعالى أسماء وأوصاف يعرف بها تعالى إلى عباده ودلت على كماله (جل وعلا) .

وقال قتادة " يلحدون " يشركون ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس " الإلحاد التكذيب " [١٢٦٣] .

وقال ابن القيم رحمه الله : " فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها ، وإما بجحد معانيها وتعطيلها ، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات ، وإما

([١٢٦١]) فتح المجيد شرك كتاب التوحيد ، ص (٤٤٨) ، وفي لسان العرب (وأصل الإلحاد : الميل والعدول عن الشيء) (لحد) .

([١٢٦٢]) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الوهاب ص (٦٤٥) المكتب الإسلامي .

([١٢٦٣]) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، ص (٤٤٨) .

أن يجعلها أسماء لهذه المخلوقات كإلحاد أهل الاتحاد ، فإنهم جعلوها أسماء هذا الكـون محمودها ومذمومها " [١٢٦٤] .

([١٢٦٤]) المرجع السابق ، ص (٨٤٩) .

صور إلحاد النصارى في أسماء الله وصفاته :

النصارى يصفون المسيح – عليه السلام – بجميع صفات الألوهية ويعتقدون أنه في كل صفاته مساو لله تبارك وتعالى كما ورد نص ذلك في قانون الإيمان [١٢٦٥] .

١. وصف الرب بالأبوة :

أطلقت الأناجيل الأربعة على الله تعالى كلمة الأب على لسان المسيح – عليه السلام – على ثلاث صور :

الصورة الأولى : إضافة كلمة الأب إلى ياء المتكلم ، والمتكلم هو المسيح فجاء في قوله : " ثم تقدم و خر على وجهه وكان يصلي قائلاً : يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس .. فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً : يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه ا لكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك " [١٢٦٦] .

الصورة الثانية : إضافة كلمة أب إلى المفرد المخاطب ، أو إلى جماعة المخاطبين أو ضمير الجماعة المتكلمين .

فقد جاء : " وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك واغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية " [١٢٦٧] .

" فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات كامل " [١٢٦٨] .

" انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ، ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوي بقوتها " [١٢٦٩] .

([١٢٦٥]) سبق ذكر نص قانون الإيمان في المطلب الأول من المبحث الثاني من الفصل الأول من الباب الثاني .

([١٢٦٦]) متى ٢٦ : ٣٩–٤٢ .

([١٢٦٧]) متى ٦ : ٣–٦ .

([١٢٦٨]) متى ٥ : ٤٨ .

([١٢٦٩]) متى ٦ : ٢٦ .

الصورة الثالثة : قطع كلمة الأب عن الإضافة وتعريفها بأل " الأب " ففي قوله : "أليس مكتوباً في ناموسكم إني قلت إنكم آلهة ؟ ... فالذي قدسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون إنك تجدف لأني قلت : إني ابن الله " [(١٢٧٠)] .

٢. وصفه بالتجسد :

فمعنى التجسد أن الله يظهر للبشر في صورةٍ ماَ مِنْ صورِ المخلوقاتِ .

أفلا يناقض هذا التجسد وصفه تعالى كما ورد عنهم سابقاً بأنه غير محدود في ذاته ؟ بل إنه يناقض تلك الصفة غاية المناقضة .

وبيان ذلك أن الإله الذي ظهر لإبراهيم ومعه رجلان هو ثالثهم ، والذي ظهر لزوجته هاجر ، وظهر لحفيده يعقوب بتلك الصفات المحدودة ، لم يكن سوى إله محدود في ذاته وصفاته محدود في ذاته لأنه جلس تحت الشجرة مع الرجلين ومحدود في صفاته لأنه أكل وشرب ، فالأكل والشرب صفتان من صفات المخلوقين لا من صفات الخالق . وكذلك الاستراحة وغسل القدمين والاستظلال من صفات المخلوق المفتقر لا من صفات الخالق الغني الذي لا يحاط به .

ومن معاني هذه الصفة أن الله تعالى حاضر في كل مكان بذاته ، كما ذهب إلى ذلك شارح الصفة[(١٢٧١)] كيف يكون الله موجوداً في كل مكان بذاته وهو قد تجسد وظهر في بعض الأجساد وفي بعض الأمكنة دون غيرها ؟

ومن معانيها كذلك أن الله تعالى منزه عن التحيز والتركيب والتجزئة والاختلاط مع غيره من المخلوقات ، كيف يستقيم معنى هذه الصفة مع دعوى التجسد الإلهي ؟ أوليس التجسد هو نفس التحيز ؟ أو لم يتجسد هذا الإله في بطن مريم بعد أن تجسد على عهد إبراهيم ويعقوب وموسى ؟ وكيف ينسجم كلامهم في نفي التركيب مع دعوى التجسد ؟

(١٢٧٠) يوحنا ١ : ٣٢-٣٦ .

(١٢٧١) انظر : شرح أصول الإيمان (٣٠/١) .

أولم يتحد اللاهوت بالناسوت في بطن العذراء ؟ أوليس المسيح في نظرهم مركباً من اللاهوت والناسوت ؟ وهو ما ينفونه بهذه الصفة . وما جدوى نفي اختلاط الله مع غيره من المخلوقات – وهو قد اختلط حسب قولهم – بعظم ولحم ودم في تجسده الأخير وظهوره في المسيح؟

فهذا عين التناقض العجيب ، والتنافر الغريب .

فالذي من صفاته أكل الطعام لا شك أنه محدود في ذاته وصفاته وما كان لإله غير محدود به حياة كل شيء ، وأن يعتمد في حياته على الطعام ، فاعتماده على الطعام في حياته دليل على أنه مفتقر إلى غيره ، ومحدود في ذاته وصفاته .

فهذا التناقض الذيَ بيَّنَّهُ هنا في هذه الصفة بكل وضوح وجلاء ليس مقتصراً على هذه الصفة فحسب بل يطرد في جميع الصفات التي سبق عرضها في المطلب السابق .

٣. عقيدة الصلب والفداء

ويتفرع عنها :

أ. عدم القدرة على كل شيء :

هل القدرة على كل شيء تتناسب مع فلسفة الفداء التي تعني أن الله تعالى ضحى بابنه الوحيد للتكفير عن خطيئة آدم التي تسربت إلى ذريته عن طريق الوراثة ؟

ولماذا لم يتجاوز الله عن خطيئة آدم بلا تضحية ؟ وهل تجاوز الله عن خطيئة آدم من غير أن يضحي بابنه – كما يقولون – أمر يعجز الله تعالى عنه ، وهو الذي من صفاته القدرة على كل شيء ؟ وقد ذكرنا سابقاً أن النصارى يصفون المسيح بأنه قادر على كل شيء ، فهل هذا يتناسب مع هربه مع أمه مريم إلى مصر من الحاكم الروماني هيرودس [١٢٧٢] .

([١٢٧٢]) انظر : إنجيل متى ٢ : ١٣ : ١٥ .

وقد ورد في إنجيل متى أن المسيح صام أربعين يوماً وجاع[١٢٧٣] فأين القدرة على كل شيء من الحاجة إلى الطعام والشراب ؟ أو لا يستطيع البقاء بلا طعام ولا شراب طيلة حياته ؟ وأين القدرة على كل شيء وهو قد أسلم إلى أيدي الرومان الذين صلبوه رغم حزنه العميق ومحاولته الهرب من ملاحقتهم " [١٢٧٤] .

وهو الذي زعموا أن أبليس حمله وذهب به من مكان إلى مكان ، فكيف قوي إبليس على حمله ، ولم يقو الإله على التخلص منه ؟

ثم أين القدرة على كل شيء وهو لم يستطع مقاومة اليهود ، وعداءهم له مع الرومان ، وذلك حينما وشى به اليهود عند الحكام الرومان ، وسعوا في القبض عليه وإعدامه صلباً كما يقولون [١٢٧٥] .

ب . عدم العدل :

يقول النصارى إن البشر جميعاً مذنبون بذنب أبيهم آدم حينما أكل من الشجرة بإغراء من إبليس ، كيف يصح هذا والله (عز وجل) من صفاته العدل ، ومن عدالته ألا يؤاخذ غير الجاني ؟ وعلى هذا دلت الكتب الإلهية :

يقول سفر التكوين : " حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم حاشا لك ديان كل الأرض لا تصنع عدلاً " [١٢٧٦] .

فكان ذلك على لسان إبراهيم – عليه السلام – حينما جاء أمر الله لإهلاك قرية لوط – عليه السلام – .

(١٢٧٣) انظر متى ٤ : ٢ .

(١٢٧٤) انظر : متى ٢٦ : ٣٦–٤٠ .

(١٢٧٥) انظر : متى ٢٦ : ٣–٥ ، ٢٧ : ١–٢ .

(١٢٧٦) تكوين ١٨ : ٢٥ .

إن العدالة الإلهية لا تقتضي معاقبة غير الجاني ، ولكنها تقتضي براءة الأبرياء في كل وقت وحين ، ولا تؤاخذ الأبناء بذنوب الآباء ، كما تقتضي براءة المسيح من خطيئة آدم مع سائر ذريته .

فقد جاء في سفر التثنية : " لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخصمه يقتل " [١٢٧٧] .

فهذه النصوص – رغم إيمان النصارى بها – فهي متناقضة تمام التناقض مع عقيدة الصلب والفداء عندهم .

ج . عدم الرحمة :

يرى النصارى أن من مظاهر الرحمة إرسال ابنه الوحيد فداء وخلاصاً للبشر ، ولكن بداهة فإن من مظاهر رحمة الله أن يغفر الله الذنوب ، ويستر العورات ، ولا يؤاخذ أحد بذنب لم يرتكبه .

فمن مقتضى المحبة والرحمة التجاوز عن السيئات حينما يتوب المسيء ، فقد عصى آدم ربه وتاب ، فمن مقتضى الرحمة أن لا يبقى مع التوبة ذنب ، وأما من لم يذنب ، فمقتضى الرحمة في حقه ، أن لا يؤخذ على ما لم يرتكبه ، فقد عصى آدم ، وما بال ذريته يؤاخذون بذنب أبيهم وهم لم يشهدوا وقوع الذنب ، وبريئون منه براءة الذئب من دم يوسف ؟

د . عدم الحكمة :

إن أول تناقض في النصرانية في إثبات هذه الصفة يتضح في مسألة إدانة البشر بسبب خطيئة أبيهم آدم – حسب قولهم– .

([١٢٧٧]) تثنية ٢٤ : ١٦ .

والحكمة تقتضي مؤاخذة الجاني وبقاء غيره على ما كان عليه من البراءة طالما لم يرتكب ذنباً يستحق عليه العقوبة ، ولكن النصرانية ترى أن الله (عز وجل) يؤاخذ الأبرياء بما لم يرتكبوه من ذنب ، وأن البشر جميعاً خطاة يستحقون غضب الله عليهم بسبب خطيئة أبيهم آدم ، فأين الحكمة الإلهية التي يثبتونها من هذه العقيدة ، فكيف يستحق الناس جميعاً غضب الله وهم لم يرتكبوا الذنب ، بل ولا شهدوه .

ألا ترى أن من قتل نفساً بغير حق تقتضي الحكمة في حقه أن يعاقب هو فقط ، لا أن يؤاخذ ابنه أو قريبه ، أو صديقه للقصاص ، ومن فعل ذلك من البشر يعتبر ظالماً أحمق ، فكيف يليق هذا بالله جل شأنه ؟ وهذا في منطق الحكمة ومقتضاها ، أما في النصرانية فإن الحكمة عارية عن هذا المعنى .

ثم على فرض مؤاخذة ذرية آدم بذنب أبيهم ، فإن الحكمة تقتضي أن يتوب الله على من تاب منهم ، من غير حاجة إلى الكفارة بضحية بريئة كالمسيح .

٤. الجهل وعدم العلم :

ففي النصرانية وصف الرب تبارك وتعالى بالجهل وعدم شمول علمه بما يدور حوله ، فهذا ما تحكيه نصوص الكتاب المقدس .

فقد ورد في سفر التكوين ما يدل على أن الله لم يعلم بمكان وجود آدم في الجنة لاختبائه حتى ناداه الله قائلاً : " أين أنت " [١٢٧٨] ، فأين صفة علمه تعالى مع هذا النص ؟ كيف لم يعلم الله بمكان وجود آدم بعد اختبائه ؟

وأيضاً ما ورد من الله تعالى طلب من موسى أن يتخذ بنو إسرائيل علامة تميزهم عن المصريين عندما أراد إهلاكهم حتى لا يهلكوا مع من يهلكهم من المصريين ويعبر عنهم وذلك بأن أمرهم بوضع علامة الدم على البيوت الإسرائيلية ، وقال : " ويكون لكم الدم

(١٢٧٨) تكوين ٣ : ١٠ .

علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للـهلاك حين أضرب أرض مصر " [١٢٧٩] .

أليس هذا النص مناقضاً لعلمه تعالى ؟ فهم يزعمون أن الله لا يستطيع أن يميز بـين بيوت بني إسرائيل وبيوت المصريين وليس عنده علم بذلك .

وفي نص آخر من سفر التكوين يقول إن ثلاثة رجال ومن بينهم الله سألوا إبـراهيم –عليه السلام – عن مكان وجود امرأته سارة قائلين له : " أين سـارة امرأتـك فقـال هـا هي في الخيمة " [١٢٨٠] .

أين صفة العلم من هذا النص وهو ينسب إلى الله الجهل بمكـان وجـود سـارة امـرأة إبراهيم – عليه السلام – ، فهذا يناقض صفة العلم مناقضة صريحة دون ريب .

وفي نص آخر من إنجيل متى سئل المسيح عن موعد الساعة ، فأجاب المسيح بأنـه لا يعلم موعدها إلا الله بلا مشاركة من خلقه .

فقال : " وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحـد ولا ملائكـة الـسماوات إلا أبي وحده " . [١٢٨١]

فهذا المسيح وهو الرب في نظرهم وأنه يعلم كل شيء ، ولا فرق بين علم الآب وعلـم الأبن – كما يزعمون– ، فهو لا يعلم الساعة ويوكل الأمـر وعلمـه إلى الآب فقـط ، وأنـه جاهل لا علم له بالساعة .

وفي نص آخر أن المسيح كان يجأر بالدعاء إلى الله في صلاته طالباً منه أن ينجيـه مـن الموت على يد المتآمرين عليه ، وهو نص ينافي علمه بما سيحدث لـه من صلب وموت علـى الصليب .

([١٢٧٩]) خروج ١٣ : ١٢ .

([١٢٨٠]) تكوين ٩ : ١٨ .

([١٢٨١]) متى ٢٤ : ٣٦ .

فقال : " ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت " [١٢٨٢] .

فهذا النص يدل على عدم علم المسيح بكل شيء ، لأنه لو علم أن موته على الصليب لا مناص له لما جأر إلى الله بالدعاء ، لأن علمه بكل شيء يقتضي الإحاطة بكل ما سيؤول إليه أمره ، فبطل علمه بكل شيء وبالتالي ألوهيته وبنوته لله تعالى .

٥. تناقض الإرادة :

الإرادة تعني أن الله تعالى يفعل كل شيء بمشيئته لا اعتراض لأحد على ما يفعل ، فالنصارى يعتبرون إرادة المسيح مساوية لإرادة الله (عز وجل) .

ولكن المسيح في إنجيل متى يقول : " ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت " [١٢٨٣] .

هذا النص يغاير بين إرادة الله وإرادة المسيح مما يدلنا على أن إرادة الله هي التي غلبت إرادة المسيح ، وعلى قولهم بألوهية المسيح فينبغي أن لا يكون فرق بين الإرادتين بل ينبغي أن لا تكون هناك إرادتان .

وعليه فأين الإرادة النافذة الإلهية في المسيح ؟ لقد أراد الله أن يصلب وأراد المسيح أن ينجو من الصلب ، فغلبت إرادة الله وصلب حسب زعمهم ، إذن فأين في المسيح صفة الإرادة الإلهية ؟

٦. تشبيه هيئة الإله بالإنسان :

فقد جاء في قوله : " وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا " [١٢٨٤] .

" لأن الله على صورتنا عمل الإنسان " [١٢٨٥] .

([١٢٨٢]) متى ٢٦ : ٣٩ .

([١٢٨٣]) متى ٢٦ : ٣٩ .

([١٢٨٤]) تكوين ١ : ٢٧ .

" هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله ذكراً وأنثى خلقـه" [1286].

فقد شبهوا رب العزة سبحانه وتعالى بصورة الإنسان في الهيئة في خلق آدم – عليه السلام – والله سبحانه ذات علية ليس كمثله شيء ، قال تعـالى : M 1 2 3 5 6 7 8 L [1287].

(1285) تكوين ٩ : ٧ .

(1286) تكوين ٥ : ١–٢ . وانظر : تكوين ١ : ٢٨ .

(1287) الشورى ، آية (١) .

الفصل الثاني

نقد تصور النصارى لقضية التوحيد

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : النقد العقلي
- المبحث الثاني : النقد من خلال مصادرهم المقدسة
- المبحث الثالث : النقد من خلال القرآن والسنة

المبحث الأول
النقد العقلي

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : نقد مفهوم الربوبية
- المطلب الثاني : نقد مفهوم الألوهية
- المطلب الثالث : نقد مفهوم الأسماء والصفات

المطلب الأول : نقد مفهوم الربوبية :

إن الإيمان بوجود الله تعالى يعتبر الأساس الأول لجميع العقائد ، وعلى هذه القاعدة تلتقي جميع الأديان المنزلة ، وإن تعرض بعضها للتحريف كاليهودية والنصرانية ، وما كان بين تلك الأديان من اختلاف منشأه تصور هذا الوجود الإلهي كيف يكون ؟ وعلى أي وجه يتقرب إليه ؟

إن الإيمان بوجود الله والدعوة إليه في الإسلام لم يأخذ حيزاً كبيراً في كتاب الله الكريم وحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وذلك لأن البشر في تاريخهم الطويل لم يكن بينهم من لا يؤمن بأن هناك موجداً ومدبراً لهذا الكون الفسيح سوى فئة قليلة منهم تمردت على منطق العقل ، وتنكرت للفطرة السليمة .

وأما الإيمان والاعتراف بوجود الخالق المدبر لهذا الكون فهو ما يدين به العرب قاطبة قبل مبعث النبي (صلى الله عليه وسلم) وحتى مبعثه ، والقليل منهم هم الذين لا يعترفون بوجود الله .

إذاً قضية الربوبية لم تكن موضع نزاع بين الرسل وأممهم لأنها مسألة فطرة ، قال تعالى : M { ~ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ L [1288] ، وإنما النزاع كان في قضية الألوهية لذلك يقول تعالى : M D E F G H I J K L M N L [1289] .

واعتراف الدين الإسلامي بوجود الله أصل من تلك الأصول الدينية التي تلتقي عليه الأديان الألهية مع احتفاظ كل دين بملامح تميزه عن غيره في الشرعة والمنهاج .

(١٢٨٨) سورة العنكبوت ، آية (٦١) ، وكذا : آية (٦٣) ، ولقمان (٢٥) ، والزخرف (٩) وآيات أخرى كثيرة .

(١٢٨٩) سورة النحل ، آية (٣٦) ، وانظر : سورة الأنبياء آية (٢٥) .

فالمسلمون يؤمنون بوجود الله ، وكذلك النصارى يؤمنون بوجـود الله ، ولكـن الفـرق بين الإيمان يكمن في أن المسلمين يؤمنون بإله واحد في ربوبيته وألوهيته لا شـريك لـه في ذاته وصفاته .

بينما النصارى يؤمنـون بإلـه واحـد في ثلاثـة أقـانيم وهـي : الآب والابـن والـروح القدس.

وإذا كان الفريقان يلتقيان في مبـدأ الإيمـان بوجـود موجـد مـدبر لهـذا الكـون فـإن موضوع إيمانهم لا يلتقي ولا يكاد يتفق ، فالأقانيم الثلاثة في عقيدة النصارى هـي الـرب الذي يؤمنون بوجوده ، وإيجاده وتدبيره للكون والله الذي يؤمن به المسلمون ، هـو الـذي لا إلـه إلا هـو M (* + , - . / 0 1 2 3 L [١٢٩٠] ، ولم يتخـذ صاحبة ولا ولداً .

وهذه العقيدة وتلك ، وإن كانت ملامحهما متشابهة في الإيمان بوجود الله ، ولكـن هناك هوة سحيقة تفصل بينهما .

أي أن النصارى يجعلون لله شريكاً في الربوبية والخلق والإيجاد .

يقول بولس الرسول في سفر الأعمال : " وقيل عن أعمال الله إنها أعمال الـروح هـو الذي خلق العالم ويجدد النفوس ، والمولود منا مولود من الله ، ويحيى أجـسادنا الميتـة ، وهو على كل شيء قدير " [١٢٩١] .

فنجد في الكتاب المقدس عند النصارى أن الحقـوق والـصفات الألهيـة تنـسب علـى سواء إلى كل من الآب والابن والروح القدس .

ويقول أ. م هود جكن في تفسير الفقرة ٢٤ من الإصحاح ١٧ من سـفر يوحنـا : " إن هذه الآية تقود أفكارنا إلى ديباجة هذه البـشارة في حـق يـسوع " في البـدء كـان الكلمـة "

(١٢٩٠) سورة الإخلاص ، آية (٣-٤) .

(١٢٩١) أعمال ٧ : ٣٧ .

فترجع هنا القهقري إلى بدء التكوين ونقرن بين إبداع المخلوقات وبين ذلك الإعلان المجيد عن ابن الله " وكان الكلمة الله " وكل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ، المسيح خالق كل شيء ويقدم لها احتياجاتها ، وفق ذلك أعطى نفسه للجنس البشري صديقاً حميماً قديراً " [١٢٩٢] .

وبالمقابلة بين أدلة النصارى والأدلة الإسلامية على وجود الله ، يبدو جلياً أن الفريقين لا يختلفان في تبني الأدلة الكونية على وجود الله إلا أن الاستدلال بالآيات الكونية في الأناجيل ، أو ما قبلها من كتب العهد القديم ، لا نكاد نلمس له أثراً جلياً كما نجده يتجلى واضحاً في القرآن الكريم ، آياته وبراهينه ، التي تترى لإقامة الحجة على وجود الله .

قال القاضي منصور : " ولعلنا لسنا في حاجة إلى كثير تفصيل لبيان فكرة المسلمين عن الله وتصورهم له ، إذ يكفي في هذا الصدد أن فكرة المسيحيين والمسلمين عن الله في الأصل فكرة واحدة ، فالله هو الأزلي الخالق القادر المهيمن ، بديع السماوات والأرض وما بينهما، خالق كل شيء ، إليه كل شيء ، إليه المصير ... أما الفرق بين الله عند المسلمين وعند المسيحيين فإنه لا يقوم إلا في تصور المسيحيين أن لله أقانيماً ثلاثة وأن المسيح (عليه السلام)هو الله نفسه وقد نزل وتجسد ، أو هو الله الابن ، ومن هنا فإن وجه الخلاف أصلاً يقوم في تأليه المسيحيين للمسيح – (عليه السلام)– والذي لا يرى فيه المسلمون غير إنسان بشر كما قرر القرآن ، وعلى هذا فبيان مدى مطابقة العلم لصورة الله في المسيحية أو الإسلام ، إنما يكاد ينحصر في بيان ما إذا كانت هذه الصورة المسيحية من تأليه المسيح تتفق مع العلم أم لا .

وهنا نجد أن العلم إنما أيد الفكرة عن الله التي تتفق فيها المسيحية والإسلام ، فالله هو الخالق الأزلي ، الذي ليس له بداية ، العليم المحيط بكل شيء ، القادر دون أن

[١٢٩٢] المسيح في جميع الكتب ، أ. م . هودجكن ، ص (٣٩٢) ، مطبعة النيل المسيحية ، بيروت .

تكون لقدرته حدود ، خالق الكون وهو العقل اللانهائي ، خالق قوانين الكون ، ومسخرها ، الحكيم ولا حدود لحكمته ، تتجلى قدرته في كل شيء ، الأبدي الخالد ... إلى آخر ذلك من الصفات التي رآها العلماء بحق الله ، وهي كلها صفات يؤمن بها المسيحـــيون والمسلمون.

أما مواطن الخلاف بين المسيحية والإسلام ، فهو حيث يرى المسيحيون الله في المسيح نفسه ، بينما ينفي المسلمون في المسيح هذه الألوهية المقال بها ، وهنا وجدنا العلماء بين مرين ، إما أن يتجاهلوا هذه النقطة تماماً ، وقد فعل معظمهم ذلك ، وإما أن يتعرضوا لها ولا يغفلوها ، وقد فعل القليلون ذلك ، وهؤلاء الذين فعلوا ذلك إنما نفوا أن يكون المسيح هو الله بل وصلوا إلى أبعد من ذلك ، فقالوا أن هذا القول نفسه ، والذي لا ينسجم مع التفكير ولا المنطق المقبول ، هو الذي جَعَلَ المفكرين ينبذون فكرة الله كلية ، أي أنه هو نفسه الذي يؤدي إلى الإلحاد والكفر بالله بدلاً من الإيمان به " [1293] .

ثم يورد مقاله الدكتور وولتر أوسكار حيث يقول : " والذي قال بأن جميع المنظمات المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله هو على صورة الإنسان ، مشيراً بذلك إلى المسيح – (عليه السلام)– .

ويقول بعد ذلك إنه عندما تنمو العقول وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية فإن تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكير ولا مع أي منطق مقبول ، ويشير بعد ذلك إلى أن هذا يؤدي بالمفكرين إلى نبذ فكرة الله كلية " [1294] .

([1293]) دعوة الحق الحقيقة بين المسيحية والإسلام ، القاضي منصور حسين عبد العزيز ، ص (٤٩٧–٤٩٨) . الطبعة الثانية ١٩٧٢م . مكتبة علاء الدين / الإسكندرية .

([1294]) المرجع السابق ص (٤٩٨–٤٩٩) .

ثم يشير قائلاً : " ثم ها نحن نرى آخرين يتساءلون عما إذا كان الله الذي يثبته العلم هو الله الذي يشير إليه الكتاب المقدس ، وطبيعة التساؤل هنا تحمل معنى الشك وعدم الإقتناع ، وعلى أي حال فإننا لم نجد كاتباً واحداً انتهى من أبحاثه إلى أن الله الذي يثبت العلم وجوده له أقانيم ثلاثة ، أو أنه إنسان أو نحو ذلك على الإطلاق ، بل كل ما وجدناه في هذا الصدد ينفي ذلك نفياً تاماً ، ويجعل ذلك القول سبب الإلحاد بين المسيحيين بحق"[١٢٩٥] .

ثم يعلق أبو زهرة على القضية نفسها بقوله : " وإذا كانت محاولاتهم تصوير القضية قد أجهدتهم ، وكلفتهم ما لا يطيقون ، فكيف يستطيعون أن يجعلوا من بدائة العقل لإثبات قضيتهم من بدهياته ، فإن ذلك ليس في قدرة أحد ، إذ ليس في قدرة أحد من البشر جمع النقيضين في قرن ، التوفيق بين الأضداد وقضيتتهم والبدهيات العقلية نقيضان لا يجتمعان " [١٢٩٦] .

ثم يعلق على منهجهم ويقول : " ونرى أن اعتمادهم على النقل لا يغني من الحق شيئاً ، لأن شروط الإنتاج في استدلالهم غير مستوفاه ، إذ ترى أن تلك العبارات التي عثروا عليها في كتبهم لا تفيد على وجه القطع ما يريدون ، بل قد تفيد بأبعد أنواع الاحتمالات ، أو باحتمال قريب ، ومن المعلوم في قواعد الاستدلال أن الاحتمال إذا دخل الاستدلال أبطله ، وكل أدلتهم ينفذ الاحتمال إليها من كل جانب . هذا وإن الاستدلال بكتبهم يفيد من يصدقها ، وهي ذاتها يعروها النقد العلمي في سندها ، وفي متنها من كل ناحية ، فهي في ذاتها في حاجة إلى دفاع طويل لإثباتها " [١٢٩٧] .

ولا يخطر ببال أن شقة الاختلاف بين النصرانية والإسلام في الذات الألهية لا تسمح لأحد أن يقول إن التقارب والتشابه بينهما في الاستدلال على وجود إله بالأدلة الكونية يقرب بين النصرانية والإسلام ، لأن هذه الشقة بعيدة جداً ، ولأن الإله الذي يستدل الإسلام على وجوده بهذه الأدلة M (* + , - . / 0 1 2

(١٢٩٥) المرجع السابق ص (٥٠٠) .

(١٢٩٦) محاضرات في النصرانية ص (١٠٦) .

(١٢٩٧) المرجع السابق .

L 3 [١٢٩٨]، وأما الإله الذي يستدل النصارى على وجوده بتلك الأدلة ، فله ابـن تجـسد في بطن العذراء مريم فولد بشراً سوياً ، وأن الإله ذو ثلاثة أقانيم ، أقنوم الآب ، وأقنـوم الأبن ، وأقنوم الروح القدس.

([١٢٩٨]) سورة الإخلاص ، آية (٣-٤) .

المطلب الثاني : نقد مفهوم الألوهية :

تلونت النصرانية بألوان عديدة من المعتقدات الشركية الوثنية القديمة في حق ذات الله (عز وجل) في ألوهيته ، فلقد انسلخت النصرانية تماماً من تعليم الإنجيل الحقة ا لمنزلة من الله (سبحانه وتعالى) ، وانحرفت تماماً من التوحيد الحق إلى الشرك الواضح المعالم القائل بالتثليث المنافي للعقل والنقل ، وإلى مال ذلك من القول بالصلب والتجسد .

وسنعرض فيما يلي لأبرز معتقداتهم التي تتنافى مع مفهوم الألوهية ومنها :

أولاً : تأليه المسيح :

فاستدل النصارى بالبنوة على ألوهية المسيح – (عليه السلام)– حيث يزعمون أن المسيح – (عليه السلام)– ابن الله بنوة حقيقة وأن هذه البنوة دليل على ألوهيته – (عليه السلام)– .

فإن هذا الزعم باطل من وجوه :

الوجه الأول : إن لفظ البنوة لم يرد في حق المسيح – (عليه السلام)– فقط ، وإنما وردت في حق غيره من أنبياء الله ، بل وفي حق بعض المؤمنين ، وكان ورود ذلك كثيراً في كتابهم المقدس مثل:

- فقد قيل في حق نبي الله سليمان – (عليه السلام)– : " وهو يكون لي أبناً وأنا له أباً وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد " [١٢٩٩] .
- وقيل في حق آدم – (عليه السلام)– " آدم ابن الله " [١٣٠٠] .

(١٢٩٩) أخبار الأيام الأولى ٢٢ : ١٠ .

(١٣٠٠) لوقا ٣ : ٣٨ .

- وقيل في حق المسيحيين : " لكي تكونوا أبناء أبيكم " [١٣٠١] .
- وقيل في حق أهل روميه : " من الله أبينا " [١٣٠٢] .

إلى غير ذلك من الفقرات العديدة . [١٣٠٣]

فإذا قالوا إن لفظ البنوة في حق غير المسيح –عليه السلام – مجازي ، وفي حق المسيح (عليه السلام)حقيقي .

قلنا لهم : إن هذا التفريق باطل بين أمور متشابهة ، فإذا كان جائزاً في لغة القوم أن لفظ البنوة يستعمل مجازاً ، فإن لفظ الابن يطلق على من انقطع إلى عبادة الله ، فهي عبارة عن التقوى ، والصلاح ، والطاعة ، والخضوع ، والعبودية ، والاستقامة ، والالتزام بتعاليم الله (عز وجل) [١٣٠٤] .

فهي إذاً في حق المسيح – عليه السلام – كذلك: " الصلة التي تصل المسيح بالله هي صلة البنوة الواقعة تحت رعاية الله ، وعنايته ، وعطفه ، ورحمته ، وليست صلة قرابة جسدية أو روحية " [١٣٠٥] .

إذاً يجب على النصارى أن يعترفوا بأحد أمرين لا ثالث لهما :

١. إما أن يعتبروا أن اللفظين استعملا استعمالاً لغوياً في حق المسيح وغيره من غير تفريق بين الاستعمالين فتكون الأبوة والبنوة حقيقتين في حق الجميع وعلى هذا المعنى فليقولوا ببنوة غير المسيح الحقيقية ، وألوهيتهم ، كما قالوا ببنوة المسيح الحقيقية وألوهيته ، لأن كثرة ورود هاتين الكلمتين في حق المسيح وغيره ، وعدم وجود قرينة تسوغ التفريق بين الاستعمالين يحتمان القول بعدم التفريق .

(١٣٠١) متى ٥ : ٤٥ .

(١٣٠٢) روميه ١ : ٧ .

(١٣٠٣) انظر : متى ٦ : ١ ، ٩ ، لوقا ١٢ : ٣٠ ، ٣٢ ، الخروج ٤ : ٢٢ ، ورومية ٨ : ١٦ .

(١٣٠٤) انظر : براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص (٨٣) ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ، دار الكتاب الحديث .

(١٣٠٥) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، ص (٢٢٠) .

٢. وإما أن يعتبروا أن اللفظين استعملا استعمالاً مجازياً في حق المسيح وغيره على السواء ، لأنه لا دليل على التفريق أيضاً ، ولأن الخصائص البشرية الموجودة في غير المسيح، متوفرة في المسيح أيضاً وعليه فليقولوا ببشرية المسيح وعدم ألوهيته ، وبنوته لله على وجه الحقيقية وإلا فيكون الحال تفريقاً بين متماثلين من غير دليل يرجح ذلك التفريق بل الدليل قائم على بطلان هذا التفريق .

إذاً : فما الفرق بين المسيح – عليه السلام – وغيره ممن ورد في حق النبوة ؟

فما الذي دعاهم إلى التفريق بين المسيح –عليه السلام – وغيره ؟ وما الذي دعاهم أن يجعلوا معنى البنوة لغوياً حقيقياً لا مجاز فيه في حق المسيح – عليه السلام – ويجعلونه في غيره مجازاً .

فإذا كان آدم – عليه السلام– ابن الله ، والأنبياء أبناء الله ، والمؤمنون أبناء الله ، وأهل رومية أبناء الله عند النصارى ، فلا فرق بين المسيح – عليه السلام – وغيره لأن الكل صادر عن الله تعالى .

فلما جوزوا البنوة المجازية في حق غير المسيح – (عليه السلام)– ولم يجوزوها في حق المسيح – (عليه السلام)– ألزمهم في الأول ما يلزمهم في حق الثاني .

وإياً كانت صفة البنوة فهي منفصلة تماماً عن الآب لأن هناك علاقات متعددة بين الآب ، والابن ، لا يمكن أن تقوم إلا إذا كانت ذات كل منهما غير الذات الأخرى ، فهناك علاقة عابد ومعبود ، وعلاقة عمل بين داع إلى العمل ، وعامل ، وعلاقة إرسال بين مُرسِل ومُرْسَل ، وعلاقة شكوى بين شاك ومشتكي إليه [١٣٠٦] .

فبذلك لا يمكن تأويل نصوص البنوة الواردة في حق المسيح – (عليه السلام)– بصلة قرابة أو نسب مادية أو روحية ، إنما هي صلة عبودية ورعاية ، وعناية ، وتدبير

([١٣٠٦]) المرجع السابق ، ص (٢٢٢) بتصرف .

، فلا يمكن أن تكون بنوة المسيح – عليه السلام – الـتي وردت في الأناجيـل ، أن تجعـل منه ابن الله ، ولا تجعله الله ، ولا تجعل أقنوماً من الأقـانيم الثلاثـة الـتي تجعـل فيهـا النصارى الله ذاتاً موزعة بينها .

الوجه الثاني : أن هذه العبارات الموهمة غـير الـصحيحة لا يـستخدمها الأنبيـاء حتى لا يهلك الناس ، ولو استخدموا العبارات المحتملة لألبسوا على الناس أمور دينهم ، وإن هذا بالطبع محال في حق الأنبياء ، لأنهم لا ينطقون عـن الهـوى ، وإنمـا كلامهـم وحي يوحى من عند الله سبحانه .

فالأنبياء – عليهم السلام – جاءوا بالبينات كما وصفهم الحق (عز وجل) بأن كل رسول مبين ، قال تعالى : M x y z { | } ~ (١٣) L[١٣٠٧] .

وبأن كل رسول بلاغه مبين قال تعالى : M] ^ _ ` a b c L[١٣٠٨] .

الوجه الثالث : لقد علمنا أن تعاليم النصارى تنص على أنه أفضل للرجـل وللمـرأة عدم الزواج ، وأن رجال الدين القديسين عندهم منزهـون عـن دنـس الـزواج ، وأن المهـام التي يقوم بها رجل الدين أعظم من أن يكون له ولد حيث إنهم رعاة الكنيسة وشـعبها ، ويتنزهون عن كل ما يشغلهم عن هذه الرسالة[١٣٠٩] .

نقول : إن كانوا ينزهون رجال الدين عن الولد ، وأنه دنـس ، ولـيس مـن صـفات الكمال ، أليس من الأولى أن يتنزه عن ذلك الله (سبحانه وتعالى) الذي خلق رجال الـدين ، وخلق جميع الخلق ؟

فإن كلامهم هذا فيه مدح لقساوستهم ، وقدح في ربهم (عز وجـل) ، فهـذا شـرك بالله بل هو عين الكفر .

(١٣٠٧) سورة الدخان ، آية (١٣) .

(١٣٠٨) سورة العنكبوت ، آية (١٨) .

(١٣٠٩) انظر : براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ص (٨٩) .

ثانياً : قولهم بالتثليث :

وتزعم النصارى أن عقيدتهم هي التوحيد ، ويقولون تثليث في توحيد ، وتوحيد في تثليث :

الرد عليهم :

وأما قولهم بأن عقيدتهم تثليث في توحيد ، وتوحيد في تثليث فهذه سفسطة[1310] محضة ، وإلا كيف يكون الثلاثة واحداً ، والواحد ثلاثة؟ ولو قلنا إن واحد زائد واحد زائد واحد ، لأصبح الناتج ثلاثة ، فمن المستحيل أن يكون الناتج واحد .

وقولهم هذا مناف للعقل لأسباب منها :

١. إن ذلك فيه جمع بين النقيضين : لأن الوحدانية مأخوذة من الوحدة ، ومعناها راجع إلى نفي التعدد ، والكثرة والتثليث معناه تعدد وكثرة ، فكيف يكون هذا هو هذا؟

أما قوله " تثليث الوحدانية " فكلام متناقض لفظاً ، وفاسد معنى ، بيان ذلك : أن قوله " تثليث الوحدانية " كلام مركب من مضاف ، ومضاف إليه ، ولا يفهم المضاف ما لم يفهم المضاف إليه . فأقول : لفظ الوحدانية مأخوذ من الوحدة ، ومعناها : راجع إلى نفي التعدد والكثرة إذن من أسماء الأسلوب ، فإذا وصفنا بها موجوداً ، فقد نفينا عنه

(1310) اسم مركب باللغة اليونانية من " سوفا " وهو اسم علم " واسطا " اسم للغلط أي الغلط ، وهي جماعة فلسفية من العلماء أو الخطباء المشتغلين بالفلسفة في عهد اليونان ، ينكرون الحسيات والبديهيات ، وينادون بالنسبة في المسائل الأخلاقية وفي ثلاثة مذاهب ، مذهب بروتاغوارس " العندية " ومذهب غورغياس " العنادية " ومذهب بيرون " اللا أدرية " .

انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية ص (٤٥) ، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، د / علي سامي النشار (١٦٢/١) ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٧م ، دار المعارف .

التعدد والكثرة ، والتثليث معناه : تعدد وكثرة ، فإذا أضاف هذا القائل التثليث للوحدة ، فكأنه قال " تكثير ما لا يتكثر " وتكثير ما لا يتكثر باطل بالضرورة " [١٣١١] .

وقال شيخ الإسلام في ذلك : " فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة ويقولون إنما نثبت واحداً ، وهو تناقض ظاهر ، وجمع بين النقيضين بين الإثبات والنفي .

ولهذا قالت طائفة من العقلاء : إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى ، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا ، بل تكلموا بجهل ، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين .

ولهذا قال بعضهم : لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا على أحد عشر قولاً ، وقال آخر : لو سألت نصرانياً ، وامرأته ، وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً وامرأته قولاً آخر وابنه قولاً ثالثاً " [١٣١٢] .

٢. إن قول النصارى هذا يؤدي إلى التجزؤ والتبعض الذي يزعمون أنهم ينفونه عن الإله ، فإن الشيء إذا كان واحداً فمن شأنه أن لا يتجزأ ولا يتبعض ، وقولهم ثلاثة يقتضي أنه متجزئ حيث إن الواحد الحقيقي هو الذي لا ثاني له ، ولا يتجزأ ، فلو اجتمع التثليث الحقيقي ، والتوحيد الحقيقي في محل يلزم من ذلك كون الجزء كلاً ، والكل جزءاً ، وهذا أمر باطل بالضرورة " [١٣١٣] .

" أما الكلام عليهم في التثليث ، فهو أن يقال إن قولكم ؛ إنه تعالى جوهر واحد ثلاثة أقانيم مناقضة ظاهرة ، لأن قولنا في الشيء إنه واحد ، يقتضي أنه في الوجه الذي صار واحداً ، لا يتجزأ ، ولا يتبعض ، وقولنا ثلاثة يقتضي أنه متجزئ ، وإذا قلتم إنه

(١٣١١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٤٧/١) .

(١٣١٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢٩٩/٣) .

(١٣١٣) انظر : إظهار الحق (٧٢٦/٣) .

واحد ذو ثلاثة أقانيم ، كان في التناقض بمنزلة أن يقال في الشيء أنه موجود معدوم أو قديم محدث"[1314] .

٣. إن قول النصارى بالتثليث الحقيقي ، والتوحيد الحقيقي في آن واحد فيه تناقض وجمع بين الضدين ، فقولهم هذا هو بمنزلة أن تقول في الشيء معدوم موجود أو قديم محدث .

فإن وجد التثليث الحقيقي لابد أن توجد الكثرة الحقيقية فبذلك لا يمكن ثبوت التوحيد الحقيقي لأن إثبات النوعين يلزم منه اجتماع الضدين الحقيقين وهذا محال لأنه يلزم منه تعدد الوجباء ، وبذلك فإن التوحيد يقيناً .

فالقائل بالتثليث : لا يمكن له أن يكون موحداً لله (سبحانه وتعالى) التوحيد الحقيقي[1315] .

ثم إن القوم عندما فسروا أقانيم التثليث بعد ذلك بالصفات ، كانوا في حيرة وضلال فمنهم من فسرها بالوجود والعلم والحياة[1316] ومنهم من فسرها بالقدرة والعلم والإرادة[1317] .

ولا يخفى : أن تفسيرهم هذا خاطئ لأنهم حصروا صفات الله في ثلاث صفات فكيف يحصرون صفات الله في ثلاث صفات ، وصفات الله كثيرة لا تحصى ، ولا تحصر بعدد معين؟

(١٣١٤) شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار الهمذاني ، ص (٢٩٢) ، تحقيق : د / عبد الكريم عثمان ، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ –١٩٩٥م ، مكتبة وهبة / القاهرة .

(١٣١٥) انظر : إظهار الحق (٧٢٥/٣) بتصرف .

(١٣١٦) انظر : الملل والنحل (٢٢٢/١ ، ٢٢٤) .

(١٣١٧) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٨١/١) .

فلما اقتصرت الأقانيم على ثلاث صفات فقط ؟ أليست المشيئة أيضاً صفة الله (عزوجل) مستقلة عن صفة الحياة والعلم ؟ ثم أين صفة السمع ، والبصر ، والرحمة وغير ذلك من صفات كثيرة كل منها مستقل بذاته عن الآخر .

ثم إن قالوا بثلاثة أقانيم كل أقنوم بذاته ، فلابد أن يعترفوا بأن كل أقنوم منها حي سميع بصير عالم حكيم منفرد بذاته ، فهذا يؤدي إلى تعدد الذوات ، فمن ثم تعدد الآلهة ، فهذا ليس فيه توحيد البتة ، بل هو الكفر بعينه [١٣١٨] .

إن صفات الله وردت في أسفارهم ، فمنها الحكمة والرحمة والسمع والجبروت إلى غير ذلك من الصفات العديدة كما وردت في النصوص الآتية :

" لأن رحمتك أفضل من الحياة " [١٣١٩] .

" لكن قد سمع الله " [١٣٢٠] .

" وقال ليكن اسم الله مباركاً من الأزل ، وإلى الأبد لأنه له الحكمة والجبروت " [١٣٢١] .

وأيضاً معلوم أن عيسى – (عليه السلام)– ذات ، والروح القدس ذات ، فكيف تكون ذوات الأشخاص المتغايرة صفات لذات الإله الواحد ؟!

فقولهم هذا مغاير لمعاني المصطلحات الواضحة ، فكيف تكون الذوات صفات ؟ فالذات معناها ما تقوم به الصفات أو هي نفس الشيء وعينه [١٣٢٢] .

(١٣١٨) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٦١/٤) بتصرف .

(١٣١٩) المزامير ٦٣ : ٣ .

(١٣٢٠) المزامير ٦٦ : ١٩ .

(١٣٢١) دانيال ٢ : ٢٠ .

(١٣٢٢) انظر : المعجم الفلسفي .

والصفة هي كل أمر زائد عن الذات[١٣٢٣] فالصفة لا تكون ذاتاً قائمة بنفسها ، بل إن الذات هي التي تحمل الصفة .

اعتراض ورد :

وإن اعترض معترض وقال : إن بعض الصفات ترجع إلى بعض .

نقول له : إن هذا حكم ليس عليه دليل ، فإن قيل : إن القدرة ترجع إلى الوجود ، قيل له : ولم لا يرجع العلم والحياة إلى الوجود ؟ وما الفصل بينهما إلا محض التحكم .

وإن قال إن الإرادة ترجع إلى الحياة ، قيل له : ولم لا يرجع إليها أيضاً العلم، فإن جاز ذلك ، فلترجع كل صفة إلى الأخرى ، ويرجع الكل إلى الوجود ، والوجود هو نفس الذات ، فيرجع الأقانيم الثلاثة إلى واحد ، فهذا محال في نظرهم [١٣٢٤] .

فالقوم وقعوا في حيرة ، وضلال فهم لا يجدون ثلاثة معان تكون هي المستحقة لتكون جوهرية دون غيرها من الصفات [١٣٢٥] .

ثم إن من سمى العلم ابناً ، عليه أن يسمي حياته أيضاً ابناً ، لأن حياته منبثقة منه كعلمه ، إذ لا فرق بين علم الرب ، وحياته ، فعلمه لازم له .

فلماذا جعلوا العلم ابناً دون حياته ؟ فما لزمهم في علمهم يلزمهم في حياته . [١٣٢٦]

ثم إن فسروا الأقانيم بالصفات ، وقالوا إن كل صفة جوهر ، فهذا الكلام فاسد ظاهر الفساد ، لأن الصفة القائمة بغيرها لا تكون جوهراً قائماً بنفسه ، فمن ظن أن حرارة النار القائمة بها جوهر قائم بنفسه كالنار فهو مسفسط .

(١٣٢٣) انظر : المرجع السابق .

(١٣٢٤) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٨٦/١) .

(١٣٢٥) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢٩٣/٣) .

(١٣٢٦) انظر : المرجع السابق (٤٤٢/٤) .

وإن قالوا إن الصفة جوهر ، وقصدوا بذلك الصفات الذاتية دون الفعلية كالخالق والرازق ، فمعلوم أن الصفات الذاتية كثيرة ، فلم حصروها بالصفات التي فسروا بها الأقانيم ؟ [١٣٢٧]

ثالثاً : استدلالهم بأن المسيح روح الله :

يستدل النصارى على ألوهية المسيح بأن المسيح – عليه السلام – روح الله حيث زعموا أن إطلاق " روح الله " عليه هي خاصية أمتاز بها المسيح – عليه السلام – دون غيره ، ولا معنى لكونه روحاً من الله غير أن الأقنوم الثاني من الثالوث ، وأنه مرسل من قبل أبيه ، وأنه مثله ، لأن كلمة " منه " في القرآن الكريم في قوله " وروح منه " [١٣٢٨] تقتضي البعضية ، أي إنه جزء منه ، فالمسيح من الله وهو روح الله ، إذن هو إله. [١٣٢٩]

الرد عليهم :

١. إن للروح عدة معان منها :

أ. ما كانت به حياة الأجساد التي خلقها الله ، فهذه إضافة تشريف وتكريم كما أضيفت روح المسيح –عليه السلام – إليه حيث يقال له " روح الله " تضاف إلى الله " فروح منه " أي من خلقه ، أي أن عيسى – عليه السلام – من خلق الله وليس هو الله ، أو إلهاً مع الله .

وجاء في تفسير " وروح منه " أي أرسل جبريل فنفخ في درع مريم فحملت بإذن الله ، وهذه الإضافة للتفضيل ، وإن كان جميع الأرواح من خلقه تعالى ، وقيل قد يسمى من

([١٣٢٧]) انظر : المرجع السابق (٢٨٠/٣) بتصرف .

([١٣٢٨]) سورة النساء ، آية (١٧١) .

([١٣٢٩]) انظر : بشرية المسيح ونبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) في نصوص كتب العهدين ص (٩٧) بتصرف .

تظهر منه الأشياء العجيبة روحاً ويضاف إلى الله فيقال : هذا روح من الله : أي من خلقه " . (١٣٣٠)

ب . أنه الملك المبلغ لأمر الله الذي يرسله الله لرسله ، وهو الوحي وهو الروح القدس، ويسمى الوحي روحاً لأنه يحي قلوب المؤمنين . (١٣٣١)

كما في قوله تعالى : M c d e f g h i j k l m n o p q r s t u L. (١٣٣٢)

(١٣٣٠) فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير ، للإمام محمد الشوكاني (٥٤٠/١) ، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م ، المكتبة الفيصلية / مكة المكرمة .

(١٣٣١) انظر : المرجع السابق (١٤٧/٣) ، (٤٨٥/٤) .

(١٣٣٢) سورة النحل ، آية (٢) ، ومثل قوله تعالى (.. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم) القدر (٤) ، ولأن جبريل هو روح كل ملة ، إذ لا يكون الرسول رسولاً إلا بنزول جبريل عليه ، وقال تعالى : " نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين " – الشعراء آية ١٩٣ ، والله أعلم .

وكذا في قوله تعالى : Mرَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ ´ µ ¶ ¸ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ L .[١٣٣٣]

جـ. ما تقوم به حياة القلوب وهو القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : M ! "
$ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 9 : ;
< = > L .[١٣٣٤]

وجاء في معنى الروح في هذه الآية الكريمة أن المراد به — أي الروح — القرآن الكريم لأنه يهتدي به ، ففيه حياة من موت الكفر .[١٣٣٥]

د . وقيل هي بمعنى النصر والتوفيق والتسديد والإيمان[١٣٣٦] كما في قوله تعالى :
M 7 8 9 : ; < = > L .[١٣٣٧]

فالمعنى الصحيح " لروح الله " هو أن الله خلق روحاً نفخها فيه ، أي في عيسى – عليه السلام – .

إذاً : فالروح هنا اسم للنفس المقومة للجسم الحيواني ، فالروح المذكورة في حق عيسى – عليه السلام – هو الروح الذي بمعنى النفس المقومة لبدن الإنسان .[١٣٣٨]

فهذا هو المعنى الحق الذي يصدق ويصلح في حق عيسى – عليه السلام – .

في كونه روحاً منه ، وكذلك أتت بنفس هذه المعاني في أسفار النصارى مثل :

(١٣٣٣) سورة غافر ، آية (١٥) .

(١٣٣٤) سورة الشورى ، آية (٥٢) .

(١٣٣٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٤/٥٤٥) .

(١٣٣٦) انظر المرجع السابق (٥/١٩٣) .

(١٣٣٧) سورة المجادلة ، آية (٢٢) .

(١٣٣٨) انظر : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ص (٧٢) ، بتصرف .

" إنه مادمت نسمتي في ونفخة الله في أنفي " . [1339] فهنا الروح بمعنى ما به حياة الجسد .

" الوحي الذي أرسله الله بروحه عن يد الأنبياء " . [1340] فهنا الروح بمعنى الوحي.

٢. إن إطلاق روح الله يصدق على جميع أرواح الناس ، فلا يختص هذا الإطلاق بعيسى – عليه السلام – فقط ، وإنما كان إطلاقه جائزاً في غير المسيح – عليه السلام – لأن الجميع من خلقه ومن عنده (عز وجل) وإنما كان هذا الإطلاق وهذه الإضافة للتشريف ، والإصطفاء لأن ما يضاف إلى العظيم يكون عظيماً ، مثل أن يقال " روح الله " كما يقال " بيت الله " و " ناقة الله " و " عباد الله " وإن هذه الإضافات إضافة أعيان لا إضافة صفات ، وإضافة " روح منه " لعيسى – عليه السلام – هي من هذا القبيل.

ويدل ذلك على أنها – أي المضافات – مخلوقة لله مملوكة له سبحانه ولكنها مختصة بصفات ميزها عن غيرها ، حتى استحقت إضافة التشريف والتكريم. [1341]

وكما في قوله تعالى : M u v w x y z { | } ~ L. [1342]

أي خلق سبحانه فيه الحياة بغير واسطة النطفة كما أبدع الحياة في آدم – عليه السلام – كما دل ذلك أيضاً في قوله تعالى : M v w x y z { | | ~ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ L . [1343] [1344]

(1339) أيوب ٢٧ : ٢ .

(1340) زكريا ٧ : ١٢ .

(1341) أنظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٢٤٨-٢٤٩) .

(1342) سورة ص ، آية (٧٢) .

(1343) سورة آل عمران ، آية (٥٩) .

(1344) الجوهر الفريد في رد التثليث وتأييد التوحيد ، أيوب صبري ص (١٤) . الطبعة الأولى ١٣١٩هـ ، مكتبة الأزهر .

ففي هذا الإطلاق إشارة إلى آية الله في خلق عيسى – عليه السلام – كما هو في حق آدم – عليه السلام – .

فإذا كان خلق عيسى – عليه السلام – عجيباً ، فإن خلق آدم – عليه السلام – وحواء أعجب من خلقه .

فإن عيسى – عليه السلام – خلق من أنثى بلا ذكر ، وخلقت حواء من ضلع آدم – عليه السلام – أي من ذكر بلا أنثى ، فخلقها كان أعجب من خلق المسيح – عليه السلام – في بطن مريم ، وخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى أعجب من هذا ، وأعجب من ذاك .

فلهذا شبه الله خلق عيسى – عليه السلام – بخلق آدم – عليه السلام – لأنه أعجب من خلق المسيح – عليه السلام – فإذا كان الله قادراً على أن يخلق من تراب ، والتراب ليس من جنس البدن ، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة من جنس بدن الإنسان ؟ فقد خلق الله آدم من تراب ثم قال له كن فكان فكذلك المسيح – عليه السلام – نفخ فيه من روحه وقال له كن فكان ، ورغم ذلك لم يكن آدم – عليه السلام – بما نفخ فيه من روحه إلهاً بل كله ناسوت ، فكذلك عيسى – عليه السلام – كله ناسوت ليس فيه ألوهية . [1345]

٣. لقد ورد في أسفار النصارى إضافة روح الله إلى غير المسيح – عليه السلام – حيث أضافها القوم إلى كثير من الأنبياء ، وأهل روميه ، كما في النصوص الآتية :

" ولبس روح الله زكريا " . [1346]

" وأجعل روحي في داخلكم " . [1347]

[1345] انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/٥٥) بتصرف .

[1346] أخبار الأيام الثاني ٢٤ : ٢٠ .

[1347] حزقيال ٣٦ : ٢٧ .

" إن كان روح الله ساكناً فيكم " . [(١٣٤٨)]

والنصارى أنفسهم يوافقون في عدم ألوهية جميع من أضيفت إليهم روح الله كالأنبياء، وإن هذه الإضافة إضافة تشريف وتكريم ، وليست إضافة حلول حقيقي ، وهم كذلك يوافقون في وجوب التأويل .

فما الذي جوز لهم القول بالحلول الحقيقي في المسيح – عليه السلام – ؟!

فإذا تأولت ظاهر النصوص في غير المسيح – عليه السلام – وجب تأويلها أيضاً في حق المسيح – عليه السلام – ، وإلا إذا كان عند القوم دليل آخر يخصصه دون غيره فليظهروه ، وإلا فهم بالدليل مطالبون بل يجب عليهم المساواة بينه ، وبين غيره في عدم الألوهية. [(١٣٤٩)]

ثم إن أشعياء فسر في أسفارهم المقصود بروح الله تفسيراً يزيل الغموض والشبهة ، ويدفع حجة النصارى ، وزعمهم بألوهية المسيح – عليه السلام – فقال : " ويحل عليه روح الرب روح الحكمة ، والفهم روح المشورة ، والقوة روح المعرفة ، ومخافة الرب ، ولذاته تكون مخافة الرب ، فلا يقضي بحسب نظر عينيه ، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه بل يقضي بالعدل للمساكين ، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه ، ويميت المنافق بنفخة شفتيه ، ويكون البر منطقة متينة والأمانة منطقة حقوية[(١٣٥٠)]". [(١٣٥١)]

(١٣٤٨) روميه ٨ : ٩ .

(١٣٤٩) انظر : بشرية المسيح ونبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، في نصوص كتب العهدين ص (٩٩) بتصرف .

(١٣٥٠) مفردها حق : وهي أعلى عظمة الفخذ ، وتشير إلى وسط الجسم ، المعين معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس.

(١٣٥١) أشعياء ١١ : ٢–٥ .

فلقد فسر إشعياء الروح بمعنى الحكمة والفهم والمشورة والقوة والمعرفة ومخافة الرب ، ولم يفسرها بالأقنوم الثالث ، وبكون المسيح (عليه السلام)ابن الله أو إلهاً .

٤. وأما زعمهم أن " من " في قوله " وروح منه " هنا للتبعيض ، فهو زعم خاطئ غير صحيح .

فقوله " وروح منه " لا يقتضي التبعيض فهي كقوله تعالى M وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ â ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ç L .[١٣٥٢]

والمعنى أنه من خلقه ومن عنده ، وإذا زعم النصارى أن من للتبعيض يلزم أن يكون جميع من في السماوات والأرض أجزاء فيه تبارك وتعالى فهذا باطل .

وإذا اعتقد النصارى أن معنى " منه " في هذه الآية لا يلزم منه للتبعيض ، وأن جميع هذه الأشياء ليست أجزاء منه سبحانه ، فكذلك يلزمهم نفس القول في حق المسيح – عليه السلام – في قوله " وروح منه " .[١٣٥٣]

وبذلك يلزمهم أيضاً أن يعترفوا بأن المسيح – عليه السلام – هو خلق من خلق الله ، ومن عنده ، وليس جزءا من الرب ولا الله تعالى .

وبذلك يكون المعنى أن جميع هذه الأشياء الموجودة في السماوات والأرض مخلوقة لله (عز وجل) مملوكة له سبحانه وتعالى .

فإضافة التشريف والتكريم ليس فيها دلالة على البعضية ، ثم إنهم إذا جوزوا أن من للتبعيض وأن عيسى – عليه السلام – جزء من الله أي إنه ابنه فإنهم بقولهم هذا يجوزون أن الله يتجزأ – تعالى الله عن ذلك – ، فهذا كفر صريح بين .

(١٣٥٢) سورة الجاثية ، آية (١٣) .

(١٣٥٣) انظر : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، (٨٤/٦) .

ثم إنهم خالفوا معتقدهم في أن الإله لا يتجزأ ولا يتبعض ، فأقوال النصارى مضطربة غير متزنة لقيامها على غير هدى من الله تعالى ، ثم إن علماء اليهود الذين ورث النصارى منهم أسفار العهد القديم مجمعون على خلاف ما ذهب إليه النصارى في تأويل هذه النصوص ، وهم بهذا خالفوا إجماع من ورثوا منهم علم الكتاب .

رابعاً : استدلالهم على ألوهية المسيح :

استدل النصارى على ألوهية المسيح – عليه السلام – في كونه كلمة الله فقالوا : إن إضافة الكلمة إلى الله يدل على أنها هي الأقنوم الثاني ، المتصل بالأقنوم الأول المتحد معه ، والتعبير بالإلقاء يشير إلى أن هذه الكلمة جوهر مستقل قديم " . [١٣٥٤]

الرد عليهم :

١. لا حجة للنصارى على ألوهية المسيح –عليه السلام – في كون عيسى – عليه السلام – كلمة الله ، لأن معنى الكلمة هنا " كلمة التكوين " فالكلمة الملقاة هي كلمة " كن " التي هي أمر الإيجاد والتكوين ، وإنما كانت إضافة الكلمة لعيسى – عليه السلام – إضافة تشريف ، وإلا فالجميع خلقوا بكلمة التكوين والإيجاد :" كن " كما خلق بها المسيح – عليه السلام – ولما كان تأثر الكلمة في شأن المسيح أقوى وأظهر لولادته من غير أب أطلق عليه اسم الكلمة.

" فالكلمة الملقاة : هي كلمة " كن " التي هي أمر الإيجاد والتكوين ، وليست كلمة "كن " هي التي صارت عيسى ، ولكن بالكلمة صار عيسى ، فليس هو نفسه " كن " ولكنه كان ، وصار ، وتكون ، ووجد ، وخلق " بكن " .

([١٣٥٤]) بشرية المسيح ونبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) في نصوص كتب العهدين ص (١٠٢) .

ولو كانت الكلمة هي نفسها عيسى ، لكان الكلام الذي سمعه موسى – عليه السلام– هو المسيح عينه – حين كلم الله تكليماً – ، ولم يقل بهذا المعنى الباطل أحد ، والخالق لم يخلق الأشياء بعيسى ، لأن عيسى نفسه مخلوق وكلام الله ليس مخلوقاً ، ولكن عيسى مخلوق بالكلمة، فليس هو الخالق لها بل خلق بها ، ومازال الله يخلق ما يشاء بكلماته التي لا تنفد " .[١٣٥٥]

فهناك النصوص العديدة في أسفار كتابهم المقدس التي تدل على أن معنى الكلمة هي أمر الإيجاد والتكوين .

مثل " لأنه قال فكان ، هو أمر فصار " .[١٣٥٦]

" وقال الله ليكن نوراً : فكان نور " .[١٣٥٧]

إذاً .. اخفض المسيح – عليه السلام – بإطلاق الكلمة عليه لأنه خلق خلقاً إبداعياً على غير السنة المعروفة عند البشر ، لذلك شبه الله خلقه بخلق آدم – عليه السلام – لأن كليهما جعلت فيهم الحياة بالكلمة من غير واسطة النطفة ، ولقد كون عيسى بنفس الكلمة التي كونت بها جميع الأشياء ، فلما اختصوا المسيح – عليه السلام – بالألوهية دون غيره.

وإن جازت الألوهية في حق المسيح – عليه السلام – كانت في حق آدم – عليه السلام– أولى لأن خلقه أعجب من خلق عيسى – عليه السلام – .

٢. يتبين أيضاً بطلان قولهم بأن الكلمة التي هي بزعمهم هي المسيح وهي الخالقة بأن الكلمة صفة ، والصفة لا تكون ذاتاً قائمة بنفسها خالقة .

([١٣٥٥]) المرجع السابق ، ص (١٠٤) .

([١٣٥٦]) المزامير ٣٣ : ٩ .

([١٣٥٧]) التكوين ١ : ٣ .

" والفرق بين الخالق للسماوات والأرض وبين الكلمة التي بها خلقت السماوات والأرض أمر ظاهر معروف ، كالفرق بين القادر والقدرة ، فإن القادر هو الخالق وقد خلق الأشياء بقدرته ، وليست القدرة هي الخالقة .

وكذلك الفرق بين المريد والإرادة ، فإن الله خلق الأشياء بمشيئته وليس مشيئته هي الخالقة ، وكذلك الدعاء والعبادة هي للإله لا شيء من صفاته ، فالناس كلهم يقولون : يا الله يا ربنا يا خالقنا ارحمنا ، اغفر لنا ، ولا يقول أحد : يا كلام الله اغفر لنا وارحمنا ولا يا قدرة الله ، ويا مشيئة الله ، ويا علم الله اغفر لنا وارحمنا ، والله تعالى يخلق بقدرته ومشيئته وكلامه ، وليست صفاته هي الخالقة " . (١٣٥٨)

فمعلوم أن الصفة ليست إلهاً ، ولا تكون خالقة ، ولا يقال عنها : إنها مولودة من الله ولا مساوية له في الجوهر ، بل ولم يقل أحد من الأنبياء ولا أتباعهم بهذا القول .

فإن إلقاء الكلمة إلى مريم ليس فيه دلالة على أنها أي الكلمة جوهر مستقل فيه طبيعة لاهوتية .

فكلمات الله كثيرة والمسيح – عليه السلام – كلمة من كلمات الله ، أو خلق بكلمة واحدة ، وليس مجموع الكلمات ، وليس هو كلامه كله ، وبالكلمة كانت حياة المسيح –عليه السلام – الجسدية . (١٣٥٩)

فكما أن المسيح كلمة من كلام الله وكلام الله صفة من صفات الله ،فالتوراة كلام الله ، والإنجيل كلام الله ، ولا أحد يقول أن شيئاً من ذلك إله خلق السماوات والأرض ، ولا أحد يقول في المناجاة : يا كلام الله أغفر لي وارحمني .

ولقد ورد في أسفارهم تعدد كلمات الله مثل :

" الرب يعطي الكلمة ، المبشرات بها جند كثير " . (١٣٦٠)

(١٣٥٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٩٤/٤–٥٠) .

(١٣٥٩) انظر : بشرية المسيح ونبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) في نصوص كتب العهدين ص (١٠٣) .

" أرسل كلمته فشفاهم " . [1361]

" هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إلى فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها له " . [1362]

ففي هذه الفقرات دلالة على أن كلمة تعمل ، وتعطي ، وترسل ولم يدل ذلك على جوهريتها المستقلة ، فماذا دلت في حق المسيح – عليه السلام – على الجوهرية المستقلة ؟

ولم تدل بهذا المعنى في حق هذه الكلمات ، فما لزمهم في الأول " في معنى الكلمات " يلزمهم في الثاني " في حق المسيح – عليه السلام — " فكما أنهم لا يقولون بجوهرية واستقلال هذه الكلمات الواردة في النصوص السابقة ، إذاً لزمهم القول نفسه في حق الكلمة الملقاة إلى مريم .

وأَنَّ إلقاء الكلمة لا يدل على لاهوتيها ولا استقلالها ، كما أن الكلمة التي ترسل وتعطي ، وتعمل في النصوص السابقة لا تدل على جعلها جوهراً مستقلاً ذا طبيعة لاهوتية، فكما جاز التعبير عنها بذلك جاز ذلك في حق الكلمة الملقاة إلى مريم . [1363]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " إن المسيح جوهر قائم بنفسه ، والكلام صفة قائمة بالمتكلم ، وليس هو نفس الرب المتكلم ، فإن الرب المتكلم هو الذي يسمونه الآب ، والمسيح ليس هو الآب عندهم ، بل الابن . فضلوا في قولهم من جهات :

منها جعل الأقانيم ثلاثة ، وصفات الله لا تختص بثلاثة .

ومنها : جعل الصفة خالقة ،والصفة لا تخلق .

(1360) المزامير ٦٨ : ١١ .

(1361) المزامير ١٠٧ : ٢٠ .

(1362) إشعياء ٥٥ : ١١ .

(1363) انظر : بشر ية ا لمسيح ونبوة محمد (صلى الله عليه و سلم) ، في نصوص كتب العهدين ص (١٠٣) .

ومنهـا : جعلـهم المـسيح نفـس الكلمـة ، والمـسيح خلـق بالكلمـة فقيـل لـه " كـن فكان"[1364] .

٣. بطلان احتجاج النصارى على ألوهية المسيح – عليه السلام – بالنص الموجود في إنجيل يوحنا : " في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله "[1365] .

إن هذا النص باين البطلان ظاهر الفساد ، فاحتجاجهم بهذا النص احتجـاج فاسـد فهذا النص إذا قصدوا به :

أ . أن الكلمــة شــيء غــير الله أي أن الكلمــة ذات ، والله ذات ، أي أن الله إلــه ، والكلمة إله ، فهذا شرك واضح فيه تعدد الآلهة لايقول به موحد .

ب. وأمـا أن الكلمـة هـي ذات الله ، فهـذا تنـاقض واضح وكـلام مـضطرب غايـة الاضطراب.

فكيف تكون الكلمة هي الله ، وهي عند الله ؟ فيلزم ذلـك أن الله كـان عنـد نفـسه ، فكيف يكون الواحد عند نفسه ؟

والنصارى يقولون بتجسد الكلمة " الله " حيث إن اللاهوت اتحد بالناسـوت وصـارا شيئاً واحداً فكيف تقولون بالعندية حيـث إن العنديـة تـدل علـى الانفـصال والاتحـاد في الوقت نفسه ، فهنا تناقض عجيب في الألفاظ والمعاني .

فإن قوله " والكلمة كان عند الله لا يلتئم مع قوله : وكان الكلمة الله ، فإذا كـان الله عين الكلمة لا يصح أن تكون الكلمة عنده لأن العندية تقتضي المغـايرة لأنهـا عبـارة عـن حصول شيء عند شيء كحصول المال عند زيد وزيد غير المال وهذا ظاهر لا غبـار عليـه ، فكيف تكون الكلمة عنده ، وتكون عينه ثم تتجسد وتكون ابنه والابـن عـين أبيـه والآب عين الابن . ولا أظن أن من يعرف معنى الكلمة ، والكلام ، يتفوه بمثـل هـذا الهـذيان ،

([1364]) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٣١٦) .

([1365]) يوحنا : ١ : ١ .

لأن الكلمة والكلام صفة للمتكلم ،والصفة لا تكون عين الموصوف ، فكلمة الله ليست ذات الله تعالى ، ولم نر في شرائع الأنبياء ، وكتبهم إطلاق الكلمة على ذات الله عز وجل " [١٣٦٦] .

ثم إنه كيف يكون هو الله وهم يزعمون أنه أقام على الأرض ما شاء أن يقيم ثم صعد بعد موته ، وجلس عن يمين أبيه .

٤. بطلان تخصيص المسيح – عليه السلام – بأنه كلمة ا لله ، ومن غيره فجميع الخلق خلقوا بكلمة ا لله ، وكان إطلاق الكلمة على المسيح – عليه السلام – لكونه لم يخلق على الوجه ا لمعتاد الذي خلق عليه سائر البشر ،فشبه لله خلقه بخلق آدم – عليه السلام – بل خلق آدم أعجب منه . فخلق آدم – عليه السلام – من طين الأرض بكلمة ا لله " كن " وكذا حواء خلقت من غير أم ، فخلقت من ضلع آدم – عليه السلام – بكلمة الله " كن " ومع هذا الوضوح لم تقل النصارى ولا أحد من البشر بألوهية آدم وحواء .

فكما اعتقد النصارى عدم الألوهية في حق آدم وحواء ،وجب عليهم اعتقاد ذلك في حق المسيح – عليه السلام – لأن خلقه لم يكن أعجب من خلق آدم وحواء .

٥. لقد وردت في أسفار النصارى أنه بكلمة ا لرب صنعت السماوات مثل :

" بكلمة ا لرب صنعت السماوات وبنسمة فيه كل جنودها " [١٣٦٧] .

فهنا فسر النصارى الكلمة في هذا النص بالأقنوم الثاني ، والشخص الإلهي ونقول لهم إنه جاء في أسفارهم أيضاً :

" إني أنا صنعت الأرض والإنسان ، والحيوان الذي على وجه الأرض بقوتي العظيمة وبذراعي المدودة " [١٣٦٨] .

([١٣٦٦]) الفارق بين المخلوق والخالق ، ص (٣٤٣) .

([١٣٦٧]) المزامير ٣٣ : ٦ .

([١٣٦٨]) إرميا ٢٧ : ٥ .

" صانع الأرض بقوته ومؤسس المسكونة بحكمته ، وبفهمه مد السماوات "[١٣٦٩] .

فنقول : لما فسروا الكلمة بأنها إلهة وأقنوم ثان ، ولم يفسروا قوته وفهمه وذراعه ، وحكمته ، على أنها أقانيم أخرى مشاركة للكلمة في الصنع " [١٣٧٠] .

" ولا دليل على المنع من وحدة المعنى في هذه ا لألفاظ ، وأمثالها ،لمساواتها للكلمة في نسبة ا لصنع إلى الله ، والمتكلم بها واحد في كتاب ا لله ، فإما أن تكون الجميع أقانيم مشاركة ، وإما أن تفسر الكلمة بالتكوين .

وأخيراً فإنه لم يرد في الأسفار ما يصرح أو يلمح إلى أن الكلمة تطلق على الأقنوم الثاني ، ولا على شخص إلهي قائم بذاته متميز عن الله ومساوٍ له ، وعلى المسيح بهذا المعنى .

ولو صح ورودها فهي محتاجة إلى التأويل لبعدها عن ا لكلام ا لصريح الذي لا يحتمل الدلالة على معنى آخر ،والتأويل لابد أن يكون مطابقاً لمعنى النصوص الصريحة ا لموافقة لدليل العقل ، والنقل ، اللذان يدلان على أنه لا معنى لكلمة ا لله إلا أمره ، ويدلان على وجوب التفريق بين ا لأمر وذات الأمر ، وبين الكلمة وذات المتكلم ، واستحالة كونهما واحداً"[١٣٧١].

وبهذا لم تبق أي شبهة في أن المسيح – عليه السلام – قد خلق بكلمة ا لله كلمة ا لتكوين " كن " لأن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون .

([١٣٦٩]) إرميا ٥١ : ١٥ .

([١٣٧٠]) انظر بشرية المسيح ونبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) في نصوص كتب العهدين ص (١١٠) بتصرف.

([١٣٧١]) المرجع السابق .

خامساً : تـزعم جميـع طوائـف النـصارى أن الكلمـة تجـسدت في المـسيح –عليـه ا لسلام– حيث إن الكلمة التي هي عندهم " أقنوم الابن " " الإله الثاني " اتحدت بالمـسيح – عليه السلام – وتدرعت بالناسوت [١٣٧٢] .

ثم إن القوم اختلفوا في تفسير معنى ا لاتحاد اختلافاً متبايناً ، حيـث انقـسموا إلى أقوال عدة : فاختلف القوم في الألفـاظ ،فأخـذ كـل مـنهم يـزين الألفـاظ حتـى يـستطيع التمويه على السامع ، فأخذ القوم يفرون من تطابق الألفاظ حتى لا يقع كل منهم في خطـأ الآخر ، وإلا فالحقيقة أن جميع ألفاظ ا لقوم كفرية ، قال تعـالى : M k l m
n o p q r s t v w x z { | }
~ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ L [١٣٧٣] .

الرد عليهم :

١. إن قولهم إن الكلمة اتحدت اتحاداً برياً مـن اخـتلاط أو تغـير واسـتحالة كـلام فاسد متناقض ، فإن معنى الاتحاد أن يصير الاثنان واحداً ، فيقال قبـل ا لاتحـاد كـان ا للاهوت جوهراً ،والناسوت جوهراً .

فإن كان ا لشيئان اثنين بعد الاتحاد كما كانا ، فلا اتحاد ، بل همـا متعـددان كمـا كان متعددين ، وإن كان قد صار شيئاً واحداً ، فإن كان هذا الواحد هو أحدهما ، فالآخر قد عدم ، وهذا عدم لأحدهما لا اتحاده ، وإن كان هذا الذي صار واحداً ليس هو أحـدهما ، فلابد من تغييرهما واستحالتهما، و إلا فلو كانا بعد الاتحاد اثـنين بـاقيين بـصفاتهما لم يكن هناك اتحاد [١٣٧٤] .

(١٣٧٢) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤ / ٧٩) .

(١٣٧٣) التوبة ، آية (٣٠) .

(١٣٧٤) انظر : المرجع السابق (٦/٤) بتصرف .

٢. أما عند قولهم إن الكلمة تجسدت في جوف مريم ، فنقول لهم : متى تجسدت الكلمة ؟ هل تجسدت لساعتها أو تجسدت في يوم بعد يوم أو ساعة بعد ساعة ؟ فكلا القولين باطل .

فإن قالوا تجسدت لساعتها فلا يكون إنساناً تاماً – كما يزعمون – لأن الإنسان التام هوا لذي يكمل نموه في تسعة أشهر ، والإنسان التام هو الذي تم نموه شيئاً فشيئاً خلال مدة الحمل .

وإذا قالوا إنه تجسد في يوم بعد يوم أو ساعة بعد ساعة فهذا ليس بإله تام –كما يزعمون – إذ من المحال أن يجوز على ا لإله النمو والزيادة فهذا محال في حق الإله القديم ، إذ إن النمو والزيادة لا تجوز إلا على المحدث .

وإن قالوا إن الكلمة تجسدت في بطن مريم ، فقد صارت متجسدة بعد ما لم تكن متجسدة ، فهذا بعينه التغير الذي هو دليل الحدوث [١٣٧٥] .

٣. عند قولهم إن الإله حل في المسيح –عليه السلام – نقول لهم : هل حل فيه بكليته ، أم حل جزء من الإله فيه ؟

أ. إن قالوا أنه حل فيه بكليته ، نقول لهم : هل تغير فيه شيء بعد الحلول سواء صفاته أو أفعاله .

فإن قالوا : لا لم يتغير فيه شيء ، فهذا كذب لا يملكون عليه دليلاً حيث إن المسيح – عليه السلام – بعد التعميد والحلول المزعوم ظل على ما كان عليه كما تحكي ذلك أسفارهم فبقي إنساناً آدمياً يبكي وينام ويأكل ويشرب ويبول ويتغوط ويخاف من أعدائه ، فيهرب ويعترف بأنه عبد الله فيصلي ويصوم .

فجاء في أسفارهم : " جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب " [١٣٧٦] .

([١٣٧٥]) أنظر :أدلة الوحدانية في الرد على ا لنصرانية ص (٦٦) بتصرف .

([١٣٧٦]) متى ١١ : ١٩ .

"وفي تلك ا لأيام خرج إلى الجبل ليصلي ،وقضى الليل كله في الصلاة لله " [1377] .

فهذه الفقرات دالة دلالة واضحة على أن المسيح – عليه السلام – متـصف بـصفات البشر ، وأنه لم تتحول صفاته ،وأفعاله مـن ناسـويته إلى لاهوتيـة مـدة وجـوده في بـني إسرائيل حتى بعد الحلول الذي يزعمونه .

وإن قالوا إنه لم يتغير منه شيء بعد الحلول ، قلنا لهم : إذاً ما فائدة هذا الحلول وما أثره وما دليله ؟

فإن قالوا : دليله الآيات ،والمعجزات ا لتي فعلها ، قلنالهم : إن هذا ليس بدليل ، لأن جميع الأنبياء أيدهم الله بالمعجزات ، بل بأعظم منها ، فلم يختص المسيح – عليه السلام – بالمعجزات دون غيره من الأنبياء ؟!

ب. وإن قالوا إنه حل جزء من الإله فيه ، قلنا إن هذا الجزء الذي زعمتم أنه حـل فيه غير معتبر في تحقيق الألوهية ، ولا فائدة منه ، ولا قيمة لـه ، وأيـضاً قـولهم هـذا يؤدي إلى تجزؤ الإله ، وهو محال في حق الإله القديم [1378] .

٤. أ. وإذا كان الاتحاد على جهة الظهور ، كظهـور صـورة ا لإنـسان في المـرأة أو ظهور كتابة الخاتم إذا وقع على طين أو شمع ، فقوله هذا لا يثبت اتحاداً حقيقيـاً ، بـل يثبت التغاير كما أن كتابة الخاتم الظـاهرة علـى طـين أو شمـع غـير الخـاتم ، وصـورة الإنسان في المرآة غير الإنسان ، فكذلك أقنوم ا لابن غير المسيح – عليه السلام– بـل غايـة ما يلزم أن يكون ظهوره أثر صفة ا لأقنوم فيه أكثر من ظهوره في غيره . [1379]

ب . فعندما يقولون : إن أقنوم الابن إذا حل في عيسى – عليه السلام – فلـم يخلـو إما أن يكون باقياً في ذات الله أيضاً أولا .

(١٣٧٧) لوقا ٦ : ١٢ .

(١٣٧٨) انظر : براهين تحتاج إلى تأويل في ألوهية ا لمسيح ص (٦٦–٦٧) . بتصرف .

(١٣٧٩) انظر : إظهار الحق (٣ / ٧٢٩) .

فإن قالوا : إنه باق في ذات الله، لزم أن يكون الحال الشخصي في محلين ، وإن قالوا: إنه ليس باقياً ، لزم أن تكون ذات الله خالية عنه ، فينتفي ، لأن انتفاء الجزء يستلزم انتفاء الكل .

وإن كان ذلك الاتحاد بدون الحلول قلنا : إن أقنوم الابن إذا اتحد بالمسيح – عليه السلام – فهما في حال الاتحاد إن كانا موجودين فهما اثنان لا واحد ، فلا يكون هناك اتحاد وإن عدما لا يكون اتحاداً بل عدم الشيئين ، وإن بقي أحدهما وعدم الآخر ، فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالموجود لأنه يستحيل أن يقال : المعدوم بعينه هو الموجود فظهر أن الاتحاد محال [١٣٨٠] .

ج . وقولهم إن الكلمة ا نقلبت لحماً ودماً – وهذا مذهب اليعقوبية – باطل صريح البطلان ،لأنه يستلزم انقلاب القديم حادثاً والمجرد مادياً [١٣٨١] .

د . إن ا لاتحاد بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي لوكان حقيقياً للزم أن يكون أقنوم الابن متناهياً محدداً ، وكلما كان محدداً ومتناهياً كان لقبول ا لزيادة والنقص ممكناً ، وكلما كان كذلك كان اختصاصه بالمقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر ، وكلما كان كذلك فهو محدث ، فيلزم من ذلك أن يكون أقنوم الابن محدثاً ، وحدوث الابن يستلزم حدوث الله ، وهذا محال في حق الإله القديم أن يصير محدثاً [١٣٨٢] .

هـ . وإذا كان مرادهم بالاتحاد أن الآب أوجد ولداً من نفسه ، فهذا محال لأنه يؤدي إلى ا لتسلسل ، فلذلك الابن يوجد ابناً وهكذا إلى ما لا نهاية له [١٣٨٣] .

(١٣٨٠) انظر : المرجع السابق بتصرف .

(١٣٨١) انظر : المرجع السابق بتصرف .

(١٣٨٢) انظر : المرجع السابق (٣ / ٧٢٧) .

(١٣٨٣) انظر : اليهودية والمسيحية ص (٤٦٢) بتصرف .

و . وإن قالوا إن اللاهوت والناسوت اتحدا فصار أباً وابناً يقال لهم : إن الشيئين إذا اتحدا لا يخلو من ثلاثة وجوه :

– إما أن يكونا موجودين فهذا مستحيل ، لان الاثنين لا يصيران واحداً .

– وإما أن يكونا معدومين فالمعدومان لا يوصفا بالاتحاد ، وبطلانهما لا يحتاج إلى دليل .

– وإما يكون أحدهما موجوداً والآخر معدوماً فهذا مخالف للعقل حيث إن الموجود والمعدوم لا يتحدان [١٣٨٤] .

٥. ثم إنهم يقولون : إن المسيح – عليه السلام – أصبح إلهاً بحلول الكلمة فيه التي هي بزعمهم الله .

وفي نفس الوقت يؤمنون بعقيدة العشاء الرباني ، وأن من أكل من هذا العشاء بزعمهم حل فيه جسد المسيح – عليه السلام – كما هو في أسفارهم مثل .

" ومن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية ، وأنا أقيمه في اليوم الأخير . لأن جسدي مأكل حق ، ودمي مشرب حق ، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في ، وأنا فيه" [١٣٨٥] .

وإمّا أن يقولوا : إن جميع النصارى آلهة فهو باطل بإجماع المسلمين ، و النصارى أنفسهم ، وإما أن يقولوا ببشرية المسيح – عليه السلام – وبشرية النصارى جميعاً معه ، حتى يسلموا من معارضة أنفسهم .

ثم إنه قد ثبت في أسفارهم أن الإله لا يحل في إنسان ، كما جاء في سفر التكوين : " فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى ا لأبد " [١٣٨٦] .

(١٣٨٤) انظر : المرجع السابق بتصرف .

(١٣٨٥) يوحنا ٦ : ٥٤ ، وانظر : كورنثوس الأولى ٦ : ١٥ ، ويوحنا الأولى ٤ : ١٥ .

(١٣٨٦) التكوين ٦ : ٣ .

٦. أ / بطلان زعم من قال إن أحد نوعي الاختلاط يكون عن تغير واستحالة بخلاف النوع الآخر الذي هو ا ختلاط لطيف ،و غليظ مثل خلطة النفس والجسد .

نقول : إن هذه دعوى باطلة وممتنعة ، لأنه لم يقم عليها دليل ، ولا يكون اختلاطاً بين شيئين إلا مع تغير واستحالة وأما إذا قال إن اختلاط اللطيف والغليظ ليس خلطة تغير ولا احتيال ، فهو قول باطل لكل من تصوره .

لأن الجسد إذا خلا من النفس قبل نفخ الروح أو بعد مفارقة ا لروح له بالموت هل يبقى الجسد كما هو من غير تغير واستحالة ؟

وأيضاً آدم – عليه السلام – خلق من تراب وماء ،وصار صلصالاً كالفخار ثم نفخت فيه الروح فصار جسداً من لحم وعظم وعصب ودم .

فهل يقول عاقل : إن جسد آدم – عليه السلام – قبل النفس وبعدها على صفة واحدة لم يتغير ولم يستحل .

وأي تغير أعظم من انتقال الجسد من الموت إلى ا لحياة .

ومعلوم بالحس والعقل الفرق بين الحي والميت .

فإن الجسد قبل نفخ ا لروح فيه ميت لا يحس ،ولا يتحرك ولا يسمع ولا يتفكر ، ولا يحب ولا يبغض ، ولا يشتهي ، ولا يغضب ، ولا يأكل ولا يشرب ، فإذا اتصلت به النفس تغيرت أحواله ،واستحالت صفاته ثم أصبح حاساً متحركاً فكيف يقال إن خلطة النفس والجسد لا تؤدي إلى التغير والاستحالة ؟ فهل يقول عاقل إن الجسد حاله وصفاته مع مفارقة النفس له ،كحاله وصفاته مع مخالطتها له ؟

وهل يقول عاقل : إن الجسد بعد موته ومفارقة النفس له حاله وصفاته كحاله وصفاته إذا كانت النفس مختلطة به وهو إذا مات كالجماد لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا ينطق ، ولا يمشي ، وتغير الجسد بالحياة بعد الموت ، وبالموت بعد الحياة من أعظم التغيرات والاستحالات .

فإذا شبهوا اتحاد الرب بالمسيح – عليه السلام – باتحاد النفس والبدن وهم يقولون :إن المسيح – عليه السلام – وكل أحد إذ ضرب وصفع وصلب فتألم بدنه وتألمت نفسه أيضاً.

فإن كل الألم نفس المسيح وجسده كالنفس مع الجسد ، وجب أن يكون الرب يتألم بتألم الناسوت ، ويجوع بجوعه ، ويشبع بشبعه ، فإن ألم الجوع ولذة الشبع يحصلان للنفس إذا جاع البدن وشبع [١٣٨٧] .

ب . وإن شبهوا اتحاد الكلمة باتحاد النار بالحديد ، فإن ذلك فيه استحالته عن صفته ، فلم يبق حديداً محضاً ، وليست ناراً محضاً والخشب وغيره إذا حرق وصار ناراً فليس هو خشباً محضاً وليس هو ناراً محضاً .

إذاً : من شأن الشيئين إذا اتحدا أن يستحيل كل منها إلى جوهر ثالث وطبيعة ثالثة ، ليست هذا ولا هذا ، فيصبح لا حديدا محضاً ولا ناراً محضة ، ولكن الحديد إذا برد هو حديد لكن تغيرات حقيقته ، فالنار تلينه وتذهب خبثه ، ولا يبقى بعد اتحاده بالنار كما كان قبل ، والخشب يصير فحماً ، وهو جوهر ثالث لا خشباً محضاً ، ولا ناراً محضة ، إذا كان من طبع النار أن تؤثر في كل جسد بحسبه فتؤثر في الحديد بحسبه وفي الخشب بحسبه .

فإن كل شيئين اتحدا فإنهما يصبحان جوهراً ثالثاً وأقنوماً ثالثاً وطبيعةً ثالثة[١٣٨٨]

.

فإن كان اللاهوت والناسوت قد اتحدا– كما زعموا – فقد استحالت حقيقة اللاهوت واستحالت صفة الناسوت ، فلم يبق اللاهوت لاهوتاً ، ولا الناسوت ناسوتاً بل صارا جوهراً ثالثاً لا لاهوتاً ولا ناسوتاً ، وهم ينكرون هذا القول وهو باطل .

(١٣٨٧) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/٣٥٧-٣٦٣) .

(١٣٨٨) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/٢٥٢ – ٢٥٤) بتصرف .

فإن رب العالمين لا يتبدل ولا يستحيل صفاته بصفاته المحدثات ولا ينقلب القديم ولا شيء من صفاته محدثة ، ولا يستحيل القديم الرب الخالق ، والمخلوق المحدث إلى شيء ثالث ، بل صفات الرب التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها لا تتبدل ولا تنقلب ولا تستحيل فضلاً عن أن تستحيل إلى أمر ثالث ، ثم هذا الثالث إن كان قديماً خالقاً صار هنا خالقان قديمان ، وإن كان مخلوقاً محدثاً كان الخالق صار مخلوقاً محدثاً ، ومعلوم أن استحالة الخالق إلى خالق آخر ، أو إلى مخلوق ممتنع ظاهر الامتناع .[1389]

إذاً : فمعلوم أن ما مثلوا به من الحديد المحمي بالنار هو جوهر ثالث يجري على نارها ما يجري على حديدها ، فإذا طرقت ، فالتطريق واقع على نارها ، كما هو واقع على حديدها ، وكذلك إذا مدت ، وكذلك إذا بصق عليها وكذلك إذا ألقيت في الماء .

فإذا كان هذا التمثيل مطابقاً لزم أن يكون ما حل بالناسوت قد حل باللاهوت فبذلك عندهم أن رب العالمين هو الذي يأكل ويشرب وينام ، ويبول ويتغوط ، وهو الذي صفع ، وضرب ، وبصق على وجهه وألبس الشوك على رأسه ، وصلب ، ومات ، وتألم – تعالى الله عن ذلك .

فإن هذا القول مع فساده وبطلانه ، لازم لكل من قال بالاتحاد .[1390]

ثم إن كلامهم أن المسيح مع الاتحاد إنسان تام ، وإله تام فاسد بالضرورة حيث إنه مع الاتحاد ليس بإنسان تام ، بل هو شيء ثالث مركب من إنسان استحال وتغير ، وإله استحال وتغير .[1391]

يلزمهم أن يكون مفتقراً إلى ما حل فيه ، فإنه لا حقيقة للحلول إلا هذا .[1392]

([1389]) انظر المرجع السابق (٢٥٣/٤-٢٥٤) .

([1390]) انظر : المرجع السابق (٢٥٤/٤) بتصرف .

([1391]) انظر : المرجع السابق (٣٦٦/٤) .

([1392]) المرجع السابق (٣٦٧/٤) .

وقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) حين قال : "ولهذا فإن أعظم اضطراب النصارى في هذا الموضع ، وكثر اختلافهم وصار كل منهم يرد على الآخر ما يقوله ، ويقول هو قولاً يكون مردوداً ، فكانت أقوالهم كلها باطلة مردودة " . (١٣٩٣)

(١٣٩٣) المرجع السابق (٤/٧)

المطلب الثالث : نقد مفهوم الأسماء والصفات :

النصارى يصفون المسيح بجميع صفات الألوهية ، ويعتقدون أنه في كل صفاته مساو لله (تبارك وتعالى) كما ينص على ذلك ما عرف لديهم بقانون الأمانة التي ابتدعها مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ م .

وكل هذا من تناقضهم فإنه لو كان هو الله ، لما صح أن يقولوا : إنه مساوٍ للآب ، فالمساوي للشيء غير المساوي به ، إذ لا يساوي الشيء بنفسه ، وإنا يساوى بينه وبين غيره ، وهم من تناقضهم يزعمون أنه ابن الله وهو الله ، ويقول في الروح القدس كذلك هو الله ، وفي الثلاثة يقولون : الله الآب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، والمسيح عند النصارى هو الرب الخالق " الذي به كان كل شيء وهو يحي ويميت ، ويحاسب الناس يوم القيامة إذ هو ديان الخلائق أجمعين " . [١٣٩٤] عندهم .

ويستدل النصارى على مساواة المسيح لله تعالى بالنصوص التالية من إنجيل يوحنا :

١. " كما أن الآب له الحياة في ذاته ، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له الحياة في ذاته " . [١٣٩٥]

٢. " لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحي كذلك الابن أيضاً يحي من يشاء" [١٣٩٦].

٣. " أيها الآب قد أتت الساعة مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً " . [١٣٩٧]

(١٣٩٤) انظر : يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ، ص (٧٠ ، ٧٣ ، ٧٦) .

(١٣٩٥) يوحنا ٥ : ٢٦ .

(١٣٩٦) يوحنا ٥ : ٢١ .

(١٣٩٧) يوحنا ١٧ : ١ .

هذه النصوص الثلاثة وردت في إنجيل يوحنا ، ومع أن الغاية من تأليفه هو إيجاد مستند لألوهية المسيح ، والرد على الفرق المعارضة لهذه العقيدة ، فإن المتأمل في هذه النصوص الثلاثة لا يجد فيها مساواة المسيح لله تعالى ، بل يجد فيها خلاف ذلك .

أما في النص الأول : فلأن قوله : " كما أن الآب له الحياة في ذاته " صريح في أن الله تعالى له الحياة الذاتية التي لم يكتسبها من أحد لأنه تعالى قائم بذاته غني عن خلقه ، وهذه هي القيومية .

ولقوله " أعطى للابن أن تكون له الحياة في ذاته " فالمعطي لا يمكن أن يكون مساوياً للمعطي لأن المعطي مفتقر إلى ما أعطى ، والمعطي غني عمَّا أعطى ، فلا مساواة بين حي حياته ذاتية وحي حياته مكتسبة من الحي القيوم .

وأما في النص الثاني : فلأن قوله : " فالآب يقيم الأموات ويحي " أثبت أنه قادر على الإحياء والإماتة يحي الموتى بقدرته ويميت الأحياء بقدرته . وأما قوله : " كذلك الابن يحي من يشاء " أي يحي من يشاء الله أن يحييه كما جاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى : " وإذا تخرج الموتى بإذني "[١٣٩٨] قيد ذلك بقوله بإذني حتى لا يدعو ذلك النفوس السقيمة إلى الكفر وقد حصل .

وفيه أيضاً عدم نسبة الإماتة إليه في النص مع نسبة الإحياء والإماتة إلى الله تعالى . وهذا دليل على عدم المساواة .

وأما في النص الثالث : فإن المسيح فيه يطلب من الله تعالى أن يمجده وهذا دعاء وتضرع منه إلى ربه بأن يجعل له مجداً ليكون ذلك عوناً له على تمجيد الله تعالى ، ودافعاً إليه على سبيل الشكر لمن مجده ، وبهذا يتضح أن ما يتعلقون به من هذه النصوص – على فرض صحتها – تدل على خلاف ما يعتقدون ، بل وتهدم عقيدتهم لو كانوا يتفكرون ويعقلون .

([١٣٩٨]) سورة المائدة ، آية (١١٠) .

صفة الإرادة :

نسبت الأناجيل إلى المسيح أقوالاً تدل على أن إرادته ليست هي إرادة الله تعالى فللمسيح إرادة ولرب المسيح تبارك وتعالى إرادة غير إرادة المسيح ، وفي هذا ورد في إنجيل متى قول كاتبه عن المسيح أنه قال : " ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات " . [(١٣٩٩)]

وجه الاستدلال بالنص على استقلال إرادة الله تعالى عن إرادة المسيح قوله : بل الذي يفعل إرادة أبي . ولم يقل إرادتي ، ولو كانت إرادته هي إرادة الله لصرح بذلك قائلاً : بل الذي يفعل إرادتي ، ثم إنه لو كان هو الرب المعبود المستحق للعبادة لكان من يقول له : يا رب يا رب يستحق دخول ملكوت السماوات لأنه كما يزعمون هو والآب واحد .

وجاء في إنجيل متى ما يؤكد ذلك حيث حكى عن المسيح أنه قال قبل الصلب الذي زعموه : " يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد بل كما تريد أنت". [(١٤٠٠)]

وكذلك جاء في إنجيل مرقس قول كاتبه حكاية عن المسيح :

" ولكن ليكن لا ما أُريد بل ما تريد أنت " . [(١٤٠١)]

وهذه النصوص متطابقة في معانيها ودلالتها على أن إرادة الله تعالى ليست إرادة المسيح بل إن لله إرادة أزلية نافذة وللمسيح إرادة مخلوقة تحت إرادة الله تعالى .

(١٣٩٩) متى ٦ : ١ .

(١٤٠٠) متى ٥ : ٤٨ .

(١٤٠١) مرقس ٦ : ١٤ — ١٥ ، وانظر : متى ٧ : ١١ .

صفة المشيئة :

إن مشيئة الله تعالى هي المشيئة النافذة الغالبة لمشيئة العباد ، وما من مشيئة للعبد إلا ومشيئة الله سابقة عليها ، قال تعالى : Mوَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ L [١٤٠٢] .

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فكم من مشيئة للعبد لم تتحقق لأنه تعالى ما شاء تحقيقها ، ومشيئة المسيح – عليه السلام – كانت مسبوقة بمشيئة الله تعالى ، وفي هذا المعنى جاءت في الأناجيل نصوص وضحت أن مشيئة المسيح غير مشيئة الله تعالى فمن ذلك قوله فيما نسب إليه كاتب الإنجيل يوحنا : " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني " . [١٤٠٣]

فهذا النص واضح المعنى أن مشيئة المسيح ليست هي مشيئة الله تعالى ، وأنه مكلف من قبل ربه ليعمل بمشيئة الله تعالى ، لا بمشيئته نفسه ، فأين أصحاب العقول المفكرة من النصوص الجلية في نفي ألوهية المسيح – عليه السلام – .

صفة الكلام :

روت الأناجيل ما يدل على أن كلام المسيح هو كلام الله تعالى ، وهذا صحيح فإن كلام الرسول إن كان يبلغ عن ربه كلامه الذي أوحاه إليه وأرسله به فهو كلام الله تعالى ، وإن كان غير ذلك فكلامه ليس كلام الله تعالى.

فجاء في إنجيل يوحنا حكاية عن المسيح –عليه السلام – : " والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني " [١٤٠٤].

([١٤٠٢]) سورة التكوير ، آية (٢٩) .

([١٤٠٣]) يوحنا ٥ : ٣٠ ، وانظر : يوحنا ٤ : ٣٤ ، ١٦ : ٣٨ .

([١٤٠٤]) يوحنا ١٤ : ٢٤ .

وفي هذا النقل[١٤٠٥] تفريق بين كلام الله تعالى الذي أرسل المسيح وبين كلام المسيح – عليه السلام – ولو كان المسيح هو الله كما زعموا لما قال بالتفريق بين كلامه وكلام ربه ا لذي أرسله ، وهذا يؤكد نبوة المسيح ورسالته ، ويبطل القول بألوهيته ، فالإله الحق يُرسل لا يُرسَل ، ويُعبد ولا يَعبد ، ويدعى ولا يدعوا ، ويصلى له ، ولا يُصَلِّي ، ويسجد له ولا يسجد .

أما المسيح فقد ثبت في نصوص الأناجيل أنه رسول من الله تعالى ، وليس مُرسلاً وعابداً وليس معبوداً ، ويدعو ربه لا يدعى ، ويصلي لله تعالى ، ولا يصلى له ، ويسجد لربه تعالى ولا يسجد له .

فقد روت الأناجيل عنه كل ذلك ، ولو لم يرد فيها غير قوله – عليه السلام – حسب روايتهم عنه " للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد " قال ذلك حسب الرواية لإبليس حينما طلب منه أن يسجد له مقابل أن يعطيه جميع ممالك الدنيا ، لو لم يرد فيها سوى هذا القول لكفى دليلاً على عبودية المسيح وبشريته ، وإنه ليس له في الألوهية نصيب ، وبهذا يبطل قول النصارى إن كلام المسيح هو كلام الله .

فالمسيح – عليه السلام – قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة لكن أين الأمناء ؟!

صفة العلم :

ورد في الأناجيل أن علم المسيح دون علم الله تعالى ، وأنه تعالى يختص بعلم موعد قيام الساعة ، والمسيح لا يعلم متى الساعة كما أن الملائكة لا يعلمون ذلك ، وذلك على أنه خلق من الخلائق ونبي مرسل لا علم له إلا ما علمه تعالى ، وليس له من الربوبية والألوهية حظ ، وفي ذلك يقول إنجيل متى حكاية عن المسيح – عليه السلام – :

" وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده" [١٤٠٦].

(١٤٠٥) وهناك نقولات عديدة على نفس المعنى منها : انظر يوحنا ١٤ : ١٠ ، ١٠ : ١٥ ، ٧ : ١٦–١٧ ، ١٨ :١٧.

(١٤٠٦) متى ٢٤ : ٣٦ . وانظر : مرقس ١٣ : ٣٢ .

وهذا دليل واضح على أن المسيح – عليه السلام – خلق من خلقه تعالى ، وليس إلهاً كما زعم النصارى ، وأنه لا فرق بينه وبين ملائكة الله تعالى الذين هم عباد مكرمون في عدم العلم بالغيب المكنون الذي اختص الله بعلمه ولم يطلع عليه أحد من خلقه لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً .

وهذا ما دلت عليه نصوص الوحي المنزل في الإسلام حيث أغلق الله باب العلم بموعد قيام الساعة عن الخلق أجمعين .

ولو كان المسيح إلهاً كما زعموا لعلم موعد قيام الساعة ، فالإله الحق لا تخفى عليه خافية ، بل هو الذي قد حدد موعد قيام الساعة ، وهو الذي يقيم الساعة ، وحدد ساعتها وقدرها تقديراً ، أما وقد أعلن المسيح أنه لا يعلم موعدها ، فقد بلغ البلاغ المبين أنه ليس بإله ولا ابن إله ، وإنما هو بشر رسول .

صفة القدرة :

روى كاتب إنجيل يوحنا أن المسيح – عليه السلام – بين أن قدرته دون قدرة الله تعالى فقد حكى عنه أنه قال لليهود : " الحق الحق أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه ، بل يفعل ما يرى الآب يفعله ، فكل ما يعمله الآب يعمله الابن كذلك ، لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما يفعله ، وسيريه أيضاً أعمالاً أعظم من هذا العمل فتدهشون " [١٤٠٧].

إن الذي لا يقدر أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه هو المخلوق الخاضع لقدرة خالقه سبحانه وتعالى وليس له نصيب في الربوبية والألوهية .

([١٤٠٧]) يوحنا ٥ : ١٩ – ٢٣ ، وانظر : يوحنا ٣ : ٢ ، وسورة المائدة آية (١١٠) .

إن الأسوياء من الناس أدركوا أن الآيات التي جرت على يد المسيح – عليه السلام – ما كانت لتتحقق إلا بعون الله تعالى ومعيته بالنصر والتأييد ، والتوفيق والتسديد ، ولكن النصارى لم يكونوا من هذا الصنف .

فالنصارى يصفون الرب تبارك وتعالى بصفات ولكن لا يلتزمن بمقتضى هذه الصفات .

فهم يصفون الله بصفة ثم يثبتون ايضاً نقيضها فهم يصفونه سبحانه بأنه غير محدد في ذاته ثم يصفونه بصفة مناقضة لذلك ، وهي صفة التجسد الإلهي والتجسد عند النصارى – كما هو معلوم – هو ظهور الله على صورة ما من صور المخلوقات كظهوره لإبراهيم وهاجر ويعقوب أفلا يناقض هذا التجسد وصفه سبحانه وتعالى بأنه غير محدود في ذاته ؟ بلى إنه يناقض تلك الصفة غاية المناقضة .

ومعنى ذلك أن الله ظهر لإبراهيم ويعقوب وهاجر ، إنما هو إله محدود في ذاته وصفاته لأنه أكل وشرب واستراح وغسل القدمين وإن كان ذلك من صفات المخلوقين المفتقرين لا من صفات الغني الذي لا يحاط به .

ومن معاني هذه الصفة أن الله منزه عن التحيز والتركيب والتجزئة والاختلاط ، وإن هذا لا يستقيم مع التجسد لأن التجسد هو نفس التحيز ، وعين التركيب والاختلاط .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى : Mمَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ © مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ µ ¶ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ L[١٤٠٨] .

" وكل من يأكل الطعام فهو مفتقر إلى ما يقيم بنيته ويمد حياته ، لئلا ينحل بدنه ، وتضعف قواه فيهلك – دع ما يستلزمه أكل الطعام من الحاجة إلى دفع الفضلات ، وكل

(١٤٠٨) سورة المائدة ، آية (٧٥).

مفتقر على غيره فهو ممكن مساوٍ لسائر الممكنات المخلوقة في حاجتها إلى غيرها ، فلا يمكن أن يكون رباً خالقاً ولا ينبغي أن يكون رباً معبوداً ... " [1409].

والتناقض الذي وقعت فيه النصارى في الصفات يطرد على جميع الصفات التي سبق عرضها في تصور أسماء الله وصفاته عند النصارى [1410].

وأيضاً بالنسبة لصفة القدرة على كل شيء فهي لا تتناسب مع فلسفة الفداء التي تعني أن الله تعالى ضحى بابنه الوحيد من أجل التكفير عن خطيئة آدم – عليه السلام – التي تسربت إلى ذريته عن طريق الوراثة .

فمن الممكن أن يتجاوز الله عن خطيئة آدم بلا تضحية لكونه قادرا على كل شيء والقادر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

والقدرة على كل شيء أيضاً لا تتناسب مع هروب المسيح من الحاكم الروماني مع أمه مريم إلى مصر.

وأيضاً صفة العدل تتعارض مع قول النصارى أن البشر جميعهم مذنبون بذنب أبيهم آدم – (عليه السلام)– حينما أكل من الشجرة ، فكيف من صفات العدل يؤاخذ غير الجاني بذنب لم يفعله ، فإن العدالة الألهية لا تقتضي معاقبة غير الجاني ، بل تقتضي براءة الأبرياء ومعاقبة كل إنسان على فعله .

وأما صفة الحكمة عند النصارى فإنها تناقض مسألة إدانة البشر بسبب خطيئة أبيهم آدم – حسب زعمهم – .

والحكمة تقتضي مؤاخذة الجاني وبقاء غيره على ما كان عليه من البراءة مالم يرتكب ذنباً يستحق عليه العقوبة ، ولكن النصارى يرون أن الله (عز وجل) يؤاخذ

(1409) تفسير المنار (٤٨٩/٦) .

(1410) انظر : الباب الثاني في الفصل الأول من المبحث الثالث في المطلب الأول .

الأبرياء بما لم يرتكبوه من ذنب ، فإن ذلك يناقض غاية التناقض الحكمة الألهية القائمة على العدل والرحمة والمحبة .

والحكمة الألهية تقتضي أن الله يتوب على آدم – عليه السلام – بمجرد توبته – عليه السلام – من غير حاجة إلى الكفارة بضحية بريئة كالمسيح – عليه السلام – .

وأما بالنسبة لصفة العلم الإلهي فإنها تناقض ما ورد في نصوص الكتاب المقدس في عدم علم الله (عز وجل) بمكان وجود آدم – عليه السلام – في الجنة عند اختبائه حيث ناداه قائلاً : " أين أنت " [١٤١١].

وعندما أمرهم أن يجعلوا الدم علامة على بيوتهم حتى يميزهم عن المصريين ، وفي ذلك عدم العلم المسبق للإله ببيوت بني إسرائيل ، وأن الإله يحتاج منهم علامة حتى يعرف بيوتهم ، فهو إله لا يعلم . أليس هذا يناقض صفة العلم بكل شيء ما كان وسيكون؟

فهم ينسبون الجهل التام بذاته الله تعالى .

إلى غير ذلك من النصوص التي تدل على عدم علم الله المسبق ونسبة الجهل له سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً [١٤١٢].

([١٤١١]) انظر : تكوين ٣ : ١٠ .

([١٤١٢]) انظر : خروج ١٣ : ١٢ ، تكوين ٩ : ١٨ ، متى ٢٤ : ٣٦ ، ٢٦ : ٣٩ .

المبحث الثاني

النقد من خلال مصادرهم المقدسة

وفيه :

١. النصوص الدالة على ربوبية الله .

٢. النصوص الدالة على ألوهية الله .

٣. النصوص الدالة على أسماء الله وصفاته .

إن الله تعالى أنزل على عيسى – عليه السلام – كتاباً أسماه " الإنجيل " يصدق بالتوراة المنزلة ويدعو إلى العمل بها ، وإحياء ما اندثر من شريعة موسى – عليه السلام –، وإن الأناجيل النصرانية الأربعة لم يكن واحداً منها هذا الإنجيل الذي أنزله الله تعالى على عبده ونبيه عيسى – عليه السلام – وإنما هي كتب موضوعة في سيرته بعد زمنه ومع هذه الجهالة المطبقة على هذه الأناجيل من جميع الجوانب فإن نصوصها في غاية التناقض والاضطراب، وعلى الرغم من ذلك فإن كتابهم المحرف مليء بالنصوص الكثيرة الدالة على توحيد الله (عز وجل) في جميع أنواع التوحيد ، فإن ذلك يدل دلالة واضحة على أن أساس رسالة عيسى – عليه السلام – هي توحيد الله (عز وجل) توحيداً خالياً من الشوائب الكفرية دون شريك ولا مثيل وتنزيه الله في ذاته المقدسة .

ومن هذه النصوص الواردة :

١. النصوص الدالة على ربوبية الله (عز وجل) وأنه الخالق لكل شيء :

" أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهي بإرادتك كائنة وخلقت " [١٤١٣].

٢. النصوص الدالة على ألوهيته سبحانه وتعالى :

" أية وصية هي أول الكل . فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب و احد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى ، وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين " [١٤١٤].

([١٤١٣]) رؤيا ٤ : ١١ .

([١٤١٤]) مرقس ١٢ : ٢٨ – ٣٤ .

٣. النصوص الدالة على أسماء الله و صفاته (عز وجل) :

بالإضافة إلى نصوص العهد القديم ، وصف النصارى الرب تبارك وتعالى بعدة صفات منها :

" أما الرب فهو الإله الحق ، الإله الحي ، والملك السرمدي " [١٤١٥].

واكتفي بهذا الإيجاز السريع الدال على الموضوع ، لأنه سبق سياق وعرض نصوص الكتاب المقدس " العهد القديم ، والعهد الجديد " الدالة على توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، ونقد كفر النصارى في ذلك ، وبيان تناقضهم الذي لا يقبله عقل ولا نقل ، في الفصل السابق من هذا الباب في عرض تصور النصارى لقضية التوحيد [١٤١٦].

([١٤١٥]) إرميا ١٠ : ١٠ .

([١٤١٦]) انظر : الفصل الأول من هذا الباب المبحث الأول في المطلب الأول والمبحث الثاني في المطلب الأول ، والمبحث الثالث في المطلب الأول .

المبحث الثالث
النقد من خلال القرآن والسنة

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : نقد مفهوم الربوبية .
- المطلب الثاني : نقد مفهوم الألوهية
- المطلب الثالث : نقد مفهوم الأسماء والصفات

المطلب الأول : نقد مفهوم الربوبية :

١. من القرآن الكريم :

لقد وضح القرآن الكريم بشرية المسيح – عليه السلام – وعبوديته وأنه رسول مرسل من ربه برسالة الإسلام ، وليس فيه شيء من الألوهية منذ أن كان طفلاً في بطن أمه إلى أن بلغ وكلف بالرسالة ، ثم أيد بعد ذلك بالمعجزات الباهرات التي تؤيد دعوته ، وأن المعجزات كانت بإذن الله (عز وجل) وإرادته وليس للمسيح – عليه السلام – فيها إرادة ولا قدرة غير التسخير من الله (عز وجل) ، ولقد كانت ذلك واضحاً وجلياً في قوله تعالى : M I J K L M N O P Q R T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e f g h i j k l m n o p r s t u v w x y z L[١٤١٧].

فلقد وضحت الآية الكريمة أن جميع هذه المعجزات التي قام بها المسيح – عليه السلام – هي بقدرة وإرادة الله الفعال لما يريد و ليس للمسيح فيها إرادة نافذة ، فهو بشر لا تتجاوز قدرته قدرة الله سبحانه وتعالى .

ففي الآية إيضاح بنفي الربوبية عن المسيح – عليه السلام – حيث إن أفعاله ومعجزاته مقصورة تحت إرادة الله (عز وجل) فقط .

وأن ما أتاه الله من المعجزات الباهرات هي تأييد من الله (عز وجل) للمسيح – عليه السلام – وإثبات لنبوته ورسالته .

فالنصارى جعلوه جزءاً من الأقانيم الثلاثة التي اعتبروها إلهاً وجعلوه شريكاً لله في الخلق والإيجاد ، فهم يعتبرون الله هو مجمع في الثلاثة فهم لهم قدرات متساوية في الربوبية والألوهية .

(١٤١٧) سورة آل عمران ، آية (٤٩) .

وقـال تعـالى : M4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B

C D E F G I J K L M N P Q R S T

U V W X Y Z [ ] ^ _ ` b c d e g h

i j k l m n o p q r s t u v w x L .[1418]

فالآية توضح أن الله أنعـم علـى عيـسى – عليـه الـسلام – إذ أيـده بـالوحي وعلمـه التوراة والإنجيل وأيده بالرسالة والمعجزات العظمية التي هي بقدرة الله وإذنه وإيجـاده سبحانه وتعالى ، وليس للمسيح تدبير في ذلك ، وإنما سـخر الله لـه الأمـور حتـى يفعـل المعجزات بإذن الله سبحانه ، والملاحظ في الآية أن المسيح عندما يتحدث عـن كـل معجـزة يختمها بقوله بإذن الله ، فهذا فيه دلالة واضحة على إثبات الربوبية لله وحده لا شـريك له سبحانه وتعالى .

٢. من السنة النبوية المطهرة :

سبق ذكر أدلة السنة النبوية في المطلب الخاص بالرد علـى اليهـود في البـاب الأول من الفصل الثاني في المبحث الثالث من المطلب الأول .

(١٤١٨) سورة المائدة ، آية (١١٠) .

المطلب الثاني : نقد مفهوم الألوهية :

إن النصرانية الحالية قد برز فيها من بين الأديان المنتسبة إلى الكتاب بتمسكها بالأقانيم الثلاثة في إيمانها ، فإن الدين الإسلامي ينفرد باحتفاظه بتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته كما أوحى الله تعالى به إلى كل رسول .

ولسنا ندعي أن الإسلام لم يكن له نظير في الأديان المنزلة قبل أن تمتد إليها أيدي التحريف ، ولكنا نقول إن الإسلام هو الذي بقي محتفظاً بقواعده ، واركانه محجة بيضاء صافية ، لم تنلها يد التغيير والتبديل مثلما نالت من سابقتيه ، الرسالة الموسوية ، والرسالة العيسوية ، اللتين حرفتا وبدلتا وسميتا باليهودية والنصرانية بعد رسوليهما ، مع أن الله تعالى لم يرسلهما إلا برسالة واحدة وهي الإسلام .

١. من القرآن الكريم :

لقد اعتقد النصارى في المسيح – عليه السلام – الألوهية و الأزلية والبنوة وفي الروح القدس الألوهية كذلك ، وكونوا ثالوثهم المزعوم .

ويمكن أن ندحض هذه العقيدة ببيان الصفات التي أطلقها القرآن الكريم على كل من المسيح – عليه السلام – والروح القدس الذي هو جبريل – عليه السلام – ، والتي تدل على عدم ألوهيتهما ، وأنهما عبدان لله (عز وجل) ، وذلك من عدة جوانب .

أولاً : الصفات التي أطلقها القرآن على المسيح – عليه السلام –:

١. فالقرآن الكريم وضح عبودية المسيح – عليه السلام – لله (عز وجل) الدالة على بشريته ، وأنه عبد الله كسائر الأنبياء – عليهم السلام – وليس إلهاً .

قال تعالى : M _ ` a b c d e L[١٤١٩].

([١٤١٩]) سورة النساء ، آية (١٧٢) .

وقال تعالى : M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c de f g h i j k l m L.[١٤٢٠]

ثم قال : M ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ © ﴿٣٤﴾ L [١٤٢١].

أي هذه صفات عيسى – عليه السلام – الذي اختلفوا في بشريته وأنـه عبـد مخلـوق لله (عز وجل) .

فالآيات فيها تصريح بعبودية المسيح – عليه السلام – لله (عـز وجـل) فعيـسى – عليه السلام – لم يـستكبر عـن عبـادة الله (عـز وجـل) ، فهـو كـسائر البـشر يعبـد الله ويتقرب إليه بالأعمال الصالحة مـن صـلاة وزكـاة فهـو نـبي عابـد لله عـز وجـل كـسائر الأنبياء – عليهم السلام – ومن يوصف بهـذه الـصفات لـيس إلهـاً أزليـاً ، بـل هـو عبـد مخلوق لله (عز وجل) وإن كانت ولادته على خلاف السنة البشرية .

وقال تعالى : M إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ L [١٤٢٢].

فالآية الكريمة توضح عبودية عيسى – عليه الـسلام – لله (عـز وجـل) ، ولادتـه –عليه السلام – أية باهرة لبني إسرائيل حتى يؤمنوا بعالم الروح الـتي أنكروهـا ، ولم يجعل ذلك دلالة على ألوهيته وبنوته لله تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، إنما قـال " عبـد أنعمنا عليه " أي هو عبد الله (عز وجل) وليس ابناً .

٢. وضح القرآن الكريم أيضاً أنه رسول ونبي من ربه مبلغ رسـالة التوحيـد ولـيس إله، ولا ابن إله .

قال تعالى : M I J K L MN O P Q R L.[١٤٢٣]

([١٤٢٠]) سورة مريم ، آية (٣٠–٣١) .

([١٤٢١]) سورة مريم ، آية (٣٤) .

([١٤٢٢]) سورة الزخرف ، آية (٥٩) .

([١٤٢٣]) سورة آل عمران ، آية (٤٩) .

وقـــال تعـــالى : M . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ;
L[١٤٢٤].

وقال تعالى : Mمَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ © مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ L [١٤٢٥].

وقـــــال تعـــــــالى : M y z { | } ~ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ L[١٤٢٦].

وقال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 L[١٤٢٧].

فقد اشتملت الآيات على وصف الله (عـز وجـل) لعيـسى – عليـه الـسلام – بأنـه رسول ، ولم يقل ابني أو ابن الله ، وكذلك وصـف عيـسى – عليـه الـسلام – نفسه بأنـه رسول الله .

٣. ولقد وضحت آيات القرآن الكريم أن عيسى – عليه الـسلام – دعـا إلى عبـادة الله وحده لا شريك له ، وأنه تعالى ربه ورب بني إسرائيل وليس أباه :

فقال تعالى : M إِنَّ ٱللَّهَ ´ µ ¶ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ L [١٤٢٨].

فالآية تشير إلى أن الله هو المستحق للعبـادة ، وهـو رب عيـسى – عليـه الـسلام – ورب بني إسرائيل وأن هذا هو الطريق الحق الذي دعـا إليـه عيـسى – عليـه الـسلام– ، حتى لا يلتبس الأمر على قومه .

([١٤٢٤]) سورة النساء ، آية (١٧١) .

([١٤٢٥]) سورة المائدة ، آية (٧٥) .

([١٤٢٦]) سورة المائدة ، آية (١١١) .

([١٤٢٧]) سورة الصف ، آية (٦) .

([١٤٢٨]) سورة آل عمران ، آية (٥١) .

ففي هذا دليل على نفي ألوهيته ، وأن الإله هو رب واحد لا شريك لـه ، وفي هـذا أيضاً دلالة على أن عيسى – عليه السلام – عبد للرب الواحد ، كما أن بني إسـرائيل هـم عبيد للرب الواحد .

وقــال تعــالى : M 6 7 8 9 : ; < = > ? A B C D

Z Y X W V T S R Q P O N M L K J H G F E

L[١٤٢٩] .

فالآية الكريمة تذكر أن ربـه وربهـم واحـد فقـال " إن الله ربـي وربكـم " وأن مـن يعتقد غير ذلك فمأواه النـار ، قـال تعـالى : M L M N O P Q R S T U

r q p o n l k j i h f e d c b a ` _ ^] \ Z Y X W V

وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ © لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى ~ } | { z y x v u t s

فِيهِمْ فَلَمَّا µ ¶ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ L[١٤٣٠] .

فالمسيح – عليه السلام – يتبرأ من قولهم : إنه رب ويعبد مع الله ، فأمرهم بعبادة الله وحده (عز وجل) ، الذي هو ربه وربهم وليس أباه .

٤. ولقد أورد القرآن الكريم صفات تدل على بشريته البحتة وأنه خال مـن صـفات الألوهية المزعومة ومن ذلك :

أ. وصف القرآن الكريم عيسى – عليه السلام – بأنه كان يأكـل الطعـام فهـذا يـدل دلالة واضحة على أنه مفتقر إلى ما يرزقه الله من طعـام وشـراب ، وهـذا الطعـام بـالطبع يحتاج إلى إخراج ، فهذه صفات يتنزه عنها الإله ، ولا يتصف بها إلا خلق الله المفتقرون إليه .

[١٤٢٩] سورة المائدة ، آية (٧٢) .

[١٤٣٠] سورة المائدة ، آية (١١٦–١١٧) .

قال تعالى : Mمَا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ © مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ µ ¶ ¸ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ L [١٤٣١].

فهذا دليل على بشريته ، ونفي ألوهيته – عليه السلام –وفيه دلالة على عدم ألوهية مريم أم عيسى لأن بعض فرق النصارى قالت بألوهيتها وعبادتها ، بل وإن بعضهم اعتبراها آكد في الألوهية من ابنها لأنها تلقت من الله مباشرة ، أما عيسى فكان منها ، ومن هؤلاء غلاة المارونية ، والحمد لله الذي جعلنا مسلمين نعبد الله سبحانه كما أمر مريم بعبادته حيث قال : M يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ L [١٤٣٢].

ب . كان القرآن الكريم دائماً يطلق على المسيح – عليه السلام – أنه ابن مريم وليس ابن الله :

قال تعالى : M . / 0 1 2 L [١٤٣٣].

فهذا تصريح من الله (عز وجل) بأن المسيح إنما هو ابن مريم وليس ابناً لله (عز وجل).

قال تعالى : M إِذۡ © ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ L [١٤٣٤].

لقد بين القرآن الكريم أن الحواريين " وهم من بني إسرائيل " أطلقوا على المسيح – عليه السلام – ابن مريم ولم يقولوا ابن الله وإنما خاطبوه بيا ابن مريم .

وقال تعالى : M L M N O P Q L [١٤٣٥].

(١٤٣١) سورة المائدة ، آية (٧٥) .

(١٤٣٢) سورة مريم ، آية (٤٣) .

(١٤٣٣) سورة النساء ، آية (١٧١) .

(١٤٣٤) سورة المائدة ، آية (١١٢) .

(١٤٣٥) سورة المائدة ، آية (١١٦) .

ففي الآية الكريمة خاطبه الله (عز وجل) قائلاً : يا عيسى ابن مـريم ولم يقـل يـا ابن الرب – كما يزعمون – .

٥. ولقد وردت الآيات العديدة في نفي الولد عن الله سبحانه وتعالى وفي ذلك إثبـات لوحدانيته سبحانه وتعالى ، وأنه غني عن الصاحبة والولد ، ونفي للشرك بصفة عامـة ، والتثليث بـصفة خاصـة لكـون النـصارى اعتقـدوا أن الولـد أو الابـن إلـه مكمـل للثـالوث المزعوم.

قـــال تعـــالى : M بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ L [١٤٣٦].

وقـــال تعـــالى : M s t u v w x y z { | } ~ ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ © ﴿١١١﴾ L [١٤٣٧].

وقال تعالى في النفي العام لبنوة المسيح – عليه السلام – : M مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ ´ ¶ ¸ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ L [١٤٣٨].

ويقول الله تعالى في النفي المطلق للشريك والولد : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 L [١٤٣٩].

وقال تعالى : M ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; = > ? @ A L [١٤٤٠].

ففي هذه الآية العظيمة دلالة صريحة على نفي الولد والصاحبة عن الله (عز وجل) ، فالله سبحانه وتعالى نزه نفسه عن اتخاذ الولد ، والشريك في الملك والعبادة فهو لا يشاركه أحد في خلقه وملكه وعلمه .

ففي ذلك رد على النصارى الذين قالوا بالولد تعالى .

وفيه أيضاً إثبات الوحدانية لله تعالى ، ونفي ما كان يدعيه النصارى في زعمهم أن المسيح – عليه السلام – ابن الله وأن الله ثالث ثلاثة ، وعيسى أحد هؤلاء الثلاثة .

ولقد وردت آيات عدة تصرح بتكفير من قال بالتثليث أو من قال إن المسيح هو الله.

[١٤٣٦] سورة الأنعام ، آية (١٠١) .

[١٤٣٧] سورة الإسراء ، آية (١١١) .

[١٤٣٨] سورة مريم ، آية (٣٥) .

[١٤٣٩] سورة الإخلاص ، آية (١-٤) .

[١٤٤٠] سورة المؤمنون ، آية (٩١) .

حيـث قـال تعـالى : C B A ? > = < ; : 9 8 7 6 M
Y X W V T S R Q P O N M L K J H G F E D
p o n m l k i h g f e d b a ` _ ^] \ [Z
.[1441] L v u t s r q

ولقد نهى سبحانه وتعالى عن القـول بثلاثـة آلهـة ، حيـث قـال تعـالى : M !
5 4 3 2 1 0 / . , + *) (' & % $ # "
N M K J I H F E D B A @ > = < : 9 8 7 6
.[1442] L ^] \ [Y XW V UTS Q P O

ونفهم من هذه الآيات الثلاثة ما يلي :

١. نهيه سبحانه وتعالى عن القول بألوهية المسيح –عليه السلام – .

٢. تكفيره تعالى من قال بألوهية المسيح – عليه السلام –.

٣. توعده سبحانه وتعالى من قال ذلك بالعذاب الأليم .

٤. نهيه تعالى عن القول بألوهية الروح القدس ضمناً حيث قال " ولا تقولوا ثلاثـة " فروح القدس عندهم هو الأقنوم الثالث .

٥. بيانه سبحانه وتعالى . أنه ما من إله إلا الله واحد أحد فرد صمد لا شريك له ، ليس له ولد ، وليس هو واحد من ثلاثة .

٦. نهي الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل عن الغلو في دينهم ، وألا يقولوا علـى الله إلا الحق ولا يتبعوا الباطل في عباداتهم.

٧. ثم بين لهم (عز وجل) أن المسيح – عليه السلام – هو ابـن مـريم كـون بكلمـة التكوين من الله ، فهو آية في ولادته ، وأنه رسول من الله ليدعو قومه إلى التوحيد فقط .

(١٤٤١) سورة المائدة ، آية (٧٢-٧٣) ، انظر : سورة المائدة ، آية (١٧) .

(١٤٤٢) سورة النساء ، آية (١٧١) .

٨. تحذيره وتوعده لمن قال غير هـذا الاعتقـاد الحـق ، وصـرح بالتثليـث بالعـذاب الأليم إن لم ينتهوا عن قولهم هذا .

ولقد دحض القرآن الكريم افتراء النصارى على المسيح – عليه السلام – بأنه صـلب فداء للبشرية لتكفير خطيئة آدم – عليه السلام – .

قال تعالى : M @ A B C D E F G H I J K L M N O Q R S T U V W Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e f g h i k l m n o L[1443].

ففي هذه الآية نفي واضح وصريح على النصارى لم يقتلوا ولم يصلبوا المسيح – عليه السلام – بل شبه لهم ذلك بل إن الله رفعه إليه حتى ينجيه من القوم الكافرين الظالمين .

وبذلك فإن القرآن الكريم ينفي قتل عيسى وصلبه ، ويقول بأنــه ألقـى شـبهه علـى غيره، فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه .

وأما التجسد الذي هو عند النصارى يعني الظهور الإلهي للإنسان في صورة ملـك أو إنسان فقد وضح القرآن الكريم استحالة ذلـك علـى الله تعـالى وبـين حقيقـة ذلـك واضـحة وجلية.

قال تعالى : M وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ © قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن ´ µ ¶ ¸ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ L[1444].

وقـال تعـالى : M © أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ ´ µ ¸ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا

(١٤٤٣) سورة النساء ، آية (١٥٧–١٥٨) .

(١٤٤٤) سورة هود ، آية (٦٩–٧١) .

تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ à كَذَٰلِكِ â رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ç è é L [1445].

أما ما قالوه من ظهوره لإبراهيم عند بلوطات ممرا ومعه ثلاثة رجال حيث قدم لهم خبزاً ولبناً وزبداً وعجلاً مشوياً[1446] فلا أدل على بطلانه من النصوص السابقة التي تدل بوضوح على أن الملائكة هم الذين جاءوا إبراهيم بالبشرى مرسلين من قبل الله (عز وجل) وحتى أولئك الملائكة لم يأكلوا ما قدم إبراهيم من الطعام ظناً منه أنهم جماعة من البشر.

وأما قولهم بأنه ظهر لموسى فالنص القرآني يدل بوضوح على أن موسى –عليه السلام– لم ير الله سبحانه وتعالى مع طلبه ذلك من الله (عز وجل) مما يدل على عدم صحة ما قالوه من ظهور الله له ، قال تعالى : M وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ © إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ ´ µ ¶ ¸ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ L [1447] .

وقال تعالى : M { ~ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ © ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ´ µ ¶ ¸ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ L [1448] .

وبهذا يتبين أن النصارى حملوا هذا النص ما لا يتحمله بقولهم أن موسى – عليه السلام – رأى الله على صورة ملاك مع أن سفر الخروج صريح في دلالته على أن موسى رأى ملاك الرب ظاهراً له بلهيب نار ، ولم يقل إنه رأى الله ، ولو كان الأمر كما يقولون

(١٤٤٥) سورة الذاريات ، آية (٢٤–٣٠) .

(١٤٤٦) انظر : تكوين ١٨ : ١–٨ .

(١٤٤٧) سورة الأعراف ، آية (١٤٣) .

(١٤٤٨) سورة طه ، آية (٩–١٢) .

لكان هذا النص هكذا " فظهر الله له على صورة ملاك بلهيب نار " وهـو شـيء لم يـرد في ذلك السفر فبطل استدلالهم بهذا النص ، واتضح بطلان هذا الاعتقاد .

ثانياً : الصفات التي أطلقها القرآن الكريم على الـروح القـدس – عليـه الـسلام – العنصر الثالث المتمم لثالوث النصارى المقدس – كما يزعمون – :

١– وصف القرآن الكريم عامـة الملائكـة – علـيهم الـسلام – بالعبوديـة ، فـالروح القدس ملك من الملائكة مرسل من ربه ، فتشمله صفة العبودية لله عز وجل .

قال تعالى : M _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r L[١٤٤٩] .

ففي الآية الكريمة بيان أن الملائكة لـن تـستكبر أن تكـون عبيـداً لله (عـز وجـل) مهما بلغت درجاتهم .

والشاهد من الآية أنها تدل على عبودية الملائكة لله عز وجل ، والروح القدس ملـك من ملائكة الله ، وهو الذي أرسله الله (عز وجـل) إلى مـريم ليبـشرها بـولادة عيـسى – عليه السلام – حيث قال تعالى : M c d e f g h i j k l L[١٤٥٠] .

وبذلك تثبت عبودية روح القدس ، وأنه ملك رسول مخلـوق لله سـبحانه وتعـالى ، وأنه ليس إلهاً أزلياً غير مخلوق بل هو خلق من خلق الله ، وليس منبثقاً من الله أزلاً .

وقال تعالى : M 1 2 3 4 6 8 9 : ; L[١٤٥١] .

([١٤٤٩]) سورة النساء ، آية (١٧٢) .

([١٤٥٠]) سورة مريم ، آية (١٩) .

([١٤٥١]) سورة الأنبياء ، آية (٢٦) .

وقال تعالى : M وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ © ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ L [١٤٥٢] .

فالله سبحانه وتعالى وصف الملائكة بأنهم عباد مكرمون وعباد الرحمن وأنهم في منازل عالية وسامية عند الله عز وجل ، وهم في غاية الطاعة والعبادة ، والروح القدس ملك من هؤلاء الملائكة الطائعين العابدين ، وليس إلهاً – كما تزعم النصارى – ثم نهى سبحانه وتعالى عن اتخاذ الملائكة أرباباً تعبد من دون الله ، وتكون آلهة مع الله سبحانه وتعالى ، حيث قال تعالى : M \ ] ^ _ ` a b d e f g h i j L [١٤٥٣] .

٢- وأيضاً وصفهم القرآن الكريم بأنهم رسل الله ، ولم يقل إنهم آلهة مع الله ، قال تعالى : M L M N O P Q R T U V W X L [١٤٥٤] .

وقال تعالى : M o p q r s t u v w x y z { | } ~ ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ © ﴿١﴾ L [١٤٥٥] .

٣- وصفهم أيضاً بأنواع العبادة كالتسبيح والسجود .

قال تعالى : M فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ L [١٤٥٦] .

وقال تعالى : M t u v w x y z { | } ~ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ L [١٤٥٧] .

([١٤٥٢]) سورة الزخرف ، آية (١٩) .

([١٤٥٣]) سورة آل عمران ، آية (٨٠) .

([١٤٥٤]) سورة الحج ، آية (٧٥) .

([١٤٥٥]) سورة فاطر ، آية (١) .

([١٤٥٦]) سورة الحجر ، آية (٣٠) .

([١٤٥٧]) سورة النحل ، آية (٤٩) .

وقال تعـالى : M ! " # $ % & ' ( ) + , - . / 0 1 2 3 L [١٤٥٨] .

وقال تعالى : M < = > ? @ B C D E F G H I K L M N O P Q L [١٤٥٩] .

فهذه الآيات اشتملت على صفات وصف الله عز وجل بها ملائكته وهـي دالـة علـى عبوديتـهم ، ونفي ألوهيتهم .

٢- الرد من السنة النبوية :

لقد وردت النصوص العديدة من السنة النبوية المطهرة ، الدالة على توحيد الله (عز وجل) وحده لا شريك له ، وأن كل نص يدل على التوحيد ينفي التثليث ، لأن التثليـث شرك ، والتوحيد ضد الشرك ، وأن الأحاديث الدالة على التوحيد تمنـع الـشرك عامـة ، والتثليث بصفة خاصة ، ومن هذه النصوص :

١- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليـه وسـلم) قـال : "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمـد ، وهـو علـى كـل شـيء قدير في يوم مائة مرة ... ولم يأت أحد بأفضل مما جاء ، إلا رجل عمل أكثر منه " [١٤٦٠] .

فالحديث الشريف دل على توحيد الله ، وأن من شهد لله بالوحدانية كـان لـه أجـر عظيم ، ومنزلة رفيعة ، فتوحيد الله يقابله نفي الشريك عنه سبحانه وتعالى .

(١٤٥٨) سورة الزمر ، آية (٧٥) .

(١٤٥٩) سورة الشورى ، آية (٥)

(١٤٦٠) البخاري ، ك (الدعوات) ب : (فضل التهليل) ، ح (٦٤٠٣) .

٢- وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " ما من عبد قال لا إلـه إلا الله ، ثـم مات على ذلك إلا دخل الجنة " [١٤٦١] .

فالحديث الشريف يدل على أن كلمة التوحيـد " لا إلـه إلا الله " هـي المنجيـة مـن النار وهي التي يدخل بها العبد الجنة .

٣- قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " مـن قـال لا إلـه إلا الله " وكفـر بمـا يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه وحسابه على الله " [١٤٦٢] .

٤- قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " أشهد أن لا إله إلا الله وأنـي رسـول الله لا يلقى الله بهما عبد ، غير شاك فيهما إلا دخل الجنة " [١٤٦٣] .

فنـصوص التوحيـد هـذه تنفـي الـشرك بـصفة عامـة ، والتثليـث بـصفة خاصـة ، فالنصوص التي تأمر بالتوحيد تحتوي في طياتها على منع الشرك ، فالأمر بالـشيء نهـي عن ضده فهذه النصوص الدالة على التوحيد تمنع الشرك ، وتحذر منه ، والتثليـث نـوع من الشرك.

ثانياً : هناك نص صريح في عبودية عيسى –عليـه الـسلام – لله وبيـان حقيقتـه ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمتـه ألقاهـا إلى مـريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " [١٤٦٤] .

([١٤٦١]) البخاري ، ك (اللباس) ، ب : (الثياب البيض) ، ح (٥٨٢٧) .
وكذا في مسلم ، ك (الإيمان) ، ب (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) ح (٢٦٩) .

([١٤٦٢]) مسلم ، ك (الإيمان) ب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) ح (١٢٩) .

([١٤٦٣]) مسلم ، ك (الإيمان) ب (الدليل على أن من ما على التوحيد دخل الجنة قطعاً) ح (١٣٧) .

([١٤٦٤]) البخاري ، ك (أحاديث الأنبياء ، ب : قوله تعالى " يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم " النساء آيـة (١٧١) ، ح(٣٤٣٥) ، وكذا في مسلم ، ك (الإيمان) ب (الدليل على أن من مات على التوحيد دخـل الجنـة قطعـاً) ح(١٣٩) واللفظ للبخاري .

فهذا الحديث يوضح صفات المسيح – عليه السلام – الدالة على بشريته ونفي ألوهيته ، وأنه عبد ورسول من الله (عز وجل) ، وليس إلهاً ابن إله .

ثالثاً : هناك نص دال على عبودية الملائكة لله سبحانه وتعالى ، فهي تصلي لله وتسجد ، وتركع ، فهذه دلالة على عبودية الروح القدس لله سبحانه وتعالى، ونفي ألوهيته ، وأنه عبد مخلوق لله يتقرب إليه بالأعمال الصالحة .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حديث المعراج : " فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم " [١٤٦٥] .

ففي هذه الأدلة دلالة واضحة على نفي ألوهية غير الله من بشر وملائكة وإثبات هذه الألوهية لله وحده لا شريك له .

بالإضافة إلى الأدلة السابقة المذكورة في مبحث الرد على اليهود في تصورهم لتوحيد الألوهية بأدلة السنة النبوية في الفصل الثاني من الباب الأول في المبحث الثالث في المطلب الثاني .

[١٤٦٥] البخاري ، ك (بدء الخلق) ، ب (ذكر الملائكة) ، ح (٣٢٠٧) .

المطلب الثالث : نقد مفهوم الأسماء والصفات :

١- من القرآن الكريم :

إن القرآن الكريم يصف الله بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، ويصفه بصفات الكمال ، وينزهه عن النقائض التي تستحيل على الخالق ، فيصفه بالحياة والقدرة والعدل والإحسان وينزهه عن الموت والنوم والجهل والعجز والفناء ، ويثبت مع ذلك أنه لا مثل له في شيء من صفات الكمال ، فلا أحد يعلم كعلمه ، ولا يقدر كقدرته ، ولا يرحم كرحمته ، ولا يسمع كسمعه ، ولا يبصر كبصره ، ولا يخلق كخلقه ، ولا يستوي كاستوائه ، ولا يأتي كإتيانه ، ولا ينزل كنزوله ، كما قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 L [١٤٦٦].

ولا يصفون أحداً من المخلوقين بخصائص الخالق (جل جلاله) ، بل كل ما سواه من الملائكة والأنبياء وسائر الخلق فقير إليه ، وعبد له ، وهو الصمد الذي يحتاج إليه كل شيء ويسأله كل أحد ، وهو غني بنفسه لا يحتاج إلى أحد في شيء من الأشياء ، كما قال تعالى : M ~ اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ © السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ´ µ ¶ ¸ ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ L [١٤٦٧].

(١٤٦٦) سورة الإخلاص ، آية (١-٤) .

(١٤٦٧) سورة مريم ، آية (٨٨-٩٥) .

هذا هو المبدأ الأساسي في القرآن في وصف الله (عز وجل) بما يليق به وتنزيهه عما لا يليق به ، وذلك على ضوء ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله (صلى الله عليه وسلم) .

ولقد نسب النصارى إلى الذات الإلهية صفات النقص التي لا تليق به ، وقد رد القرآن الكريم هذه الافتراءات العظيمة التي نسبها النصارى إلى الله (عز وجل) .

١- اتخاذ الصاحبة والولد :

قال تعالى : M k l m n o p q r s t v w x z { | } ~ قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ L [١٤٦٨] .

فقد نسب النصارى لله الابن ، وجعلوه مشاركاً لله في الألوهية فجاء النص القرآني ينفي ذلك ويصرح بأن ذلك إنما هو قول النصارى ، وأنهم بذلك القول يقلدون الأقوام الكافرة التي سبقتهم ومتأثرين بوثنيتهم القديمة .

وقال تعالى في تكذيبهم : M وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ L [١٤٦٩] .

وقال تعالى : M s t u v x z { | } ~ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ L [١٤٧٠] .

وقال تعالى : M 1 2 3 4 6 8 9 : ; L [١٤٧١] .

فهذه نصوص القرآن الموضحة افتراء النصارى على الله سبحانه وتعالى باتخاذ الولد.

ثم تؤكد النصوص القرآنية بنفي الولد عن الله ويقول تعالى : M H I J K M N O P Q L [١٤٧٢] .

([١٤٦٨]) سورة التوبة ، آية (٣٠) .

([١٤٦٩]) سورة الصافات ، آية (١٥٢) .

([١٤٧٠]) سورة البقرة ، آية (١١٦) .

([١٤٧١]) سورة الأنبياء ، آية (٢٦) .

([١٤٧٢]) سورة النساء ، آية (١٧١) .

وقال تعالى : M بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ L [١٤٧٣].

وقال تعالى : M y z { | } ~ مَّآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ © كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن ´ µ ¶ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ L [١٤٧٤].

وقال تعالى : M s t u v w x y z { | } ~ ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ © ﴿١١١﴾ L [١٤٧٥].

وقال تعالى : M وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ L [١٤٧٦].

وقال تعالى : M ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ´ µ ¶ ¸ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ L [١٤٧٧].

وقال تعالى : M : ; < = > ? @ A B C L [١٤٧٨].

وأيضاً في هذه الآيات بيان واضح لنفي الأبوة التي نسبها النصارى لله (عز وجل) بتسميته الآب .

٢. الظهور والتجسد :

فقد زعم النصارى بتجسد الله وظهوره للبشر على هيئة ملك أو إنسان ، ومعنى ذلك أن جميع البشر يرون الله ويكلمونه بدون حجاب .

ويوضح القرآن الكريم نفي ذلك بقوله تعالى : M 5 6 7 8 9 : ; < = > ? L [١٤٧٩].

(١٤٧٣) سورة الأنعام ، آية (١٠١) .

(١٤٧٤) سورة مريم ، آية (٣٥) .

(١٤٧٥) سورة الكهف ، آية (٤) .

(١٤٧٦) سورة الإسراء ، آية (١١١) .

(١٤٧٧) سورة الفرقان ، آية (٢) .

(١٤٧٨) سورة الجن ، آية (٣) .

(١٤٧٩) سورة الأنعام ، آية (١٠٣) .

ذكر الشيخ محمد رشيد رضا تفسيراً لابن تيمية قال : " فالمعنى إذن أنـه يـرى ولا يدرك ولا يحاط بـه .. فقوله " لا تدركه الأبصار " يدل على غاية عظمته ، وأنـه أكبر مـن كل شيء ، وأنه لعظمته لا يُدرك بحيث لا يحاط بـه " [١٤٨٠].

وقـد أنكـر القـرآن الكـريم ظهـور الله علـى هيئـة إنـسان أو ملـك لكـل مـن موسـى وإبراهيم – عليهما السلام – ولسارة – رضي الله عنها – زوجة إبراهيم – عليه الـسلام– حيث وضح حقيقة كل قصة افتراها أهل الكتاب .

قـال تعـال : Mوَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ © إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ ´ µ ¶ ¸ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ L [١٤٨١].

ففي الآية الكريمة استحالة ظهور الله لموسى (عليه السلام)فإن ذلك يبطل زعمهم

.

وقال في حق إبراهيم – عليه السلام – وزوجته سـارة ، قـال تعـالى : Mوَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ © قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن ´ µ ¶ ¸ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ L [١٤٨٢].

والذي ظهر لإبراهيم – عليه السلام – إنما هـي رسـل الله ، فالآيـة تثبـت حقيقـة استحالة ظهور الله للبشر عامة وللرسل خاصة .

٣. وصف النصارى لله بالظلم وعدم العدالة في أحكامه :

فقد قال أعز من قائل في حقـه : R Q P O N M K J I HGFM S T U V L [١٤٨٣].

([١٤٨٠]) تفسير المنار (٩/١٣٣–١٣٤) .

([١٤٨١]) سورة الأعراف ، آية (١٤٣) .

([١٤٨٢]) سورة هود ، آية (٦٩–٧١) .

([١٤٨٣]) سورة النساء ، آية (٤٠) .

فالقرآن الكريم يصف الله تعالى بالعدل ، وبأنه لا يظلم أحداً من خلقه وأنه يجازي كلاً حسب عمله ، إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً ، وذلك منتهى العدالة .

ويقول تعالى : M à عَمِلَ â فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ ç é ê ë لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ L [١٤٨٤].

فإن وصف النصارى لله بالظلم يتمثل في إيمانهم بعقيدة الصلب والفداء التي تعني أن الله تعالى ضحى بابنه الوحيد في زعمهم للتكفير عن خطيئة آدم – عليه السلام – التي تسربت إلى ذريته عن طريق الوراثة .

فعندما يؤاخذ الإنسان بذنب لم يعمله وليس له فيه شيء فهو أعظم الظلم ، والله سبحانه وتعالى حرم الظلم على نفسه ، وجعل الوزر يتعلق بصاحبه فقط دون غيره .

وقال تعالى رداً على معتقد النصارى بأن البشر جميعاً مذنبون بذنب أبيهم آدم – عليه السلام – : Mقُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ L [١٤٨٥].

وأيضاً الإشارة واضحة وجلية في ذلك بقوله تعالى : M أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ L [١٤٨٦].

وقد وضح القرآن الكريم الرد على فرية الصلب والفداء بإيضاح أن الله تاب على آدم –عليه السلام – من ذنبه بمجرد توبته وندمه على المعصية ، فهذا يدل على أنه لا يوجد أصلاً ذنباً يصلب من أجله المسيح – عليه السلام – لأن الله غفر ذلك الذنب بمجرد التوبة .

قال تعالى: Mفَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ L [١٤٨٧].

([١٤٨٤]) سورة فصلت آية (٤٦) .

([١٤٨٥]) سورة الأنعام ، آية (١٦٤) .

([١٤٨٦]) سورة النجم ، آية (٣٦–٣٨) .

([١٤٨٧]) سورة البقرة ، آية (٣٧) .

وقال تعالى : Mثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ © فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ L[1488].

وقال تعالى : M 9 : ; < = ?@ A B C L[1489].

ومن مظاهر رحمة الله أن يغفر الذنوب ، ويستر العورات ، وأن لا يؤاخذ أحداً بذنب لم يرتكبه ، قال تعالى : Ms t u v w x y z { | } ~إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ © ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ L[1490].

فإن عدم وجود السبب يسلتزم عدم وجود المسبب ، بمعنى عدم وجود ذنب – قد تاب منه آدم وغفره الله له – يستلزم عدم صحة الصلب والفداء التي لبس فيها أي مظهر من مظاهر الرحمة والعدل الإلهي – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

٤. الإرادة والمشيئة :

إن إرادة الله ومشيئته نافذة فالله يفعل كل شيء بمشيئته وإرادته وإذنه ، فكان خلق المسيح – عليه السلام – من غير أب بأمره وإرادته النافذة قال تعالى : Mذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ © ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ ¶ ¸ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ L[1491].

وقال تعالى : M ¶ ¸ لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ L[1492].

وكل شيء بإذنه فليس للمسيح – عليه السلام – إرادة و مشيئة لاهوتية كما يزعم النصارى ، فقد قال تعالى في عرض معجزاته – عليه السلام – : M4 5 6 7 8 9

: ; < = > ? @ A B C D E F G I J K

L M N P Q R S T U V W X Y Z [ ] ^

([1488]) سورة طه ، آية (١٢٢) .

([1489]) سورة هود ، آية (٩٠) .

([1490]) سورة الزمر ، آية (٥٣) .

([1491]) سورة مريم ، آية (٣٤–٣٥) .

([1492]) سورة النحل ، آية (٤٠) .

r q p o n m l k j i h g e d c b ` _
.[١٤٩٣] L x w v u t s

وقال تعالى : M I J K L NM O P Q R T U V W X Y
Z [\ ] ^ _ ` b c d e f g h j k l m
.[١٤٩٤] L z y x w v u t s r p o n

فبـذلك يثبـت إرادة الله الواحـد الأحـد ، وينفـي إرادة ومـشيئة وطبيعـة المـسيح اللاهوتية.

وعلى وجه العموم ، فإن الله تعالى له الصفات العلـى ، لا يـشاركه فيهـا أحـد مـن مخلوقاته ، ولا يدرك كنهها أحد منها ، وما كـان منهـا موهمـاً التـشابه بـين الله وبـين عباده، فهو اشتراك لفظي فقط دون أن يكون في ذلك اشتراك في المعنى الحقيقي ، والفـرق بين تلك الصفات البشرية والصفات الألهية كالفرق بين الخالق والمخلوق .

والمبدأ الأساسي في القرآن الكريم في صفات الله تعالى هو أنـه (عـز وجـل) : M !
" # % & ' ( ) * + , . / 1 2 3 5 6
.[١٤٩٥] L 8 7

(١٤٩٣) سورة المائدة ، آية (١١٠) .

(١٤٩٤) سورة آل عمران ، آية (٤٩) .

(١٤٩٥) سورة الشورى ، آية (١١) .

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
L) (' & M	٢	الفاتحة	١	٧٦
Mفَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ L	٣٧	البقرة	٢	٤٥٤
G F E D C B A @M	٥١	البقرة	٢	١٧٣ ٢٧٩
e d c b a ` _ ^ M	٥٤	البقرة	٢	١٧٥ ٢٧٩ ١٧٤
لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً ~ }	{ z M	٥٥	البقرة	٢	١٢٥ ١٧٥
' & % $ # " ! M	٦٢	البقرة	٢	٣٢ ٣٧
¸ ¶ µ ´ ۞M	٧٥	البقرة	٢	١٧٠
; : 9 8 7 M	٧٩	البقرة	٢	١٧٠
Mوَإِذۡ أَخَذۡنَا © بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ	٨٣	البقرة	٢	٢٨٤
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ~ }	{ M	٩٢	البقرة	٢	١٧٣ ٢٨٠
M ©أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ	٩٣	البقرة	٢	١٥٣ ٢٨٠
Mمَّا يَوَدُّ ´ µ ¶ ¸ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ	١٠٥	البقرة	٢	١٩
& % $ # " ! M	١١٣	البقرة	٢	٢٠ ٣٢
	x	v u t s M	١١٦	البقرة	٢	٢٧٨ ٤٥١

الصفحة	رقمها	السورة	رقمها	الآية
٣٢	٢	البقرة	١٢٠	) (' & % $ # " ! M
٩٧	٢	البقرة	١٣٢	z y x w v M
٩٧	٢	البقرة	١٣٣	أَمْ © شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ M
٩٤	٢	البقرة	١٤٠	أَمْ تَقُولُونَ © إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ M
٢٧٥ ٩١	٢	البقرة	١٦٥	T S R Q P O N M M
٧١	٢	البقرة	٢١٣	V U T S R Q P O N M
٢٩١	٢	البقرة	٢٤٥	ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ¶ µ ´ M
١٠١	٢	البقرة	٢٤٦	*) (' & % $ # " ! M
١٦٦	٢	البقرة	٢٤٨	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ M
٢٨٧	٢	البقرة	٢٥٥	y x w v u t s M
٨٢	٢	البقرة	٢٦٠	(' & % $ # " ! M
٤٣٧ ٤٣٤ ٤٥٥	٣	آل عمران	٤٩	R Q P O N M L K J I M
٤٣٨	٣	آل عمران	٥١	¶ µ ´ إِنَّ ٱللَّهَ M
٤٠٢	٣	آل عمران	٥٩	| { z y x w v M
١٩	٣	آل عمران	٦٤	B A @ ? > = < ; : M
٢٥٣ ٢٨٢	٣	آل عمران	٧٩	G F E D C B A @ ? M
٢٨٢ ٤٤٦	٣	آل عمران	٨٠	b a ` _ ^] \ M
٢٥	٣	آل عمران	٩٣	8 7 6 5 4 3 2 M

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
Z YX W V U M	١١٢	آل عمران	٣	١٠٢
) (' & % $ # " ! M	١٨١	آل عمران	٣	٢٧٦ ٢٨٦ ٢٩١
l k j i h g f M	٣٦	النساء	٤	٤ ٩١
K J I HG F M	٤٠	النساء	٤	٤٥٣
2 1 0 / . - , M	٤٦	النساء	٤	٣٢ ١٠٦ ١٦٩
وَمَن يُشْرِكْ ~ } | { z y x w v u t s r M بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا L	٤٨	النساء	٤	٧٠ ٩٢
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ M	٥١	النساء	٤	٢٨٣
Z Y XWVU T M	١١٦	النساء	٤	٦
} | { z y x w v u M	١٥٣	النساء	٤	١٧٥
H G F E D C B A @ M	١٥٧	النساء	٤	٤٤٣ ٣١٢
L n m l k j i h g f M	١٥٨	النساء	٤	٤٤٣ ٣١٢
C B A @ ? > M	١٦٤	النساء	٤	٢٨٨
& % $ # " ! M	١٧١	النساء	٤	٤٠٠ ٤٣٨ ٤٤٠
e d c b a ` _ M	١٧٢	النساء	٤	٤٣٦

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
				٤٤٥
% $ # " ! M	١٤	المائدة	٥	٣٧
@ ? > = < M	١٥	المائدة	٥	١٩
' & % $ # " ! M	١٨	المائدة	٥	٣٢ ٢٧٨
M قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ L	٢٣	المائدة	٥	٩٢
· , + *) (' & % $ # " ! M	٤٦	المائدة	٥	٦١ ١٠٢ ٣٠٤
C B A @ ? > = M	٤٧	المائدة	٥	٣٧
L K J I H G F E D M	٦٠	المائدة	٥	٢٨٣
مَغْلُولَةٌ ¸ ¶ µ ´ M	٦٤	المائدة	٥	٥ ٢٩٢ ٢٧٦ ٢٨٦
& % $ # " ! M	٦٥	المائدة	٥	١٩
2 1 0 / . M	٦٦	المائدة	٥	١٩
k j i h g f M	٦٨	المائدة	٥	١٩
? > = < ; : 9 8 7 6 M	٧٢	المائدة	٥	٤–٥– ٥١– ٤٣٩– ٤٤٢

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
ı b a ` _ ^] \ [M	٧٣	المائدة	٥	٥-٥١- ٣٤٧- ٤٤٢
Mمَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ	٧٥	المائدة	٥	٤٣٨ – ٤٣٩– ٤٢٧
' & % $ # " ! M	٧٧	المائدة	٥	٦
> = < ; : 9 M	٧٨	المائدة	٥	١٠١
أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ ~ } M	٨٢	المائدة	٥	٣٢ ٣٧
< ; : 9 8 7 6 5 4M	١١٠	المائدة	٥	٤٢٢ ٤٣٥ ٤٥٥
بِي وَبِرَسُولِي ~ } | { z y M	١١١	المائدة	٥	٤٣٨
Mإِذۡ © ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ	١١٢	المائدة	٥	٤٤٠
) (' & % $ # " ! M	١١٤	المائدة	٥	٢٥٩
V U T S R Q P O N M L M W	١١٦	المائدة	٥	٤٨ ٣٥٠ ٤٣٩ ٤٤٠
© لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي ~ } M	١١٧	المائدة	٥	٣٥٠ ٤٣٩
M۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ	٥٩	الأنعام	٦	٢٨٩
h g f edc b a ` _M	٧١	الأنعام	٦	٧٦

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
| | { z y x w v uM	٧٩	الأنعام	٦	٢٥١
M وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي © ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ	٨٠	الأنعام	٦	٢٥٢ ٢٥١
& % $ # " ! M	٨٢	الأنعام	٦	٢٥٢
2 1 0 / . - M	٨٣	الأنعام	٦	٢٥٢
. - , + *) (' & % $ # " !M	٩١	الأنعام	٦	١٦٩
M بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ	١٠١	الأنعام	٦	٤٥١ ٤٤١ ٢٨٦– ٢٨٨
: 9 8 7 6 5M	١٠٣	الأنعام	٦	٢٨٧ ٤٥٢
M قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ	١٦٤	الأنعام	٦	٤٥٤
F E D C B A @ M	٤٥	الأعراف	٧	٧٦
^] \ [Z Y X W V U M	٥٤	الأعراف	٧	٣٣٧ ٢٤٠ ٢٧٣ ٨٠ ٢٣٩
= < ; : 9 8 7 6 5 M	٥٩	الأعراف	٧	٨٥ ٨٩
M ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ´	٦٥	الأعراف	٧	٨٩
M وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ © ۗ	٧٣	الأعراف	٧	٨٩
E D C B M	٨٥	الأعراف	٧	٨٩

<table>
<tr><th>الآية</th><th>رقمها</th><th>السورة</th><th>رقمها</th><th>الصفحة</th></tr>
<tr><td>, + *) (' & % $ # " ! M</td><td>١٣٨</td><td>الأعراف</td><td>٧</td><td>١٢٥
٢٧٩
١٥٤
١٠٠
١٧١
٢٤٥</td></tr>
<tr><td>D CB A @?>= < ;M</td><td>١٣٩</td><td>الأعراف</td><td>٧</td><td>١٥٤
٢٧٩
٢٤٥</td></tr>
<tr><td>L K J I HG FM</td><td>١٤٠</td><td>الأعراف</td><td>٧</td><td>١٧١
١٠٠</td></tr>
<tr><td>T SR Q PM</td><td>١٤١</td><td>الأعراف</td><td>٧</td><td>١٠٠</td></tr>
<tr><td>Mوَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ © إِلَيْكَ</td><td>١٤٣</td><td>الأعراف</td><td>٧</td><td>٢٨٧
٢٨٨
٤٤٤
٤٥٣</td></tr>
<tr><td>M { | } ~بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ</td><td>١٤٨</td><td>الأعراف</td><td>٧</td><td>٩٩
١٥٦
١٧٣</td></tr>
<tr><td>` _ ^] \ [Z YM</td><td>١٥٢</td><td>الأعراف</td><td>٧</td><td>٢٨١</td></tr>
<tr><td>, + *) (' & %$# " !M</td><td>١٥٦</td><td>الأعراف</td><td>٧</td><td>٣٠</td></tr>
<tr><td>M L K J I G F E D CM</td><td>١٨٠</td><td>الأعراف</td><td>٧</td><td>٤</td></tr>
<tr><td>وَٱلْأَرْضِ ~ } | { z M</td><td>١٨٥</td><td>الأعراف</td><td>٧</td><td>٧٨</td></tr>
<tr><td>o n m l k M</td><td>٣٠</td><td>التوبة</td><td>٩</td><td>٥–</td></tr>
</table>

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
				٢٦٠– ٢٧٩– ٣٣٥– ٤١٢– ٤٥١
ٱتَّخَذُوٓاْ © وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ M	٣١	التوبة	٩	٢٨٢ ٢٨٥
M L K J I H G F E DM	٣	يونس	١٠	
x wvu t s r M	١٨	يونس	١٠	٨٧
M ´ µ ¶ ¸ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْ	١٩	يونس	١٠	٧١
M قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ	٣١	يونس	١٠	٢٤١
M وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ	٦١	يونس	١٠	٢٨٧
M } ~ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ	٦٨	يونس	١٠	٢٨٨
4 3 2 1 0 / . - M	٩٠	يونس	١٠	٧٧
M وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ	١٠٦	يونس	١٠	٩٢
M قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ	٦٩	هود	١١	٤٤٣ ٤٥٣
(' &%$ # " ! M	٧١	هود	١١	٤٤٣ ٤٥٣
4 3 2 1 0 / . - M	٩٠	هود	١١	٤٥٤
' & % $ # " ! M	٣٨–٤٠	يوسف	١٢	٩٧
` _ ^] \ [Z M	١٠٠–١٠١	يوسف	١٢	٩٧ ٢٧٥
? > = < ; : 9 M	١٠٦	يوسف	١٢	٨٧

<table>
<tr><th>الآية</th><th>رقمها</th><th>السورة</th><th>رقمها</th><th>الصفحة</th></tr>
<tr><td></td><td></td><td></td><td></td><td>٨٦
٢٥٤</td></tr>
<tr><td>M فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ</td><td>٣٠</td><td>الحجر</td><td>١٥</td><td>٤٤٦</td></tr>
<tr><td>M إِنَّ رَبَّكَ © ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ</td><td>٨٦</td><td>الحجر</td><td>١٥</td><td>٢٧٦</td></tr>
<tr><td>l k j i h g f e d c M</td><td>٢</td><td>النحل</td><td>١٦</td><td></td></tr>
<tr><td>L K J I H G F E D M</td><td>٣٦</td><td>النحل</td><td>١٦</td><td>٩١
٣٨٦</td></tr>
<tr><td>¶ M ¸ لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ</td><td>٤٠</td><td>النحل</td><td>١٦</td><td>٤٥٥</td></tr>
<tr><td>~ } | { z y x wv u t M</td><td>٤٩</td><td>النحل</td><td>١٦</td><td>٤٤٦</td></tr>
<tr><td>M ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ´ ¶ ¸ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ</td><td>٥١</td><td>النحل</td><td>١٦</td><td>٩٢</td></tr>
<tr><td>9 8 7 6 4 3 2 1M</td><td>٧٤</td><td>النحل</td><td>١٦</td><td>٩٣
٢٨٩</td></tr>
<tr><td>+ *) (' & % $ # " ! M
L - ,</td><td>٨٨</td><td>النحل</td><td>١٦</td><td>٢٧٤</td></tr>
<tr><td>*) (' & % $ # " ! M</td><td>٥٩</td><td>الإسراء</td><td>١٧</td><td>٢٣٧</td></tr>
<tr><td>ٱلْمُلْكِ ~ } | { z y x w v u t s M</td><td>١١١</td><td>الإسراء</td><td>١٧</td><td>٢٥٥
٢٧٩
٤٤١
٤٥٢</td></tr>
<tr><td>M وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا</td><td>٤</td><td>الكهف</td><td>١٨</td><td>٤٥٢</td></tr>
<tr><td>x wv u t s r M</td><td>٩</td><td>مريم</td><td>١٩</td><td>٧٩</td></tr>
<tr><td>k j i h g f e d c M</td><td>١٩</td><td>مريم</td><td>١٩</td><td>٤٤٥</td></tr>
<tr><td>` _ ^] \ [Z Y M</td><td>٣٠</td><td>مريم</td><td>١٩</td><td>٤٣٧</td></tr>
<tr><td>i h g f ed c b M</td><td>٣١</td><td>مريم</td><td>١٩</td><td>٤٣٧</td></tr>
</table>

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
Mذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ ©	٣٤	مريم	١٩	٤٣٧ ٤٥٥
Mمَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ ´ ¦	٣٥	مريم	١٩	٤٤١ ٤٥١
Mذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ ©	٤٣	مريم	١٩	٤٤٠
M V W X Y Z [\ ] ^ _	٥٨	مريم	١٩	٢٥
M ! " # $ % & ' (	٦٥	مريم	١٩	٢٨٩
M ~ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا	٨٨–٩٥	مريم	١٩	٤٥٠
M Y Z [\	٥–٨	طه	٢٠	٩٣
M } ~ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ	٩–١٤	طه	٢٠	٩٨ ٤٤٤
M x y z { | } يَخۡشَىٰ ~	٤٤	طه	٢٠	٨٤
M ¸ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ	٤٧	طه	٢٠	١٥٢
Mقَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ	٤٩–٥٣	طه	٢٠	٩٨
Mقَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ©	٨٥–٩٠	طه	٢٠	٩٩ ١٧٣ ٢٨٠
M ! " # $ % &	٨٨–٨٩	طه	٢٠	٢٤٧
Mإِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ	٩٨	طه	٢٠	٢٨٠
Mثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ © فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ	١٢٢	طه	٢٠	٤٥٤
Mلَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ ´ µ ¶ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ	٢٢	الأنبياء	٢١	٨٧
Mلَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ	٢٣	الأنبياء	٢١	٢٩٠
M ! " # $ % & ' ( )	٢٥	الأنبياء	٢١	٣ ٩٠

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
				٣٠٤
: 9 8 6 4 3 2 1 M	٢٦	الأنبياء	٢١	٤٤٥ ٤٥١
N M L K J I H G F E D C M	١٨	الحج	٢٢	٢٨٢
}	{ z y x w v u M	٣٦	الحج	٢٢	٢٩٠
ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ¸ ¶ M	٣٧	الحج	٢٢	٤٤٦
R Q P O N M L M	٧٥	الحج	٢٢	٤٤٦
0 / . - , + *) (' M	٩١	المؤمنون	٢٣	٤٤١
¶ µ ´ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ M	٢	الفرقان	٢٥	٢٧٤ ٢٥٢
< ; : 9 8 7 6 5 4 3 M	٤٥	الفرقان	٢٥	٨٠
m l k j i h g M	٦١	الفرقان	٢٥	٧٩
رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ¸ ¶ µ ´ M	٧٧	الفرقان	٢٥	٢٩٠
b a ` _ M	٦٩–٧٧	الشعراء	٢٦	٢٨١
وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ M	٨٠	الشعراء	٢٦	٧٦
وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ M	٨٨	النمل	٢٧	٧٩
+ *) (' & % $ # " ! M	٧١– ٧٢	القصص	٢٨	٧٨
[Z Y X W V U M	١٨	العنكبوت	٢٩	٣٩٤
z y x w v u t s M	٢٠	العنكبوت	٢٩	٧٨
) (' & % $ # " ! M	٤٦	العنكبوت	٢٩	٢٧٨
مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ~ } M	٦١	العنكبوت	٢٩	٣٨٦
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا © ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا M	٣٠	الروم	٣٠	٧٢
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ © وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ M	٢٥	لقمان	٣١	٧٦

<table>
<tr><th>الآية</th><th>رقمها</th><th>السورة</th><th>رقمها</th><th>الصفحة</th></tr>
<tr><td></td><td></td><td></td><td></td><td>٢٥٤</td></tr>
<tr><td>~ } | { z x w v u t M</td><td>٧</td><td>السجدة</td><td>٣٢</td><td>٢٧٤
٧٩</td></tr>
<tr><td>M L K J I H M</td><td>٣</td><td>سبأ</td><td>٣٤</td><td>٢٨٧
٢٩٠</td></tr>
<tr><td>M قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ</td><td>٢٢</td><td>سبأ</td><td>٣٤</td><td>٢٥٥
٢٧٤</td></tr>
<tr><td>v u t s r q p o M</td><td>١</td><td>فاطر</td><td>٣٥</td><td>٤٤٦</td></tr>
<tr><td>ٱلۡحَمِيدُ ~ } | z y x w v u t M</td><td>١٥</td><td>فاطر</td><td>٣٥</td><td>٢٨٦</td></tr>
<tr><td>تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ ~ } | { z y M</td><td>٣٦</td><td>يس</td><td>٣٦</td><td>٢٨٣</td></tr>
<tr><td>M إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ</td><td>١٢٣-١٣٢</td><td>الصافات</td><td>٣٧</td><td>١٠١
٢٨١</td></tr>
<tr><td>وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ M</td><td>١٥٢</td><td>الصافات</td><td>٣٧</td><td>٤٥١</td></tr>
<tr><td>M سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ</td><td>١٨٠</td><td>الصافات</td><td>٣٧</td><td></td></tr>
<tr><td>وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ M</td><td>٤١</td><td>ص</td><td>٣٨</td><td>١٨٨</td></tr>
<tr><td>6 5 4 2 1 0 / . - , M</td><td>٤٤</td><td>ص</td><td>٣٨</td><td>١٨٨</td></tr>
<tr><td>} | { z y x w v u M</td><td>٧٢</td><td>ص</td><td>٣٨</td><td>٤٠٢</td></tr>
<tr><td>_ ^] \ [Y X W V M</td><td>٣</td><td>الزمر</td><td>٣٩</td><td>٨٣</td></tr>
<tr><td>~ } | { z y x w v u t s M</td><td>٥٣</td><td>الزمر</td><td>٣٩</td><td>٤٥٤</td></tr>
<tr><td>h g f e d b a ` _ M</td><td>٦٢</td><td>الزمر</td><td>٣٩</td><td>٢٧٣</td></tr>
<tr><td>) (' & % $ # " ! M</td><td>٧٥</td><td>الزمر</td><td>٣٩</td><td>٤٤٦</td></tr>
<tr><td>¸ ¶ µ ´ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ M</td><td>١٥</td><td>غافر</td><td>٤٠</td><td>٤٠١</td></tr>
<tr><td>وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ © وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ M</td><td>٣٧</td><td>فصلت</td><td>٤١</td><td>٢٨٢</td></tr>
</table>

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
M à عَمِلَ â فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ ç	٤٦	فصلت	٤١	٤٥٣
M سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ	٥٣	فصلت	٤١	٧٨
@ ? > = < M	٥	الشورى	٤٢	٤٤٦
) (' & % # " ! M	١١	الشورى	٤٢	١٤ ٢٥٥ ٢٨٨ ٢٨٩ ٤٥٦
B A @ ? > < ; : 9M	١٢	الشورى	٤٢	٨٠
& % $ # " ! M	٥٢	الشورى	٤٢	٤٠١
M وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا	١٩	الزخرف	٤٣	٤٤٥
Mإِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	٥٩	الزخرف	٤٣	٤٣٧
Mوَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ	٨٧	الزخرف	٤٣	٧٧
~ } | { z y xM	١٣	الدخان	٤٤	٣٩٤
Mوَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ	١٣	الجاثية	٤٥	٤٠٥
F E D C B A @ ? >=< ; M	٢٤	الجاثية	٤٥	٨١
m l k j i h g f edM	٣٦	الجاثية	٤٥	٧٦
s r q p onm l M	٣٣	الأحقاف	٤٦	٢٨٦
[ZYX W V U T S R Q P M	٦	ق	٥٠	٧٨
G F E D C B A @ ? M	٣٨	ق	٥٠	٢٧٥ ٢٩٢ ٢٨٦
Mفَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا	٤	الذاريات	٥١	٢٧٥ ٢٤٠

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
M © أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ	٢٤–٣٠	الذاريات	٥١	٤٤٣ ٢٨٨
H G F E D C M	٥٦	الذاريات	٥١	٩٠
Z Y X W V U T M	٥٨	الذاريات	٥١	٧٦ ٢٧٥
أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ M	٣٦–٣٨	النجم	٥٣	٤٥٤
â خَلَقۡنَٰهُ à إِنَّا كُلَّ M	٤٩	القمر	٥٤	٢٧٤
لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ M	٧٠	الواقعة	٥٦	٣–٨٠
µ ´ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ M	١–٣	الحديد	٥٧	٩٣
' & % $ # " ! M	٢٢	المجادلة	٥٨	٤٠١
w v u s r q p o n m M	٢٢–٢٤	الحشر	٥٩	٩٣
+ *) (' & % $ # " ! M	٦	الصف	٦١	٤٣٨
{ z y x w v u t M	٦	الجمعة	٦٢	٣٢
6 5 4 2 1 0 / . - , + M	٢	الملك	٦٧	٧٩
< ; : 9 8 M	٣	الملك	٦٧	٢٧٥
B A @ ? > = < ; : M	٣	الجن	٧٢	٢٨٨ ٤٥٢
e d c b a _ ^] \ [Z M	٣١–٣٧	المدثر	٧٤	٢٣٨
7 6 5 4 M	٦–١٦	النبأ	٧٨	٧٩ ١٣٢
أَمۡرٗا ~ M	٥	النازعات	٧٩	٢٤١ ٢٤٠
فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ M	٢٤	عبس	٨٠	٧٨
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ M	٢٩	التكوير	٨١	٤٢٤

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
; : 9 8 M	٦–٧	الطارق	٨٦	٧٨ ٧٩
$ # " ! M	١–٤	الإخلاص	١١٢	٢٨٩ ٣٨٧ ٣٩٠ ٤٤١ ٤٥٠

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصادر والمراجع حسب الحروف الهجائية

١. القرآن الكريم .

٢. أبحاث في الفكر اليهودي ، د / حسن ظاظا ، دار العلوم والثقافة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م .

٣. أبو الأنبياء ، عباس العقاد ، منشورات المكتبة العصرية / بيروت ، صيدا ، ١٩٨١م.

٤. أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ، د / جميل عبد الله المصري ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ /١٩٨٩م .

٥. الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، للإمام أحمد بن إدريس القرافي ، تحقيق : د/بكر زكي عوض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م ، مكتبة وهبة .

٦. أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل ، لماري بن سليمان ، ١٨٩٩م ، مكتبة المثنى ببغداد .

٧. اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورت هامة في المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م ، مكتبة وهبة .

٨. الأدبيات الماسونية وصلتها بالعقائد اليهودية الصهيونية ، د/ حسين عمر حماده .

٩. الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد ، رسالة ماجستير سعود العريفي .

١٠. أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، للإمام محمد بن صفي الدين الحنفي ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد دمشقية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

١١. أديان العالم ، حبيب سعيد ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة .

١٢. أديان العالم الكبرى ، وليم باركلي ، ترجمة د/ حبيب سعيد .

١٣. الأديان في تاريخ شعوب العالم ، سيرغي أ. توكاريف ، ترجمة : د/ أحمد ، م / فاضل ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع .

١٤. الأديـان في القـرآن ، محمـود الـشريف ، الطبعـة الثالثـة ، ١٩٧٩م ، دار عكـاظ للطباعة والنشر .

١٥. أديان الهنـد الكـبرى ، د/ أحمـد شـلبي ، الطبعـة العاشـرة ، ١٩٩٧م ، مكتبـة النهضة المصرية / القاهرة .

١٦. الأديان والإنسان منذ مهبط آدم حتى اليهودية والمسيحية والإسلام ، خليل طاهر ، دار الفكر والفن .

١٧. الأديان والفرق والمذاهب المعاصـرة ، عبـد القـادر شيبة الحمـد ، مطـابع شـركة المدينة للطباعة والنشر / جده .

١٨. أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام ، سميح دغـيم ، الطبعـة الأولى ، ١٩٩٥م ، دار الفكر اللبناني / بيروت .

١٩. آرام ودمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التـوراتي ، فـراس الـسواح ، الطبعـة الأولى ، ١٩٩٥م .

٢٠. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الـشرك والإلحـاد ، صـالح الفـوزان ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ا لطبعة الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

٢١. استحالة تحريف الكتاب المقدس ، وهيب عزيز خليل ، الطبعة الثانية .

٢٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م .

٢٣. الأسطورة والمعنى ، فراس السواح ، دار علاء الدين ، دمشق .

٢٤. الأسفار في الأديان السابقة للإسلام ، د/ علي عبد الواحد وافي ، دار نهـضة مـصر للطباعة والنشر ، الفجالة ، القاهرة .

٢٥. الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، د/ صابر طعيمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م دار عالم الكتب / بيروت .

٢٦. الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف ، أحمد عبد الوهاب ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

٢٧. الإسلام والإنسان مقارنة بين الأديان الثلاثة ، اليهودية ، النصرانية، الإسلام ، عبد الله بري ، مؤسسة نوفل / بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م .

٢٨. الأسماء والصفات ، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : عبد الله الحاشدي ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، مكتبة السوادي ، جده .

٢٩. الأصنام ، هشام بن محمد السائب الكلبي ، تحقيق : د / محمد عبد القادر أحمد وأحمد محمد عبيد ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة .

٣٠. الأصول الوثنية للمسيحية ، أندرية نايتون ، ترجمة : سميرة عزمي الزين ، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية / بيروت ، ١٩٩٠م .

٣١. أصول الصهيونية في الدين اليهودي ، د/ إسماعيل الفاروقي ، نشر معهد الدراسات العربية العالمية ، ١٩٦٣م /١٩٦٤م .

٣٢. الأصول في اليهودية ، عبد الوهاب زيتون ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، المنارة / بيروت .

٣٣. إظهار الحق ، رحمة الله الكيرانوي العثماني الهندي ، تحقيق : د/ محمد أحمد ملكاوي ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ /١٩٩٢م ، دار الحديث ، القاهرة .

٣٤. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، الإمام القرطبي ، تحقيق : د/ أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٥. إغاثة اللهفان ، ابن القيم الجوزية ، تعليق : محمد الفيفي ، دار المعرفة .

٣٦. إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي – صلى الله عليه وسلم – للإمام السموأل المغربي ، تحقيق : د / محمد الشرقاوي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، دار الهداية بالقاهرة .

٣٧. الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ، عبد الله التل ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية .

٣٨. أقانيم النصارى ، د/ أحمد حجازي السقا ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧م – ١٩٧٧م ، دار الأنصار بالقاهرة .

٣٩. اقتضاء الصراط المستقيم ، ابن تيمية ، تحقيق : ناصر عبد الكريم العقل ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ .

٤٠. الله كتاب في نشأة العقيدة الإلهية ، عباس محمود العقاد ، الطبعة السادسة ، دار المعارف ، مصر .

٤١. الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، د/ محمد علي البار ، دار القلم ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٤٢. الله ذاته ونوع وحدانيته ، عوض سمعان ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية / القاهرة ، ١٩٧٤م .

٤٣. آلهة في الأسواق ، د/ رؤوف شلبي .

٤٤. انتصار الحضارة " تاريخ الشرق القديم " جيمس هنري برستد ، ترجمة د/ أحمد فخري ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .

٤٥. الإنسان في ظل الأديان ، المعتقدات والأديان القديمة ، د/ عمارة نجيب ، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م ، مكتبة المعارف / الرياض .

٤٦. الإنسان والأديان ، محمد كمال جعفر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ، دار الثقافة / قطر .

٤٧. إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، د/ حسن عز الدين الجمل ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، دار الكتاب العربي ، بيروت / لبنان .

٤٨. الإيضاح في أصول الدين ، أبو الحسن الزاغوني ، مخطوط المكتبة الظاهرية بدمشق .

٤٩. الإيمان ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد الزبيدي ، دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

٥٠. الإيمان ، عبد المجيد الزنداني ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، مكتبة التراث الإسلامي .

٥١. الإيمان ، محمد نعيم ياسين ، مكتبة الثقافة / مكة المكرمة .

٥٢. إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى ، إلياس مقار ، مطبعة دار العلم العربي ، الطبعة الثانية.

٥٣. آية الله في خلق السيد المسيح من روحه ، دراسة نقدية وتمحيص لأحاديثه ، تحقيق : أبو بكر عبد الرزاق ، الناشرون العرب .

٥٤. البحث عن الحقيقة الكبرى ، د/ محمد عيسى موسى ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، دار الفكر .

٥٥. بحوث في مقارنة الأديان د/ أحمد عبد الرحيم السايح ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار الثقافة / الدوحة / قطر .

٥٦. البداية والنهاية ، للحافظ إسماعيل بن كثير ، طبعة مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦م .

٥٧. البداية والنهاية لأمة بني إسرائيل ، أحمد السقا ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م ، دار الكتاب العربي / القاهرة ز

٥٨. براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ -١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، دار الكتاب الحديث .

٥٩. البرهان في معرفة أهل الأديان ، عباس أبو الفضل السكسكي ، تحقيق د/ بسام سلامة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، مكتبة المنار ، الأردن .

٦٠. بروتوكولات حكماء صهيون ، عجاج نويهض ، الطبعة الثانية ، منشورات فلسطين المحتلة .

٦١. بشرية المسيح ونبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) في نصوص كتاب العهدين ، د/ محمد أحمد خليل ملكاوي ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ /١٩٩٣م ، مطابع الفرزدق التجارية .

٦٢. بنو إسرائيل بين نبأ القرآن وخبر العهد القديم ، صابر طعيمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م ، عالم الكتب .

٦٣. بنو إسرائيل في القرآن الكريم ، د/ محمد عبد السلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، مكتبة الفلاح / الكويت .

٦٤. بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، د/ محمد سيد طنطاوي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، الزهراء للإعلام العربي .

٦٥. بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية ، د/ عبد الشكور العروسي ، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ .

٦٦. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تعليق : محمد عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى ، ١٣٩١هـ ، مطبعة الحكومة

.

٦٧. بين ابن تيمية وابن رشد في الإلهيات ، منيف العتيبي ، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى .

٦٨. بين الإسلام والمسيحية ، أبي عبيدة الخزرجي ، تحقيق : د/ محمد شامة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م ، مكتبة وهبة .

٦٩. تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، د/ فتحي محمد الزغبي ، تقديم : د/ يحيى حسن فرغل ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، طنطا .

٧٠. تاريخ الإسرائيليين : شاهين مكاريوس ، مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩٠٤م .

٧١. تاريخ الإنجيل والكنيسة ، أحمد إدريس ، دار حراء للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة .

٧٢. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، محمد دروزة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، المكتبة العصرية / بيروت .

٧٣. تاريخ الحضارة الرومانية ، محمود السعدني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، دار الخريجي للنشر والتوزيع / الرياض .

٧٤. تاريخ الحضارة المصرية ، لمجموعة من المؤلفين ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة.

٧٥. تاريخ الديانة اليهودية ، د/ محمد خليفة أحمد ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م ، دار قباء القاهرة .

٧٦. التاريخ الروماني عصر الثورة ، عبد اللطيف أحمد علي ، ١٩٧٣م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر / بيروت .

٧٧. تاريخ سورية ، د/ فيليب حتى ، ترجمة : جورج حدادا ، نشر دار الثقافة / بيروت ١٩٥٨م .

٧٨. تاريخ شعب العهد القديم ، الأب : ديلي ، ترجمة الأب جرجس مارديني ، المطبعة الكاثوليكية / بيروت ١٩٦١م .

٧٩. تاريخ الطبري ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، دار الكتب العلمية .

٨٠. تاريخ العالم ، جون هامرتون .

٨١. تاريخ العقاد ، سليمان مظهر .

٨٢. تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

٨٣. التاريخ في الكتاب ، كاترين هنري ، ترجمة : حبيب سعيد ، دار التأليف والترجمة للكنيسة الأسقفية بمصر ، مطبعة النيل .

٨٤. التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي ، توماس ل . طومسون ، ترجمة : صالح علي سوداح ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت / لبنان .

٨٥. تاريخ الكنيسة ، موريس يقاريني ، ترجمة : الأب ج. عفيف اليسوعي ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٥م .

٨٦. تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ترجمة القمصي : مرقس داود ، مكتبة المحبة / القاهرة .

٨٧. تاريخ لبنان ، د/ فيليب حتى ، ترجمة أنيس فريحة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨م .

٨٨. تاريخ المسيح ، جيوفاني بابيني ، ترجمة : الأرشمندريت ، انطونيوس بشير ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٩م ، مكتبة العرب الفجالة ، مصر .

٨٩. تاريخ وحضارة الرومان ، د/ سيد أحمد الناصري ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م ، دار النهضة العربية / القاهرة .

٩٠. التاريخ اليهودي العام ، صابر طعيمة ، الطبعة الأولى ١٩٧٥م ، دار الجيل / بيروت .

٩١. التاريخ اليوناني ، عبد اللطيف أحمد علي ، دار النهضة العربية / بيروت .

٩٢. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، للقس إنسلم تورميدا ، تحقيق : د/ محمود علي حماية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م ، دار المعارف .

٩٣. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، أبو الريحان البيروني ، عالم الكتب / بيروت ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م .

٩٤. التبيان في أقسام القرآن ، العلامة شمس الدين ابن القيم الجوزية ، تعليق : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة للطباعة / بيروت .

٩٥. تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار الهمذاني ، دار النهضة العربية للطباعة ، والنشر والتوزيع / بيروت .

٩٦. التجسد ، الأب فرنسيس فربية ، ترجمة الأب لويس أبادير ، منشورات المعهد .

٩٧. التحريف والتناقض : د/ سارة العبادي ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، دار طيبة الخضراء / مكة المكرمة .

٩٨. التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات ، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د/ محمد عودة السعوي ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، مكتبة العبيكان ، الرياض .

٩٩. التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن منه ، صابر طعيمة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

١٠٠. التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي ، صبري جرجس ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠م ، عالم الكتب / القاهرة .

١٠١. التشريعات البابلية ، عبد الحكيم الذنون ، ١٩٩٢م ، دار علاء الدين / دمشق .

١٠٢. التصريح بما تواتر في نزول المسيح ، الشيخ محمد أنور الكشميري الهندي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية / حلب .

١٠٣. التطور التاريخي لبني إسرائيل ، عماد عبد الحميد النجار ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر .

١٠٤. التفاسير البيضاوية للمسيحية ، كاتن و. هـ. ت ، جردنر وآخرين ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية / القاهرة ، الطبعة الثانية .

١٠٥. تفسير العهد الجديد ، دار الثقافة / الطبعة الثانية .

١٠٦. تفسير العهد الجديد ، د/ وليم باركلي ، ترجمة : عزت زكي . دار الثقافة / القاهرة .

١٠٧. تفسير الفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ، الطبعة الثالثة .

١٠٨. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٠هـ ، مكتبة القاهرة / مصر .

١٠٩. تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ إسماعيل بن كثير ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، دار المعرفة / بيروت / لبنان .

١١٠. التفسير القيم ، ابن القيم الجوزية ، مجمع : محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م .

١١١. التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ، د. رؤوف شلبي ، دار الثقافة ، الدوحة .
١١٢. التلمود أسرار حقائق ، الحسيني معدي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م ، دار الكتاب العربي / القاهرة .
١١٣. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، القاضي أبي بكر الباقلاني ، تحقيق : الشيخ عماد الدين أحمد حيدر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت / لبنان .
١١٤. تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها ، د/ نجيب بلدي ، دار المعارف ، مصر .
١١٥. التناقض في تواريخ وأحداث التوراة ، محمد قاسم محمد .
١١٦. تهذيب مدارج السالكين ، ابن القيم الجوزية ، المكتبة القيمة للطباعة والنشر والتوزيع .
١١٧. التوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، دار النفائس .
١١٨. التوراة السامرية ، ترجمة الكاهن السامري : أبو الحسن إسحاق الصوري ، نشر د/ أحمد حجازي السقا .
١١٩. توراة الشيطان ، محمد محمود صبح ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .
١٢٠. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ،موريس بوكاي ، ترجمة : الشيخ حسن خالد ، الطبعة الثالثة ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، المكتب الإسلامي .
١٢١. التوراة الهيروغليفية ، د/ فؤاد حسنين ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .

١٢٢. التـوراة والعقـل والعلـم والتـاريخ ، د/ بـدران محمـد بـدران ، الطبعـة الأولى، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، دار الأنصار / مصر .

١٢٣. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الوهاب ، المكتـب الإسلامي .

١٢٤. الثقافة الروحية في إنجيل برنابا ، محمود علي قراعة .

١٢٥. جـامع البيـان في تفـسير القـرآن ، للإمـام الطـبري ، دار المعرفـة / بـيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

١٢٦. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، تحقيق : أحمـد شـاكر ، مكتبـة الفيـصلية ،مكة المكرمة .

١٢٧. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ، دار الكاتـب العربـي للطباعـة والنـشر ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

١٢٨. جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة ، فراس السواح ، ١٩٩٦م ، دار علاء الدين ، دمشق .

١٢٩. جنايات بني إسرائيل على الـدين والمجتمـع ، محمـد نـدا ، الطبعـة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، دار اللواء للنشر والتوزيع .

١٣٠. جهود الإمامين ابن تيمية وابـن قـيم الجوزيـة في دحـض مفتريـات اليهـود ، د/ سميرة البناني ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

١٣١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق جماعـة من العلماء ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، دار العاصمة للنشر والتوزيع .

١٣٢. الجوهر الفريد في رد التثليث وتأييد التوحيد ، أيوب بك صبري الطبعـة الأولى ، ١٣١٩هـ / مكتبة الأزهر .

١٣٣. الحدث التوراتي ، فراس السواح ، ١٩٩٢م ، دار علاء الدين دمشق .

١٣٤. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د/ محمد أحمد الخطيب ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م ، دار عالم الكتب / الرياض .

١٣٥. الحسام الممدود في الرد على اليهود ، عبد الحق المغربي ، تحقيق : عمر الداعوق ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ، دار البشائر الإسلامية .

١٣٦. حضارة بلاد وادي الرافدين ، د/ فاضل عبد الواحد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٣م .

١٣٧. الحضارات السامية القديمة ، موسكاني ، ترجمة : د/ السيد يعقوب ، مراجعة د/محمد القصاص ، نشر دار الرقى بيروت ، ١٩٨٦م .

١٣٨. الحضارات المصرية في العصر الفرعوني ، عبد الحميد أحمد زايد ، محمد جمال الدين مختار ، ١٩٥٦م ، دار القاهرة للطباعة / القاهرة .

١٣٩. حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ، القس فايز فارس الطبعة الأولى ، ١٩٦٨م ، دار الثقافة المسيحية / القاهرة .

١٤٠. الحقيقة بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م ، مكتبة علاء الدين الإسكندرية .

١٤١. حقيقة عيسى المسيح ، د/ محمد علي الخولي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

١٤٢. حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة ، علي الجوهري ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير / القاهرة .

١٤٣. حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، د/ عبد الوداد شلبي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م /١٤١٣هـ . الدار السعودية للنشر والتوزيع .

١٤٤. حياة بولس ، تأليف ف. ب . ماير ، تعريب : القمصي : مرقس داود ، مكتبة المحبة / القاهرة .

١٤٥. حياة صموئيل النبي د/ ماير ، ترجمة : القمصي مرقس داود ، مكتبة المحبة / القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م .

١٤٦. خرافات التوراة والإنجيل ، محمد حسني يوسف ، دار الكتاب العربي ، القاهرة.

١٤٧. الخطر اليهودي ، سعد المرصفي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢ ، مكتبة المنار الإسلامية .

١٤٨. الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ، محمد خليفة التونسي ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٤٩. الخطر اليهودي على المسيحية والإسلام ، د/ عدنان حداد ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م ، دار البيروني للطباعة والنشر ، بيروت / لبنان .

١٥٠. خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، د/ عبد الله التل ، الطبعة الثانية ، دار القلم .

١٥١. دائرة المعارف ، بطرس البستاني ، دار المعرفة / بيروت / لبنان .

١٥٢. دائرة المعارف الأمريكية .

١٥٣. دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، الطبعة الثالثة ، دار المعرفة / بيروت / لبنان .

١٥٤. دائرة المعارف الكتابية ، لمجموعة من المؤلفين ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة / القاهرة .

١٥٥. درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .

١٥٦. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، د/ سعود الخلف ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، مكتبة العلوم والحكم .

١٥٧. دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية ، د/ محمد علي البار ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م ، دار القلم / دمشق .

١٥٨. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م ، مكتبة الرشد ، الرياض .

١٥٩. دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة ، محمد السعدي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، دار الثقافة / قطر .

١٦٠. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ، دائرة المعارف العثمانية .

١٦١. الدرر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، دار الفكر ، بيروت .

١٦٢. دعوة التوحيد ، د/ محمد خليل هراس ، مكتبة الصحابة .

١٦٣. دعوة الحق ، الحقيقة بين المسيحية والإسلام، القاضي منصور حسين عبد العزيز، الطبعة الثانية ١٩٧٢م ، مكتبة علاء الدين / الإسكندرية .

١٦٤. الديانات القديمة ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي / القاهرة ١٩٩١م .

١٦٥. الديانات والعقائد في مختلف العصور ، أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، مكة المكرمة .

١٦٦. الديانات الوضعية الحية ، محمد العريبي ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م ، دار الفكر اللبناني / بيروت .

١٦٧. الديانات الوضعية المنقرضة ، محمد العريني ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م ، دار الفكر اللبناني / بيروت .

١٦٨. الديانة الفرعونية ، واليس بدج ، ترجمة نهاد خياط ، دار علاء الدين ، دمشق ، ١٩٩٣م .

١٦٩. ديانة قدماء المصريين ، اسنيدرف الألماني ، تعريب : سليم حسن ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٣هـ ، مطبعة المعارف/ الفجالة / مصر .

١٧٠. ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ، أدولف إرمان ، ترجمة : عبد المنعم أبو بكر ، محمد شكري ، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر .

١٧١. الديانة المسيحية مفاهيم أساسية ، مقارنة مع المعتقدات الدينية الأخرى ، موريس تادضروس ، دار الناسخ .

١٧٢. الديانة اليهودية ، د/ يوسف عيد ، دار الفكر اللبناني ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م.

١٧٣. الدين ، محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت .

١٧٤. الدين الحق وبنو إسرائيل ، د/ صابر طعيمة ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار الجيل / بيروت .

١٧٥. الدين المقارن ، اليهودية، أحمد عبد المنعم الحلواني ، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م ، مطبعة المعرفة .

١٧٦. الذات الألهية بين الإسلام والنصرانية ، د/ عبد الشكور العروسي .

١٧٧. الرب والله وجوجو ، جاك مندلسون ، ترجمة : إبراهيم أسعد محمد ، دار المعارف / مصر .

١٧٨. الـرد الجميـل ، الإمـام الغزالـي ، تحقيـق : عبـد العزيـز حلمـي ، القـاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

١٧٩. الرد على المنطقيين ، لشيخ الإسلام ابن تيميـة ، دار المعرفـة للطباعـة والنـشر ، بيروت .

١٨٠. الرد على النصارى ، إمام حنفـي عبـد الله ، الطبعـة الأولى ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، دار الأفاق العربية .

١٨١. رسائل الحسنة والسيئة ، لابن تيمية ، ضمن مجموعة رسائل .

١٨٢. رسائل في العقيدة ، لابن عثيمين ، مكتبة الوعي الإسلامي .

١٨٣. رسـائل في دراسـات في الأهـواء ، د/ ناصـر العقـل ، الطبعـة الثانيـة ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، دار الوطن للنشر ، الرياض .

١٨٤. الرسـالة الـسبعية بإبطـال الديانـة اليهوديـة ، تـأليف : الحـبر إسـرائيل بـين شموئيـل الأورشـليمي ، تقـديم عبـد الوهـاب طويلـة ، الطبيعـة الأولى ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، دار القلم ، دمشق .

١٨٥. رسالة في اللاهوت والـسياسة ، بـاروخ اسـبينوزا ، ترجمـة وتقـديم : د/ حـسن حنفي ، دار وهدان للطباعة والنشر ، مصور عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٨٦. الروض المعطار في خبر الأقطار ؛ محمد الحمـيري ، تحقيـق : إحـسان عبـاس ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م ، مكتبة لبنان .

١٨٧. الروم ، أسد رستم ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٥م .

١٨٨. السامريون واليهود ، د/ سيد فرح راشد ، دار المريخ الرياض .

١٨٩. سقوط أورشليم وأهميته العالمية ، د/ المسلمي ، بحث ضمن المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم لجون هامرتون .

١٩٠. السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت ، ١٩٧٣م .

١٩١. السيد المسيح يلوح بالأفق ، محمد سعيد الزغبي ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م .

١٩٢. الشخصية الإسرائيلية ، حسن ظاظا ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م ، دار القلم / بيروت .

١٩٣. الشخصية اليهودية من خلال القرآن ، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م ، دار القلم ، دمشق .

١٩٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، دار الأفاق الجديدة / بيروت.

١٩٥. شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار بن أحمد . تحقيق عبد الكريم عثمان ، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ، مكتبة وهبة .

١٩٦. شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للإمام اللالكائي ، تحقيق د/ أحمد الغامدي ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ ، دار طيبة .

١٩٧. شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، تحقيق جماعة من العلماء ، تخريج : محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، المكتب الإسلامي .

١٩٨. شرح العقيدة الواسطية ، محمد خليل الهراس .

١٩٩. شرح أصول الإيمان ، د/ إبراهيم سعيد ، د/ أندراوس واطسون ، دار الثقافة المسيحية/ القاهرة .

٢٠٠. الشرق الأقصى الصين واليابان ، د/ فوزي درويش ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧م .

٢٠١. شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل . أمام الحرمين عبد الملك الجويني ، تحقيق : د/ أحمد حجازي السقا . الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، دار الشباب للطباعة / القاهرة.

٢٠٢. صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية ، د/ محمد عثمان شبير ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، مكتبة الفلاح / الكويت .

٢٠٣. الصفدية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، دار الهدى ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

٢٠٤. الصهيونية بين الدين والسياسة ، عبد السميع الهراوي ، الهيئة المصرية للكتاب والأجهزة العلمية / القاهرة ، ١٩٧١م .

٢٠٥. الصهيونية العالمية وإسرائيل ، حسن ظاظا ، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية ، القاهرة ، ١٩٧١م .

٢٠٦. صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، جلال الدين السيوطي ، تعليق د. علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى .

٢٠٧. ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة ، د/ عبد الله بن محمد القرني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م ، مؤسسة الرسالة / بيروت .

٢٠٨. الطبيعة اليهودية ، د/ سعد المرصفي ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، مكتبة المنار الإسلامية .

٢٠٩. طريق السماء ، القس منى يوحنا ، مكتبة المحبة .

٢١٠. عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة ، فوزي محمد حميد ، ١٩٩١م ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .

٢١١. العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق ، د/ أحمد ديدات ، ترجمة علي الجوهري ، دار الفضيلة.

٢١٢. العصور القديمة ، د/ جايمس هنري براستد ، ترجمة داود قربان ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٢١٣. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، تعليق محمد الشيباني الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م ، مكتبة ابن تيمية / الكويت .

٢١٤. العقيدة الصافية للفرقة الناجية ، سيد عبد الغني ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، دار طيبة الخضراء / مكة المكرمة .

٢١٥. العقيدة في الله ، د/ عمر سليمان الأشقر ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٤م ، مكتبة الفلاح / الكويت .

٢١٦. عقيدة المؤمن ، أبو بكر جابر الجزائري ، دار الكتب السلفية / القاهرة.

٢١٧. على التوراة ، كتاب في نقد التوراة اليونانية ، علي بن محمد عبد الرحمن خطاب ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .دار الأنصار .

٢١٨. العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية، د/ علي حسني الخربوطلي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

٢١٩. علم اللاهوتي الكتابي ، جرهاردوس فوس ، ترجمة : د/ عزت زكي ، دار الثقافة / القاهرة .

٢٢٠. علم النفس والأديان ، كارل يونج ، ترجمة : سميرة عزمي .

٢٢١. العنصرية اليهودية ، د/ أحمد عبد الله الزغبي ، الطبعة الأولى ، مكتبة العبيكان .

٢٢٢. العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، أبو عبد الله بن الوزير ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ.

٢٢٣. الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، دار المنار / القاهرة.

٢٢٤. الفارق بين المخلوق والخالق ، العلامة : عبد الرحمن الباجه جي زاده ، تصحيح : عبد المنعم درويش ، ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م ، ذخائر التراث .

٢٢٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، رقم كتبها وأبوابها : محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت .

٢٢٦. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، للإمام الشوكاني ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .

٢٢٧. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن آل شيخ ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ، المكتبة الفيصلية / مكة المكرمة .

٢٢٨. فجر الضمير ، بريستيد ، ترجمة د/ سليم حسن ، مراجعة عمر الأسكندري ، مكتبة مصر ، ١٩٨٠م .

٢٢٩. الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، دار المعرفة / بيروت .

٢٣٠. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، غالب العواجي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ / مكتبة لية .

٢٣١. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري ، تحقيق : د/ محمد نصر ، د/ عبد الرحمن عميره ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع.

٢٣٢. فصول في أديان الهند ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، دار البخاري للنشر والتوزيع / المدينة المنورة ، بريدة .

٢٣٣. فضائح الكنائس والباباوات والقسيس والرهبان والراهبات ، مصطفى فوزي غزال ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩١م . دار القبلة للثقافة الإسلامية / السعودية .

٢٣٤. فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها ، أحمد سعد حمدان ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، دار طيبة للنشر والتوزيع / الرياض .

٢٣٥. الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، حسن ظاظا ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٢٣٦. الفكر اللاهوتي في كتاب بولس ، القس : فهيم عزيز ، دار الثقافة ، القاهرة .

٢٣٧. فلاسفة الشرق ، تأليف : أ. و . ف توملين ، ترجمة : عبد الحميد سليم ، دار المعارف .

٢٣٨. فهرس الكتاب المقدس ، د/ جورج بوست ، الطبعة الخامسة ، مكتبة المشعل / بيروت .

٢٣٩. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الطبعة العاشرة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، دار الشروق ، بيروت .

٢٤٠. قاموس الكتاب المقدس ، لنخبة من الأساتذة النصارى ، الطبعة الثانية / مجمع الكنائس في الشرق الأدنى .

٢٤١. قراءة في الكتاب المقدس ، صابر طعيمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/٢٠٠٠م . دار الزمان للنشر والتوزيع .

٢٤٢. القرآن الكريم التوراة والإنجيل والعلم ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف ، موريس بوكاي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧م .

٢٤٣. قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .

٢٤٤. قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ترجمة : زكي نجيب محمود ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٢٤٥. قصة الفلسفة اليونانية ، أحمد أمين ، زكي نجيب محمود ، الطبعة التاسعة ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة .

٢٤٦. القوى الخفية في السياسة العالمية من يحكم العالم . الغرابي ، دار الكاتب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

٢٤٧. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، محمد العثيمين ، أضواء السلف ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

٢٤٨. الكافية ا لشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، ابن قيم الجوزية ، دار المعرفة / بيروت / لبنان .

٢٤٩. كتاب التوحيد ، للإمام محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ،١٩٩١م ، مكتبة العلم بجده .

٢٥٠. الكتاب المقدس ، النسخة البروتستانية ، دار الكتاب المقدس في العالم العربي ، والطبعة الكاثوليكية ، دار الكتاب المقدس .

٢٥١. الكتاب المقدس في الميزان ، د/ إدوار.ج. بونج ، ترجمة القس : إلياس مقار ، دار الثقافة المسيحية / القاهرة .

٢٥٢. كشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ، دار الكتب العلمية / بيروت .

٢٥٣. كشاف اصطلاح الفنون ، د/ محمد بن علي الحنفي ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٥٤. الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، محمد أحمد أبو الوليد بن رشد .

٢٥٥. الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة : د/ يوسف نصر الله ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، دار القلم / دمشق .

٢٥٦. الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ، لنيافة الأنبا يؤانس أسقف الغربية .

٢٥٧. كشف زيف اليهود الكتاب المقدس ، موسى الزغبي ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، المنارة / دمشق .

٢٥٨. لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين ، د/ زينب محمود الخفري ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .

٢٥٩. لسان العرب ، محمد بن منظور ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، دار إحياء التراث العربي / بيروت .

٢٦٠. لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد للإمام موفق الدين المقدسي ، شرح : محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق : د. أبو محمد أشرف عبد المقصود ، أضواء السلف ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

٢٦١. ليس في كتاب الله ما يدل على أن المسيح ابن الله أو أنه إله ، عبد الله القلقيلي .

٢٦٢. مائة موقف مع اليهود والنصارى ، محمد علي عثمان آل مجاهد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ-١٤٢٤هـ/دار المشاعل .

٢٦٣. ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية ، عبد الحميد همو ، مراجعة إسماعيل الكردي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م ، دار الأوائل .

٢٦٤. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ، طباعة دار القرآن / بيروت / دمشق ، نشر الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية .

٢٦٥. ما يقال عن الإسلام ، عباس محمود العقاد ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة .

٢٦٦. مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، د/ ليلى حسن سعد الدين ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، دار الفكر / عمان .

٢٦٧. المجتمع اليهودي ، زكي شنودة . مكتبة الخانجي ، بالقاهرة .

٢٦٨. مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية . دار عالم الكتب / الرياض ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

٢٦٩. مجموعة كتب في المسيحية ، حسن الداغستاني ، الطبعة الأولى .

٢٧٠. محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، د/ محمود أمهز ، مكتبة كريدته أخوان / بيروت ، ١٩٨٠م .

٢٧١. محاضرات في التاريخ اليوناني ، مصطفى العبادي ، ١٩٨٣م ، مكتب كريدته أخوان / بيروت .

٢٧٢. محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، دار المنار .

٢٧٣. محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨١هـ/١٩٦٦م ، دار الفكر العربي .

٢٧٤. محاكمة اليهود ، د/ سعد المرصيفي ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، مكتبة المنار الإسلامية .

٢٧٥. المختار في الرد على النصارى ، أبي عثمان الجاحظ ، تحقيق : د/ محمد الشرقاوي ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار الجيل / بيروت .

٢٧٦. مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ، دار الكتاب العربي ، بيروت / لبنان .

٢٧٧. المدخل إلى العهد الجديد ، القس فهيم عزيز ، دار الثقافة المسيحية / القاهرة .

٢٧٨. المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.

٢٧٩. المدخل لدراسة العقيدة . د/ إبراهيم البريكان ، دار السنة .

٢٨٠. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، لصفي الدين البغدادي ، تحقيق : علي البجاوي ، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ–١٩٩٥م . دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت / لبنان .

٢٨١. مسألة في الكنائس ، شيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق : علي بن عبد العزيز الشبل، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ /١٩٩٥م ، مكتبة العبيكان / الرياض .

٢٨٢. مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ترجمة : علي الجوهري ، دار الاعتصام / القاهرة .

٢٨٣. المسألة اليهودية ، محمود الهمشيري ، ترجمة : د/ فؤاد ، مكتب الخدمات للطباعة ، الطبعة الأولى ١٩٦١م .

٢٨٤. المستدرك على الصحيحين ، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، إشراف : د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت / لبنان .

٢٨٥. مسند أبي يعلى الموصلي ، للإمام أبي يعلى أحمد بن المثنى الموصلي ، تحقيق : إرشاد الحق الأثري ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٩٨م ، دار القبلة للثقافة الإسلامية / جده .

٢٨٦. مسند أحمد ، دار صادر / بيروت .

٢٨٧. المسيح – عليه السلام – بين الحقائق والأوهام ، د/ محمد وصفي ، مراجعة : علي الجوهري ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع / القاهرة .

٢٨٨. المسيح الدجال قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى ، سعيد أيوب ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، دار الاعتصام / القاهرة .

٢٨٩. المسيح عيسى ابن مريم ، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، تحقيق : عبد الرحمن محمود ، مكتبة الآداب .

٢٩٠. المسيح في جميع الكتب ، أ. م . هودجكن ، مطبعة النيل المسيحية / بيروت .

٢٩١. المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، دار الكتب الحديثة .

٢٩٢. المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ، د/ محمد علي البار ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، الدار السعودية للنشر والتوزيع .

٢٩٣. المسيحية " مقارنة الأديان " أحمد شلبي ، الطبعة العاشرة ١٩٩٣م ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة .

٢٩٤. المسيحية نشأتها وتطورها ، شارل جينيبير ، ترجمة : د/ عبد الحليم محمود ، دار المعارف / القاهرة .

٢٩٥. المسيحية والحضارة العربية ، الأب الدكتور جورج شحاته المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت .

٢٩٦. المشكلة اليهودية هل تحلها إسرائيل ، محمود نعناعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢م .

٢٩٧. المصباح المنير ، أحمد المقري الفيومي ، المطبعة الأميرية / القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٥٦م .

٢٩٨. مصر الفرعونية ، د/ أحمد فخري ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٣م .

٢٩٩. مصر في القرآن والسنة ، د/ أحمد يوسف ، دار المعارف / مصر ، ١٩٧٣م .

٣٠٠. مصر قبل الإسلام ، د/ عبد الصبور شاهين ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، الزهراء للإعلام العربي .

٣٠١. مصر والشرق الأدنى القديم ، د/ نجيب ميخائيل ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .

٣٠٢. معالم تاريخ الإنسانية ، ويلز ، ترجمة : عبد العزيز توفيق ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م ، لجنة التآليف والترجمة والنشر .

٣٠٣. معتقدات آسيوية ، د/ كامل سعفان ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ /١٩٩٩م ، دار الندى.

٣٠٤. المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، جفري بارندر ، ترجمة : د/ إمام عبد الفتاح إمام ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، سلسلة عالم المعرفة / الكويت .

٣٠٥. معتقدات يونانية ورومانية ، د/ كامل سعفان ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، دار الندى .

٣٠٦. معجم الأعلام والأعوام ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالعراق ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١م .

٣٠٧. معجم الحضارات السامية ، هنري س. عبودي ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، جروس برس ، طرابلس / لبنان .

٣٠٨. المعجم الفلسفي ، د/ عبد المنعم الحنفي ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، الدار الشرقية .

٣٠٩. المعجم الكبير ، سليمان أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي السلفي ، الطبعة الثانية .

٣١٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٣١١. المعجم الموسوعي ، د/ سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، دار الكتاب العربي / دمشق .

٣١٢. المعجم الوسيط ، لمجموعة من المؤلفين ، دار الفكر .

٣١٣. المعرفة في الإسلام مصادرها و مجالاتها ، د/ عبد الله القرني ، دار عالم الفوائد / مكة ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

٣١٤. معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، د/ عبد الستار فتح الله سعيد ، مكتبة المنار ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ-١٤٠٢هـ.

٣١٥. المعين معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس ، لمجموعة من المؤلفين ، دار النشر المعمدانية / بيروت ، ١٩٧٧م .

٣١٦. مفتاح دار السعادة ، العلامة الإمام أبي عبد الله محمد المشهور بابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية / بيروت .

٣١٧. المفردات في غريب القرآن ، الحسين الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة / بيروت .

٣١٨. مفصل العرب واليهود في الكتاب ، د/ أحمد سوسة ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام / العراق ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١م .

٣١٩. مقارنة الأديان الإنجيل دراسة وتحليل ، د/ محمد شلبي شتيوي ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، مكتبة الفلاح / الكويت .

٣٢٠. مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ، د/ عوض الله جاد حجازي ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، دار الطباعة المحمدية .

٣٢١. مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، د/ محمد علي الخولي ، دار الفلاح للنشر والتوزيع / الأردن .

٣٢٢. مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي ، محمد السماك ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، دار النفائس / بيروت .

٣٢٣. مقدمة في تاريخ الحضارات ، طه باقر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ، دار الثقافة / بيروت .

٣٢٤. الملتقى الإسلامي المسيحي الثاني ، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية.

٣٢٥. الملة والنحلة في اليهودية – المسيحية – الإسلام ، د/ حمدي عبد العال ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، دار القلم / الكويت .

٣٢٦. الملل والنحل ، أبي الفتح الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، المكتبة الفيصلية / مكة المكرمة .

٣٢٧. مناهج الأدلة ، ا بن رشد .

٣٢٨. المنجد في اللغة والأعلام ، جماعة من المؤلفين ، الطبعة السادسة والعشرون ، دار المشرق / بيروت / لبنان .

٣٢٩. منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، الشيخ عبد العزيز بن الشيخ محمد بن ناصر آل معمر ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، دار ثقيف للنشر والتأليف /الطائف .

٣٣٠. منعطف المخيلة البشرية ، صموئيل هنري هووك ، ترجمة : صبحي حديدي ، دار الحوار للنشر والتوزيع / سوريا ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

٣٣١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للإمام محي الدين النووي ، تحقيق : الشيخ : خليل مأمون شيحا ، الطبعة السادسة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، دار المعرفة ، بيروت / لبنان .

٣٣٢. موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، د/ فيليب حتى ، ترجمة : أنيس فريحه ، دار الثقافة / لبنان .

٣٣٣. موجز تاريخ العالم ، ولز ، ترجمة : عبد العزيز توفيق ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٥٨م .

٣٣٤. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ناصر القفاري ، ناصر العقل ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، دار الصميعي للنشر والتوزيع / الرياض .

٣٣٥. موسوعة الأديان والمذاهب ، العميد ، عبد الرزاق محمد أسود ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م ، الدار العربية للموسوعات / بيروت / لبنان .

٣٣٦. موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ، زكي شنودة ، الطبعة الأولى ١٩٧٤م ، مكتبة دار النهضة المصرية / القاهرة .

٣٣٧. الموسوعة العربية الميسرة ، لمجموعة من المؤلفين ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت / لبنان .

٣٣٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، إشراف : مانع الجهني ، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ / الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

٣٣٩. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، د/ عبد الوهاب المسيري ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م ، دار الشروق / مصر / القاهرة .

٣٤٠. موقف القرآن الكريم من التوراة ، إنشراح قراره ، دار خضر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

٣٤١. النبي موسى ورسالة التوحيد ، د/ عبد المنعم الحفني ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م – ١٤١٦هـ – المنارة / بيروت .

٣٤٢. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، د/ علي سامي النشار ، الطبعة السابعة ، ١٩٩٧م، دار المعارف .

٣٤٣. نشأة اليهود ، زكي شنودة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م .

٣٤٤. النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، د/ محمد أحمد الحاج ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، دار القلم / دمشق .

٣٤٥. النصرانية من الواحد إلى المتعدد ، أبو إسلام عبد الله ، الطبعة الأولى ، بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع .

٣٤٦. النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى بن عيسى المتطبب ، تحقيق : د/ محمد الشرقاوي ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، دار الصحوة للنشر والتوزيع / القاهرة .

٣٤٧. النقاط الفريد في أصل العقيدة ، تعليق على القول الصحيح لتأييد محبة المسيح ، الشيخ عبد الراضي أمين سليم ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ /١٩٩٣م ، بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع .

٣٤٨. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : أحمد السقا ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧هـ .

٣٤٩. هل الله موجود ، رمسيس ونيس ، الطبعة الثانية ، لجنة خلاص النفوس للنشر / مصر .

٣٥٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أحمد بن محمد بن خلكان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة .

٣٥١. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، د/ رؤوف شلبي ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع / القاهرة .

٣٥٢. يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ، بولس إلياس اليسوعي ، الطبعة الثانية ١٩٦٦م ، المطبعة الكاثوليكية / بيروت .

٣٥٣. يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته ، د/ هاني رزق مكتبة المحبة .

٣٥٤. اليهود ، زكي شنودة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤م .

٣٥٥. اليهود ، د/ عبد الله عبد العزيز الجبرين ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

٣٥٦. اليهود بين الدين والتاريخ " دراسة للجوانب العقائدية التاريخية عند بني إسرائيل " صابر طعيمة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م .

٣٥٧. اليهود تاريخ وعقيدة ، د/ كامل سعفان ، دار الاعتصام / القاهرة .

٣٥٨. اليهود في تاريخ الحضارات ، غوستاف لوبون ، ترجمة : عادل زعيتر ، القاهرة /١٩٧٠م .

٣٥٩. اليهود في العالم القديم ، مصطفى عبد العليم / سيد فرج راشد ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، دار القلم / دمشق .

٣٦٠. اليهود في القرآن ، عفيف عبد الفتاح طبارة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٤م ، دار العلم للملايين / بيروت .

٣٦١. اليهـــود في القـــرآن والـــسنة ، د/ محمـــد أديـــب الـــصالح ، الطبعـــة الأولى ١١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، دار الهدى للنشر والتوزيع .

٣٦٢. اليهود واليهودية والمسيحية ، د/ فؤاد حسنين ، معهد البحوث ١٩٦٨م .

٣٦٣. اليهودية ، د/ أحمـد شـلبي ، الطبعـة الثانيـة عـشر ١٩٩٧م ، مكتبـة النهـضة المصرية / القاهرة .

٣٦٤. اليهودية ، محمد بحر عبد المجيد ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة .

٣٦٥. اليهودية بين الخرافة والممارسة ، عبد الوهاب زيتون ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م – ١٤١٦هـ ، المنارة / بيروت .

٣٦٦. اليهوديـة عـرض تـاريخي والحركـات الحديثـة في اليهوديـة ، د/ عرفـان عبـد الحميد، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، دار البيارق ، بيروت / لبنان .

٣٦٧. اليهوديـة والـمسيحية ، د/ محمـد ضـياء الـرحمن الأعظمـي ، الطبعـة الأولى ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

٣٦٨. اليهوديـــة والـــصهيونية ، أحمـــد عبـــد الغفـــور عطـــار ، الطبعـــة الثانيـــة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار الأندلس .

٣٦٩. اليهودية واليهود ، د/ علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

فهرس المحتويات

